العباسيون

وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا

دكتور عبد الله كامل موسى عبده

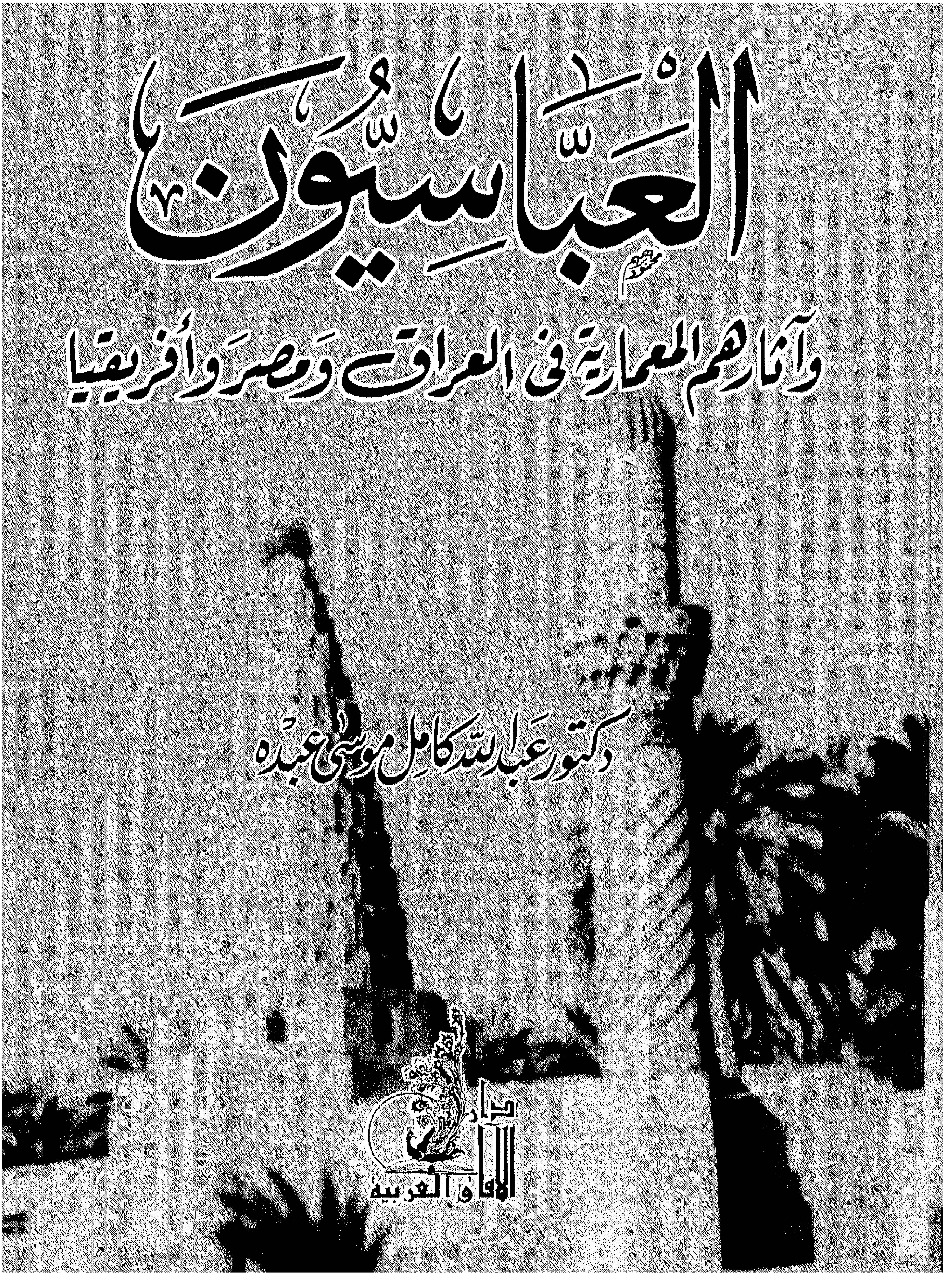

دار الآفاق العربية

العباسيون

وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا

العباسيون

وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا

دكتور عبدالله كامل موسى عبده

دار الآفاق العربية

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع	١٤٧٩٣/ ٢٠٠١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 344 -010 -9

دار الآفاق العربية

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾

الآية ١٧ سورة الرعد

إهـــداء

إلى روح والدى الطاهرة طيب الله ثراه

إلى امى الحبيبة اطال الله عمرها

إلى زوجتى وأولادى

متعهم الله سبحانه وتعالى بالصحة والعافية

د. عبد الله كامل موسى عبده

المحتويات

اهداء ٧

مقدمة ١٣-١٦

تمهيد (الكوفة واعلان الدولة العباسية - الهاشمية الأولى ـ الهاشمية الثانية) ١٧-٢١

الفصل الأول

العمارة الدينية العباسية فى العراق «عمارة المسجد»

ـ مسجد الخليفة المنصور فى بغداد ٢٥-٢٨

ـ مسجد الرقة ٢٩-٣٠

ـ مسجد قصر الاخيضر ٣١-٣٢

ـ مسجد سامراء الكبير ٣٣-٣٦

ـ مسجد ابى دلف ٣٧-٤١

ـ مئذنة عنه فى جزيرة القلعة ٤٢

ـ مئذنة سنجار ٤٣

ـ المسجد النورى فى الموصل ٤٤-٤٦

ـ مسجد مجاهد الدين فى الموصل ٤٧-٤٨

ـ المئذنة المظفرية فى اربيل ٤٩

ـ مئذنة داقوق ٥٠

ـ مئذنة المكيطيمة فى اليوسفية ٥١

ـ مسجد الخفافين فى بغداد الشرقية ٥٢

ـ مئذنة مسجد الجنائز فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى ٥٣

ـ مسجد قمرية فى بغداد ٥٤-٥٥

- مئذنة مسجد الخلفاء فى بغداد الشرقية ٥٦

الفصل الثانى

العمارة الدينية العباسية فى العراق «عمارة المدرسة»

- المدرسة «نشأتها وتطورها» ٧٣-٧٩
- مدارس العراق حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م «دراسة تاريخية» ٨٠-٨٢
- المدرسة الاقبالية (الشرابية ـ الشرفية) ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م فى بغداد ٨٣
- المدرسة المستنصرية ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م فى بغداد ٨٤-٨٧

الفصل الثالث

العمارة الضريحية فى العراق

- القبة الصليبية ٩٩-١٠٠
- ضريح الإمام محمد الدرى ١٠١-١٠٢
- ضريح زمرد خاتون (الست زبيدة) غرب بغداد ١٠٣-١٠٤
- مشهد الاربعين قرب تكريت ١٠٥-١٠٦
- ضريح الإمام عبد الرحمن فى الموصل ١٠٧
- ضريح الحسن البصرى ١٠٨
- ضريح الشمس شمال شرق الحلة ١٠٩
- ضريح السهروردى فى بغداد ١١٠
- مشهد الإمام محمد الباقر فى داقوق ١١١
- مشهد يحيى بن القاسم فى الموصل ١١٢-١١٣
- ضريح السيدة زينب فى سنجار ١١٤
- مشهد الإمام عون الدين فى الموصل ١١٥
- ضريح الخضر فى كبيسة ١١٦
- ضريح الشيخ حديد فى حديثة ١١٧
- ضريح نجم الدين فى حديثة ١١٧

الفصل الرابع

العمارة المدنية (المدن والقصور) والاستحكامات الحربية فى العراق

- مدينة بغداد ١٢٥-١٣٣
- مدينة الرصافة (عسكر المهدى) ١٣٤-١٣٥
- مدينة الرقة (الرافقة) ١٣٦
- قصر الاخيضر ١٣٧-١٤٢
- خان عطشان (العطيشى) ١٤٣
- مدينة سامراء وطرزها وقصورها ١٤٤-١٤٩
- الجوسق الخاقانى ١٥٠-١٥١
- قصر العاشق ١٥٢-١٥٣
- دار المملكة (قره سراى) ١٥٤

الفصل الخامس

العمارة الدينية والضريحية فى مصر وأفريقية فى العصر العباسى

* اولا: عمارة المسجد فى مصر وأفريقية
- جامع العسكر بمدينة العسكر ١٦١-١٦٢
- جامع احمد بن طولون بمدينة القطائع ١٦٣-١٧٢
- مسجد الرباط فى سوسة ١٧٣-١٧٦
- مسجد بوفتاتة فى سوسة ١٧٧-١٧٨
- المسجد الجامع فى سوسة ١٧٩-١٨٠
* ثانيا: عمارة الضريح
- مشهد آل طباطبا ١٨١-١٨٤

الفصل السادس

العمارة المدنية والاستحكامات الحربية فى مصر وأفريقية

- مدينة العسكر ١٩٣

ـ مقياس النيل فى جزيرة الروضة ١٩٤-١٩٧
ـ مدينة القطائع ١٩٨-٢٠١
ـ قناطر مياه احمد بن طولون ٢٠٢-٢٠٣
ـ البيمارستان فى الدولتين الطولونية والاخشيدية ٢٠٤-٢٠٥
ـ تخطيط البيت الطولونى ٢٠٦-٢١٠
ـ منشآت الاغالبة المدنية فى افريقية ٢١١-٢١٢
ـ منشآت الاغالبة المائية فى أفريقية ٢١٣
ـ منشآت الاغالبة الحربية (الدفاعية) فى افريقية ٢١٤-٢١٥
الخاتمة ٢٢٠-٢٢٣
ـ ثبت الاشكال واللوحات ٢٢٤-٢٣٢
ـ ثبت المصادر والمراجع ٢٣٣-٢٤٢
ـ ثبت بالخلفاء العباسيين حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ٢٤٣-٢٤٤
ـ بحوث وكتب للمؤلف ٢٤٥-٢٤٧
ـ كتالوج الأشكال واللوحات ٢٤٨-٣٨٠

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

توفر على دراسة العمارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة عدد كبير من العلماء والباحثين، وقدموا لنا فى هذا المجال أعمالا لها قيمتها وآصالتها العلمية، ورغم تعدد هذه الدراسات وتنوعها ما بين مؤلفات وبحوث إلا أنه لا تزال هناك حاجة إلى المزيد من المؤلفات العربية فى مجال العمارة الإسلامية مما دفعنى إلى تخصيص هذا الكتاب للعمارة الإسلامية العباسية فى العراق ومصر وإفريقية، وهذا التناول كان وما يزال مثار اهتمامى بعد أن أصدرت الكتاب السابق على نفس النمط والذى جاء بعنوان «الفاطميون وآثارهم المعمارية فى أفريقية ومصر واليمن».

يهدف موضوع هذا الكتاب إلى دراسة الآثار الإسلامية الدينية والمدنية والحربية (الدفاعية) فى العراق ومصر وأفريقية خلال العصر العباسى منذ آلت الخلافة إلى العباسيين فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، حيث نقل العباسيون مقر الخلافة من الشام إلى العراق، وغدت السيادة فى العالم الإسلامى للعراق وإيران، واتخذ الفن الإسلامى إتجاها جديدًا، فقام الطراز العباسى الذى غلبت عليه الاساليب الفنية الفارسية، وبلغ هذا الطراز أوج إزدهاره فى مدينة سامراء فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، ومنها إنطلق إلى كافة الأقطار الإسلامية التابعة للخلافة العباسية.

هذا وقد اتبعت تقسيما جغرافيا فى عرض آثار العصر العباسى الدينية والمدنية والحربية فبدأت بالعراق خلال الفترة الممتدة من ١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م، وهى السنة التى تمثل سقوط الخلافة العباسية، ثم مصر خلال الفترة الممتدة من ١٣٢-٣٥٨هـ/ ٧٥٠-٩٦٩م وهى الفترة التى تمثل عصر الولاة والعصرين الطولونى والاخشيدى، ثم أفريقية خلال الفترة الممتدة من ١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م وهى الفترة التى تمثل دولة الأغالبة فى أفريقية وكان طبيعيا أن يتركز الإهتمام أولا على دراسة الجانب التاريخى والحضارى فتطرق موضوع الكتاب فى التمهيد إلى قيام الدولة العباسية فى مدينة الكوفة، حيث تمت البيعة لابى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كأول خليفة عباسى يجلس على عرش الخلافة العباسية، ثم تطرق التمهيد إلى تأسيس الهاشمية الأولى والثانية وتجديد مدينة المعمورة (المصيصة) احدى الثغور الشامية على سبيل المثال من قبل الخليفة المنصور.

وقد قسمت الكتاب إلى ستة فصول، تناولت فى الفصل الأول عمارة المسجد العباسى فى العراق، وقد تطرق هذا الفصل للمساجد التالية: مسجد الخليفه المنصور فى بغداد، مسجد الرقة، مسجد قصر الاخيضر، جامع سامراء الكبير (جامع المتوكل على الله)، جامع ابى دلف، مئذنة عنه (عانه)، مئذنة سنجار، الجامع النورى فى الموصل، جامع مجاهد الدين جنوب شرق الموصل، مئذنة اربيل (المئذنة المظفرية)، مئذنة داقوق، مئذنة المكيطيمة فى اليوسفية، جامع الخفافين (جامع الحظائر) فى بغداد الشرقية، مئذنة مسجد باب الدير (مسجد الجنائز)، جامع قمرية فى بغداد، مئذنة جامع الخلفاء (سوق الغزل) فى بغداد الشرقية، وتناولت فى الفصل الثانى عمارة المدرسة فى العراق، وقد تطرق هذا الفصل إلى دراسة تاريخية لنشأة المدرسة فى العالم الإسلامى والآثار المتبقية من عمارة المدارس فى الشام والعراق حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، كما تطرق إلى مدارس العراق منذ منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى حتى سقوط بغداد فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وهى دراسة تاريخية حضارية، ثم

تطرق الفصل لمدرستين هما المدرسة الاقبالية (الشرابية ـ الشرفية) فى بغداد، والمدرسة المستنصرية، وتناولت فى الفصل الثالث العمارة الضريحية فى العراق، حيث تطرق هذا الفصل للقباب التالية: القبة الصليبية، ضريح الإمام محمد الدرى، ضريح زمرد خاتون (الست زبيدة) الذى يقع فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى، مشهد الأربعين بالقرب من تكريت، ضريح الإمام عبد الرحمن فى الموصل، ضريح الحسن البصرى فى الزبير، مشهد الشمس الذى يقع إلى الشمال الشرقى من مدينة الحلة، ضريح السَهروَردى فى بغداد، ضريح الإمام محمد الباقر فى داقوق، ضريح يحيى بن القاسم على نهر دجلة، ضريح السيدة زينب فى مدخل مدينة سنجار، مشهد الإمام عون الدين فى القسم الجنوبى الشرقى من الموصل، ضريح الخضر إلى الجنوب من كبيسة، ضريح الشيخ حديد فى حديثة، وضريح نجم الدين فى حديثة.

وتناولت فى الفصل الرابع العمارة المدنية (المدن والقصور) والاستحكامات الحربية فى العراق، وقد تطرق الفصل للمدن والقصور التالية: مدينة بغداد، مدينة الرصافة (عسكر المهدى)، مدينة الزقة (الرافقة)، قصر الاخيضر، خان عطشان، مدينة سامراء، مدينة الجعفرية أو المتوكلية، الجوسق الخاقانى، قصر العاشق، دار المملكة (قره سراى) وتناولت فى الفصل الخامس العمارة الدينية والضريحية فى مصر وافريقية فى العصر العباسى، أما عمارة المسجد فى مصر وافريقية فقد شملت جامع العسكر، جامع احمد بن طولون مسجد الرباط فى سوسة، مسجد بوفتاتة فى سوسة، المسجد الجامع فى سوسة، أما عمارة الضريح فقد شملت مشهد آل طباطبا فى العصر الاخشيدى.

وتناولت فى الفصل السادس والأخير العمارة المدنية والاستحكامات الحربية فى مصر وافريقية، وقد تطرق هذا الفصل إلى مدينة العسكر، مقياس النيل فى الروضة، مدينة القطائع، قناطر مياه ابن طولون، بيمارستان ابن طولون، بيمارستان كافور الاخشيدى، تخطيط البيت الطولونى، كما تطرق الفصل ايضا لمنشآت الاغالبة المدنية المتمثلة فى المدن والقصور والمنشآت المائية (المواجل)،

كذلك تطرق الفصل إلى منشآتهم الحربية (الدفاعية) فى أفريقية، ومنها رباط سوسة.

وقد لخصت فى الخاتمة ما توصلت إليه من نتائج ثم اتبعت الخاتمة بثبت للاشكال واللوحات ثم قائمة المصادر والمراجع، ثم قائمة بالبحوث والكتب التى صدرت لى.

أسأل الله أن يوفقنى لمتابعة البحث فى مجال الاثار والفنون الإسلامية، وارجو ان يكون كتابى هذا حافزا للدارسين للاهتمام فى مؤلفاتهم وبحوثهم بالدراسات المقارنة فى مجال العمارة والفنون الإسلامية، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب.

د. عبد الله كامل موسى عبده

القاهرة ٣٠ ابريل ٢٠٠١م

التمهيد

قيام الدولة العباسية فى الكوفة
وتأسيس الهاشمية الأولى والثانية

قيام الدولة العباسية في مدينة الكوفة
وتأسيس الهاشمية الأولى والثانية وعمارة المعمورة (المصيصة)

انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين بعد مقتل الخليفة الأموى مروان بن محمد فى قرية بوصير من اعمال الفيوم بمصر فى ذلك الوقت فى عام ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م على يد صالح بن على قال ابن الاثير «وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد، وكان قتله ببوصير من أعمال مصر، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة»[١]، وكان الخليفة ابو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم أول خليفة عباسى يجلس على عرش الخلافة العباسية، وقد حكم خلال الفترة من ١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م[٢].

أعلن العباسيون قيام دولتهم فى مدينة الكوفة[٣]، وبايعوا فيها ابا العباس قال ابن الاثير عند ذكره ابتداء الدولة العباسية وبيعة ابى العباس «واصبح الناس يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، فلبسوا السلاح، واصطفوا لخروج ابى العباس، واتوا بالدواب... فد خلوا دار الامارة، ثم خرج إلى المسجد فخطب وصلى بالناس، ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة فقام فى اعلاه، وصعد عمه داود بن على فقام دونه»[٤].

هذا وقد تمت بيعة ابى العباس عبد الله بمدينة الكوفة فى دار الوليد بن سعد الازدى بعد ان تم النصر للجيوش العباسية فى خراسان[٥] وفى العراق بعد هزيمة ابن هبيرة، ثم كان ان خرج ابو العباس بعد الخطبة فعسكر بحمام أعين[٦]، قال

البلاذرى «كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة اهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذى يعرف بقصر ابن هبيرة.. فلما ظهر امير المؤمنين ابو العباس نزل تلك المدينة.. وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة.. فرفضها وبنى بحيالها الهاشمية ونزلها»(٧)، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه ان الخليفة العباسى رغب فى تخليد ذكره من خلال انشاء مدينة او قصر ينسب له وليس لابن هبيرة فشيد الهاشمية، وهو الأمر الذى عبر عنه البلاذرى بقوله «ما ارى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها»(٨).

ويرى د. طاهر العميد ان الخليفة ابا العباس كان قد ادرك انه من الصعب عليه ان يركن إلى أهل الكوفة بعد اعلان الدولة ومبادئها فآثران يقيم بين جنده الخراسانيين فى معسكر حمام أعين لإدارة أمور الدولة السياسية والإدارية والعسكرية، فقد خشى فى تلك الفترة من تعاظم الدعوة إلى العلويين، تلك الدعوة التى كانت تجد صدى بعيد الأثر وتأييدا كبيرا فى الكوفة وبعض الاقاليم والمدن الإسلامية الأخرى، ويضيف ان أبا العباس أطلق إسم الهاشمية على المدينة التى شيدها ابن هبيرة بالكوفة على الفرات، ثم تحول عنها لأنها لم تشتهر بين الناس باسم الهاشمية، وانما ظلت تعرف بمدينة ابن هبيرة، حيث شيد مدينة جديدة عرفت ايضا بالهاشمية(٩).

انتقل الخليفة العباسى ابو العباس من الهاشمية إلى الأنبار(١٠) قال البلاذرى «ثم اختار نزول الانبار فبنى بها مدينته المعروفة فلما توفى دفن بها»(١١)، وقد عرفت هذه المدينة الجديدة ايضا بالهاشمية وكانت تقع على شاطئ الفرات، وقد ظل بها أبو العباس حتى توفى فى عام ١٣٦هـ/ ٧٥٤م، ثم نزلها الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور الذى حكم خلال الفترة من ١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م قال البلاذرى «واستخلف ابو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئا كان بقى منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد، ثم تحول منها إلى بغداد»(١٢).

مما تقدم يتضح أن مدينة الهاشمية الثانية أو الهاشمية الجديدة بلغت أوج إزدهارها فى عهد الخليفة العباسى المنصور. حيث يتضح من نص البلاذرى اكتمال وإزدهار منشآتها الدينية والمدنية والدفاعية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يذكر د. طاهر العميد ان العباسيين قد حرصوا فى بداية العصر العباسى على تخليد البيت الهاشمى وتأكيد حب هذا البيت وطاعته من خلال إطلاق إسم الهاشمية على المراكز والمدن التى شيدت فى فجر الدولة العباسية[١٣].

ادرك الخليفة ابو جعفر المنصور أن الهاشمية الثانية لا تصلح حاضرة لدولته لقربها من الكوفة مقر الشيعة ومركز دعايتهم من جهة، ولانها كانت معسكر القبائل العربية من جهة أخرى، وخاصة بعد ثورة الراوندية[١٤]، فتحول من الهاشمية إلى بغداد.

مدينة المصيصة (المعمورة)

يحدثنا ابن الاثير عن مدينة قام بعمارتها ابو جعفر المنصور وأطلق عليها اسم المعمورة وكانت تعرف بالمصيصة وذلك فى حوادث سنة اربعين ومائة بقوله «وفيها امر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرائيل بن يحيى، وكان سورها قد تشعث من الزلازل واهلها قليل، فبنى السور وسماها المعمورة، وبنى بها مسجدا جامعا، وفرض فيها لألف رجل، واسكنها كثيرا من اهلها»[١٥].

وتعد مدينة المصيصة[١٦] من ثغور الشام، تقع بين انطاكية[١٧] وبلاد الروم بالقرب من طرسوس[١٨]، وكانت تشتمل على استحكامات حربية تتمثل فى سور وخمسة ابواب، وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى مصيصة بن الروم، ثم خربت هذه المدينة من جراء الزلازل فقام الخليفة ابو جعفر المنصور بعمارتها فى عام ١٣٩ هـ/ ٧٥٦م وفرغ من عمارتها فى عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م وسماها المعمورة، وقد شملت هذه العمارة المسجد الجامع، كما شحنها المنصور فى رواية اخرى بثمانمائة رجل من منطلق اهميتها كثغر من الثغور الإسلامية المهمة ببلاد الشام[١٩].

الفصل الأول

العمـــارة الدينيـــة العبـــاسيـــة
فى العراق «عمارة المسجد»

مسجد الخليفة المنصور ببغداد ١٤٥-١٤٩هـ/ ٧٦٢-٧٦٦م:

رأى الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور ضرورة تشييد حاضرة جديدة لدولته بدلا من الهاشمية بسبب ثورة الراوندية من جهة، وقرب الهاشمية من الكوفة العلوية من جهة اخرى، ومن جهة ثالثة فقد أراد تخليد ذكره من خلال بناء هذه الحاضرة الجديدة، وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما ذكره اليعقوبى عن سرور الخليفة العباسى المتوكل على الله بعد فراغه من تشييد مدينة المتوكلية فى سامراء ونصه «وتكامل له السرور. وقال: الان علمت انى ملك، اذ بنيت لنفسى مدينة سكنتها»(١)، فتم له ذلك فى عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م قال ابن الأثير «فيها ابتدأ المنصور فى بناء مدينة بغداد وسبب ذلك أنه كان قد ابتنى الهاشمية بنواحى الكوفة، فلما ثارت الراوندية فيها كره سكانها لذلك ولجوار اهل الكوفة ايضا، فانه كان لايأ من اهلها على نفسه، وكانوا قد افسدوا جنده فخرج بنفسه يرتاد موضعا يسكنه هو وجنده»(٢).

ويعد مسجد المنصور أول مسجد شيد فى بغداد، وقد كان يتوسط المدينة، ويلتصق بالقصر من الجهة الشمالية الشرقية، وقد اندثرت معالمه مثلما اندثرت آثار ومخلفات مدينة بغداد الاثرية، غير انه أمكن الإستدلال على مخططه من خلال ما ورد عنه من إشارات عابرة فى المصادر التاريخية وكتب الجغرافيين والرحالة المسلمين من جهة، وكتابات بعض علماء الآثار الإسلامية من جهة اخرى.

بدأ المنصور فى تأسيس مسجده فى عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م وفرغ منه بعد ذلك بأربع سنوات، وقد جاء على هيئة مربع متساوى الاضلاع، طول كل ضلع من اضلاعه مائتا ذراع أو ما يعادل مائة متر تقريبا على غرار مسجد الحجاج بن يوسف الثقفى بمدينة واسط(٣) الذى جاء من مساحة مربعة تقريبا ابعادها

١٠٤,٣٠×١٠٣,٥٠ م، وقد شيد المسجد باللبن والطين وهى المادة التى شيدت بها أغلب منشآت مدينة بغداد، اما أعمدته فقد كانت من الخشب تتألف من قطعتين. ويذكر د. احمد فكرى(٤) ان تخطيط المسجد فى عهد الخليفة المنصور كان عبارة عن مساحة مربعة كما تقدم قسمها المعمار إلى صحن أوسط مكشوف يشغل مساحة مستطيلة وأربعة أروقة تحيط به من الجوانب الأربعة، ويعد رواق القبلة أكبر هذه الأروقة وأعمقها، حيث يشغل ثلث مساحة المسجد كله، ويتكون من خمس بلاطات تفصلها خمس بائكات صفت فى كل منها ستة عشر عمودا من الخشب، وتمتد البلاطات والبائكات من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة كما هو الحال فى الجامع الاموى بدمشق ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م الذى يعد من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الاموى، حيث جاء رواق القبلة فيه من ثلاث بلاطات تفصلها ثلاث بائكات، قال ابن جبير فى ذلك «وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلى الغرب..»(٥)، وكان رواق القبلة يشرف على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثلاثة عشر عقدا، وكانت تحيط بالصحن من الجوانب الثلاثة الأخرى اروقة، ويشتمل كل رواق على بلاطتين، بحيث يشرف الرواق المقابل لرواق القبلة على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثلاثة عشر عقدا تمتد بنفس إمتداد عقود رواق القبلة، اما الرواقان الشرقى والغربى فتمتد عقودهما عمودية على اتجاه جدار القبلة أى من الشمال إلى الجنوب، ويشرف كل رواق على الصحن من خلال بائكة تتكون من عشرة عقود.

هذا وقد وردت منارة المسجد فى وصف الخطيب البغدادى، غير انه لم يرد فى هذا الوصف ما يوضح تكوينها المعمارى او الموقع الذى كانت تشغله فى عمارة المسجد، ويرجح د. طاهر العميد انها كانت على مقربة من اساطين رواق القبلة(٦).

ويحدثنا ابن الأثير عن بناء المسجد بقوله «وكان الحجاج بن ارطأة هو الذى خط المسجد وقبلته غير مستقيمة يحتاج المصلى ان ينحرف إلى باب البصرة لأنه وضع بعد القصر، وكان القصر غير مستقيم على القبلة»(٧).

هذا وقد شهد المسجد عمارة فى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، فقد قام بهدمه فى عام ١٩٢هـ/ ٨٠٨م وفرغ من عمارته فى عام ١٩٣هـ/ ٨٠٩م، واستخدم فى تشييده الآجر والجص، وقد تم هذا التجديد على نفس مخطط المسجد الأول وبنفس الابعاد، وقد سجلت هذه العمارة على لوحة كتابية تضمنت اسم الرشيد واسم البناء والنجار وتأريخ ذلك، وقد ظلت هذه الكتابات حتى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، ويرجح د. طاهر العميد ان الخليفة هارون صنع منبرا للمسجد غير المنبر القديم اعتمادا على رواية الخطيب البغدادى(٨).

ويذكر د. عيسى سلمان(٩) ان الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م) أمر فى عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م باضافة جزء من قصر المنصور اليه وذلك بفتح ١٧ طاقا فى الجدار المشترك بينهما وكانت ثلاثة عشر منها تطل على الصحن والبقية على الاروقة، ويذكر د. احمد فكرى(١٠) ان هذه الزيادة تمت فى عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، ويذكر د. طاهر العميد ان المرحلة الثالثة من مراحل المسجد تبدأ بعد عودة العاصمة من سامراء إلى بغداد سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م فى عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م) وما ترتب على ذلك من تزايد فى اعداد المصلين(١١).

والواقع ان سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م تقع فى عهد الخليفة العباسى المعتمد على الله وليس فى عهد الخليفة المعتضد بالله كما يذكر د. عيسى سلمان، وعلى ما يبدو فإن المسجد تعرض لزيادة فى عهد الخليفة المعتمد على الله فى عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، ثم تعرض لزيادة اخرى من قبل المعتمد على الله فى عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م وهى السنة التى توفى فيها، ثم اكتملت هذه الزيادة فى عهد الخليفة المعتضد بالله فى عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، وقد تناول د. طاهر العميد اراء كل من هرتز فلد وكريسويل وانتهى إلى تصميم يراه صحيحا وملائما للنصوص التاريخية يمكن عرضه على النحو التالى:

- أن المسجد قد شيد ملاصقا للجدار الشمالى الشرقى من قصر باب الذهب.
- اضافة دار القطان إلى مسجد المنصور ونقد كريسويل فى عدم ذكره هذه الإضافة.

- زيادة المسجد على عهد المعتضد الذى اقتطع من قصر باب الذهب مساحة مقاربة لمساحة مسجد المنصور أو نحوها، وضمت إلى المسجد وعرفت بالصحن الأول، بينما عرف صحن مسجد المنصور بالصحن العتيق؛ وفتحت بين جدار الصحن العتيق والصحن الأول سبعة عشر طاقا ثلاثة عشر منها إلى الصحن واربعة منها إلى الاروقة على اساس طاقتين لكل رواق، ثم حول المنبر والمحراب والمقصورة إلى قبلة المسجد الجديد المضاف من قصر الذهب.
- لم تبلغ الزيادة التى تمت فى عهد المعتضد بالله إلى وسط قصر باب الذهب، أى إلى موضع القبة الخضراء، بدليل وجود القبة بعد هذا التاريخ حتى سقطت فى عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، مما يدل على ان الزيادة لم تكن مساوية لضلع المسجد الأول وانما مقاربة له(١٢).

ويرى د. أحمد فكرى ان المعتضد بالله قام بهدم جدار القبلة، واقام جدارا جديدا يشتمل على محراب ومنبر ومقصورة، وجعل للمسجد صحنا ثانيا فى امتداد الصحن القديم(١٣).

وقد أشار الرحالة بنيامين التطيلى اليهودى إلى هذا المسجد فى عام ٥٦٦هـ/ ١١٦٠م، ثم جاء وصفه فى رحلة ابن جبير، ثم تأثر المسجد من فيضان عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وفيضان عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، وعلى ما يبدو فانه سلم أثناء حصار المغول لبغداد فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٦م، فقد وصفه لنا الرحالة ابن بطوطة عندما زار بغداد فى عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، ويشير كريسويل إلى ذكر بدرو تايكسييرا Pedro Teixeira للمسجد فى عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، ويبدو ان المسجد خرب تماما واندثر عقب استيلاء الفرس على بغداد فى عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣-١٦٢٤م(١٤).

وهناك اعتقاد بان محراب جامع المنصور هو الذى عثر عليه فى جامع الخاصكى فى بغداد ونقل منه إلى المتحف العراقى، وهو يتكون من قطعة واحدة من المرمر المنحوت(١٥).

مسجد الرقة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م

شيده الخليفة العباسى المنصور فى عام ١٥٥هـ/ ٧٧٢م فى الاتجاه الشمالى الشرقى من المدينة، وهو العام الذى شيد فيه مدينة الرقة[١٦]، وقد اندثرت المدينة كما اندثر المسجد، إلا أنه تخلفت منهما آثار لها اهمية كبرى بالنسبة لعناصر العمارة والزخرفة الإسلامية[١٧].

وقد كشفت هذه الآثار عن ان المسجد كان يشغل مساحة مستطيلة تمتد رأسيا من الشمال إلى الجنوب، مقاساتها داخل الجدران هى ١٠٨م طولا و ٩٣م عرضا، قسمها المعمار إلى صحن اوسط مكشوف شبه مربع، حيث يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٦٨م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٦٣م، وجد به ضريح تعلوه قبه ومنارة ترجع إلى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، وتحيط بالصحن اربعة اروقة أكبرها واعمقها رواق القبلة الذى يمتد بعمق يبلغ ٣٢م، ويتكون من ثلاث بلاطات تتميز باتساعها، حيث يبلغ عرض كل منها عشرة امتار تقريبا، وتمتد البلاطات والبائكات من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، يفصلها بائكتان تشتمل كل منهما على اربع عشرة دعامة يعلوها خمسة عشر عقدا، وكان يغطى سقف رواق القبلة ثلاثة جمالونات تمتد بامتداد البلاطات والبائكات، ولم يتبق من رواق القبلة سوى البائكة المطلة على الصحن والتى تتكون من احد عشر عقدا من الآجر بإرتفاع يبلغ ١٣م، ويرجح انها من اعمال السلطان نور الدين محمود زنكى فى عام ٥٦١هـ/ ١١٦٦م كما يتضح من النص المسجل على احد عقودها[١٨].

أما بقية الاروقة فقد جاءت من بلاطتين، حيث يتضح من آثار دعامات فى اركان الصحن انه كانت تحيط به ثلاثة اروقة، ويشتمل المسجد على تسعة مداخل وزعت بشكل متناسق بواقع ثلاثة فى الجوانب الثلاثة الشمالية والشرقية

والغربية، وجاءت المداخل فى الجدارين الشرقى والغربى على مدخل واحد، وتدعم جدران المسجد التى شيدت باللبن بسمك يبلغ ١,٧٠م ابراج نصف دائرية فى الجدران شبه دائرية فى الاركان يبلغ عددها ٢٠ برجا وزعها المعمار بشكل متناغم، حيث اوجد اربعة ابراج نصف دائرية فى كل جدار، كما اوجد برجا على هيئة شبه دائرية فى كل ركن من اركان المسجد.

ويذكر د. احمد فكرى انه يبدو ان بلاطة المحراب فى رواق القبلة كانت اكثر سعة من البلاطتين الثانية والثالثة، اذانه كانت تقوم خارج الجدارين الشرقى والغربى من ظلة القبلة دعامتان متقابلتان كما يرى فى المسقط الافقى، ولابد ان صف الاعمدة الذى يتوسط البلاطتين الثانية والثالثة كان يقع فى امتدادهما، اذ ليس من المنطق المعمارى ان ينحرف صف الاعمدة عن سمت هاتين الدعامتين.

كما يظهر على الرسم الذى افترضه هرتز فلد، وعلى الرسم الثانى المطابق له الذى نشره كريسويل، وقد افترض هرتز فلد ان هذه البلاطات كانت تنقسم إلى خمس عشرة بلاطة عمودية، اى أنه كان فى بيت الصلاة صفان من الاعمدة بكل صف منهما اربعة عشر عمودا، ويؤيد هذا الافتراض مقاسات المسافات الفاصلة بين آثار الاعمدة، ولم يتحقق هرتز فلد من موضع المحراب ورسمه(١٩).

وفى اعتقادى ان موضع المحراب كان يقع على محور المدخل الاوسط بالجدار الشمالى، اى أنه كان يتوسط الجدار الجنوبى على محور البلاطة الثانية العمودية، وبالتالى يكون المعمار قد وفق فى توزيع ابراج جدار القبلة على جانبيه.

مسجد قصر الاخيضر حوالى ١٦١هـ/٧٧٨م

تعددت الأراء بشأن قصر الاخيضر، ولا يعرف بالتحديد منشئ هذا القصر وتاريخ انشائه، فقد قيل أن هذا القصر هو «دومة الحيرة» التى شيدت فى العصر الاموى، وقيل انه من المحتمل ان يكون مشيده الأمير عيسى بن موسى فى مستهل العصر العباسى، وقد كشفت الحفائر الاثرية التى اجريت فيه عن آثار مسجده فى عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م وامكن الاستدلال على محرابه ونظام تخطيطه، ويعتبر هذا المسجد دليلا قاطعا على أن القصر قد شيد فى العصر الإسلامى، وتشير عدة عناصر معمارية وزخرفية إلى أن بناء القصر يعود فى تاريخه إلى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى[٢٠].

ويعد المسجد من اقدم المساجد القائمة فى العراق، يقع فى الركن الشمالى الغربى من القصر، ويشغل مساحة مستطيلة تمتد افقيا من الشرق إلى الغرب بمقدار ٣٣م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٢٧م، وتتميز جدرانه بسمكها ومتانتها، شيدت من الحجر والجص، مكسوة من الداخل بالجص، وقد جاء تخطيطه من صحن مستطيل وثلاث ظلات فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، حيث خلا المسجد من ظلة مؤخرة فى الجهة الشمالية، وتتكون ظلة القبلة من بلاطة واحدة يبلغ اتساعها ٥م تقريبا، تشرف على الصحن من خلال باثكة تتكون من خمسة عقود ترتكز على اعمدة اسطوانية ترتكز بدورها على قواعد مربعة المسقط، ويغطيها قبو نصف برميلى ينتهى بنصف قبة يرتكز على حنيتين ركنيتين، ويزدان بأشكال هندسية جصية مخرمة ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يتوجه عقد مدبب، أما الظلتان الجانبيتان الشرقية والغربية فتتألف كل منهما من بلاطة تطل على الصحن من خلال باثكة ثلاثية من اعمدة

اسطوانية على قواعد مربعة على غرار بائكة ظلة القبلة، وعقود البوائك كلها مدببة ذات مركزين.

ويشتمل المسجد على مدخلين فى الجدار الشمالى يتوصل منهما إلى الصحن، كما يشتمل على مدخل ثالث يتوصل منه إلى ظلة القبلة، ويقع فى الجهة الشرقية[٢١].

وقد تهدمت معظم سقوف الظلات الثلاث وظلت بقايا منها كان لها اكبر الاثر فى اعادة بناء هذه الاسقف من قبل مديرية الآثار العامة بالعراق، حيث قامت ببناء الاعمدة الاسطوانية واكملت الاسقف وزخرفتها بنفس الاشكال الزخرفية التى كانت تغطيها من الداخل، خاصة ظلة القبلة وهى تشبه فى تكوينها المعمارى والزخرفى سقوف بعض الغرف التى تحيط بإيوان الشرف فى القصر، وهذه السقوف معقودة بالطابوق محلاة بتكوينات زخرفية هندسية محفورة فى الجص، وترتفع مستوى اسقف الوحدات السكنية بخلاف الابنية التى تتصل به من الجهة الشرقية والتى تتألف من ثلاثة طوابق[٢٢].

جامع سامراء (جامع المتوكل) ٢٣٤-٢٣٧هـ/ ٨٤٨-٨٥١م

يتبوأ المسجد الجامع بسامراء مكانة متميزة بين مساجد العالم الإسلامى فهو أكبر مساجد الإسلام من حيث المساحة، اذ تبلغ مساحته الكلية ١٦٦,٩٤٤ مترا مربعا، فهو فريد فى سعته وجمال مظهره وفخامة بنائه، وقد جمع المعمار بين فخامة البناء ومتانته من جهة، وتناسق اجزائه وروعته من جهة اخرى، كما أن الجامع يتميز من خلال مئذنته الملوية المتميزة بشكلها الحلزونى وارتفاعها الشاهق، وتعد من اقدم مآذن العراق القائمة(٢٣).

والواقع ان الخليفة المعتصم بالله عندما أمر بتخطيط عاصمته الجديدة سامراء فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م جعل مسجدها الجامع فى الوسط منها بالقرب من دار الامارة مطلا على الشارع الاعظم، بين الاسواق غير متصل بها، وقد ضاق جامع المعتصم بالمصلين بعد أن نمت المدينة بسرعة وازداد عدد سكانها وذلك فى عهد الخليفة المتوكل على الله الذى عرف بحبه للبناء والتعمير ويعتبر عهده من ازهى ايام سامراء فأمر بهدم جامع المعتصم وشيد مسجدا جديدا عرف بجامع المتوكل او جامع سامراء(٢٤).

بدأ البناء فى عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، وتم الفراغ من العمارة فى عام ٢٣٧هـ/ ٨٥١م وزاد الخليفة فى سعة مسجده فأحاطه بفضاء وامر بعمل سور ضخم يحيط بهذا الفضاء من جوانبه الثلاثة الشمالية والشرقية والغربية، وقد اهمل الجامع بعد عودة الخليفة العباسى المعتمد فى عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م إلى بغداد فتهدم سوره الخارجى وسقطت اجزاء كبيرة من جدرانه الداخلية، وانهارت سقوف ظلة القبلة والظلات الجانبية والدعائم، ثم قامت مديرية الآثار العامة بالعراق بالتنقيب فيه حتى تم وضع مخطط علمى له وتثبيت ابعاده وتفاصيل قياسات بلاطاته وغير ذلك من التفاصيل المعمارية والزخرفية(٢٥).

شيد الجامع على بقعة مرتفعة نسبيا عما يجاورها من الأرض، لذا يمكن مشاهدته من مسافات بعيدة، وهو من مساحة مستطيلة تمتد جدرانها الخارجية من الشمال إلى الجنوب بمقدار ٤٤٤م، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ٣٧٦م، وقد استعمل اللبن والطين فى بناء جدران السور الخارجى، وكشفت التنقيبات أنه كان مدعما بأبراج عددها (٦٨) برجا على هيئة نصف دائرية ترتكز على قواعد مستطيلة فيما عدا ابراج الاركان فهى شبه دائرية ترتكز على قواعد مربعة.

أما الجامع من الداخل فيشغل ايضا مساحة مستطيلة ابعادها من الخارج ٢٤٨,٧٠م طولا و ١٦٥,٨٠م عرضا، ومن الداخل ٢٣٨,٦٠ م طولا و ١٥٥,٦٠م عرضا، وتتكون من صحن مستطيل تحيط به الظلات من جوانبه الاربعة، وتعد اعمق هذه الظلات واكبرها هى ظلة القبلة التى تتكون من تسع بلاطات متطابقة فى سعتها ما عدا بلاطة المحراب الموازية والعمودية والتى تتميز بسعتها عن بقية البلاطات، حيث جاءت بإتساع ٤,٢٠م، بينما جاءت البلاطة الوسطى بإتساع حوالى ٥م أما ابعاد ظلة القبلة فتبلغ ١٥٠×٦٢ مترا، وكانت تشتمل على خمس وعشرين بلاطة عمودية على جدار القبلة، كما كانت تشتمل على اربعة وعشرين صفا من الدعامات، بكل صف تسع دعامات، يقوم كل منها على قاعدة مربعة، أما الدعامات فقد جاءت مثمنة من الآجر، يلتصق بأربعة اضلاع منها اعمدة رخامية ذات تيجان ناقوسية الشكل - يبلغ ارتفاع كل منها أكثر من مترين هذا وتطل ظلة القبلة على الصحن من خلال ست عشرة دعامة، وتتألف كل من الظلتين الجانبيتين من اربع بلاطات، وتشرف كل منهما على الصحن من خلال اثنتين وعشرين دعامة وكان كل منهما يشتمل على ثلاث وعشرين بلاطة موازية لجدار القبلة، يفصل بينها اثنان وعشرون صفا، بكل منها اربع دعامات، أما ظلة المؤخرة فتتكون من ثلاث بلاطات وتفتح على الصحن من خلال ست عشرة دعامة وتماثل هذه الظلة ظلة القبلة من حيث عدد البلاطات، ويشتمل كل صف على ثلاث دعامات، وقد جاءت البلاطة الوسطى

بعرض بلاطة المحراب العمودية فى ظلة القبلة، وقد كان الصحن يشتمل على نافورة تتوسطه.

شيد الجامع بالطابوق والجص وفرشت أرضيته بطابوق مربع صف بدقة واتقان وتتميز جدرانها بإرتفاعها الذى يبلغ ١١ مترا بسمك يبلغ ٢,٧٠م، وابراجها الضخمة، وتتوزع هذه الابراج بشكل متناظر فتدعم كلا من الجدارين الشرقى والغربى (١٢) برجا، ويبلغ عددها ثمانية فى كل من الجدارين الشمالى والجنوبى، ويتوصل إلى الجامع من خمسة عشر مدخلا وزعت: ثلاثة فى الجدار الشمالى يتوسط احدها الجدار على محور المحراب، ويخترق جدار القبلة مدخلان على جانبى المحراب يؤديان إلى منشآت خصصت للخليفة قبل الدخول للمسجد، وهناك خمسة مداخل فى كل من الجدارين الشرقى والغربى، ويؤدى اثنان منها فى كل جدار إلى ظلة القبلة، وتتوج هذه الابواب عقود مدببة يبلغ عددها ثلاثة فوق كل مدخل، ويبلغ عرض هذه المداخل ما بين ٣,٥٠ و ٤,٥٠ مترا[٢٦].

يتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية يتوجها عقد مدبب جاء بعمق ١,٧٥م، وتبلغ سعة فتحتها ٢,٦٠م، وقد اعيد بناء المحراب بمساحة أوسع نسبيا وارتفاع بحدود ٨م، والحنية ذات عقدين مدببين يرتكز ان على عمودين اسطوانيين وقد عثر به على بقايا فسيفساء مذهبة، وقد اوجد المعمار بجدار القبلة عدد (٢٤) نافذة تقع فى القسم العلوى منه، وتفتح كل نافذة منها على بلاطة من بلاطات ظلة القبلة ماعدا بلاطة المحراب كما أوجد المعمار نافذتين بكل من الجدار الشرقى والجدار الغربى لرواق القبلة، وذلك لتحقيق عنصر الاضاءة والتهوية، وهى من الخارج مستطيلة، اما من الداخل فعبارة عن مستطيل يحيط بعقد مفصص بديع يرتكز على عمودين مدمجين اسطوانيين وقد كانت هذه النوافذ مغشاة بالزجاج، فقد عثر على بقايا منها فى عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م أثناء التنقيبات الاثرية فى المسجد[٢٧].

وقد كشفت الحفائر الاثرية التى اجريت داخل المسجد عن بقايا قواعد الدعامات التى كانت تحمل سقف المسجد مباشرة دون عقود، والدعامات مثمنة الشكل ترتكز على قواعد مربعة طول ضلعها ٢م تزدان بأعمدة رخامية اسطوانية الشكل تقع فى اركان القاعدة المربعة(٢٨).

أما المئذنة فتعد من اروع مآذن العالم الإسلامى فهى تتميز بشكلها الحلزونى وتعرف بالملوية، وتقوم هذه المئذنة على مسافة ٢٧,٢٠م من الجدار الشمالى على محور المحراب، وتتكون من قاعدة مربعة تتكون من طبقتين يبلغ طول ضلع السفلى منهما ٣١,١٨٠م، أما العليا فطول ضلعها ٣٠,٥٠م، وترتفع القاعدة عن مستوى سطح الأرض ٤,٢٠م، تزدان فى اوجهها من اسفل بحنايا تتوجها عقود مدببة يبلغ عددها تسع حنايا فى كل من الجهات الشمالية والغربية والشرقية، وسبع حنايا فى الجهة الجنوبية وتتصل هذه القاعدة بالجدار الشمالى للمسجد من خلال طريق طوله ٢٥م وعرضه ١٢م، ويبلغ ارتفاع المئذنة فوق القاعدة ٥٠م فهى فريدة فى ارتفاعها، وقد قسم بدن المئذنة إلى ست اسطوانات متدرجة متناسقة، والبدن جاء مصمتا يدور حوله سلم المئذنة من الخارج فى اتجاه معاكس لسير عقارب الساعة، ويدور الصاعد إلى القمة العلوية خمس مرات حول البدن حتى يصل إلى القمة التى يبلغ قطرها ثلاثة امتار، وتزين النصف العلوى من الاسطوانة السادسة ثمانى حنايا متجاورة تتوجها عقود مدببة ترتكز على أعمدة شبه اسطوانية مندمجة فى الجدران، وتشكل أحدى هذه الحنايا قبوا للسلم، حيث يخترق القسم العلوى من المئذنة(٢٩).

جامع ابي دلف ٢٤٧هـ/ ٨٦١م

يقوم هذا الجامع فى القسم الشمالى الشرقى من مدينة الجعفرية(٣٠) أو المتوكلية، ولم تعمر هذه الحاضرة طويلا فلم يسكنها الخليفة سوى تسعة شهور وثلاثة أيام حيث قتل الخليفة المتوكل على الله فى عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، ثم هجرها ابنه الخليفة محمد المنتصر وعاد إلى سامراء، وذلك فى شوال ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، ولم يكتف الخليفة العباسى بهجر المتوكلية، بل امر بهدم دورها وقصورها ومرافقها العامة، وحمل كل ما يمكن حمله من الانقاض إلى سامراء، وكانت معظم منشآت الجعفرية مشيدة باللبن فاندثرت بسرعة وترك جامع المتوكل وتهدم نتيجة العوامل الطبيعية فسقطت معظم اجزائه المشيدة باللبن، وظلت الاجزاء المبنية بالطابوق والجص، حيث استخدمت هذه المادة البنائية للدعامات وبعض الابراج والمئذنة، وقد اوضحت الصور الجوية التى اخذت لهذا الاثر فى بداية القرن العشرين انه لا يتوسط المدينة أو اسواقها كما هو الحال فى جامع المتوكل بسامراء، إلا أنه يتفق وجامع سامراء فى تصميمه وزياداته ومئذنته الحلزونية وموقعها منه(٣١).

وقد لفت هذا الجامع انتباه رواد العمارة العربية الإسلامية فبدأت الدراسات والتنقيبات به مع بداية القرن العشرين حتى تم كشف معالمه ورسم تخطيط أولى له، وتثبيت اطوال جدرانه، ثم استمرت الدراسات حتى تم الكشف الكامل لتخطيط الجامع، وظهرت اجزاء من سوره الخارجى ومحاريبه والدار الملحقة به، ثم كانت اعمال الترميم، حيث رممت دعاماته واعيدت عقوده والحليات المعمارية التى تزخرف جدرانه، ورممت المئذنة، واعيد بناؤها فى الاجزاء المتهدمة منها، خاصة قسمها العلوى قياسا على مئذنة جامع سامراء(٣٢).

يقع الجامع اليوم إلى يمين الطريق الذى يربط ما بين سامراء والدور، ويبعد عن سامراء الحديثة بحوالى ٢٠كم، ويشير هذا البناء الضخم إلى عظمة المدينة

التى شيدها المتوكل، والامكانيات الهائلة التى وفرها لبناءها خلال عام واحد فقط قال اليعقوبى «وعزم المتوكل ان يبتنى مدينة ينتقل اليها، وتنسب اليه. . . فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعا، فوقع اختيارهم على موضع يقال له: الماحوذة. . فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه فى سنة خمس واربعين ومائتين. . واختط موضع قصوره ومنازله، واقطع ولاة عهوده، وسائر أولاده، وقواده، وكتابه، وجنده، والناس كافة. ومد الشارع الاعظم»(٣٣).

أما عن تخطيط الجامع فقد جاء من مستطيل على هيئة جامع سامراء تحيط به زيادة توازى جدرانها جدران الجامع، ويبلغ طول جداره من الشمال إلى الجنوب ٢٢٢,٨٠م من الخارج، أما من الشرق إلى الغرب فطول جداره ١٣٨,٢٤م من الداخل، ويتكون من صحن مستطيل يحيط به الظلات من جوانبه الاربعة، أكبر هذه الظلات واعمقها ظلة القبلة التى تتكون من سبع بلاطات موازية وسبع عشرة بلاطة عمودية على اتجاه جدار القبلة، ويبلغ عمق هذه الظلة ٤٠م، وتتميز البلاطة العمودية على المحراب بسعتها عن بقية البلاطات، حيث يبلغ اتساعها ٧,٣٠م، بينما جاءت بقية البلاطات من ٦,٢٠م، ويلاحظ أن البلاطات العمودية اكثر سعة من البلاطات الموازية، حيث يبلغ اتساع البلاطات الخمس الموازية من الشمال ٣,١٢م، أما البلاطتان الباقيتان أى بلاطة المحراب الموازية والبلاطة التى تليها فسعة كل منهما حوالى ٤,٥٠م، وتتألف كل من الظلتين الجانبيتين من بلاطتين بعمق ١٤,٣م، أما المؤخرة فتتكون من ثلاث بلاطات موازية وسبع عشرة بلاطة عمودية على اتجاه جدار القبلة وهى توازى بلاطات ظلة القبلة، وتحيط هذه البلاطات من الجوانب الاربعة بصحن مستطيل ابعاده ١٥٥,٧٥م من الشمال إلى الجنوب، و ١٠٤,٦٠م من الشرق إلى الغرب وتشرف ظلة القبلة على هذا الصحن من خلال بائكة تتكو ن من اربع عشرة دعامة نفذت على هيئة حرف T مقلوب وثلاثة عشر عقدا ممتدا من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة، كما تشرف الظلة الشمالية على الصحن من خلال بائكة مماثلة للبائكة السابقة من عدد الدعامات والعقود، غير أن دعاماتها نفذت

على هيئة حرف T معدول أما الظلتان الشرقية والغربية فتشرف كل منهما على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثمانى عشرة دعامة وتسعة عشر عقدا. وتمتد الدعامات والعقود فى البائكتين من الشمال إلى الجنوب عمودية على اتجاه جدار القبلة، وتزدان العقود التى تشرف على الصحن بزخارف هندسية قوامها اشكال مستطيلات متداخلة.

ويتوسط المحراب جدار القبلة، ويبرز بمقدار ٢,٤٤م وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود محرابين متداخلين، ويرجع احدهما إلى تاريخ لاحق لعمارة المسجد، ويبلغ عرض المحراب الأول ٥,٧٤م بعمق ٣,٦٠م، أما الثانى فقد جاء بعرض ٣,٦٠م وبعمق ١,٩٠م وقد شيدت جدران الجامع وسورت الزيادة فيه باللبن، وتتميز جدران الجامع بسمكها، وهى ضخمة فى بنائها، حيث يبلغ سمك الجدران ١,٦٠م عدا جدار القبلة فسمكه ١,٨٠م، وتدعم هذه الجدران ابراج نصف دائرية تقوم على قواعد مستطيلة، أما ابراج الاركان فهى شبه مستديرة ترتكز على قواعد مربعة، وقد شيدت قواعد الابراج بالطابوق والجص، ويبلغ عدد الابراج عدا ابراج الاركان ٣٨ برجا تتوزع بشكل متناظر على الجدارين الشرقى والغربى، حيث يدعم كل منهما عشرة ابراج، ويبلغ عدد ابراج جدار القبلة عشرة ابراج شيد بعضها بالطابوق والجص، والبعض الآخر باللبن والجص، وهى متناوبة، أما الجدار الشمالى فتدعمه ثمانية ابراج، وقد بقى جزء من الجدار بابراجه، ويستدل من هذه البقايا على أن جدران الجامع كانت مكسوة بالجص من الداخل والخارج(٣٤).

يتوصل إلى الجامع من ثمانية عشر بابا موزعة ثلاثة فى جدار القبلة يجاور احدها المحراب، ويؤدى إلى الدار الملحقة بالجامع، وثلاثة تخترق الجدار الشمالى يتوسط احدها الجدار على محور المحراب، وستة منها فى كل من الجدارين الشرقى والغربى، وهى متناظرة تماما يؤدى واحد منها إلى ظلة القبلة، وتتراوح فتحاتها بين ١,٥٠م إلى ٢,٥م(٣٥).

هذا وترتكز عقود الظلات على دعامات مستطيلة ضخمة مشيدة بالطابوق والجص، ويختلف جامع ابى دلف بهذا عن جامع سامراء، حيث خلا جامع سامراء من العقود، وعقود جامع ابي دلف جاءت مدببة، ويتميز الجامع ايضا بأن جميع بلاطاته سواء كانت في ظلة القبلة او في الظلات الثلاث الاخرى تتجه كلها عمودية على جدار القبلة فيما عدا ان البائكتين الأولى والثانية جهة جدار القبلة تسير فيهما العقود موازية لجدار القبلة اى من الشرق إلى الغرب، وبحيث تتعامد بائكات البلاطات العمودية على البائكة الثانية الموازية التى اتخذت دعاماتها شكل حرف T معدول، أى انها لا تتعامد على جدار القبلة، وقد نفذت دعامات البائكة الأخيرة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن على هيئة حرف T مقلوب، أى انها تحمل عقودا موازية وعمودية فى آن واحد، كذلك الحال فى ظلة المؤخرة حيث تشرف علي الصحن من خلال بائكة تتكون من دعامات على هيئة حرف T معدول، وهى بذلك تماثل البائكة الثانية فى ظلة القبلة.

أما المئذنة فهى حلزونية تشبه مئذنة جامع سامراء، تقع خارج الزيادة الشمالية للجامع على بعد حوالى ٩,٦٠م من الجدار الشمالى، أما من حيث تكوينها المعمارى فهى ترتكز على قاعدة مربعة يبلغ طول ضلعها ١١,٢٠م بارتفاع ٢,٥٠م تقريبًا، تزدان فى الجدار الشمالى بحنايا تتوجها عقود ثلاثية الفصوص، أما الحنايا التي تزين الاوجه الثلاثة الأخري فعقودها مقصوصة، ويبلغ عدد هذه الحنايا ثلاث عشرة في الاوجه الشرقية والغربية والشمالية، أما الوجه الجنوبى ففيه عشر حنيات، وترتفع هذه الحنايا حوالى ١,٥٠م، ويبلغ عرضها اقل قليلا من نصف المتر، أما بدن المئذنة فقد جاء اسطوانيا يتألف من اربع اسطوانات يدور حولها السلم، وقد قامت مديرية الآثار العراقية بترميم المئذنة واستكمال الاجزاء المتهدمة التى سقطت فى عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وتم زخرفة القسم العلوي من الأسطوانة الاخيرة بحنايا على هيئة محاريب على غرار حنايا قمة مئذنة جامع سامراء، ويبلغ ارتفاع المئذنة فوق القاعدة حوالى ٢٠م(٣٦).

ويتوصل من المدخل الذى يقع فى القسم الشرقى من جدار القبلة مجاورا للمحراب إلى دار الامارة، وهى فى تكوينها المعمارى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ٣٤,٧٥م ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ٤٢,٧٠م. ويشتمل الجدار الجنوبى فيها على برجين شبه دائريين، شيدهما المعمار فوق قاعدة مربعة الشكل، وقد قسمها المعمار إلى قسمين احدهما يقع فى الجهة الغربية خلف المحراب مباشرة ويتكون من فناء أوسط مكشوف مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٥,٥٠م. ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١١,٦٠م، واربعة ايوانات متعامدة أكثرها عمقا الايوان الجنوبى، ويكتنف الايوان الشمالى والجنوبى غرفتان، وهما أكثر عمقا فى الجهة الشمالية خلف المحراب، وتفتح هذه القاعات الاربع على الفناء، كما تفتح القاعتان فى الجهة الشمالية على الايوان الشمالى، أما الايوان الشرقى والغربى فقد اوجد المعمار غرفتين إلى الجنوب من كل منهما، كما أوجد غرفة واحدة فى الجهة الشمالية فى تناسق معمارى بديع يدل دلالة واضحة على دقة فى التصميم والتنفيذ من قبل المعمار، أما القسم الآخر فقد جاء من فناء اوسط مكشوف مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٤,٥٠م ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٠,٣٠م وست غرف بواقع ثلاث غرف متجاورة فى الجهتين الجنوبية والشمالية، وقد ميز المعمار الغرف الجنوبية بأن اقام سقيفة تتقدمها تفتح على الفناء من خلال ثلاثة مداخل تقع على محور مداخل الغرف وقد استخدمت الحجرة الشمالية الغربية من حجرات الجهة الشمالية كحمام، كما أوجد المعمار دهليزا مستطيلا خلف حجرات هذه الجهة يتوصل منه إلى مدخل يفضى بدوره إلى القسم الغربى من دار الامارة، ويقع هذا الدهليز بين جدار القبلة فى قسمه الشرقى من جهة وجدار حجرات الجهة الشمالية من جهة أخرى، كما أوجد المعمار مدخلا آخر يربط بين القسمين فى نهاية الجدار الفاصل بينهما أى أن هذا الجدار الفاصل يشتمل على مدخلين فى طرفيه الشمالى والجنوبى.

مئذنة عنه (حوالى الربع الأخير من القرن ٥هـ/ ١١م).

أثرت الأحداث السياسية الداخلية والخارجية فى العراق تأثيرا مباشرا على منشآت العراق الدينية والمدنية فى القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادى عشر الميلاديين فلم تصل الينا خلال تلك الفترة منشآت معمارية يمكن أن نستدل منها على طبيعة التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية، وترجع مئذنة عنه إلى الربع الأخير من القرن ٥هـ/ ١١م.

الموقع: تقع المئذنة فى جزيرة القلعة أو جزيرة لباد التى تتوسط الفرات امام بلدة عنه، وقد تهدم جامعها وتأثرت المئذنة بفعل العوامل الطبيعية، غير ان جودة مادتها البنائية جعلتها قائمة حتى عام ١٣٥٧هـ / عام ١٩٣٨م، حيث تم ترميمها وتدعيمها(٣٧).

مادة البناء: شيدت المئذنة من الحجر والجص.

التكوين العام: جاء تكوينها المعمارى من قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن تتوجه قبة نصف كروية، وتفصيل ذلك أن القاعدة مربعة يبلغ طول ضلعها ٥,٣٤م، كما يبلغ ارتفاعها ٢,١٠م، ويبلغ قطر بدنها ٣,٢٠م، يتوصل إلى شرفتها (حوضها) من خلال سلم حلزونى يبدأ من الجانب الجنوبى للقاعدة، ثم يرتفع البدن المثمن بمقدار ٢٠م تعلوه رقبة مثمنة ترتفع بمقدار ٥م تتوجها قبة نصف كروية(٣٨).

وقد شيدت المئذنة بحيث قسم المعمار طابقها الأول الذى يلى القاعدة إلى ثمانية اقسام، ويشتمل كل قسم منها على ثمانى دخلات ونوافذ على هيئة حنايا ذات عقود مفصصة يحيط بها اطار مستطيل، وقد زخرف الجوسق المثمن على نفس النمط.

أما فيما يتعلق بتأريخ المئذنة فقد تم اعتمادا على المقارنة المعمارية فى اسلوب الحنايا بعقودها المفصصة واعمدتها شبه الدائرية المندمجة واشكالها المستطيلة المتدرجة وميثلاتها فى ضريح الإمام محمد الدرى ومشهد الاربعين فى تكريت(٣٩).

مئذنة سنجار ٥٥٩هـ/١١٦٣م

الموقع: تعد هذه المئذنة من اهم مآذن العراق، وقد تهدم جامعها، وتعرف بمئذنة سنجار، حيث تقع فى الجنوب الغربى من بلدة سنجار[٤٠].

مادة البناء: شيدت المئذنة بالطابوق والجص.

التكوين المعمارى: تبقى من تكوينها المعمارى قسم عبارة عن قاعدة مثمنة يعلوها قسم من بدن اسطوانى وتفصيل ذلك أن القاعدة مثمنة تزدان بصفين من الحنايا ذات العقود المدببة والاطارات المستطيلة عبارة عن حنيتين تعلو احداهما الاخرى فى كل ضلع فيما عدا وجهين كان يلتصق بهما جدار المسجد، ويتوج الحنايا شريط كتابى[٤١] بالخط الثلث عليه اسم المنشئ غير كامل وتاريخ الإنشاء ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، ويقع هذا التاريخ فى فترة حكم قطب الدين مسعود بن مودود، ويعلو شريط الكتابة صف من حنايا صغيرة ذات عقود مدببة كانت ترتكز عليها شرفة الاذان، وتمثل بداية المقرنصات، وترتفع القاعدة بمقدار ٧م، أما الطابق الأول فقد جاء اسطوانيا يشتمل فى داخله على سلم حلزونى، ويزدان بدنه فى اسفله بتشكيلات هندسية دقيقة من الطابوق، كذلك زخرف قسمه العلوى بتشكيلات من الطابوق فى تكوينات رائعة، ويبلغ ارتفاع ما تبقى من المئذنة ١٢م، وتعد هذه المئذنة من اقدم المآذن الاسطوانية فى العراق، وهو الطراز الذى انتشر بعد ذلك[٤٢].

الجامع النورى بالموصل ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م

الموقع وتاريخ الإنشاء

يقع هذا المسجد فى وسط الموصل(٤٣)، شيده الملك الاتابكى نور الدين محمود بن زنكى، مؤسس الدولة الزنكية فى الموصل، وكان البدء فى العمارة فى عام ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، وتم الفراغ منه فى عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م، ثم جدده حاكم الموصل حسن الطويل (٨٧١-٨٨٢هـ/ ١٤٦٦-١٤٧٧م)، ثم جدده الشيخ محمد القادرى واسس له تكية فيما بين ١٢٨١ و ١٢٨٦هـ/ ١٨٥٩ و ١٨٦٤م، ثم جدد الجامع فى عام ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤م، غير ان هذه التجديدات لم تغير من جوهر تخطيطه(٤٤).

التخطيط:

جاء تخطيط المسجد من صحن مكشوف فسيح وظلة للقبلة، ويختلف هذا التخطيط وما الفناه من تخطيط المساجد خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ولم يبق من مساجد العراق فى القرنين الرابع والخامس للهجرة، / العاشر والحادى عشر للميلاد ما يوضح هذا التحول فى التخطيط.

جاء تخطيط ظلة القبلة من مساحة مستطيلة قسمت من خلال بائكة تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة إلى بلاطتين، تتقدم البلاطة الأولى المحراب، وهى أكثر سعة من الثانية التى تشرف على الصحن ـ كما تمتد مجموعة من البائكات من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة يبلغ عددها تسع بائكات تقسم بدورها الظلة إلى عشر بلاطات، وقد قام المعمار بعمل مساحة مربعة تتقدم المحراب لكى يغطيها بقبة ضخمة، وهو الأمر الذى ادى إلى تقسيم المساحة التى تتقدم المحراب إلى ثلاثة اقسام، غطى القسم الأوسط الذى يتميز

بعضم اتساعه بقبة، ثم قام المعمار بتقسيم نفس هذه المساحة من البلاطة الثانية إلى ثلاثة اقسام ايضا، يمثل القسم الأوسط منها مدخلا إلى القبة والمحراب.

وقد شيد المسجد بالطابوق والجص، ترتكز سقوفه على دعامات ضخمة تحمل بدورها عقودا مدببة، وقد تم تقسيم الظلة إلى قسمين احدهما ظلة صيفية تشرف على الصحن، والآخر ظلة شتوية مقاييسها ٢٠×١٥,٧م، وهى ظاهرة جديدة حتمتها الظروف المناخية، والقبة مزدوجة السفلية منها نصف كروية ترتكز على رقبة اسطوانية تعلوها قبة مخروطية ذات ستة عشر ضلعا، وقد سقطت القبة الاصلية واقيمت عوضا عنها قبة حديثة، أما المحراب فقد نقل إلى المتحف العراقى ببغداد عقب اعمال ترميم المسجد فى عام ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤م، وهو من حجر الرخام يتكون من حنيتين تتوجهما عقود مدببة ترتكز على اعمدة اسطوانية حلزونية، ويزدان بزخارف نباتية دقيقة محفورة حفرا عميقا بشكل بديع ورائع، أما محراب الجامع الحالى فهو ايضا من الرخام يزدان بكتابات ونقوش دقيقة نباتية، وهو مؤرخ بعام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وسجل عليه اسم الصانع بالخط الكوفى المورق، ويعتقد انه نقل من الجامع الأموى فى الموصل(٤٥).

الزخارف والمئذنة الحدباء

كشفت اعمال الترميم التى اجريت فى عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م عن ان الجدران كانت تزدان بتشكيلات زخرفية جصية، خاصة فى جدار القبلة، ثم نقلت إلى قاعات المتحف العراقى ببغداد، وهى من زخارف نباتية وهندسية وكتابات كوفية، ويتميز الجامع بمئذنته التى تعرف بالحدباء لكونها مائلة، فهى من المآذن الشهيرة بالعراق والعالم الإسلامى، حيث ترتفع بمقدار ٥٥م تغطى معظمها تشكيلات زخرفية، وقد سقط قسمها العلوى الذى يتكون من الشرفة والرقبة والقمة، ثم اعيد تشييده بالحجر وليس بالطابوق والجص المادة الاصلية التى شيدت منها المئذنة، وتقع المئذنة فى الركن الشمالى الشرقى من المسجد متصلة بجدرانه، وطراز المئذنة من قاعدة مربعة يبلغ ارتفاعها ١٩م، ويبلغ طول ضلعها

٥,٧٠م بنيت فى اسفلها بالحجر والجص، أما الطابق الأول فقد جاء اسطوانيا، يبلغ قطره ٥,٢٤م وارتفاعه ٢٤م، يلى ذلك الرقبة وهى اسطوانية تنتهى بقمة نصف كروية يبلغ قطرها ٣,٣٠م، ويصعد إلى الشرفة من خلال سلمين حلزونيين يدوران داخل بدن الطابق الأول ولا يلتقيان إلا فى الحوض (الشرفة)، ويفتح عليهما عدد من النوافذ، ولا يوجد من بين مآذن العراق ما يضاهى الحدباء فى التصميم والارتفاع، وسعة المساحة التى تغطيها الوحدات الزخرفية، ووجود سلمين للصعود اليها، وتتمثل التشكيلات الزخرفية فى صف الطابوق وقصه بأشكال هندسية كما هو الحال فى مئذنة سنجار، هذا وتزدان القاعدة بأشكال معينات ناتجة من التفنن فى صف الطابوق وشغل الاطارات بأشكال نجمية واشكال دوائر فى تكوينات رائعة(٤٦).

ويعد طراز مئذنة الجامع النورى هنا امتدادا لطراز مئذنة سنجار ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، خاصة فى الطابق الأول، وتمثل الاختلاف بينهما فى ان تصميم القاعدة هنا جاء مربعا، بينما فى مئذنة سنجار جاء مثمنا، وتتفق الحدباء مع مئذنة عنه فى تصميم القاعدة، حيث جاءت مربعة فى المئذنتين، بينما جاء الطابق الأول فى مئذنة عنه مثمنا، بينما فى الحدباء جاء اسطوانيا.

جامع مجاهد الدين ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م بالموصل

الموقع وتاريخ الإنشاء

يقع هذا المسجد جنوب شرق الموصل، ويطل على دجلة، شيده مجاهد الدين قيماز مدبر دولة بنى زنكى فى الموصل، فقد بدأ عمارته فى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، وفرغ منه فى عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، ذكره ابن جبير عندما زار الموصل فى عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م «وكان يعرف بمجاهد الدين، جامعا على شط دجلة ما ارى وضع جامع احفل منه بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه، وكل ذلك نقش فى الآجر، اما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة، ويطيف به شبابيك حديد، تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد اشرف منها ولا احسن، ووصفه يطول. . . وأمامه مارستان حفيل من بناء مجاهد الدين المذكور»(٤٧)، كما ذكره ابن بطوطة عندما زار الموصل فى عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٩م، فقال «وبه مسجد جامع على شط الدجلة تدور به شبابيك حديد، وتتصل به مساطب تشرف على دجلة فى النهاية من الحسن والاتقان، وامامه مارستان»(٤٨).

وقد جدده الوالى على باشا فى عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م، ثم جدده السلطان عبد الحميد فى عام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م، ولم تغير هذه التجديدات من جوهر تخطيط المسجد، ثم قامت وزارة الأوقاف بترميمه تحت اشراف خبراء من مديرية الآثار العامة العراقية(٤٩).

التخطيط

يشغل مخطط المسجد مساحة صغيرة تبلغ ٢١٠٠م قسمت إلى صحن وظلة للقبلة ٤٠٠م، وقد شيد المسجد بالطابوق والجص والحجر، ويشبه تخطيط ظلة القبلة هنا تخطيط ظلة القبلة فى الجامع النورى، الا انها خططت بحيث تكون

القبة التى تعلو المحراب مقامة على مساحة مربعة، فقد جاءت ظلة القبلة من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٢٥م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٠,١٥م، وتنقسم إلى بلاطات موازية ومثلها عمودية، وتنقسم ظلة القبلة إلى قسمين احدهما شتوى يبلغ عمقه حوالى ٤٠,١٠م، والآخر صيفى يبلغ عمقه ٤,٧٠م.

وتزيد سمك الجدران الحاملة للقبة التى تتقدم المحراب عن غيرها من جدران المسجد لكى تتحمل الثقل الواقع عليها من القبة، وتفتح هذه الظلة على المصلى الصيفى بثلاثة مداخل يقع أحدها على محور المحراب، ويتوصل إلى البلاطتين الجانبيتين من خلال مدخل يصلهما بالمصلى الصيفى.

يتوسط المحراب جدار القبلة، ويبرز عن هذا الجدار، يرتفع بمقدار ٦,٦٠م بعرض ٣,١٠م، وهو عبارة عن حنية يتوجها عقد مدبب، تتوجها حنية أخرى اكبر ذات عقد يزدان بزخارف نباتية محفورة فى الجص، وتعد قبة المسجد من اقدم قباب المساجد الباقية فى العراق التى تعلو مربعة المحراب، وتتميز بلاطة المحراب بأن سقفها اعلى من سقف البلاطتين الجانبيتين، والقبة ترتكز على مربع حول إلى مثمن يشتمل على اربع نوافذ، وترتكز القبة على رقبة اسطوانية، والقبة نصف كروية مدببة قليلا يبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠م، ويمثل هذا التخطيط مرحلة اكثر تطورا عن الجامع النورى(٥٠).

مئذنة اربيل (المئذنة المظفرية) ٥٨٠-٦٣٠هـ/ ١١٩٥-١٢٣٣م

الموقع: تقع هذه المئذنة غرب اربيل[٥١]، وقد تهدم جامعها الذى شيده مظفر الدين كوكبرى (٥٨٠-٦٣٠هـ/ ١١٩٥-١٢٣٣م) حاكم اربيل وما جاورها، وقد حددت هيئة علمية فنية من مديرية الآثار العامة بالعراق موقعها بالنسبة للمسجد فى الركن الشمالى الشرقى.

مادة البناء: شيد القسم السفلى من القاعدة بالحجر والجص، وباقى المئذنة بالطابوق والجص[٥٢].

التكوين العام: جاء التكوين العام لها من قاعدة مثمنة يعلوها طابق اسطوانى، وتفصيل ذلك ان القاعدة جاءت مثمنة على غرار قاعدة مئذنة سنجار تزدان فى ستة اوجه منها بحنايا تتوجها عقود مدببة، وهى ذات اطارات مستطيلة، فتتكون من مستويين بحيث تعلو احداهما الأخرى، وتشتمل المئذنة فى داخلها على سلمين يدوران بداخلها على غرار مئذنة الحدباء (الجامع النورى)، ويعلو القاعدة بدن اسطوانى يرتفع بمقدار ١٤م غطى بكسوة زخرفية بديعة تمثل مرحلة اكثر تطورا عن تلك التى فى مئذنتى سنجار والحدباء عبارة عن اشكال معينات متصلة تكون تصميمات متنوعة.

مئذنة داقوق (نهاية القرن ٦هـ/ ١٢م)

الموقع: تقع المئذنة غرب بلدة داقوق، وقد تهدم جامعها مثل مئذنة اربيل.

مادة البناء: شيدت المئذنة بالطابوق والجص، وذلك فى القسم المتبقى منها والذى يرتفع بمقدار ٢٣م، حيث فقدت قسمها العلوى.

التكوين العام: جاء تكوينها المعمارى فى القسم المتبقى منها من قاعدة مضلعة مثمنة يعلوها طابق اسطوانى، وتفصيل ذلك أن القاعدة المضلعة المثمنة تزدان فى اضلاعها بحنايا ذات اطارات مستطيلة، تتوجها عقود مدببة، وهى من صفين فيما عدا ثلاثة وجوه من القسم السفلى للقاعدة، ويتوج هذين الصفين من الحنايا صف ثالث من حنايا مربعة تقريبا، وهذه الحنايا غير مزخرفة بتشكيلات زخرفية(٥٣).

ويعلو القاعدة بدن اسطوانى يشتمل على سلم حلزونى، يزدان بتشكيلات زخرفية من اشكال معينات وانصافها، ومن خلال مقارنتها مع مآذن شمال العراق سنجار والحدباء واربيل يرجح د. عيسى سلمان انها تعود إلى نفس الفترة اى إلى عهد مظفر الدين كوكبرى لاسيما وان هذه البلدة كانت ضمن المدن التى شملها حكمه فهى تعود على الأكثر إلى بداية القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، وقد افتقدت هذه المآذن جميعا إلى اقسامها العلوية، حيث انها ربما تعرضت لزلزال، وقد رممت المئذنة من قبل هيئة فنية من مديرية الآثار العامة بالعراق(٥٤).

مئذنة المكيطيمة (المقطومة) (نهاية القرن ٦هـ/١٢م)

الموقع: تقع فى بلدة اليوسفية التى تتبع بغداد، وسميت بهذا الاسم لسقوط قسمها العلوى فكلمة «مكيطيمة» مصغر» مكطومة» من اللهجة العراقية بمعنى مقطومة، وقد تهدم مسجدها.

مادة البناء: شيدت بالطابوق والجص.

التكوين العام: جاء تكوينها المعمارى من قاعدة مضلعة مسدسة يعلوها طابق اسطوانى، وتفصيل ذلك ان القاعدة يبلغ ارتفاعها ٦م غير مزخرفة بحنايا، يتوجها شريط زخرفى من الطابوق، ويختلف تصميم هذه القاعدة وتصميم قواعد المآذن السابقة، لذا فهى فريدة فى مسقط هذه القاعدة، ويرتفع البدن اعلى القاعدة بمقدار ١١م، وهو بدن اسطوانى، ويرجح د. عيسى سلمان انها شيدت فى العقد الاخير من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى[٥٥].

جامع الخفافين (جامع الحظائر) (نهاية القرن ٦هـ/ ١٢م)

الموقع وتاريخ الانشاء

يقع فى بغداد الشرقية بالقرب من المدرسة المستنصرية إلى الجنوب منها، يتوصل إليه من سوق الخفافين، ويطل على نهر دجلة، وقد عرف بهذا الاسم لان عند بابه سوقا فيها تباع الخفاف الحمر ويعرف احيانا بجامع الصاغة، وهو مسجد الحظائر الذى امرت بتشييده السيدة زمرد خاتون أم الخليفة الإمام الناصر لدين الله المتوفاة عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى محلة الحظائر التى يقع فيها، وقد جدد المسجد فى العصر الايلخانى، ثم جدد فى عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م، وقد سجل هذا التجديد على لوحة مرمرية، وقد شمل هذا التجديد اعادة بناء ظلة القبلة واجزاء واسعة من المسجد فيما عدا المئذنة فهى اقدم ما تبقى من المسجد، وهى قديمة ترجع إلى تاريخ تأسيس المسجد، لذا فهى اقدم مآذن العراق الباقية(٥٦).

التخطيط

جاء تخطيط المسجد من مساحة مستطيلة مقاييسها ٣٨×٣٣,٥م تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة وغرف للدفن، وتتفق ظلة القبلة فى تخطيطها هنا وظلة القبلة فى الجامع النورى، فهى من مستطيل يتألف من مصلى شتوى يشغل ثلثى المساحة تقريبا فى الجزء الجنوبى الغربى من المسجد، حيث يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ١٦م، ومن الشرق إلى الغرب ١٢,٥م من الداخل، اما المصلى الصيفى فيتكون من بلاطة واحدة تفتح على الصحن ببائكة من اربعة عقود، وقد شيد الجامع بالطابوق والجص، ويرتكز السقف على اربع دعامات داخل ظلة القبلة، وهو من ست قباب، أما المئذنة فهى مسدسة القاعدة اسطوانية البدن، تشتمل على رقبة اسطوانية تنتهى بقمة بصلية الشكل تغطيها زخارف من الطوب المزجج، وتتميز المئذنة ايضا بوجود صفوف من المقرنصات ترتكز عليها شرفة الاذان، كما تتميز باستخدام الطابوق المزجج فى رسم تشكيلاتها الزخرفية(٥٧).

مئذنة مسجد باب الدير (مسجد الجنائز) ٦١٢هـ/١٢١٥م

الموقع: تقوم هذه المئذنة فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى، ويبدو ان هذه المقبرة اقيمت على ارض مسجدها، وكان يعرف بمسجد باب الدير أو مسجد الجنائز[٥٨].

التكوين العام: تماثل المئذنة مئذنة جامع الخفافين (جامع الحظائر) من حيث التصميم ومادة البناء والمقرنصات، فهى ذات قاعدة مضلعة يعلوها بدن اسطوانى، وترتكز شرفتها على صفين من المقرنصات، أما الرقبة فهى رشيقة اسطوانية تتوجها قمة نصف كروية مدببة، وترتفع المئذنة حوالى ١٥م، وقد جددت فى وقت لاحق على تشييدها، ونقش تاريخ البناء على هيئة حشوة تشغل احدى حنايا الصف الأول من المقرنصات، وقد نفذ بالخط الثلث ونصها «بنيت هذه المأذنة سنة اثنتى عشرة وستماية» أى فى ايام الخليفة الناصر لدين الله[٥٩].

جامع قمرية ببغداد (٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م)

الموقع وتاريخ الإنشاء

يقع فى الجانب الغربى من بغداد، يطل على دجلة فى محلة الشيخ بشار، شيده الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م) فى عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨-١٢٢٩م بالطابوق والجص، وقد جدد فى عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م، ثم تم ترميمه فى عام ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٩م، ثم جدد فى عام ١١٧٩هـ/ ١٧٠٥م، وفى هذه العمارة اعيد بناء ظلة القبلة، ثم جدد فى عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٩م، كذلك جدد فى عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م وشمل هذا التجديد المئذنة، وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه صعوبة معرفة مدى تغير تخطيط وعمارة وزخرفة المسجد، الا أنه من خلال مقارنة عمارة المسجد بعمارة جامع الخفافين يمكن القول أن هذه التجديدات لم تغير تخطيط المسجد، ومعظم عناصره المعمارية والزخرفية[٦٠].

التخطيط

جاء تخطيط المسجد من صحن وظلة للقبلة، ويحيط الصحن بالظلة من الجهات الشمالية والشرقية والغربية، وتنقسم ظلة القبلة إلى مصلى شتوى مقاييسه من الخارج ٣١×١٧,٥م، ومن الداخل ٢٤,٤٤×١٢,١٥م فهو يشغل مساحة مستطيلة من بلاطتين موازيتين وثلاث بلاطات عمودية اوسعها البلاطة الوسطى التى جاءت بإتساع ٦,٩٥م، أما البلاطتان الجانبيتان فعرض كل منهما ٥,٣٠م، والزيادة تتمثل فى مصلى الشافعية، وهى مستطيلة مقاييسها ١٨×٦,٤٠م، وكان المسجد يشتمل على مصلى صيفى فى الجهة الشمالية الشرقية، والسقف من ست قباب كما فى جامع الخفافين، أما المئذنة فتتصل بالجدار الجنوبى الشرقى للمصلى، وهى قديمة تمثل مآذن العراق فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى، تتكون من قاعدة

مستطيلة مقاييسها ٣,٥٠×٢,٨٠م، وترتفع بمقدار ٣,٥٠م، ثم حولها المعمار إلى مثمن، ثم تم تحويل المثمن إلى شكل دائرى، أما الرقبة فهى رشيقة اسطوانية ترتفع بمقدار ٦,٥٠م تتوجها قمة نصف كروية مدببة قليلا، وقد جددت الشرفة والمقرنصات الحاملة لها(٦١).

مئذنة جامع الخلفاء (سوق الغزل)

الموقع: تتوسط هذه المئذنة بغداد الشرقية، تهدم جامعها[٦٢] الذى شيده الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٨م)، وكان يعرف بجامع القصر، ثم عرف بجامع دار الخلافة، وعرف ايضا بجامع الخلفاء، وقد هدم الجامع واعيد بناؤه فى العصر الا يلخانى فى عام ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م، ثم تهدم البناء الأخير وظلت المئذنة فقط، وصارت تعرف بمئذنة سوق الغزل، وقد تعرضت للتخريب، واصبحت فى عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م عبارة عن برج من طابوق، فقامت مديرية الآثار العامة بالعراق بترميمها، وهى مئذنة ضخمة يبلغ ارتفاعها ٣٣م، ومحيط قاعدتها ٢٠,٦٤م، ومحيط بدنها ١٦,٢٠م.

مادة البناء: شيدت المئذنة بالطابوق.

التكوين العام: جاء تكوينها العام من قاعدة من اثنى عشر ضلعا بإرتفاع ٨م، وهى فريدة فى ذلك، كما تشتمل على حوضين (شرفتين)، وهى سمة جديدة فى عمارة المآذن العراقية، حيث الفنا المآذن السابقة تتألف من حوض واحد (شرفة واحدة)، أما البدن فقد جاء اسطوانياو أما الرقبة فهى اسطوانية ايضا تتوجها قمة بصلية، ويخترق البدن سلمان حلزونيان، وتمثل مقرنصاتها مرحلة متطورة للغاية[٦٣].

هوامش وتعليقات التمهيد

(١) ابن الاثير (عز الدين ابى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد ابى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م: الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ ٥، ص ١٨.

(٢) ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص٥٠، د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، الطبعة (١٣)، ١٤١١هـ/١٩٩١م، جـ٢، ص ٢٤. د. أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص ص ٤١-٤٢.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر (منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية (السلسلة الفنية - ٤٩)، ١٩٨٢م، ص ٢٧١.

(٣) الكوفة: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، سميت الكوفة لاستدارتها، وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها، وقيل سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد، وقد ذهبت جماعة إلى أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة، وقال آخرون سميت كوفة لأن جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها، وقال ابن الكلبى سميت بجبل صغير فى وسطها كان يقال له كوفان وقد سماها عبدة

بن الطبيب كوفة الجند، وتقع الكوفة بين الحيرة والفرات، وتعد الحاضرة الثانية بعد البصرة، مصرها القائد سعد بن ابى وقاص ويماثل تخطيطها تخطيط البصرة، فقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب أن يكون المسجد الجامع فى الوسط منها، وتكون دار الامارة قريبة منه، وتتوزع خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الامارة.

مزيد من التفاصيل انظر :

ياقوت الحموى (شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مج٤، ص ص ٤٩٠-٤٩١.، د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الاسلامية فى العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، جـ١، ص ص ٥٦-٥٧.

(٤) ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص ٨.

(٥) خراسان: ذكرها ياقوت فقال بلاد واسعة، أول حدودها مما يلى العراق ازا زوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها انما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد مثل نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونساو ابيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التى دون نهر جيحون.

مزيد من التفاصيل انظر:

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ٣٥٠-٣٥٤.

(٦) حمام أعين: ذكرها ياقوت بتشديد الميم: بالكوفة، منسوب إل أعين مولى سعد بن أبى وقاص.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٩٩.

(٧) البلاذرى (الأمام أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م: فتوح البلدان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

(٨) البلاذرى : فتوح البلدان، ص ٢٨١.

(٩) د. طاهر مظفر العميد: بغداد مدينة المنصور المدوره (رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد للحصول على درجة الماجستير بالاثار الاسلامية)، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ص ص ١٠٨-١٠٩.

الهاشمية: قال ياقوت الحموى الهاشمية ماء فى شرقى الخزيمية فى طريق مكة لبنى الحارث بن ثعلبة من بنى أسد، والهاشمية أيضا مدينة بناها السفاح بالكوفة وبها حبس المنصور عبد الله بن حسن بن على بن أبى طالب ومن كان معه من أهل بيته، والهاشمية أيضا قرب الرى.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٣٨٩.

(١٠) الانبار: يفتح أوله مدينة قرب بلخ وهى قصبة ناحية جوزجان، وهى على الجبل، وهى أكبر من مرو الروذ وبالقرب منها، وبها مياه وكروم وبساتين كثيرة، وبناؤهم طين، وبينها وبين شبورقان مرحلة فى ناحية الجنوب، والانبار أيضا مدينة على الفرات فى غربى بغداد، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز، ثم جددها أبو العباس السفاح وبني بها قصورا وأقام بها إلى أن مات، وقيل سميت الانبار لأن بخت نصر لما حارب العرب الذين لاخلاق لهم حبس الاسراء فيها، وقيل الانبار حد بابل سميت به لأنه كان يجتمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها الاهراء، فلما دخلتها العرب عربتها فقال الانبار، وقال الازهرى: الانبار اهراء الطعام.

مزيد من التفاصيل : انظر

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(١١) البلاذرى : فتوح البلدان، ص ٢٨١.

(١٢) البلاذرى : فتوح البلدان، ص ٢٨١.

مزيد من التفاصيل انظر:

د. صالح أحمد العلي: بغداد تأسيسها ونموها (كتاب العراق فى التاريخ) بغداد، ١٩٨٣م، ص ٣٧٤.، د. طاهر مظفر العميد: بغداد مدينة المنصور المدوره، ص ص ١٠٩ - ١١٠.

(١٣) د. طاهر مظفر العميد: بغداد مدينة المنصور المدوره، ص ١١٠.

(١٤) الراوندية: قوم من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب الدعوة، يقولون بتناسخ الأرواح، يزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نهيك وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وأن جبرائيل هو الهيثم بن معاوية.

ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص ص ٨٦-٨٨.، مزيد من التفاصيل انظر: الاسفراينى (أبى المظفر) ت ٤٧١ هـ/١٠٩٨م: التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٣٠، الشهرستانى (أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد) ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م: الملل والنحل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص ص ١٤٧-١٥٠.

(١٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٨٤.

(١٦) المصيصة: بالفتح ثم الكسر، والتشديد، وياء ساكنة، وصاد أخرى مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وهى الآن بيد ابن ليون وولده بعده منذ أعوام كثيرة وكانت من مشهور ثغور الاسلام قد رابط بها الصالحون قديما، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب، وهى مسماة باسم الذى عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح، عليه السلام، ومن خصائصه أنه كانت تعمل ببلد المصيصة الفراء تحمل إلى الآفاق.

والمصيصة أيضا قرية من قرى دمشق قرب بيت لهيا.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ٥، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.

(١٧) انطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، وكانت العرب إذا اعجبها شيء نسبته إلى انطاكية، ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وامهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير.

مزيد من التفاصيل انظر:

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٢٦٦ - ٢٧٠.

(١٨) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة كلمة عجمية رومية، وهى مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم، ومازالت موطنا للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين.

مزيد من التفاصيل انظر:

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٤، ص ص ٢٨-٢٩.

(١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٥، ص ص ١٤٤-١٤٥، ١٥٩.

د. محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٧٦.

هوامش وتعليقات الفصل الأول

(١) اليعقوبى (أحمد بن ابى يعقوب بن واضح الكاتب) ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧م: كتاب البلدان، دار احياء التراث العربى (السلسلة الجغرافية - ٦)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٣٦.

(٢) ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص ١٣٢.

مزيد من التفاصيل عن بغداد انظر:

د. طاهر مظفر العميد: بغداد مدينة المنصور المدوره، ص ص ١١٨-١٢٩.، د. صالح أحمد العلى: بغداد تأسيسها ونموها ص ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٣) واسط: قال ياقوت واسط فى عدة مواضع: نبدأ أولا بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها فأما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لاقول فيه غير ذلك إلا ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكاية عن الكلبى أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب فلما عمر الحجاج مدينته سماها باسمها. وهى خامس مدينة مصرت خارج شبه الجزيرة العربية بعد مدن البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، شيدها الحجاج بن يوسف الثقفى قيل فى عام ٧٨ هـ/ ٦٩٧م، وقيل فى عام ٨٣هـ/ ٧٠٢م ويرجح د. عيسى سلمان تاريخ عام ٨٣هـ/ ٧٠٢م، وكان الفراغ منها فى عام ٨٦ هـ/ ٧٠٥م.

مزيد من التفاصيل انظر:

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ٥، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨.، د. عيسى سلمان وآخرون : العمارات، جـ١، ص ص ٦٨-٧٢.

(٤) د. أحمد فكرى: المدخل، دار المعارف بمصر، ص ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٥) ابن جبير (ابى الحسن محمد بن أحمد) ت ٦١٤هـ/١٢١٧م: الرحلة، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٢١١.

(٦) د. طاهر مظفر العميد: بغداد، ص ٢٧٦.

(٧) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ص ١٤٥-١٤٦.

(٨) د. طاهر العميد: بغداد ، ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠.
Creswell (K.A.C.) : Ashort Account of Early
Muslim Architecture. The American University in Cairo Press, Cairo, Egypt, 1989, pp. 240-241.

(٩) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ١، ص ٨٧.

(١٠) د. أحمد فكرى : المدخل، ص ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(١١) د. طاهر العميد : بغداد، ص ٢٨١.

(١٢) د. طاهر العميد : بغداد، ص ص ٢٨١-٢٩٩.

(١٣) د. أحمد فكرى : المدخل، ص ٣٤.

(١٤) د. طاهر العميد : بغداد، ص ص ٢٩٩ - ٣٠١.

(١٥) شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، ص ص ٢٨٢ - ٢٨٤. ، د. طاهر مظفر العميد : بغداد، ص ص ٣٠٢ - ٣٠٧.

(١٦) الرقة: بفتح أوله وثانيه وتشديده، واصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وجمعها رقاق وقيل: الرقاق الأرض اللينة التراب، وقال الأصمعى: الرقاق الأرض اللينة من غير رمل.

مزيد من التفاصيل انظر:
ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ٣ ، ص ص ٥٨ - ٦٠.

(١٧) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٣٥. ، د. أحمد عبد الرازق أحمد: العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٢٨. ، Creswell : Ashort Account, p. 247.

(١٨) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٣٥. ، د. أحمد عبد الرازق : العمارة الإسلامية في العصرين العباسى والفاطمى، ص ص ٢٩-٣٠. نص التجديد جاء من ثمانية أسطر على النحو التالى بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة - ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين هذه البنية المباركة وتجديدها - وهى احدى عشرة قنطرة وأركانها والجمالون. . . الانفاق عليها من مال عبد الله الفقير - إلى رحمته الخاضع لهيبته المعضد بقوته المجاهد فى سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل العالم الغازى - الزاهد المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور نور الدين (ركن الإسلام) والمسلمين محيى العدل فى العالمين - منصف المظلومين من الظالمين نصير الحق بالبراهين قاهر المشركين قامع الملحدين قاتل الكفرة والمشركين - أبو القاسم محمود بن أتابك زنكى بن اق سنقر ناصر أمير المؤمنين تقبل الله أعماله وبلغه أماله وختم بالصالحات - أقواله وأفعاله فى شهور سنة احدى وستين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد واله.

(١٩) د. أحمد فكرى : المدخل، ص ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٢٠) د. أحمد فكرى : المدخل، ص ٢٣٤.

(٢١) د. عيسى سلمان وآخرون : العمارات، جـ١ ، ص ١٠٥.

(٢٢) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ص ١٠٥ - ١٠٨.

(٢٣) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ١١٠.، شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٣٢٥.

(٢٤) د. عيسى سلمان : العمارات، ص ١١١.، شريف يوسف : تاريخ فن العمارة، ص ٣٢٤.، Crewsell : Ashort Account, p. 359

(٢٥) د. عيسى سلمان، العمارات، جـ١، ص ١١١.

(٢٦) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ١، ص ص ١١٢-١١٣.

(٢٧) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.، د. أحمد عبد الرازق أحمد: العمارة الإسلامية، ص ٦٣.،

Creswell : Ashort Account, pp. 360-361.

(٢٨) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ١١٨.

(٢٩) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ١٢٠.،

Creswell : Ashort Account, p. 362.

(٣٠) الجعفرية: قال ياقوت الجعفرى اسم قصر بناه أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله قرب سامراء بموضع يسمى الماحوزة فاستحدث عنده مدينة وانتقل إليها واقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء، وأضاف ان الجعفرية منسوبة إلى جعفر، وهى محلة كبيرة مشهورة فى الجانب الشرقى من بغداد.

مزيد من التفاصيل انظر:

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٢، ص ص ١٤٣-١٤٤.

(٣١) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٢٦-١٢٧.، د. أحمد عبد الرازق : العمارة الإسلامية، ص ص ٦٦-٦٨،

Creswell : Ashort Account, p. 367.

(٣٢) د. عيسى سلمان: العمارات، ص ١٢٧.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٢٦-٣٢٧.

Creswell : A short Account, pp. 370-373.

(٣٣) اليعقوبى : البلدان، ص ٣٥. ، د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ١٢٧.

(٣٤) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ١٣٠.

(٣٥) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ١٣٠.

يتضح من المسقط الأفقى الذى نشره كريسويل للمسجد أنه يشتمل على خمسة عشر بابا وزعت ثلاثة فى الجدار الشمالى وستة فى الجدار الشرقى ومثلها فى الجدار الغربى، أما جدار القبلة فقد خلا من وجود مثل هذه الأبواب.

مزيد من التفاصيل :

Creswell : A short Account, pp. 368-369, Fig. 238.

(٣٦) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ١٤٠. ، د. أحمد عبد الرازق: العمارة، ص ٧٤. ،

Creswell: A short Account, pp. 369-370.

كشفت التنقيبات الأثرية عن بناء مئذنة المسجد داخل مساحة مربعة مكشوفة يبلغ طول ضلعها ٧٠م، وقد عثر بداخلها على صهريجين للمياه، ويرجح كريسويل أن هذه المساحة كانت محددة بجدران تزدان بحنايا على غرار حنايا جوانب قاعدة المئذنة.

Creswell : A short Account, p. 370.

(٣٧) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٣٨) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ص ١٤٤ - ١٤٦.

(٣٩) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ١٤٦.

(٤٠) سنجار : بكسر أوله، وسكون ثانيه ثم جيم، وآخره راء : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر جار، وهى عامرة جدا، وقيل أن السلطان سنجر بن ملك شاه بن الب ارسلان بن سلجوق ولد بها فسمى باسمها، وقد نسب إلى سنجار جماعة وافرة من أهل العلم.
ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٣، ص ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٤١) يقرأ من الشريط الكتابى ما يلى «بسم الله الرحمن الرحيم تطوع بعمارته العبد الفقير. . . ابن زنكى ابن اقسنقر فى شهر محرم سنة تسع وخمسين وخمسمائة» ويعلق د. عيسى سلمان على هذا النص قائلاً أنه من خلال استعراض أسماء من حكم سنجار خلال هذه الفترة التاريخية نجد أن قطب الدين مسعود بن مودود هو حاكم المدينة حتى عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م. د. عيسى سلمان: العمارات، جـ١، ص ١٤٧.

(٤٢) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٤٧ - ١٥٠.

(٤٣) الموصل : بالفتح، وكسر الصاد : المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة فهى محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى اذربيجان قالوا: وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذى أحدثها كان يسمى الموصل، وهى مدينة قديمة.
ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ٥، ص ٢٢٣.

(٤٤) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٥١ - ١٥٢.

(٤٥) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٥٣ - ١٥٩.

(٤٦) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٥٩ - ١٦٤.

(٤٧) ابن جبير : رحلة، ص ١٨٨.

(٤٨) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى) ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م: تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م، ص ٢٢٨.

(٤٩) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٥٠) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٧٥ - ١٧٩.

(٥١) اربل : بالكسر ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، ولام، وهى قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، فى فضاء من الأرض واسع بسيط، ولقلعتها خندق عميق، وهى فى طرف من المدينة، وفى هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة، وهى شبيهه بقلعة حلب إلا أنها أكبر وأوسع رقعة، وفى ربض هذه القلعة مدينة كبيرة قام بعمارتها وبناء سورها، وعمارة سوقها وقيسارياتها الأمير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كوجك على، فأقام بها.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ص ١٣٧-١٣٨.

(٥٢) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٨٠.، شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٤٤١.

(٥٣) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٨٤-١٨٥.

(٥٤) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٨٧-١٨٨.، شريف يوسف تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤٤٢-٤٤٤.

(٥٥) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٨٨-١٩١.

(٥٦) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ١، ص ١٩١.، شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٥٧) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٩٥-١٩٨.

يذكر شريف يوسف أن عمارة المسجد الحالية ترجع إلى العصر العثمانى فيما عدا المئذنة التي ماتزال تحتفظ بمعظم عناصرها المعمارية والزخرفية.

شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٥٨) يذكر د. عيسى سلمان ان عمارة التربة تتألف من غرفتين مربعتين متجاورتين تعلو كلا منهما قبة نصف كروية مدببة مغطاة تماما بقراميد ملونة رائعة، ويستدل من طراز البناء والزخارف فى القبتين أنه يعود إلى فترة متأخرة عن بناء المئذنة، أما الشيخ معروف الكرخى فهو من موالى الإمام على بن موسى الرضا، توفى عام ٢٠٠هـ/ ٨١٦م ودفن بمقبرة باب الدير فى الكرخ، وبعد فترة أصبحت المقبرة تعرف باسم معروف الكرخى.

د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ١٩٨.

(٥٩) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ١٩٨-٢٠٢.

(٦٠) شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٣٩٤.

مزيد من التفاصيل أنظر :

د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ٢٠٤.

(٦١) شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٣٩٤.، د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١، ص ص ٢٠٢-٢٠٦.

(٦٢) شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٦٣) د. عيسى سلمان : العمارات ، جـ١، ص ص ٢٠٩-٢١٢.

مزيد من التفاصيل أنظر :

شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤٠٠ - ٤٠١.

الفصل الثانى

العمارة الدينية العباسية فى العراق

« عمارة المدرسة »

المدرسة نشأتها وتطور عمارتها

كان المسجد الجامع فى الأمصار الإسلامية هو دار العلم، حيث كان مركزا للحلقات العلمية والأدبية يلتقى بين أروقته المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول عقيدتهم الدينية وأركانها، ويتدبروا القرآن الكريم وأحكامه، ويحيطوا بسنة الرسول ﷺ وأحاديثه.

وقد ظلت المساجد الجامعة فى الأمصار الإسلامية تقوم بدورها كمراكز للاشعاع العلمى حتى شيدت المدارس، كذلك كانت حلقات العلم تقام فى أماكن مختلفة إضافة للمساجد الجامعة كقصور الخلفاء والأمراء، ومنازل العلماء والمكتبات، كذلك كانت منتديات الأدب والعلم من الأماكن التى يلتقى فيها رجال الفكر والأدب، مما ساهم فى نهضة علمية رائعة حتى شيدت المدارس[١].

أما فيما يتعلق بنشأة المدرسة فقد أورد الزركشى فى اعلام الساجد «وأول من بني المدارس فى الاسلام الوزير قوام الدين نظام الملك الطوسى الحسن بن على وكان وزير السلطان الب ارسلان السلجوقى... وكان يحب الفقهاء والصوفية ويكرمهم، ويؤثرهم. بنى المدرسة النظامية ببغداد.. وبني أيضا مدرسة بنيسابور[٢] تسمى النظامية درس بها امام الحرمين فاقتدى به الناس فى بناء المدارس.. نعم انكر الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخ الاسلام على من زعم أن نظام الملك أول من بنى المدارس، وقال قد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعيدية بنيسابور أيضا بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليابنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد اسماعيل بن على بن المثنى الاسترابإذى الواعظ

الصوفى.. ومدرسة رابعة بنيسابور أيضا بنيت للاستاذ أبى اسحق الشيرازى. قال الحاكم فى ترجمة الاستاذ أبى اسحق: لم تبن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها وهذا صريح فى أنه بنى قبلها غيرها»[٣].

ويضيف الزركشى «قال القاضى تاج الدين السبكى فى طبقاته الكبرى: قد أدرت فكرى، وغلب على ظنى أن نظام الملك أول من رتب فيها المعاليم للطلبة. فانه لم يصح لى هل كانت للمدارس قبله معاليم أم لا؟ والظاهر أنه لم يكن لهم معلوم»[٤].

ويذكر اوقطاى أصلان أبا أن كثيرا من المدارس قد شيد زمن الغزنويين، إلا أنها اندثرت، وقد جاءت كلمة مدرسة فى بعض النقوش التى وجدت فى قراءة فليزوان فى غزنة، وذلك خلال حفريات ايطالية حديثة، وجاء فى «تاريخى يمينى» ذكر المدرسة فى عصر السلطان محمود الغزنوى[٥].

والواقع أن المدارس الأولى ظهرت فى الشرق الإسلامى فى نيسابور ومرو[٦] وبخارى[٧] خلال فترة حكم السلطان محمود الغزنوى (٣٩١-٤٢١هـ/ ٩٩٩-١٠٣٠م) لاملاء الحديث وتدريس الفقه السنى، حيث أراد وقف المد الشيعى فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، عندما انتشرت الدعوة الفاطمية الاسماعيلية فى مصر والشام وأفريقية، وتحكم البويهيون الشيعة فى الخلافة العباسية فى بغداد[٨].

وقد شيدت المدارس إضافة لوقف المد الشيعى لاعداد كوادر موالية للدولة عن طريق تأييد المذاهب السنية، بحيث أصبحت هذه المدارس بمثابة مؤسسات رسمية لتخريج القضاة والوزراء وكتاب بيت المال وغيرهم، كما شيدت لتلبية رغبة السلاطين والحكام فى أحكام سيطرتهم على رجال الدين الذين درسوا المذاهب الفقهية المعتمدة فى الدول السنية فى هذه المدارس[٩].

وكانت اولى هذه المدارس فى نيسابور، حيث اسس ابن فورك مدرسة على نفقته، وفى مرو شيد ابوحاتم محمد بن حيان البستى من داره مدرسة لاصحابه، وافرد فيها مكانا لسكنى الطلبة الغرباء من أهل الحديث والمتفقهين، كما شيدت

بنيسابور المدرسة البيهقية والمدرسة السعيدية التى شيدها الأمير نصر بن سبكتكين، ومدرسة ثالثة شيدها أبو سعد اسماعيل بن على الاستراباذى الصوفى، ورابعة ايضا بنيسابور للاستاذ ابى اسحاق(١٠).

ولم يكن لهذه المدارس الصبغة الرسمية، كما لم تتخذ تخطيطا معماريا منظما، حيث افتقرت إلى التنظيم خلال تلك الفترة، فقد كانت مظهرا من مظاهر النشاط الأهلى الخاص، الا انها كانت تتسم بالوحدة فى الهدف الذى شيدت من أجله والذى يتمثل فى نشر الفكر السنى وفى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى ازدهرت عمارة المدرسة ازدهارا كبيرا منذ وصول نظام الملك إلى الوزارة، حيث اصبح لها صبغة رسمية، فقد اصبح السلطان ورجال الدولة هم القائمون على تأسيس المدارس، وقد بلغت المدارس النظامية تسع مدارس فى الموصل والبصرة واجهان وامد وطبرستان ومرو ونيسابور وهراة وبلخ اضافة إلى نظامية بغداد التى بدأ نظام الملك تأسيسها فى بغداد فى عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م وفرغ من عمارتها فى عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م وكانت وقفا على اصحاب المذهب الاشعرى الشافعى اصلا وفروعا(١١).

ويذكر د. أحمد فكرى أنه حتى عهد قريب كان المعتقدان بقايا مدرسة ابن منصور كومشتكين فى بصرى بالشام التى شيدت فى عام ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م تعد اقدم الآثار المتخلفة من المدارس، ويضيف أنه أن صح ما أنتهى اليه بحث د. عبد العزيز حميد من أن عمارة المشهد المعروف بمزار الاربعين فى تكريت بالعراق كانت مدرسة، وانها شيدت فى اواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى فإنه يحتمل أن يكون هذا البناء اقدم مدرسة باقية فى العالم الإسلامى، ويرجح د. فكرى أن هذا البناء اسبق عهدا من مدرسة بصرى، وهو أكثر احتفاظا بعناصره الأولى، وأكبر أهمية ومساحة(١٢).

وقد استمر الاتابكة فى العراق والشام على نهج السلاجقة فى انشاء المدارس فأقاموا الكثير منها فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى مثل المدرسة

الاتابكية التى شيدها سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى بالموصل حوالى منتصف القرن ٦ هـ/ ١٢م، ووجدت هذه السياسة تأييدا واسعا من السلطان نور الدين محمود، حيث شيد العديد من المدارس لفقهاء الشافعية فى دمشق وحماه وحمص وحلب وبعلبك ومنج وغيرها رغم كونه حنفى المذهب، كما أسس أول دار للحديث فى دمشق فيما بين ٥٤٩ و ٥٦٩هـ، ١١٥٤ و ١١٧٤م(١٣).

والواقع أنه قد اندثرت معظم مدارس نيسابور والشام والعراق، غير أنه تبقت بعض أثار المدارس فى الشام والعراق بحيث يمكن الاستدلال منها على نظمها وتخطيطها وقت تشييدها فيستدل من الرسم التخطيطى لمدرسة بصرى بالشام التى تقدم ذكرها أنها تتكون من مستطيل طول جدار القبلة فيه ١٧م تقريبا، وطول كل من ضلعيه الشرقى والغربى ٢٠م، وتتكون هذه المساحة المستطيلة من بيت للصلاة عرضه ٥,٥م بطول ٧,٥م يشرف على فناء مربع، وقد نظمت على جوانب بيت الصلاة والصحن قاعات(١٤).

أما مزار الأربعين فى تكريت، وهى المنشأة التى تقدم ذكرها فتمتد حدودها الخارجية حول مربع تقريبا طول كل ضلع من اضلاعه ٧,٤٠م، وتنقسم هذه المساحة إلى بيت للصلاة يبلغ طوله ٧,٥م بعرض ٥,٥م يحف به من شرقيه وغربية قاعة مستطيلة يزيد طولها على ١٠م، وعرضها ٥,٥م، وبالغرفة الشرقية ثلاثة محاريب مسطحة، وبالغربية يوجد محراب مسطح، ويبلغ بذلك امتداد بيت الصلاة حوالى ٣٧,٥م، وللمنشأة فناء فسيح تزيد مساحته على ٣٦م طولا و ٣٠م عرضا، وقد اقيمت على جانبيه الشرقى والغربى قاعات كانت تغطيها قبوات، كما اقيم فى ركن البناء جهة بيت الصلاة ضريحان احدهما فى الركن الجنوبى الشرقى والآخر فى الركن الجنوبى الغربى ويشتمل كل منهما على محراب مجوف، وتغطى كل منهما قبة، ويوحى نظام البناء بأن المؤخر كان يحتوى على قاعات(١٥).

وقد تبقت اجزاء من دار الحديث النورى فى دمشق والتى تقدم ذكرها، وهى تحتوى على بيت للصلاة يقابله المؤخر، وفيه المدخل، ويطل بيت الصلاة على فناء مكشوف مربع تحيط به ثلاث ظلات جانبية(١٦).

يلى دار الحديث النورى تاريخا مما تبقى من آثار المدارس مدرسة خان اتون فى حلب والتى شيدت فى عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، وكانت مخصصة للمذهب الحنفى، وتشمل بيتا للصلاة يتوسطه محراب مجوف يشرف على فناء مكشوف فسيح مربع، واغلب الظن إنه كانت تحيط بجوانبه الثلاثة الأخرى قاعات من طابقين، وأنه كان باركان البناء قاعات أخرى ومنافع عامة[١٧].

ويستدل من الرسم التخطيطى لمدرسة نور الدين زنكى التى أنشأها بدمشق فى عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م وخصصها للمذهب الحنفى أنه كان لها بيت للصلاة يتوسطه محراب مجوف يشرف على فناء مكشوف فسيح يحيط به من الجوانب الثلاثة الأخرى قاعات من طابقين، ويبدو أنه كان يتوسط هذه القاعات فى كل من الجانبين الشرقى والغربى ايوان مفتوح على الفناء، ويشغل الضريح ركنا من اركان البناء مجاورا لبيت الصلاة[١٨].

وتبقت بحلب آثار مدرسة شيدها شاذبخت معتوق الملك العادل محمود بن زنكى فى عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، اوقفها على فقهاء المذهب الحنفى واسماها مدرسة المعروف أو المدرسة البختية، وهى تتكون من بيت للصلاة يتوسطه محراب مجوف وتعلوه قبة، ويشرف هذا البيت على الفناء بثلاثة عقود، ويبدو أنه كان يقابله ايوان يغطيه قبو مدبب يفتح على الفناء، والفناء جاء مستطيلا اقيمت على جانبيه قاعات وممرات ومنافع، كما اقيمت فى اركان المنشأة قاعات أخرى[١٩].

ويستدل من بقايا المدرسة الشافعية بمعرة النعمان التى شيدت فى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م والتى خصصت للمذهب الشافعى أنه كان بها بيت للصلاة يتوسطه قبة تعلو محرابه المجوف، ويشرف البيت على فناء مكشوف مستطيل من خلال ثلاثة عقود، وكان يحيط بالفناء قاعات من طابقين ومنافع عامة[٢٠].

وقد شيد السلطان نور الدين زنكى مدرسة أخرى بدمشق على غرار المدرسة النورية، وهى المدرسة العادلية، ولكنه توفى قبل أن تكتمل فأتمها الملك المعظم

عيسى فى عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م وجعل بها ضريحا ودفن فيه اباه الملك العادل سيف الدين ايوب الذى توفى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وقد خصصت للمذهب الشافعى(٢١).

وبنيت المدرسة الظاهرية فى حلب عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، وخصصت للمذهب الشافعى، وقد كانت تشغل مساحة مستطيلة حدودها الخارجية (٣٨م من الشمال إلى الجنوب، و ٢٩م من الشرق إلى الغرب) تنقسم هذه المساحة إلى بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه ١٥م بعرض ٤,٥م، يشرف على فناء فسيح مستطيل طوله ١٨م وعرضه ١٥م يحيط به من جانبيه الشرقى والغربى قاعات وغرف للطلاب، أما المؤخرة فكان يتوسطها المدخل، وتتقدمه سقيفة، كما كان يضم على جانبى هذا المدخل غرفا صغيرة اخرى وقاعات(٢٢).

وقد شيدت المدرسة السلطانية بحلب فى عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م، وكانت مخصصة للمذهبين الشافعى والحنفى، وقد تبقى منها بيت الصلاة والضريح، الا أن الحفائر اثبتت انها كانت تشغل مساحة شبه مربعة طول ضلعها الخارجى ٣٥م تقريبا يتوسطها فناء مستطيل فسيح طوله ٢٠م وعرضه ١٧م، يتقدمها بيت للصلاة يطل على الفناء من خلال ثلاثة عقود اوسطها اكبرها، وكان بالركن الجنوبى الشرقى ضريح، وكان يحف بالفناء غرف صغيرة للفقهاء، ويتوسط مؤخرها المدخل تحف به من الجانبين غرف صغيرة(٢٣).

وفى بغداد تكامل بناء المدرسة الشرابية أو الاقبالية فى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م وهى تشغل مساحة شبه مربعة طول ضلعها الخارجى ٤٨م، يتوسطها فناء شبه مربع طوله ٢١,٥م، وعرضه ٢٠م، ويتصدر هذا الفناء بيت الصلاة، ويحيط بالفناء رواق مسقوف من جهاته الشرقية والغربية والشمالية، يطل عليه من كل من الجانبين الشرقى والغربى صف من سبع غرف، ويتوسط الجانب الشمالى أيوان مفتوح على الرواق والفناء، واقيمت فى اركان البناء وخلف الغرف الشرقية قاعات ومنافع عامة، وللمدرسة طابق ثان تمتد على جوانبه الشمالية والشرقية والغربية غرف صغيرة شبيهة بغرف الطابق الارضى(٢٤).

وكانت المدرسة المستنصرية ببغداد تشيد عند افتتاح المدرسة الشرابية أو الاقبالية، أذ بدأ العمل فيها ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، وكان الفراغ منه فى عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م، وهى أول مدرسة فى العالم الإسلامى اجمع تخصص للمذاهب الاربعة، وتتميز بأنها أكبر المدارس التى وصلت الينا حجما وأكثرها احتفاظا بعناصرها التخطيطية والمعمارية، واجلها مظهرا وبنيانا، فقد اقيمت على مساحة كبيرة طولها ١٠٤,٨٠م وعرضها يتراوح بين ٤٨,٨٠م جنوبا و ٤٤,٢٠م شمالا، يتصدر المدرسة بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه يزيد على ٢٣م بعرض يبلغ ٥,٩٠م، يطل على الفناء بثلاثة عقود أوسطها أوسعها، والفناء جاء مستطيلا مكشوفا طوله ٦٢,٤٠م وعرضه ٢٧,٤٠م، يحيط به من جوانبه الأربعة غرف صغيرة من طابقين يبلغ عددها فى الطابق الأول ٤٠ غرفة، وفى الثانى ايضا ٣٦ غرفة ولكنها اقل مساحة وحجما من غرف الطابق الأرضى، ويتوسط الغرف الأرضية المسجد الجامع فى الجانب الجنوبى، وايوان فى كل من الجانبين الشرقى والغربى، ومدخل المدرسة فى الجانب الشمالى يحف به من كل من جانبيه قاعة مفتوحة من خلال باب على الفناء(٢٥).

وفى حلب يستدل من آثار مدرسة الفردوس التى شيدت فى عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م والتى خصصت للمذهب الشافعى، والتى جاءت ايضا من أكبر المدارس الباقية فى الشام حجما، أنها كانت تشغل مساحة مستطيلة تمتد حدودها الخارجية ٤٤م من الشرق إلى الغرب و ٥٦م من الشمال إلى الجنوب، يتصدرها بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه ٢٥م بعرض يزيد على ٧م، يحف به من جانبيه قاعة مربعة كانت كل منهما تضم ضريحا، وللمدرسة فناء مربع يبلغ طول ضلعه ٢١م، وقد اقيم ايوان فى المؤخر الصق بجداره الشمالى ايوان آخر يشرف على الشارع الخلفى للمدرسة، وكان يحف بهذين الايوانين ممر من كل جانب، يؤديان إلى غرف وقاعات ومنافع(٢٦).

مدارس العراق حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م

حفلت بغداد منذ منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى بالعديد من المدارس، وكانت هذه المدارس التى بلغت نحو الثلاثين مدرسة كما يذكر ابن جبير عند زيارته بغداد فى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م فى ازدياد مستمر حتى سقوط بغداد فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[٢٧].

ومن المدارس التى شيدت بالعراق قبل سقوط بغداد فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م مدرسة ابى حنيفة أو المدرسة الشرفية بباب الطاق انشأها شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمى فى عهد السلطان الب ارسلان السلجوقى عند مشهد ابى حنيفة فى عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م[٢٨].

ومنها ايضا المدرسة النظامية[٢٩] التى انشأها نظام الملك للشافعية ببغداد فى عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م وفرغ منها فى عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م، وكانت قريبة من المدرسة المستنصرية، وقد عمرت على جزء من دار مؤنس المقتدرى التى كانت على دجلة، كما شيدت تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه السلجوقى مدرسة للحنفية[٣٠] بالجانب الشرقى، كذلك شيد تاج الملك ابى الغنائم فى عهد السلطان ملكشاه مدرسة للشافعية فى بغداد الشرقية فى عام ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م[٣١].

ومن المدارس التى شيدت قبل عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م المدرسة الفخرية[٣٢] أو دار الذهب أو مدرسة فخر الدولة التى شيدها الوزير فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله لابى القاسم يحيى بن فضلان الشافعى، ثم مدرسة درب

القيار أو الحرانى بدرب القيار شرقى بغداد، شيدها أبو العباس أحمد بن محمد بن بكروس الحنبلى للحنابلة، ثم مدرسة زمرد[٣٣] خاتون زوجة الخليفة المستضىء بالله وام الخليفة الناصر لدين الله، وتعرف بمدرسة الاصحاب أى اصحاب الشافعى، وتعرف بمدرسة ام الخليفة، وتعرف بالمدرسة الغربية لوقوعها فى الجانب الغربى من بغداد[٣٤].

ومن المدارس التى شيدت ايضا قبل عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م المدرسة الثقتية[٣٥] أو مدرسة ثقة الدولة شيدها أبو الحسن على بن محمد وكيل الخليفة المكتفى لامر الله للشافعية على دجلة تحت دار الخلافة بباب الازج بالجانب الشرقى، ومدرسة بنفشة وتعرف بالشاطئية شيدتها بنفشة زوجة الخليفة المستضيئ بالله للحنابلة بباب الازج فى عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، والمدرسة الموفقية[٣٦] للحنفية شيدتها ابنة السلطان ملكشاه بدرب زاخا على نهر دجلة، ومدرسة زيرك[٣٧] او مدرسة سوق العميد، وهى للحنفية، تقع بالجانب الشرقى، ومدرسة ابن دينار[٣٨] النهر وانى الحنبلى بالجانب الشرقى، ومدرسة ابى سعد المخرمى[٣٩] بباب الازج فى الجانب الشرقى، والمدرسة التتشية[٤٠] أو مدرسة خمارتكين التتشى للحنفية بالجانب الشرقى، ومدرسة ابن الابرادى بالجانب الشرقى للحنابلة، ومدرسة سعادة بالجانب الشرقى التى جمعت بين الحنفية والشافعية، والمدرسة الكمالية أو مدرسة ابن طلحة للشافعية بباب العامة، والمدرسة الغياثية نسبة إلى الملك غياث الدين مسعود بن محمد بن ملكشاه بالجانب الشرقى، وهى للحنفية، والمدرسة المغيثية للحنفية[٤١].

ومنها ايضا المدرسة الاسبابذية أو الاسبهذية بالجانب الشرقى، وذكرت ايضا الاصفهبذية للشافعية، والمدرسة البهائية للشافعية فى الجانب الشرقى وكانت على دجلة قريبة من النظامية ورباط شيخ الشيوخ، والمدرسة النجيبية أو مدرسة ابى النجيب السهروردى بالجانب الشرقى للشافعية، ومدرسة الشاش بقراح ظفر من بغداد الشرقية، شيدها للشافعية فخر الإسلام أبو بكر، ومدرسة أبى شجاع البيع بباب الازج للحنابلة، والمدرسة القيصرية وكانت على مقربة من رباط الشيخ ابى

النجيب السهروردى، ومدرسة ابن الجوزى بالجانب الشرقى بدرب دينار، وهناك مدارس اخرى منها مدرسة ابن العطار بالجانب الشرقى ومدرسة ابن البل الدورى بالجانب الغربى والمدرسة الإسماعيلية، ومدرسة السلطان ملكشاه للحنفية بالجانب الشرقى ومدرسة ابن الصقال(٤٢) بالجانب الشرقى، ومدرسة(٤٣) السلطان محمود، ومدرسة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وكانت بالجانب الغربى من بغداد بمحلة باب البصرة للحنابلة، ومدرسة ابن الشمحل للحنابلة بالجانب الشرقى، والمدرسة الشرابية، والمدرسة المستنصرية التى سيأتى ذكرها والمدرسة البشيرية وكانت على المذاهب الأربعة وتقع قرب مشهد الشيخ معروف الكرخى بالجانب الغربى، والمدرسة المجاهدية نسبة إلى مجاهد الدين أيبك للحنابلة(٤٤).

المدرسة الاقبالية (الشرابية، الشرفية) ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م

أما فيما يتعلق بالمدرسة الاقبالية أو الشرابية فقد شيدها شرف الدين اقبال الشرابى ببغداد فعرفت بالشرفية أو الاقبالية أو الشرابية نسبة إليه فى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، ذكرها النعيمى فقال «وقال ابن كثير فى سنة ثمان وعشرين وستمائة: وفيها تكامل بناء المدرسة الاقبالية التى بسوق العجم من بغداد المنسوبة إلى إقبال الشرابى وحضر بها الدرس وكان يوما مشهودا، واجتمع فيها جميع المدرسين والمفتين ببغداد، وعمل بصحنها قباب الحلوى، فحمل منها إلى جميع المدارس والربط، ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارة فى كل شهر، والطعام فى كل يوم، والحلوى فى أوقات المواسم، والفواكه فى زمانها، وخلع على المدرسين والمعيدين والفقهاء يومئذ، وكان وقفا حسنا تقبل الله منه»(٤٦).

وقد اشرف على عمارة المدرسة الاقبالية شمس الدين ابو الازهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله، وشرط الواقف له النظر فيها وفى اوقافها ثم بعده إلى من يلى وكالة الخلافة، وفتحت فى آخر شوال ورتب بها الشيخ تاج الدين محمد بن الحسن الارموى(٤٧).

هذا وقد شيد شرف الدين ابو الفضائل الشرابى الشافعى المدرسة الشرفية أو الشرابية بالجانب الشرقى من واسط على دجلة وذلك فى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م، وكان المشرف على عمارتها هو أبو حفص عمر بن أبى بكر بن اسحق الدورقى، كما عمر إلى جانبها جامعا كذلك شيد مدرسة بمكة فى عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م(٤٨).

المدرسة المستنصرية فى بغداد ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م

بدأ الخليفة العباسى المستنصر بالله ٦٣١- ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٢م بناء هذه المدرسة فى عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م وفرغ منها فى عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م، وهو أبو جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد، وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إليه، وتقع فى الجانب الشرقى من بغداد على ضفة نهر دجلة، وكان المشرف على عمارتها مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمى، ولما تكاملت العمارة احتفل بافتتاحها احتفالا عظيما فى يوم مشهود حضره الخليفة فى موكب فخم(٤٩).

كانت المدرسة المستنصرية جامعة اسلامية كبرى تدرس فيها علوم القرآن الكريم والفقه والحديث واللغة العربية والطب والرياضيات، وتعد أول مدرسة فى العصر الإسلامى خصصت لتدريس فقه المذاهب الاربعة لأهل السنة، وهى مذهب الإمام ابى حنيفة، والإمام الشافعى، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام مالك قال ابن بطوطة «وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الاسواق، عظيمة الترتيب، واعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء، كل صناعة فيه على حدة وفى وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التى صارت الامثال تضرب بحسنها، وفى آخره المدرسة المستنصرية، ونسبتها إلى امير المؤمنين المستنصر بالله ابى جعفر ابن أمير المؤمنين الظاهر ابن امير المؤمنين الناصر، وبها المذاهب الاربعة، لكل مذهب إيوان فيه المسجد، وموضع التدريس، وجلوس المدرس فى قبة خشب صغيرة على كرسى عليه البسط، ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابسا ثياب السواد معتما، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه، وهكذا ترتيب كل مجلس

من هذه المجالس الاربعة، وفى داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء»[٥٠].

تشغل المدرسة مساحة مستطيلة الشكل يبلغ طولها ١٠٤,٨٠م من الخارج، وعرضها فى الجهة الشمالية الغربية ٤٤,٢٠م، وتتسع فى الجهة الجنوبية الشرقية إلى ٤٨,٨٠م، وتبلغ المساحة الاجمالية ٤٨٣٦ مترا مربعا، أما صحن المدرسة فقد جاء من مساحة مستطيلة منتظمة طولها ٦٢,٤٠م وعرضها ٢٧,٤٠م فتكون مساحته الكلية ١٧١٠ مترا مربعا، وهى بذلك تزيد على ثلث المساحة الكلية للمدرسة، وكان الصحن يشتمل على بركة[٥١].

شيدت المدرسة المستنصرية باجر اصفر اللون جيد الصناعة متنوع الاشكال والاحجام، وقد اتسمت بعدم تغطية جدرانها بطبقة من الجص أو اى طلاء آخر، اذ ازدانت بزخارف أجرية تعد من أهم خصائصها الفنية، وتتميز جدرانها الخارجية بضخامتها وارتفاعها، وقد خلت جدرانها من النوافذ فيما عدا الجدار المطل على نهر دجلة، ويتوصل إلى داخل المدرسة من مدخل يتوسط الواجهة الشمالية الشرقية تقريبا يرتفع بمقدار ١٦م تقريبا، ويعلو هذا المدخل عن بقية الواجهة، يبرز عن الجدار بمقدار نحو ٣,٥٠م، وتزدان كتلة المدخل بزخارف هندسية وكتابات تذكارية بخط الثلث على مهاد من اغصان وفروع نباتية مورقة غاية فى الروعة والاتقان[٥٢].

يتوصل من هذا المدخل إلى ما يشبه الايوان، ويسقف هذا الإيوان قبو مدبب يشرف على الصحن من خلال عقد مدبب يرتكز طرفاه على عمودين من الآجر بهيئة اسطوانة ملتصقة بالجدار، ويتوسط هذا العقد واجهة رائعة تشرف على الصحن، كما أوجد المعمار قاعتين على جانبى ايوان المدخل، ثم يتوصل من هذا الايوان إلى الصحن الذى تقدم ذكره، وهو من مساحة عظيمة مكشوفة تفتح عليها جميع وحدات وعناصر المدرسة المعمارية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فالصحن يمثل عنصر الاضاءة والتهوية من جهة وعنصر الاتصال والحركة بين كافة مشتملات المدرسة من جهة أخرى.

ويشرف الايوان الجنوبى الغربى الواقع بمحاذاة الضلع الجنوبى الغربى المطل على نهر دجلة وهو إيوان القبلة من خلال واجهة تكاد تشغل ثلث الضلع الجنوبى الغربى للصحن، وهى عبارة عن بائكة ثلاثية من عقود مدببة. يتميز عقد الاوسط بأنه أكثر اتساعا من العقدين الجانبيين، وقد جاء الايوان من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ٢٣م ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ٥,٩٠م، ويلاحظ وجود انحراف قليل جهةالغرب من اتجاه القبلة، أما محراب بيت الصلاة فيقع فى منتصف جدار القبلة، وهو من مستطيل يبلغ طوله ٥,٢٠م وعرضه ١,٩٠م، يتوجه عقد مدبب، وقد تهدم سقف هذا الايوان ثم اعيد تجديده فى اثناء اعمال الترميم والتجديد التى اجريت للمدرسة فى عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م على هيئة سقف مسطح، ويرجح خالد خليل انه كان من قبو مدبب على غرار اقبية بقية الايوانات والقاعات(٥٣).

هذا وقد اوجد المعمار ايوانين متماثلين آخرين فى الجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، وقد جاء كل ايوان من واجهة مستطيلة يزيد ارتفاعها عن ارتفاع جدران المدرسة عبارة عن عقد مدبب كبير يزدان فى واجهته بزخارف نباتية وهندسية، أما ايوان دار القرآن المطل على خارج المدرسة فهو يشبه الايوانين الجنوبى الشرقى والشمالى الغربى من الناحيتين المعمارية والزخرفية فيما عدا ان العناصر الزخرفية النباتية والهندسية متباينة وقد تحول هذا الايوان في تاريخ لاحق إلى تكية، ثم إلى مسجد يسمى الآن بجامع الاثفية، ولم يبق من البناء القديم سوى ايوان الدار(٥٤).

تشتمل المدرسة المستنصرية على العديد من القاعات والغرف، وقد بنيت فى طابقين، وتحيط بالصحن من الجهات الاربع بين الايوانات، يبلغ عدد حجرات الطابق الأول ٤٠ حجرة، وفى الطابق الثانى ٣٦ غرفة، ويتم الوصول إلى غرف الطابق العلوى من خلال ستة سلالم، يقع اثنان منها على جانبى المدخل، ويقع اثنان آخران على جانبى الايوان الشمالى، ويقع اثنان على جانبى ايوان القبلة، وقد اتسمت غرف وحجرات الطابق الثانى بأنها اصغر حجما من غرف وحجرات

الطابق الأول بسبب وجود ممر يتقدم الغرف من الجوانب الأربعة يتوصل منه إلى داخلها، وقد قسم هذا الممر فى الجوانب الأربعة إلى ستة ممرات لكل واحد منها درج خاص به، ويتراوح عرض الممر بين ٣٠ر١-٥٠ر١م وهو عبارة عن دعائم تحصر بينها عقودا مدببة تشرف على الصحن، يبلغ عرض فتحة كل عقد حوالى ١,٧٠م، وتشتمل الحجرات المطلة على نهر دجلة على نوافذ اما بقية الحجرات فتطل على الصحن من خلال مداخلها.

هذا وتشتمل المدرسة فى الجهة الجنوبية الشرقية منها على سبع قاعات كبيرة ذات سقوف مرتفعة تصل إلى ارتفاع طابقى المدرسة، وهى متباينة فى مساحاتها واشكالها وسقوفها، تبدأ القاعة الأولى من جانب القبلة، وهى من مساحة مستطيلة يغطيها قبو متقاطع يشتمل فى وسطه على فتحة للاضاءة والتهوية، أما القاعة الثانية فهى مربعة الشكل يغطيها قبو متقاطع ايضا، أما القاعة الثالثة فهى مربعة الشكل تقريبا يغطيها سقف من قبوين متقاطعين (قبو مروحى) يشتمل فى وسطه على فتحة للاضاءة والتهوية، وقد جاءت القاعة الرابعة من مستطيل، وهى أكبر القاعات سقط سقفها وجدد على هيئة سقف مسطح، أما القاعة الخامسة فهى من مستطيل يغطيها سقف يماثل القاعة الثالثة، أما القاعتان السادسة والسابعة فهما من مستطيل غطى بقبوين متقاطعين لكنهما لا يشكلان نقطة تتلاقى فيها الخطوط الممتدة من اركان القاعة لان القبوين غير متساويين، وقد اوجد المعمار نافذة فى كل قاعة منهما، وتفتح هذه القاعات جميعا على دهليز مستطيل يتصل بصحن المدرسة من خلال ممرين يقعان على جانبى الايوان الجنوبى الشرقى، ويبلغ طول الممر ٣٤,٦٠م وعرضه ١,٤٠م، ويرتفع سقفه حوالى ٩م، وهو من قبو مدبب يشتمل على اربع فتحات للاضاءة والتهوية تقع على مسافات منتظمة[٥٥].

الحق الخليفة المستنصر بالله بالمدرسة بيمارستانا ودارا للحديث، أما خزانة الكتب التى اشتملت على الكتب النفيسة فى العلوم الدينية والادبية فقد نقلها المستنصر بالله من خزانته الخاصة، وكان بالمستنصرية ساعة مائية عجيبة الصنع دقيقة فى ضبط الوقت، وهى من طرائف الالات التى صنعها العرب[٥٦].

هوامش وتعليقات الفصل الثانى

(١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: العلم بين المسجد والمدرسة (تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ص ١٦-١٧.

(٢) نيسابور: بفتح أوله، مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم ار فيما طفت من البلاد مدينة كانت مثلها، واكثر شرب أهل نيسابور من قنى تجرى تحت الارض ينزل اليها فى سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الأرض وليس بصادق الحلاوة، وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، ص ص ٣٣١-٣٣٣.

(٣) الزركشى: (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م: اعلام الساجد باحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ص ٣٢-٣٣.

(٤) الزركشى: اعلام الساجد، ص ٣٣.

(٥) أوقطاى اصلان ابا: فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، الطبعة الأولى، استانبول، ١٩٨٧م، ص ٢٣.

(٦) مرو: اشهر مدن خراسان وقصبتها، ولفظ مرو بالعربية الحجارة البيض التى يقتدح بها، وقد اخرجت مرو من الاعيان والعلماء والاركان ما لم تخرج مدينة مثلهم منهم: أحمد بن محمد بن حنبل الامام وسفيان بن سعيد

الثورى واسحاق بن راهوية وعبد الله بن المبارك وغيرهم، وكان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى مع سعة ملكه قد اختارها على سائر بلاده وما زال مقيما بها إلى أن مات وقبره بها فى قبة عظيمة لها شباك إلى الجامع وقبتها زرقاء، وبمرو جامعان للحنفية والشافعية يجمعهما السور.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، ص ص ١١٣-١١٤.

(٧) بخارى: بالضم من اعظم مدن ماوراء النهر واجلها، يعبر اليها من امل الشط، وكانت قاعدة ملك السامانية، ولاشك انها مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه، وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة اهلها احسن قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا اكثر عددا على قدرها فى المساحة.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ص ص ٢٥٣-٢٥٦.

(٨) د. محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص ص ٢٢٣-٢٢٥.

د. ايمن فؤاد سيد: المدارس فى مصر قبل العصر الايوبى (تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٩٤.

(٩) د. ايمن فؤاد: المدارس، ص ٩٤.

(١٠) د. محمد سيف النصر ابو الفتوح: منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب بسوهاج، جامعة اسيوط، يناير ١٩٨٠م، ص ٣٨٩.

(١١) د. عبد النعيم محمد حسنين: ايران والعراق فى العصر السلجوقى، دار الكتاب المصرى القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ص ٨٧-٨٨.

د. ايمن فؤاد: المدارس، ص ٩٧ هامش ٢٦.

(١٢) د. أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف بمصر، جـ ٢، ص ص ١٠٠-١٠١.

(١٣) د. ايمن فؤاد: المدارس، ص ص ٩٨-٩٩، د. عفاف سيد محمد: المدارس فى العصر الايوبى (تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ص ١٤٥-١٤٦.

(١٤) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢، ص ص ١٠٠-١٠١.

(١٥) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤٤٧-٤٤٩.

انظر ايضا: د. أحمد فكرى، مساجد، جـ ٢، ص ص ١٠١-١٠٣.

(١٦) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢، ص ص ١٠٣-١٠٤.

(١٧) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢، ص ص ١٠٤-١٠٥.

(١٨) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢ ص ص ١٠٥-١٠٧.

(١٩) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢ ص ١٠٧.

(٢٠) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢ ص ١٠٧.

(٢١) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢ ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٢) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢ ص ص ١٠٩-١١١.

(٢٣) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢ ص ص ١١١-١١٢.

(٢٤) اجمع المؤرخون ان شرف الدين اقبال الشرابى وزير الخليفة العباسى المستنصر بالله شيد ثلاث مدارس: الأولى ببغداد وهى المدرسة الاقبالية أو الشرفية أو الشرابية التى نحن بصدد ذكرها وذلك فى عام ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م، والثانية بناها فى واسط، والثالثة شيدها فى مكة، وتقع المدرسة الشرابية بين باب المعظم ومحلة الميدان الحالية ونهر دجلة، ومن هنا يمكن القول أن المدرسة الشرابية يحتمل ان تكون هى القصر العباسى. مزيد من

التفاصيل انظر. شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤٨٨-٤٨٩. سليمة عبد الرسول: القصر العباسى فى بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ بغداد، ١٩٨١م، ص ١٥.

(٢٥) خالد خليل حمودى الاعظمى: المدرسة المستنصرية فى بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للاثار والتراث الجمهورية العراقية، ص ص ٢١-٢٨، د. عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص ٣٩١.

(٢٦) د. أحمد فكرى: مساجد، جـ ٢، ص ص ١١٦-١١٨.

(٢٧) د. ناجى معروف: المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ص ١٢٣-١٢٤.

يذكر د. ناجى معروف ان هذه المدارس كانت فى ازدياد مستمر حتى سقوط بغداد فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م فقد كانت مدارسها يومئذ ثمانى وثلاثين مدرسة، وكان ببغداد علاوة على ذلك عدد لا يحص من دور القرآن، ودور الحديث، وحلقات المساجد او اماكن الدراسة الاخرى كالمكاتب (الكتاتيب) والدور، والقصور، والربط، والزوايا، والبيمارستانات، ومجالس المناظرة ومجالس الاملاء، والندوات الادبية والتحديث فى الدكاكين والاسواق ودور العلم وهى خزائن الكتب.

د. ناجى معروف: المدارس الشرابية، ص ص ١٢٣-١٢٤.

(٢٨) يطلق عليها ايضا مدرسة الحنفيين بباب الطاق، وقد اشتهر عدد كبير من مدرسيها، وخزان مكتبتها.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ١٣١-١٣٢.

(٢٩) يكاد لا يخلو كتاب من كتب التاريخ أو الفقه أو التراجم أو الخطط من اخبار النظامية وذكر مدرسيها، ومعيديها، وفقهائها، وخزانة كتبها، واوقافها، شيدها نظام الملك ضمن تسع مدارس فى البصرة والموصل وآه

وطبرستان ومرو ونيسابور وهراة وبلخ. د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٣٢ . ، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٤١٠ .

(٣٠) هى المدرسة التاجية، من اشهر مدرسيها فخر الإسلام ابو بكر الشاشى صاحب المدرسة المعروفة باسمه واحد كبار مدرسى النظامية ببغداد، وسراج الدين النهرقلى اقضى القضاة.

د. ناجى معروف: المدارس الشرابية، ص ١٣٢ .

(٣١) د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٣٢ .

(٣٢) ومن مدرسيها مجد الدين ابو طاهر على بن محمد الواسطى البغدادى الفقيه وممن سكن دار الذهب أبو المعالى القاسم بن ابى الحديد المدائنى، وكان قيما بفن العربية والفقه والجدل والأصول والخلاف، والحكمة والطب

د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ١٣٢-١٣٣ .

(٣٣) شيدتها زمرد خاتون للشافعية عند مشهد معروف الكرخى بجوار تربتها، ويعتقد انها بقيت إلى عهد سليمان باشا الكبير.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٣٣ .

(٣٤) د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ١٣٢-١٣٣ .

(٣٥) ممن درس فيها يعيش بن صدقة وكان اماما فى الفقه، وعز الدين على بن عمر الطيارى التسترى، وشرف الدين يوسف بن بندار الدمشقي وهو الذى بنى ل ثقة الدولة المدرسة الثقتية، وعفيف الدين الزبيدى الواسطى وغيرهم.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٣٤ .

(٣٦) نسبت إلى مملوكها الموفق بن عبد الله الخاتونى الذى دفن بالمدرسة، ومن مدرسيها علم الدين ابو زكريا محرز البغدادى، ومجد الدين بن اللمغانى مدرس مشهد ابى حنيفة.

د. ناجی معروف: المدارس، ص ١٣٥.

(٣٧) كانت تقع قبالة مسجد القلعة الحالى ويرجح د. ناجى معروف ان سوق العميد كانت مما يلى جامع المرادية حيث كانت تقع مدرسة زيرك، وممن تولى التدريس فيها محمد بن أحمد بن عبد الجبار ابن المظفر الحنفى من أهل سمنان.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٣٥.

(٣٨) أو مدرسة أبى حكيم، وهى للحنابلة شيدها ابو حكيم ابراهيم بن دينار النهروانى البغدادى الملقب بالقدوة، وكان يقيم بها، وكان يخيط للناس الثياب، وكان عالما بالمذهب، والخلاف والفرائض، حسن المعرفة بالفقه والمناظرة ثم اسندت مدرسته إلى ابن الجوزى ابى الفرج عبد الرحمن، وقد سكن هذه المدرسة نور الدين العبد ليانى الحنبلى مدرس المستنصرية.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٣٦.

(٣٩) د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ١٣٦-١٣٧.

(٤٠) شيدها نجم الدين خمارتكين، وكانت للحنفية، وهو خادم الملك تتش بن الب ارسلان بن داود السلجوقى، ومن مدرسيها علم الدين ابو زكريا يحيى بن محرز البغدادى، ويوسف الدمشقى وابو بكر الشاشى.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٣٧.

(٤١) د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ١٣٤-١٤٠.

(٤٢) يذكر د. ناجى معروف ولعلها الموفقية.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٤٣.

(٤٣) يذكر د. ناجى معروف ولعلها المغيثية التى تنسب إلى مغيث الدين محمود السلجوقى، ومن مدرسيها مسعود بن الحسين اليزدى، وابن ناصر العلوى، وابو منصور بن المعلم.

د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٤٣.

(٤٤) د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ١٤٠-١٤٥.

(٤٥) اجمع المؤرخون الذين ترجموا للشرابى أنه شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشرابى، أو الامير شرف الدين اقبال الشرابى المستنصرى العباسى، أو شرف الدين اقبال الشرابى المستنصرى أو اقبال الشرابى أو الخادم اقبال الشرابى أو شرف الدين أبو الفضائل اقبال الخادم الحبشى المستنصرى أو الشرابى فقط أو الخاص اقبال الشرابى والاستاذ شرف الدين اقبال الشرابى المستنصرى المستعصمى، قربه الخليفة المستنصر بالله وولاه قيادة الجيوش العباسية، وإليه يرجع الفضل فى اسناد الخلافة إلى المستعصم بالله بعد وفاة المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، وقد توفى الشرابى فى عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م. مزيد من التفاصيل انظر:

د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ٥١-٨٤.

(٤٦) النعيمى (عبد القادر بن محمد الدمشقى) ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م: الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م، جـ ١، ص ص ١٥٩-١٦٠.

(٤٧) د. ناجى معروف: المدارس، ص ١٦٢.

(٤٨) د. ناجى معروف: المدارس، ص ص ٣٠٩-٣١٠، ٣٤٣.

(٤٩) خالد خليل: المدرسة المستنصرية، ص ص ١١-١٣.

(٥٠) ابن بطوطة: رحلة، ص ٢١٩، خالد خليل: المدرسة، ص ١٣.، د. ناجى معروف: تاريخ علماء المستنصرية، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، جـ١، ص ٢٥.

(٥١) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤٨١-٤٨٣.، خالد خليل، المدرسة، ص ٢٣.

(د٢) خالد خليل: المدرسة، ص ٢٥.

(د٣) خالد خليل: المدرسة، ص ٢٨.

(د٤) خالد خليل: المدرسة، ص ٢٧.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٤٨٤.

(د٥) خالد خليل: المدرسة، ص ص ٢٩-٣٠.

(د٦) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤٨٣-٤٨٤.

الفصل الثالث

العمارة الضريحية فى العراق

القبة الصليبية ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م

تتبوأ هذه القبة مكانة مهمة ليس بين اضرحة ومشاهد العراق فقط، بل بين أضرحة ومشاهد العالم الإسلامى اجمع فهى اقدم الاضرحة القائمة إلى الان، يتميز تخطيطها بالشكل المثمن.

تقوم المنشأة على مرتفع طبيعى أو تل فى الجانب الغربى من دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق، تطل على حوض النهر من منطقة تقابل الجوسق الخاقانى، ويضم البناء رفات ثلاثة من الخلفاء العباسيين الذين حكموا فى سامراء، وهم المنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١-٨٦٢م) المتوفى ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، والمعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦هـ-٨٦٩م) المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، والمهتدى (٢٥٥-٢٥٦هـ/ ٨٦٩-٨٧٠م) المتوفى ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، وقد شيدت القبة فى عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م بأمر من أم الخليفة المنتصر بالله، وذكر ان التسمية جاءت من أن هذه السيدة كانت صليبية قبل أن يتزوجها الخليفة، وقيل أن التسمية جاءت من شكل تخطيط وتصميم البناء(١).

جاء تصميم القبة بسيطا وفريدا من الناحية المعمارية بين تخطيطات المنشآت الدينية والمدنية فهو يتألف من مساحة مربعة مسورة ومحددة من خارجها بمثمن، وقد شيد البناء بالجص ولبن كلسى مثل قصر العاشق، ومكسو بطبقة غير سميكة من الجص ايضا، وقد تساقطت سقوف ابنية هذه القبة، الا أن ما بقى منها اعطى صورة واضحة عما كانت عليه وقت تشييدها(٢).

وجدران القبة المربعة متينة يزيد ارتفاعها عن خمسة امتار يبلغ طول ضلعها

٦,٣٠م، يتوسط كل من جدرانها مدخل يتوجه عقد مدبب، وتتعامد هذه الابواب مع الابواب الاربعة التى تتوسط اربعة من اضلاع جدار الرواق المثمن الذى يدور حول هذه الغرفة وقد جاء هذا الرواق باتساع ٢,٦٠م، ويكون هذا التعامد شكلا متقاطعا، وارض هذه القبة مستوية تخلو جدرانها من التشكيلات الزخرفية، وقد اوجد المعمار فى اركان مربع القبة حنايا ركنية لتحويل هذا المربع إلى مثمن حتى يمكن أقامة القبة فوقها.

أعمال الترميم

أوفدت مديرية الآثار العامة فى العراق هيئة فنية لترميم وصيانة هذا الاثر، وكشفت الهيئة عن جملة مرافق تحيط بالبناء الرئيسى وتتصل به وتتألف من غرف مستطيلة الشكل صغيرة نسبيا ليست مرتفعة الجدران ومعقودة بأقبية برميلية، ومعظم هذه الغرف مشيد بالجص والحصى، ويتصل بعضها مع البعض الآخر، وتتألف بصورة اساسية من اربع تجاميع متناظرة بشكل متعامد ايضا، وقامت الهيئة ايضا بتحرى مربع القبة، وقد انجزت هذه الهيئة ترميم وصيانة هذه القبة فقامت بعقد سقف رواقها وبناء قبتها بشكل نصف كروى مدبب قليلا(٣).

قبة ضريح الامام محمد الدرى الربع الاخير من القرن ٥هـ/ ١١م

يتوسط هذا الاثر بلدة الدور التى تقع إلى الشمال من مدينة سامراء بحوالى ٣٠كم، وينسب إلى أبى عبد الله محمد بن موسى بن جعفر، ويطلق عليه أهل المنطقة محمد الدرى، ويتميز بقبته المقرنصة التى تعد من أقدم أمثلة القباب المقرنصة فى العراق، وقد وجدت كتابات تذكارية على لوحة رخامية مستطيلة مثبتة على واجهة المقبرة أو الجدار الشمالى بخط غير متقن يستدل منه انها اضيفت إلى البناء فى وقت لاحق على تاريخ انشاء البناء ونصها «بسم الله الرحمن الرحيم هذا المشهد المبارك تربة الإمام أبو عبد الله محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب صلوات الله عليهم اجمعين وهو موضع... رحم الله من... زاره واسعده...»، وتزدان جدران المشهد من الداخل بأشكال هندسية مثمنة الرؤوس ناتجة من تداخل مربعين، وشغلت بواطن اضلاعها الجصية بكتابات تذكارية تعود إلى تاريخ الإنشاء، وذلك بالخط الكوفى، وتشير الكتابات أن الامير مسلم بن قريش العقيلى المتوفى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م هو الذى امر ببناء القبة، كما تشير إلى اسم البناء بما نصه «هذا صنعة يدى أبو شاكر بن الفرج ابن ناسوه البنا اجره الله»، وتعد هذه الكتابات اقدم الكتابات التى نعرفها فى العمارة الجنائزية، بالاضافة إلى كونها استخدمت ضمن تشكيلات زخرفية من اشكال هندسية(٤).

هذا وقد حكم الامير شرف الدين مسلم بن قريش ما بين عامى ٤٥٣ و ٤٧٨هـ/ ١٠٦١ و ١٠٨٥م، وكانت الموصل وحلب والجزيرة ضمن امارته وخطب له على منابر بغداد، وبالاضافة إلى ذلك فان عبد الجليل بن على الذى ورد اسمه فى النص الكتابى بما نصه «... وبعده عميدى العزاز ابو الفتح طاهر وابو المحاسن عبد الجليل ولدى على بن محمد الدهستا اجرهما الله» ترك بغداد فى عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، ولذا فإن البناء تم خلال هذه الفترة الزمنية المحصورة

بين بداية امارة مسلم ونهاية خروج عميد الشرطة من منصبه، أى إلى الربع الأخير من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى[٥].

جاء التخطيط المعمارى للمشهد بسيطا عبارة عن مربع يبلغ طول ضلعه من الداخل ٧,٨٠م الحقت به منشآت اخرى تتألف من مسجد ومرافق اخرى شيدت بالحصى والجص، بينما شيد المشهد بالطابوق والجص، ويشتمل المشهد على محراب، يبلغ سمك مربع القبة ١,٥م ترتفع جدرانه عن سطح الأرض بمقدار ١٢,٥م تدعمها ابراج شبه اسطوانية فى اركانها المربعة تقوم على قواعد مربعة، ويبلغ قطرها ١,٥م، ويبلغ طول ضلع مربع القبة من الخارج ١١,٥م، يتوصل إلى داخله من باب بالجدار الشمالى لا يتوسطه، بل هو اقرب للضلع الشرقى، وذلك بسبب موضع القبر الذى لا يتوسط ايضا مربع القبة، والقبة فريدة فى شكلها، جميلة فى مظهرها من الداخل والخارج ترتفع بمقدار ١١,٩٠م فوق الجدران، وهى هرمية مقرنصة، وذلك من خلال تطويل مرحلة أو منطقة الانتقال من مربع القاعدة إلى المثمن الذى ترتكز عليه الخوذة، وتتمثل فى اربع حنايا ركنية ذات عقود مدببة ترتكز على اعمدة شبه اسطوانية مندمجة، وتزدان بزخارف هندسية رائعة محفورة فى الجص، ثم تلى منطقة الانتقال ثلاثة صفوف من المقرنصات استخدمت فى تشكيل السقف الهرمى[٦]. هذا وقد اوجد المعمار اربع نوافذ فى الصف الأول من المقرنصات لتحقيق عنصر الاضاءة والتهوية داخل القبة.

كسيت القبة من الخارج بالجص، وتعد هنا فى مشهد محمد الدرى جديدة فى تصميمها وعمارتها، وفريدة فى شكلها وهندستها بحيث تحتل مكان الصدارة بين قباب هذا الطراز بما تشتمل عليه من حنايا ومقر نصات وعقود تنوعت ما بين المدبب المنفوخ والمقصوص والمفصص والمنفرج، واعمدة مندمجة، وتزدان القبة من الخارج بوحدات زخرفية هندسية وكتابات من خلال التفنن فى صف الطابوق، ونجد أقدم امثله هذا الاسلوب فى قصر الاخيضر[٧].

وقد اضيف إلى البناء فى وقت متأخر مدرسة ومسجد كشفت التنقيبات عن اساساتهما، كما كشفت اعمال الصيانة للضريح عن زخارف أخرى اضيفت إلى البناء[٨].

قبة ضريح الست زبيدة (زمرد خاتون) ٥٩٢هـ/١١٩٦م

يقع هذا المشهد فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى إلى الجنوب العربى من جامع الشيخ معروف الكرخى، يعرف بين الناس باسم ست زبيدة، ويضم هذا البناء قبر السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضىء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/ ١١٧٠-١١٨٠م)، أم الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م)، والمتوفاة فى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م، والمعروف انها شيدت لنفسها مشهدا قبل وفاتها والحقت به مدرسة واوقفت عليهما اوقافا كثيرة، فقد ورد أنه تم فى عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م، وامرت ان يدفن فيه ابو الخير سعد بن عثمان بن مرزوق المصرى الحنبلى المتوفى ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م، وقد شيد البناء بالطابوق والجص، وهذه تربة فريدة فى شكلها، جميلة فى مظهرها من الناحيتين المعمارية والزخرفية، وقد اهتمت بها مديرية الآثار العامة بالعراق فقامت هيئة فنية فى عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م بترميمها، ثم فى عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م قامت هيئة فنية أخرى بترميمها(٩).

جاء تخطيط المشهد من مثمن يرتفع بمقدار ٨,٣٠م، يتوسط المدخل احد اضلاعه الشمالية، يزدان فى جدرانه بحنايا ذات عقود مدببة مطولة، اثنتان فى كل ضلع، ويعلو هذه الحنايا صف من اشكال مستطيلة، اثنان فى كل ضلع، وتشغل هذه الاشكال تشكيلات زخرفية دقيقة محفورة على الآجر، أما جدران المشهد من الداخل فخالية من الزخارف فيما عدا المحراب الذى يقع على محور المدخل.

ترتكز على هذا المثمن قبة مقرنصة مخروطية يبلغ ارتفاعها ١٣,٣٠م، ويبلغ عدد صفوف المقرنصات من الداخل اثنى عشر صفا تنتهى بشكل نجمة ثمانية

ترتفع فوقها قبة ثمانية ايضا يتوجها رأس مخروطى مدبب، أما من الخارج فيبلغ عدد صفوف المقرنصات تسعة فقط وهى فى تكوينها تشبه تكوين مقرنصات قبة مشهد محمد الدرى من الخارج، وقد اوجد المعمار اربع نوافذ فى الصف الأول من المقرنصات، وبالاضافة إلى ذلك فهناك فتحات دائرية تشغل قمة كل حنية من الصفوف التالية لتحقيق عنصرى الاضاءة والتهوية[١٠].

جاءت الزخارف التى تشغل المستطيلات من حشوات هندسية ذات زخارف نباتية حفرت تفريغا على الطابوق، وتتنوع الاشكال الهندسية فتضم معينات واشكال نجوم مثمنة ومثلثات ومربعات ومستطيلات وغير ذلك فى تكوينات زخرفية جميلة نتجت عن التفنن فى صف الطابوق غير المزخرف بتصميمات متنوعة، وتتألف الزخارف النباتية من اغصان تلتف وتلتوى لتتكيف مع الاشكال الهندسية التى تؤطرها وتنتهى بمراوخ وانصاف مراوح نخيلية فى تشكيلات زخرفية رائعة صنعت من التفنن فى صف الطابوق وهو الفن الذى بلغ اوج ازدهاره فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى فى المدرسة المستنصرية[١١].

وقد مرت عمارة ضريح زمرد خاتون بعدة اضافات على ايدى الامراء والولاة الاتراك، ثم قامت مديرية الآثار ايضا بعدة اصلاحات، ويشتمل الضريح على المدافن التالية.

السيدة بنفشة خاتون، والسيدة آى خطلخ بنت عبد الله جارية زمرد خاتون، وابنة عز الدين الشرابى، وأبو الحسن على ابن الخليفة الناصر لدين الله، وزوجة حسن باشا الوالى التركى[١٢].

مشهد الاربعين نهاية القرن ٥هـ/ ١١م

يقع هذا الاثر بالقرب من تكريت، والمعروف بين الناس أن البناء يشتمل على رفات اربعين شهيدا استشهدوا فى معركة فتح تكريت فى عام ١٦هـ/ ٦٣٧م، ولا يشتمل البناء على كتابات تذكارية تشير إلى تاريخ الإنشاء، ويرجح د. عيسى سلمان اعتمادا على مقارنته بمشهد محمد الدرى أنه شيد فى نهاية القرن ٥هـ/ ١١م أو بداية القرن ٦هـ/ ١٢م، حيث كانت تكريت وعنه والانبار وجزء كبيرا من شمالى العراق تحت حكم امارة العقيليين، وتكمن اهمية المشهد أو البناء فى اشتماله على قاعتين تسقف كلا منهما قبة نصف كروية مدببة، وقد قامت بعثة علمية من قبل مديرية الآثار العامة بالكشف عن اجزائه وترميمه، ثم رسمت تخطيطه بدقة(١٣).

يتألف البناء من مسجد وعدد من الغرف والقاعات والايوانات، مما يدل على أن هذا البناء كان يقوم بأكثر من وظيفة، والبناء جاء مربعا يبلغ طول ضلعه ٤٧م تحيط مرافقه بفناء مستطيل مقاييسه ٣٦,٥م من الشمال إلى الجنوب و ٣٠,٥م من الشرق إلى الغرب، وقد شيد بالحصى والجص فيما عدا بعض الاجزاء التى شيدت بالطابوق والجص، وقد كسى البناء جميعه بطبقة جصية سميكة نسبيا، وتشغل اهم غرفتى المشهد الركن الجنوبى الغربى، وهى مربعة يبلغ طول ضلعها من الداخل ٥م، يتوسطها قبر ضخم يشغل نصف مساحتها تقريبا، وترتفع جدرانها حوالى ١٠م، ترتكز عليها قبة نصف كروية مدببة تنتهى من الخارج ببروز هرمى قصير، وذلك من خلال منطقة انتقال ركنية، وترتفع القبة بمقدار ٥م وتعتبر هذه القبة وتلك التى تسقف القاعة المجاورة لها من القباب المهمة فى العمارة العراقية، فهما أول قبتين متجاورتين متشابهتين يؤرخان بنهاية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى أو بداية القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى(١٤).

يتوسط المحراب جدار القبلة، وهو من تجويف يتوجه عقد مفصص يرتكز على عمودين شبه اسطوانيين، وقد اوجد المعمار هذه الحنية داخل حنية أخرى من عقد مدبب يرتكز على عمودين مزدوجين، ويزدان المحراب بزخارف نباتية بديعة، كما تزدان القبة من الداخل بحنايا ومشاكى، ويربط بين الغرفتين باب، يقابل بابا آخر يتوسط الجدار الشمالى الشرقى من القاعة الثانية، ويؤدى إلى قاعة ثالثة، ويتوصل إلى القبة الضريحية من قاعة تجاورها وتناظرها من الجهة الشمالية الشرقية التى كانت اغلب الظن مصلى للمشهد، وتبدو هذه القبة والقبة التى تجاورها هرمية الشكل، وتدعم هذه القبة الاخيرة ثلاث دعامات لتقوية الجدار الشمالى الغربى(١٥).

قبة ضريح الإمام عبد الرحمن فى الموصل النصف الثانى من القرن ٦هـ/ ١٢م

ينسب هذا الضريح إلى الإمام عبد الرحمن بن الحسين، وهو فى الاصل المدرسة العزية التى شيدها الملك مسعود بن مودود (٥٧٦-٥٨٩هـ/ ١١٨٠-١١٩٣م)، ودفن فى تربة بداخلها، ولعله القبر الموجود فيها حاليا، يتوصل إلى الضريح من مدخل يشتمل على كتابات نصها «العز والتوفيق والدولة الدائمة الاتصال لمولانا الملك العادل المؤيد المنصور عز الدنيا والدين ركن الإسلام والمسلمين نصير المجاهدين حافظ بلاد المسلمين شمس المعالى قاهر الخوارج والمتمردين وقاتل الكفرة والمشركين ملك امراء الشرق اتابك مسعود بن مودود بن اق. . .»[١٦].

ولم يبق من عمارة المدرسة سوى قاعة مربعة الشكل تتقدمها غرفة صغيرة ابعادها ٤,٥٠×٤,٧٥م تشتمل على مدخل من الجهة الشرقية، ويتوصل منها إلى القبة الضريحية من المدخل الذى تقدم ذكره، والبناء بقسميه من الحجر، أما الضريح فقد جاء من مربع سفلى ابعاده ٤,٨٨×٤,٩٠م يعلوه طابق مثمن من خلال مقرنص ثم القبة وهى نصف كروية من الداخل نصف هرمية من الخارج وترجع هذه القبة الضريحية إلى تاريخ بناء الملك مسعود بن مودود للمدرسة أى فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى[١٧].

قبة ضريح الحسن البصرى حوالى الربع الأول من القرن ٧هـ/ ١٣م

يقع هذا الضريح فى الزبير فى المقبرة المعروفة باسمه، شيد من الآجر، يتألف من ثلاث قاعات، اثنتان منها غطاهما المعمار بقبة، أما الثالثة فحديثة، ويتوصل إلى القاعتين الاصليتين من مدخل رئيسى يؤدى إلى القاعة اليمنى، وهى مربعة تقريبا ابعادها ٣,٣١×٣,١٨م تشتمل على القبر، وهى الغرفة ذات القبة المخروطية[١٨].

تبدأ المقرنصات التى تحول مربع القبة إلى طابق مثمن من ارتفاع متر، اذ أوجد المعمار أربع حنايا فى الزوايا وهى عميقه ذات عقد مدبب، ثم يرتكز البناء المخروطى والمكون من مقرنصات أقل عمقا ويبلغ عدد صفوف المقرنصات أحد عشر صفا عدا غطاء القبة، وقد أوجد المعمار دخلة فى الضلع الغربى يتوجها عقد مدبب كما أوجد فى الضلع الشرقى مدخلا يتوجه عقد مدبب يؤدى إلى غرفة صغيرة ملحقة بالغرفة الأولى يبلغ طولها ٣,٤٤م وعرضها ٣,١٠م تغطيها قبه نصف كروية تقوم على بناء المربع يبلغ أرتفاعه ٣,٥م يعلوه طابق مثمن وقد أرخ هرتز فيلد الضريح بسنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، وهناك رأى آخر ينسب القبة إلى الربع الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى[١٩].

قبة مشهد الشمس الربع الأول من القرن ٧هـ/١٣م

يقع هذا الضريح إلى الشمال الشرقى من مدينة الحلة، يتكون من مثمن، ينتهى كل ضلع بجدار بارز فى داخل القاعة يمتد بمقدار ١,٣٠م، وتبدأ الزخرفة من ارتفاع حوالى ٢,٥٤م وتتكون من اربعة صفوف من المقرنصات، ويتوسط الجدار الجنوبى محراب مجوف يحتفظ بطرازه القديم على الرغم من تجديده، اذ يتكون من أفريزين زخرفيين على هيئة مقرنصات تغطيها نصف محارة، وتعلو عقد المحراب آيات قرآنية[٢٠].

ويزدان الضريح اضافة للمقرنصات باللونين الاحمر والأسود على الآجر ووضع فى حدود المقرنصات فالحد بين صف وآخر من المقرنصات هو بالآجر الملون، ومن الخارج تقوم المقرنصات على القاعدة المثمنة وعددها ثلاثة عشر مقرنصا، ومع الغطاء تكون اربعة عشر مقرنصا، واعتمادا على مقارنة هذه القبة فى مقرنصاتها الخارجية والداخلية مع قبة الست زبيدة ومع قبتى السهروردى والحسن البصرى يمكن نسبتها إلى الربع الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى[٢١].

قبة ضريح السهروردى ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م

يقع هذا الضريح فى مدينة بغداد، فى محلة تنسب إلى صاحب الضريح الشيخ عمر، وهو الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردى المتوفى ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م، والذى دفن فى المقبرة التى تعرف باسم المقبرة الوردية(٢٢).

والتكوين المعمارى للضريح من مربع ابعاده ٤,٧٠×٤,٩٠م بسمك يبلغ ١,٢٠م، يتوصل إليه من مدخلين أحدهما عبارة عن مجاز اضيف إلى البناء فى عام ٧٣٥هـ/ ١٣٢٦م، والآخر المدخل الرئيسى من المسجد الذى شيد فى تاريخ لاحق فى عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م، ويزدان مربع الضريح على ارتفاع ٦,٥م تقريبا بدخلات تنوعت عقودها ما بين مدببة ومفصصة، ويعلو هذه الدخلات صفان من المقرنصات بارتفاع ١,٣٠م، وقد اوجد المعمار اربع نوافذ فى الصف الثانى من القبة التى اشتملت على كتابات حديثة، ومن الخارج تكون صفوف المقرنصات احد عشر صفا عدا المثمن الذى تقوم عليه القبة(٢٣).

وقد كشفت اعمال الترميم والصيانة عن زخارف ملونة على الجص فى باطن مقرنصات القبة، وكانت القبة الداخلية المتأخرة قد حالت دون ظهورها، وقوام هذه الزخارف عناصر نباتية دقيقة، ويوجد نص كتابى يشير إلى تجديد البناء فى عام ٧٣٥هـ/ ١٣٢٦م، وتؤرخ القبة بسنة وفاة الشيخ السهروردى وهى ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م(٢٤).

قبة ضريح الامام الباقر فى داقوق حوالى النصف الثانى من القرن ٧هـ/١٣م

ينسب هذا الضريح إلى الإمام محمد الباقر الذى ولد فى المدينة ودفن بالبقيع، وهو من مربع يبلغ طول ضلعه ٥م بسمك ١,٠٥م، يتوصل إليه من مدخل فى الجهة الغربية بعرض ١,٣٣م، وتبدأ الزخرفة من ارتفاع ٢,٢٠م، حيث نجد صفا من الدخلات فى محيط الضريح يتكون من اربع دخلات فى كل جدار، ثم تبدأ منطقة الانتقال لتحويل مربع القبة إلى طابق مثمن، وهى من مقرنص يتكون من ثلاثة مقرنصات، وقد اوجد المعمار النوافذ بين مناطق الانتقال بواقع نافذة فى كل ضلع، وقد سدت نافذة منها على ما يبدو اثناء التجديدات، ثم تقوم مقرنصات القبة تعلوها الخوذة، وهى نصف كروية، وقد طليت الجدران جميعا بطبقة سميكة من الجص(٢٥).

هذا وقد خلت جدران الضريح وكذلك الواجهة من النصوص الكتابية التى تشير إلى اسم الشخص المدفون فيه او تاريخ البناء أو مشيده، ولكن من خلال المقارنة المعمارية مع القباب المخروطية فى العراق نجدانها تماثل قبة زمرد خاتون وقبة الامام الدورى من حيث وجود المقرنصات الداخلية والخارجية، واغلب الظن انها معاصرة لقبة السهروردى(٢٦).

مشهد يحيى بن القاسم ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م

يطل هذا المشهد على نهر دجلة من فوق جرف مرتفع بمدينة الموصل أنشأه بدر الدين لؤلؤ، ملك الموصل فى عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م كما هو منقوش على أحد جدران المشهد من الداخل، ويعتقد ان بدر الدين دفن فيه بعد وفاته فى عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م وذلك استنادا إلى كتابة منقوشة على الصندوق الخشبى الذى يغطى القبر، والإمام يحيى هو ابن القاسم بن الحسن بن على بن ابى طالب[٢٧].

جاء تخطيط المشهد من مربع مقاييسه ٧,٩٠×٧م من الداخل يرتفع بمقدار ٧م تعلوه قبة مخروطية مضلعة، يتوسط الضلع الشمالى فيه مدخل ذو عقد مدبب، وقد شيد بالطابوق والجص وبلطت ارضيته بالمرمر ووزر بالواح من المرمر يتوجها شريطان، يزدان الاسفل بزخارف نباتية، أما العلوى فيزدان بكتابات بخط الثلث حفرت فى المرمر وملئت بالجص كأنها مطعمة بمرّمر ابيض فى مرمر ازرق، وتشتمل على تاريخ تجديد المشهد فى عام ٧١٩هـ/ ١٣١٠م، ويرتفع البناء بمقدار ١٥م عن مستوى سطح الارض، ويعد من اروع مشاهد العراق فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، وقد عمل المعمار على تطويل منطقة الانتقال لتحويل المربع إلى مثمن فجعل طولها ٣م بحيث بدت وكأنها رقبة طويلة وحلقة تنسيق وانسجام بين القاعدة المربعة والقمة المضلعة، ويبلغ ارتفاع القبة حوالى ٥م، وكشفت اعمال الترميم أن البرج أو القبة المخروطية يغلف قبة مقرنصة جميلة يبلغ عدد صفوف مقرنصاتها من الخارج ثلاثة فقط، وتنتهى برأس مقبى يجلس على قاعدة مثمنة، وتعد هذه القبة المزدوجة من الروعة بحيث تجسد الاهمية الخاصة لهذا المشهد[٢٨].

تنوعت النقوش الكتابية التى نفذت حفرا وقطعا على الطابوق، وغطيت جميع

الجدران من الداخل بزخارف هندسية تتوجها كتابات بخط الثلث تشتمل على اسم من أمر بالبناء وتاريخ البناء واسم المتولى وهو سعد الدين سنبك بن عبد الله من مماليك بدر الدين لؤلؤ الذى اشرف على بناء قصر بدر الدين لؤلؤ (قره سراى)، ويغطى كوشات النوافذ والمداخل من الداخل وحدات زخرفية دقيقة ذات اشكال هندسية تحيط بحشوات من رسوم نباتية دقيقة، وتعد زخارف بواطن المشاكى والحنايا الاربع التى تزين الواجهة الشمالية وكوشاتها وتلك التى تتوج المدخل من اروع زخارف المشهد، وهى زخارف تنوعت ما بين هندسية ونباتية، وقد نفذت بطابوق مزجج بلون ازرق مع طابوق اصفر وتزيد فى روعة هذه الزخارف الكتابات الكوفية المضفرة والمورقة، ويمثل طراز هذا المشهد المعمارى عددا من المشاهد التى شيدت فى مدينة الموصل وسنجار خلال النصف الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى أى خلال حكم الاتابكة، ولعل من اروع هذه المشاهد مشهد الإمام عون الدين الذى امر بتشييده بدر الدين لؤلؤ فى عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م والذى اشتهر بقبته المخروطية، وهناك ايضا ترب الباهر والشيخ فتحى وابن الحنيفة او على الاصفر فى الموصل وتربة زينب فى سنجار وجميعها ذات ابراج مخروطية ترتكز على قواعد مثمنة ترتكز بدورها على قاعات مربعة، وقد انتشر هذا النوع فى المنطقة الشمالية(٢٩).

قبة ضريح الست زينب ٦٤٤هـ/١٢٤٦م

ينسب هذا الضريح إلى السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب، وهو يقع على ربوة عالية فى مدخل مدينة سنجار، يتوصل إلى فناءه من مدخل صغير ثم ينزل إلى البناء من مدخل من خلال درجتين تؤديان إلى قاعة مربعة ابعادها ٣,٤٠×٣,٦٢م، تشتمل فى جدارها الجنوبى على محراب حجرى غطى بطبقة من الجص تزدان بزخارف نباتية محفورة فى الجص، وقد جاء المحراب بارتفاع ٣م واتساع ١,٤٠م يحيط به اطار من الجص يشتمل على كتابة نسخية تمثل سورة الكرسى، وقد غطيت هذه القاعة بقبة ترتكز على ثلاثة صفوف من المقرنصات، وتقوم فوقها القبة المحارية الشكل، ويبلغ ارتفاع القبة الكلى حوالى ٧م، وهى نصف كروية، اما قبة الضريح فهى مخروطية الشكل[٣٠].

تشتمل القبة على مدخلين فى الجدارين الشرقى والغربى من الحجر، يؤدى أحدهما إلى غرفة مربعة الشكل ابعادها ٣,٤٠×٣,٣٠م، أما الآخر فيعلوه عقد يزدان بزخارف نباتية محفورة فى الحجر، وهو يؤدى إلى غرفة الضريح التى جاءت مستطيلة الشكل ابعادها ٥,٤٠×٣,٧٣م تشتمل فى الوسط منها على قبر شيد بالحجر والجص، كما تشتمل على محراب صغير، والقبة من أعلى طليت بالجص بحيث فقدت معالمها، أما من الخارج فالقبة مضلعة مخروطية الشكل، وقد شيدت الاجزاء الاصلية من الضريح فى عهد بدر الدين لؤلؤ خلال الفترة من سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م وهى السنة التى استولى فيها على سنجار إلى سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م، وقد جدد هذا الضريح فى تاريخ لاحق كما يتضح من نص على لوحة رخامية موجودة على جدار غرفة الضريح من خارج البناء[٣١].

مشهد الإمام عون الدين ٦٤٦هـ/١٢٤٨م

يتوسط هذا المشهد محلة تعرف باسمه بالقسم الجنوبى الشرقى من مدينة الموصل شيده بدر الدين لؤلؤ فى عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وقد جاء تخطيط الأثر من مربع تنخفض أرضيته عن سطح الأرض التى تحيط بالمدفن، لذا يهبط اليها من خلال سلم يتكون من تسع درجات، ويبلغ طول ضلع مربع المشهد من الداخل ٨م فرشت أرضيته بالواح مرمرية ووزرت جدرانه ايضا بالواح مرمرية تنتهى بكتابات حفرت على المرمر تشتمل على تاريخ الإنشاء ومن امر ببنائه وهو بدر الدين لؤلؤ، ويمثل هذا الشريط الكتابى لوحة فنية جميلة(٣٢).

والقبر مغطى بصندوق خشبى مثل قبر الإمام يحيى يزدان بزخارف وكتابات غاية فى الدقة والاتقان، ويشتمل المشهد على محراب من مرمر أزرق، وقد أوجد المعمار فى جدران المشهد نوافذ الغرض منها الاضاءة والتهوية، ثم ترتكز قبة مخروطية مضلعة من خلال منطقة انتقال طويلة نسبيًا تربط بين الطابق المربع، والقبة المخروطية المضلعة كما هو الحال فى عمارة مشهد الإمام يحيى، يقع المدخل فى الضلع الشمالى، وهو من أروع المداخل فى مدينة الموصل، حيث تزدان واجهته من الخارج بإطار جميل يشتمل على حنايا ذات عقود مفصصة وتزدان هذه الحنايا بزخارف نباتية، والواجهة كلها من الرخام الأزرق وتزدان باشرطة كتابية تليها اشرطة ذات زخارف نباتية ثم اشرطة أخرى كتابية بخط الثلث كما فى الاشرطة السابقة، ومن الوحدات الزخرفية التى استخدمت فى زخرفة المدخل الأطباق النجمية وقد استخدمت ايضا فى مشهد يحيى بن القاسم وسوف نراها بعد ذلك فى المدرسة المستنصرية وقد شيد البناء بالحجر والجص إلى ارتفاع ١٤م أما بقيته فشيد بالطابوق والجص ويرتفع البناء حوالى ٣٠م(٣٣).

قبة مقام الخضر

يقوم هذا الضريح على مرتفع اثرى يعرف بالاسم نفسه، ويقع إلى الجنوب من ناحية كبيسة من اعمال هيت، شيد بالحجر والجص، وهو عبارة عن تكوين معمارى مربع الشكل طول ضلعه ٣,٥٠م من الداخل و ٥,٣٠م من الخارج تعلوه قبة مضلعة مخروطية ذات ستة عشر ضلعا، وعلى ارتفاع ٣م توجد اشكال مستطيلات تشتمل فى داخلها على زخارف جصية هندسية، وتشتمل القبة على محراب على محور المدخل جاء بإتساع ٦٠سم، وعرض ٨٥سم، وارتفاع ١,٥٠م، كما تشتمل على اربع نوافذ متقابلة، أما منطقة الانتقال فمن صفين من الحنايا، وتؤرخ هذه القبة الضريحية بعهد الاتابكة ٥٢١-٦٦٠هـ/ ١١٢٧-١٢٦١م(٣٤).

قبة الشيخ حديد، قبة ضريح نجم الدين

تنسب هذه القبة إلى محمد بن موسى الكاظم، وتقع إلى الغرب من مركز قضاء حديثة، والضريح يتكون من مثمن طول كل ضلع من اضلاعه ١,٦٠م بسمك ٨٠سم خال من الزخارف والنقوش، أما القبة فهى من الحجر والجص، وعلى ارتفاع ١,٧٠م توجد حنية غير عميقة تضم فى داخلها مشكاة يتوجها عقد مفصص، وعلى ارتفاع ٣٠سم منها توجد مشكاة، ويدور حول جدران الضريح اطار خال من الزخارف، يعلوه اطار آخر تقوم فوقه صفوف المقرنصات الثمانية المنشورية الشكل، وتشبه هذه القبة الضريحية قبة ضريح نجم الدين التى تقع إلى الغرب من مركز قضاء حديثة، والتى شيدت ايضا من الحجر والجص فهى عبارة عن بناء مثمن طول كل ضلع من اضلاعه الداخلية ٢م بسمك ٧٨سم، وقد اوجد المعمار على ارتفاع ١,٦٠م دخلة غير عميقة فيما عدا المدخل جاءت بإتساع ام وارتفاع ١,٦٠م تشتمل فى داخلها على دخلة اخرى غير عميقة يتوجها عقد مقصوص، يعلو هذه الدخلات اطار خال من الزخارف، يعلوه اطار آخر، يعلوه اطار ثالث، يقوم فوقه صف من الحنايا يمثل منطقة الانتقال[٣٥].

هوامش وتعليقات الفصل الثالث

(١) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٦٨٨. ، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٣٥٤. ، Creswell: Ashort Account, P. 373.

(٢) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٦٨. شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٥٤-٣٥٥.

Creswell: Ashort Account, PP. 373-374.

(٣) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٧٠-٧١.

(٤) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٧٢-٧٣. ، علاء الدين أحمد العانى: المشاهد ذات القباب المخروطة فى العراق، المؤسسة العامة للاثار والتراث، وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م ص ص ٤٥-٦٢. ورد هذا النص الأخير فى كتاب القباب المخروطية فى العراق على النحو التالى: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر بعمل القبة الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش رحمه الله - وبعده عميدى العزاز ابو الفتح طاهر وابو المحاسن عبد الجليل ولدى على بن محمد الدهستا اجرهما الله - هذا ما أمر بتمامه الحاجب ابى جعفر محمد بن الاصفهاسلار الخطير بن منصور اجره الله - كان المتولى القاضى مؤنس ابن حمدان رحمه الله وتولى بعده الحسن بن رافع اجره الله - هذا صنعة يدى ابو شاكر بن الفرج ابن ناسوه البناء اجره الله.

مزيد من التفاصيل أنظر:

عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب المخروطية فى العراق، وزارة الاعلام، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٤م ص ص ١٩-٢٢.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤١٧-٤١٩.

(٥) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٧٣-٧٤.

(٦) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٧٧-٨٢.، عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب المخروطية، ص ص ٢٢-٢٤.

(٧) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ ٢، ص ص ٨٢-٨٤.، عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب المخروطية، ص ص ٢٤-٢٥.

(٨) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب المخروطية، ص ٢٦.

(٩) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٩٥. شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٤١٣ مزيد من التفاصيل عن الاراء التى ذكرت عن هذا الضريح انظر : عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب المخروطية، ص ص ٢٨-٢٩.

(١٠) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٩٦. عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب المخروطية، ص ص ٣٠-٣١.

(١١) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٩٩.

(١٢) مزيد من التفاصيل انظر: عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ٣١.

(١٣) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٨٤-٨٥.

(١٤) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٨٤-٨٥.

(١٥) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٨٧-٨٩.

(١٦) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٣٣-٣٤.

(١٧) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٣٤-٣٥.

(١٨) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ٣٧.، علاء الدين أحمد العانى: المشاهد ذات القباب، ص ٦٢.

(١٩) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٣٧-٣٨.

(٢٠) عرف الضريح بهذا الاسم نسبة إلى الرواية التى تقول أن الإمام على عندما وصل إلى هذا الموضع فى طريقه إلى صفين وقد قاربت الشمس إلى المغيب ولم يكن قد صلى العصر فدعى الله أن يعيد الشمس إلى كبد السماء فعادت باذن الله فبنى هذا المشهد اكراما لهذه الذكرى، وقال الهروى قيل انها ردث لحزقيل النبى، وقيل ليوشع بن نون، وقيل للامام على. عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ٤٥.

(٢١) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٢) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ٣٩.

(٢٣) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٣٩-٤١.

(٢٤) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٤١-٤٣.

(٢٥) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٤٩-٥٠.

(٢٦) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ٥٠.

(٢٧) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ١٠١، عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٥١-٥٢.

(٢٨) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ١٠١-١٠٣، عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ٥٢.

مزيد من التفاصيل انظر: شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٢٩) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ١٠٥-١٠٧.، عطا

الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٥٥-٥٧.

(٣٠) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٥٩-٦٠.

(٣١) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٦٠-٦٢.

(٣٢) د. عيس سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ١٠٧-١٠٩.، عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٦٣-٦٤.

(٣٣) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ١٠٩-١١١.، عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ٦٦.

(٣٤) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٦٧-٦٩.

(٣٥) عطا الحديثى، هناء عبد الخالق: القباب، ص ص ٧٣-٧٤.

الفصل الرابع

العمارة المدنية (المدن والقصور)
والاستحكامات الحربية فى العراق

مدينة بغداد ١٤٥-١٤٩هـ/ ٧٦٢-٧٦٦م

شهدت مدينة الكوفة قيام الدولة العباسية فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م بعد أن تم النصر للجيوش العباسية فى خراسان وفى العراق، ثم خرج الخليفة العباسى ابو العباس بعد الخطبة فعسكر بحمام اعين كما تقدم، حيث آثر أن يقيم بين جنده لادارة شئون الدولة السياسية والادارية والعسكرية، ثم اطلق ابو العباس اسم الهاشمية على المدينة التى شيدها ابن هبيرة بالكوفة على الفرات، ثم تحول عنها لانها لم تشتهر بين الناس بالاسم الذى اراده لها فشيد مدينة جديدة عرفت ايضا بالهاشمية وكانت تقع على شاطئ الفرات، وظل بها ابو العباس حتى توفى فى عام ١٣٦هـ/ ٧٥٤م، ثم نزلها الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور، وبلغت اوج ازدهارها فى عهده.

ادرك الخليفة أبو جعفر المنصور ان الهاشمية الجديدة لا تصلح حاضرة لدولته لقربها من الكوفة مقر الشيعة ومركز دعايتهم من جهة، ولأنها كانت معسكر القبائل العربية من جهة أخرى، خاصة بعد ثورة الراوندية التى تقدم ذكرها فتحول منها إلى بغداد يذكر د. طاهر العميد أنه يتضح من الروايات التاريخية بصورة جلية أن الخليفة المنصور اهتم اهتماما خاصا باختيار الموقع الذى سيقيم عليه مدينته الجديدة المستديرة، فقد تفحصه تفحص خبير عارف، ودرسه دراسة مستفيضة عميقة، وارسل الوفود إلى عدة مناطق، بل أنه لم يكتف بذلك وانما تنقل بنفسه فى عدة مناطق، ودعا بعض اصحاب تلك المناطق الذين يسكنون فيها، فشاورهم فى الامر فتكونت بذلك للمنصور فكرة واضحة وهى أن هذه المنطقة هى افضل منطقة لتشييد حاضرته[1].

ادرك الخليفة المنصور من الناحية السياسية موقع بغداد الاستراتيجى، حيث تقع فى وسط العراق. كما ادرك من الناحية العسكرية عقب ثورة الراوندية ضرورة الأنتقال إلى موضع حصين منيع بعد ان استعرض تحصينات الهاشمية ورأى بثاقب بصره أن هذه الاستحكامات الحربية لا يمكن أن تحقق حفظ الأمن وسلامة الدولة فاختار موضع بغداد الذى امتاز بموقع عسكرى طبيعى، ومن الناحية الاقتصادية فان موقع بغداد يعتبر مركزا وسطا بين الاقطار الإسلامية الشرقية والغربية فهى تقع على الطرق التجارية من جهة وتكاد تكون على مسافة متساوية بين البصرة والموصل او انها تتوسط المناطق الشمالية والجنوبية من جهة اخرى، كذلك فأن موضع بغداد فى المنطقة الواقعة إلى غربى نهر دجلة، والمحصورة فى البقعة التى يقترب عندها النهران الكبيران دجلة والفرات يحقق الناحية الطبيعية والمناخية والصحية، فهى منطقة سهلة منبسطة، تحيطها من الغرب اراضى مستوية ترتفع قليلا كلما اقتربت من وادى الفرات(٢).

أما فيما يتعلق باسم بغداد فقد أورد اليعقوبى عنها وعن اسمها ما نصه «وذكرت بغداد لأنها وسط العراق، والمدينة العظمى التى ليس لها نظير فى مشارق الأرض ومغاربها، سعة وكبرا وعمارة، وكثرة مياه، وصحة هواء، ولأنه سكنها من اصناف الناس، وأهل الامصار والكور.. فاجتمع بها ماليس فى مدينة فى الدنيا. ثم يجرى فى حافتيها النهران الاعظمان، دجلة والفرات، فيأتيها التجارات والمير بر وبحرا، بأيسر السعى، حتى تكامل بها كل متجر، يحمل من المشرق والمغرب.. وجمعت فيها ذخائر الدنيا.. ولها الاسم المشهور والذكر الذائع. ثم هى وسط الدنيا.. حسنت اخلاق اهلها، ونضرت وجوههم.. حتى فضلوا الناس، فى العلم، والفهم، والادب، والنظر، والتمييز، والتجارات، والصناعات، والمكاسب، والحذق بكل مناظرة، واحكام كل مهنة، واتقان كل صناعة.. ولم تكن بغداد مدينة فى الايام المتقدمة.. وإنما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا»(٣)، وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه أن اسم بغداد الذى اشتهرت به المدينة لم يكن اسما جديدا استحدث مع بنائها او ظهر فيما بعد، وإنما كان اسما قديما يرجع إلى الفترة التى سبقت الفتح الإسلامى للعراق(٤).

آثر الخليفة المنصور أن يطلق على مدينته اسم «مدينة السلام»، قال ياقوت الحموى» أم الدنيا وسيدة البلاد.. وقال حمزة بن الحسن: بغداد اسم فارسى معرب عن باغ داذويه، لان بعض رقعة مدينة المنصور كان باغا لرجل من الفرس اسمه دازويه، وبعضها اثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل فقالوا: ما الذى يأمر الملك ان تسمى به هذه المدينة؟ فقال: هلدوه وروز أى خلوها بسلام، فحكى ذلك للمنصور فقال: سميتها مدينة السلام، وفى بغداد سبع لغات»[٥]، وعلى ما يبدو فإن الاسم الجديد لم ينتشر انتشارا واسعا، اذ سرعان ما تحول الناس عنه إلى اسم بغداد، واقتصر استعمال مدينة السلام على الوثائق الرسمية التى تصدر من دار الخلافة وعلى المراسلات التى تدور بين الخليفة وولاة الاقاليم وقواد الجيوش، واستعمل الاسم كذلك فى دار الضرب ببغداد، ومن المرجح أن المنصور آثر تسميتها بهذا الاسم لانه ورد فى القرآن الكريم فى عدة مواضع بمعنى الجنة، وقد وردت لفظة «السلام» و «سلام» و «سلاما» فى ثلاثة واربعين موضعا من القرآن الكريم، وقيل بأن بغداد سميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة، وكانت دجلة تسمى قصر السلام وقيل سميت الزورراء[٦].

أما فيما يتعلق بمساحة بغداد فقد اختلف الرواة كما يذكر د. طاهر العميد فى مقاييس هذه المدينة فيذكر اليعقوبى ما نصه «وجعل للمدينة اربعة أبواب: باب سماه باب الكوفة، وبابا سماه باب البصرة، وبابا سماه باب خراسان، وبابا سماه باب الشام. وبين كل باب منها إلى الاخر خمسة الاف ذراع، بالذراع السوداء من خارج الخندق»[٧]، ويعلق د. طاهر العميد على رواية اليعقوبى بقوله أنه يتضح منها أن بين كل بابين خمسة الاف ذراع، ولما كانت المسافة بين جميع الأبواب الأربعة متساوية فان محيط المدينة المدورة يكون (٢٠,٠٠٠) ذراع، وهو طول السور الخارجى أى حوالى ١٠,٠٠٠م، وتكون مساحة المدينة المستديرة (٧,٩٤٥,٤٥٧م) مربعا أى أن مساحتها حوالى ثمانية كيلو مترات مربعة، ويضيف أن الخطيب البغدادى يروى ست روايات فى مساحة بغداد[٨].

ويحدثنا اليعقوبى عن المهندسين والصناع والفعلة فيقول «وقسم الارباض أربعة ارباع، وقلد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين، واعطى اصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع، ومبلغ ذرع ما لعمل الاسواق فى ربض ربض فقلد الربع من باب الكوفة إلى باب البصرة، وباب المحمول والكرخ وما إتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس والربع من باب الكوفة إلى باب الشام، وشارع طريق الانبار إلى حد ربض حرب بن عبد الله سليمان بن مجالد وواضحا مولاه، وعبد الله بن محرز المهندس والربع من باب الشام إلى ربض حرب، وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك إلى الجسر على منتهى دجلة، حرب بن عبد الله وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس. ومن باب خراسان إلى الجسر الذى على دجلة مادا فى الشارع على دجلة إلى البغيين، وباب قطر بل هشام بن عمرو، التغلبى، وعمارة بن حمزة، وشهاب بن كثير المهندس»(٩)، وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه أن القادة والموالى والمهندسين كانوا يشرفون على الأرباض الاربعة بواقع ثلاثة على كل ربض منها، وأما المهندسون فهم عمران بن الوضاح وعبد الله بن محرز، والحجاج بن يوسف وشهاب بن كثير، ويذكر د. طاهر العميد أنه اضافة إلى هؤلاء كان يشرف على البناء بعض المراقبين، وأغلب الظن أن المنصور اختار الحجاج بن ارطأة وابى حنيفة النعمان بن ثابت ليشرفا على سير العمل، قال اليعقوبى «ثم وجه فى احضار المهندسين، وأهل المعرفة بالبناء، والعلم بالذرع والمساحة، وقسمة الارضين، حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبى جعفر. واحضر البنائين، والفعلة، والصناع من النجارين، والحدادين، والحفارين، فلما اجتمعوا وتكاملوا، أجرى عليهم الارزاق، وأقام لهم الاجرة. وكتب إلى كل بلد فى حمل من فيه، من يفهم شيئا من البناء، فحضره مائة الف من أصناف المهن والصناعات، خبر بهذا جماعة من المشايخ، أن ابا جعفر المنصور لم يبتد البناء، حتى تكامل له من الفعلة، واهل المهن مائة الف... ولا تعرف فى جميع اقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها..»(١٠).

كان الخليفة المنصور يتمتع بنظرة فاحصة وصائبة فى مجال التخطيط والعمارة وعلى دراية كبيرة بالنواحى الهندسية والمعمارية، فقد احب أن يتبين معالم تخطيط مدينته التى اسهم هو ومهندسوه فى وضع فكرتها وتصميمها «فأمر أن يخط بالرماد ثم اقبل يدخل من كل باب ويمر فى فصلاتها وطاقاتها ورحابها وهى مخطوطة بالرماد ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها فلما فعل ذلك امر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن وينصب عليه النفط فنظر اليها والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها وامر أن يحفر اساس ذلك على الرسم ثم ابتدئ فى عملها»، وبعد ذلك حضر الاساس ووضع أول لبنة بيده وقال «بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله»[١١].

يرى د. طاهر العميد بعد استعراض معظم الاراء التى ذكرت من قبل المؤرخين وعلماء الاثار فيما يتعلق بالسنة التى شرع فيها المنصور فى عمارة مدينته أن سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م تمثل التاريخ الاقرب إلى الواقع[١٢].

ويعد تخطيط مدينة السلام هو اروع ما وصل إليه فن تخطيط المدن فى العالم الإسلامى، ويمثل قمة تطور هذا الفن، غير ان دراسة تخطيط البصرة والكوفة وواسط يكشف عن أن هذا الفن قد بدأ فى تخطيط البصرة ونما فى الكوفة ونضج عند انشاء واسط، ثم ازدهر وبلغ القمة فى مدينة بغداد.

امر الخليفة بإحضار المهندسين والصناع والعمال واهل الخبرة فى شئون البناء ومختلف الصناعات من كافة اقاليم الخلافة، وقد قيل أن عددهم قد بلغ نحو المائة الف شخص، كانوا يتقاضون اجرا، واغلب الظن أن البناء ابتدأ أولا فى القصر ودواوين الدولة وقصور الامراء والتى كانت تتوسط المدينة، وتم انجاز ذلك خلال سنة واحدة فقط، وتم ايضا انجاز دور السكن والمسجد فى نفس العام، أما الأسوار فقد اكملت فيما بعد ذلك، واطلق الخليفة على مدينته هذه مدينة السلام[١٣].

أما ابرز ما يميز مدينة المنصور فهو شكلها المستدير، فقد أتقن من خططها تدويرها وجعلها بهيئة حلقات متتابعة تصغر كلما اقتربت من المركز، حيث يشغل قصر الخليفة النقطة المركزية المحورية الرئيسية فيه.

أما الصفة الثانية المميزة لها فهى تحصينها القوى والمتألف من خندق وسورين هائلين، أو من خندق وثلاثة اسوار.

أما السمة الثالثة التى تتسم بها المدينة فهى ترتيب الأسواق على جانب الشوارع الاربعة الرئيسية التى تربط قلب المدينة بجسور الخندق الاربعة التى يؤدى كل منها إلى أحد المداخل الاربعة فى سور المدينة الخارجى.

أما السمة الرابعة فهى جعل خطط الناس بين السور الاعظم والسور الفاصل بينها وبين القسم المركزى فى المدينة، والذى دعى بالرحبة العظمى، وقد جعلت الخطط ذات طابع هندسى اى تخترقها شوارع مستقيمة تؤدى إلى شوارع رئيسية أخرى تفصل بين الخطط والاسوار. وتخطيط المدينة محكم سواء تتبعناه من الداخل إلى الخارج أو من الخارج إلى الداخل، فمن الخارج يجب أن نعبر أحد الابواب الاربعة المشيدة على الخندق، والخندق عميق يطوق المدينة، ويمد بالماء من نهر كرخايا وليس من دجلة مباشرة وكان القصد من حفر الخندق حول المدينة زيادة تحصين المدينة، وهو الامر الذى يحقق الهدف العسكرى الذى كان الخليفة يرمى إلى تحقيقه، ويلى الخندق السور الخارجى الأول واغلب الظن أن المداخل التى كانت تخترق هذا السور ذات صفة حربية (ابواب منكسرة)، وهى اربعة مداخل تتمثل فى باب الشام، وباب خراسان، وباب البصرة، وباب الكوفة، ويفصل السور الأول عن السور الثانى فصيل بعرض ٥٠م خال من البناء، أما السور الثانى فهو السور الرئيسى فى المدينة ويدعى بالسور الاعظم يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٠م بعرض فى اساسه ٤٥م، ويتناقص هذا العرض كلما ارتفع السور إلى أن يصبح ١٢م، وكان يدعم هذا السور ابراج من الخارج على هيئة نصف دائرية يبلغ عددها (١١٣) برجا تتوزع بين المداخل الاربعة بمعدل (٢٨) برجا بين

كل بابين فيما عدا المسافة بين بابى الكوفة والبصرة فيبلغ عددها (٢٩) برجا، وتقع المداخل التى تخترق السور الاعظم على استقامة تلك التى تنفذ من السور الخارجى، وكما تقدم فقد سميت هذه المداخل بأسماء المدن المتجهة اليها فسمى الشمالى الغربى بباب الشام، وسمى الجنوبى الغربى بباب الكوفة، وسمى الجنوبى بباب البصرة، أما الشرقى فسمى بباب خراسان، واقيمت فوق كل باب قبة عالية، ويبلغ عرض الفصيل الثانى حوالى ١٥٠م، وقد خصص لخطط من سكن مدينة السلام من الناس، وقد نسقت هذه الخطط بحيث تخترقها شوارع رئيسية تؤدى من جهة إلى شارع رئيسى يفصل ما بين هذه الخطط والسور الثالث وإلى شارع آخر يعزلها عن السور الاعظم من الجهة الثانية من جهة أخرى(١٤).

وقد كانت هذه الخطط غير قبائلية بل مهنية على غرار خطط مدينة واسط وتخترق الشوارع الأربعة الرئيسية هذه الخطط على هيئة دهاليز مسقوفة على جانبيها حنايا جعلت حوانيت للتجار فى المدينة، وهى توصل ما بين مداخل السور الاعظم ومداخل السور الثالث، أما السور الثالث فيفصل بين الخطط والرحبة العظمى أو مركز المدينة، حيث القصر والمسجد الجامع ودواوين الدولة التى تستدير حولهما بشكل دائرى بديع، وهناك اوجه شبه بين هذه المدينة ومدينة واسط تتمثل فى تحصين المدينة، وتقسيمها إلى أربعة ارباع من خلال اربعة شوارع رئيسية تخترق المنشآت باستقامة تامة وتلتقى او تتقاطع فى مركز المدينة وتتوزع بينها خطط الناس، ثم طبيعة الخطط فهى غير قبائلية فى المدينتين، هذا وتتطابق قياسات القصر والمسجد الجامع فى المدينتين، كما يتطابق موقعها من المدينة، حيث جعل القصر النقطة المركزية(١٥).

أما الشوارع الاربعة الرئيسية فتتقاطع فى نقطة مركزية تمثل القصر الذى عرف بقصر القبة الخضراء وبقصر باب الذهب، وقد أمر الخليفة أن يكون مربعا طول ضلعه ٢٠٠م وقد كانت القبة الخضراء على ارتفاع يبلغ ٣٥م يعلوها تمثال لفارس يحمل رمحا ويدور مع الريح وفى عام ٣٢٩هـ/ ٩٤١م سقطت قمة القبة، ثم سقطت القبة فى عام ٦٥٣هـ/ ١٢٦٦م بسبب الفيضان.

وجعل المسجد ملتصقا به من الجهة الشمالية الشرقية، وقد جاء ايضا مربعا طول ضلعه ١٠٠م، وقد شيد القصر بالطابوق والجص أما المسجد فشيد باللبن مثل اسوار المدينة، وقد تم انجاز بناء القصر والجامع والدواوين والدور العامة كما تقدم خلال عام واحد، أما الاسوار فقد اكتملت فى عام ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، وتتفق مدينة بغداد ومدينة واسط فى اسلوب التحصين، وفى جعل المدينة اربعة ارباع بواسطة اربعة شوارع رئيسية، وقد ترتب على تشييد الجامع بعد الفراغ من تشييد القصر إلى وجود انحراف فى المسجدين فى واسط وبغداد، كما امتد التناظر إلى التسمية أيضا فدعى قصر الحجاج بقصر القبة الخضراء، ودعى قصر المنصور بقصر القبة الخضراء بالاضافة إلى تسمية اخرى هى قصر باب الذهب أو قصر الذهب، وهو الامر الذى يدل على أن تخطيط مدينة بغداد يعد استمرارا لتخطيط مدينة واسط، الا أنه أكثر تطورا فى بغداد التى كانت تمثل حاضرة العالم الإسلامى مقارنة بواسط التى شيدت لتكون قصرا لأمير وليس لخليفة.

بغداد من خلال وصف اليعقوبى:

ونورد فى نهاية حديثنا عن بغداد وصفا مختصرا للمدينة من حيث التخطيط والوحدات والعناصر المعمارية من خلال نص اليعقوبى كما يلى «ووضع اساس المدينة فى وقت اختاره نوبخت المنجم، وما شا الله بن سارية.. وحفرت الابار للماء، وعملت القناة التى تأخذ من نهر كرخايا، وهو النهر الآخذ من الفرات، فاتقنت القناة، واجريت إلى داخل المدينة للشرب، ولضرب اللبن، وبل الطين. وجعل للمدينة اربعة ابواب.. وعلى كل باب منها بابا حديد عظيمان جليلان، ولا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه الاجماعة رجال.. وجعل سورها باللبن العظام التى لم ير مثلها قط.. وارتفاعه ستون ذراعا مع الشرافات وحول السور فصيل جليل عظيم.. وللفصيل ابرجة عظام، وعليه الشرافات المدورة.. وجعل لابواب المدينة اربعة دهاليز عظاما آزاجا كلها.. كلها معقودا بالآجر والجص. فإذا دخل من الدهليز الذى على الفصيل، وافى رحبة مفروشة بالصخر، ثم دهليزا على السور الاعظم، عليه بابا حديد جليلان عظيمان.. فإذا دخل من

دهليز السور الاعظم، سار فى رحبة إلى طاقات معقودة بالآجر والجص، فيها كواء رومية، يدخل منها الشمس والضوء، ولايدخل منها المطر.. وعلى كل باب من ابواب المدينة التى على السور الاعظم، قبة معقودة، عظيمة مذهبة.. وفى وسط الرحبة القصر الذى سمى بابه باب الذهب، وإلى جنب القصر المسجد الجامع ليس حول القصر بناء، ولا دار، ولامسكن لاحد، إلا دار من ناحية باب الشام للحرس، وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص، يجلس فى احداهما صاحب الشرطة، وفى الاخرى صاحب الحرس، وهى اليوم يصلى فيها الناس وحول الرحبة كما تدور منازل اولاد المنصور الاصاغر، ومن يقرب من خدمته من عبيده، وبيت المال، وخزانة السلام، وديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان الجند، وديوان الحوائج، وديوان الاحشام، ومطبخ العامة، وديوان النفقات. وبين الطاقات إلى الطاقات السكك والدروب، تعرف بقواده ومواليه، وبسكان كل سكة»[١٦].

مدينة الرصافة أو عسكر المهدى ١٥١-١٥٤هـ/ ٧٦٨-٧٧١م

أراد الخليفة المنصور أن تكون بغداد مركزا مدنيا واداريا للعالم الإسلامى لذلك أمر أن تكون ثكنات الجيش الذى كان يقوده المهدى فى الجانب الشرقى من دجلة فى مكان مقابل لمدينة السلام واطلق عليه اسم عسكر المهدى أو الرصافة قال البلاذرى «وبنى المنصور للمهدى الرصافة فى الجانب الشرقى ببغداد وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدى لأنه عسكر فيه حين خرج إلى الرى»، فقد كان هذا الموضع معسكرا للجيش العباسى، ثم ابتدأ البناء فيه فى عام ١٥١هـ/ ٧٦٨م، خاصة بعد عودة الجيش من الرى بقيادة المهدى، وجعل لها الخليفة سورا وخندقا وميدانا وأوصل الماء إلى الخندق، وتم انجاز ذلك فى عام ١٥٤هـ/ ٧٧١م قال اليعقوبى «والجانب الشرقى من بغداد نزله المهدى بن المنصور، وهو ولى عهد ابيه. وابتدأ بناءه فى سنة ثلاث واربعين ومائة، فاختط المهدى قصره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع، الذى فى الرصافة، وحفر نهرا يأخذ من النهر وان، سماه نهر المهدى، يجرى فى الجانب الشرقي، واقطع المنصور اخوته وقواده، بعدما اقطع من بالجانب الغربى، وهو جانب مدينته، وقسمت القطائع فى هذا الجانب، وهو يعرف بعسكر المهدى، وتنافس الناس فى النزول على المهدى.. فبنوا فيه، وصار فيه الاسواق والتجارات»(١٧).

ويبدو أن محمد المهدى فضل الاقامة فى الرصافة منذ ولى الخلافة (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) على السكن فى بغداد، فقد امر فى عام ١٥٩هـ/ ٧٧٦م ببناء مسجد فيها، وامر ايضا ببناء قصر له فى قلبها بالقرب من الجامع وكان الخليفة المنصور قد شيد قصرا آخر عرف بقصر الخلد خارج مدينة بغداد فى عام ١٥٧هـ/ ٧٧٤م على شاطئ دجلة قرب الجسر الذى كان يربط بين

بغداد والرصافة، وقد فضل عدد من الخلفاء سكن قصر الرصافة، خاصة الخليفة المأمون، وكان لهذا اثره فى عدم توسع بغداد، وبمرور الزمن نشأت الاحياء حول الرصافة، وكثرت القصور فى الجانب الشرقى فنقلت الدواوين اليه وشيد جعفر البرمكى قصرا عرف بقصر الجعفرية، وعرف بدار الخلافة فى عهد المأمون، وكان هذا القصر نواة لبغداد الشرقية(١٨).

وقد اثر على عدم توسع بغداد وازدهارها قرار الخليفة المعتصم بالله بإنشاء مدينة سامراء فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، ثم عاد الخلفاء إلى بغداد، وبدأ العمران فيها ثانية إلى أن سقطت المدينة فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م(١٩).

مدينة الرقة (الرافقة) ١٥٥هـ/ ٧٧٢م

أنشأها الخليفة أبو جعفر المنصور فى عام ١٥٥هـ/ ٧٧٢م، وقد عرفت بالرافقة[٢٠]، وكانت على غرار مدينة بغداد، تقع على نهر الفرات. . وأقام فيها فصائل من جنده الخراسانيين بهدف حماية الجبهة السورية من غارات الروم[٢١].

وقد عهد الخليفة المنصور ببنائها إلى ابنه المهدى، ويقع مسجدها الجامع فى منتصف القسم الشمالى منها، وقد جعل سورها بشكل حدوة الفرس، اى انها مستديرة من ثلاث جهات هى الشمالية والشرقية والغربية، أما الجهة الرابعة الجنوبية فجاءت مستقيمة، ويبلغ طولها من الشرق إلى الغرب حوالى ١٥٠٠م، ونفس المسافة من الشمال إلى الجنوب، ولا تزال بعض اسوارها الداخلية فى كل من الشمال والغرب والقسم الشرقى من السور الجنوبى فى حالة جيدة، فى حين ان السور الشرقى يبدو فى حالة سيئة، وهى مشيدة على الصخر مباشرة بسمك ٥,٨٥م بإرتفاع يبلغ ١٠م، اما الاسوار الخارجية فكانت اقل ارتفاعا وسمكا من الاسوار الداخلية، وتخلو هذه الاسوار من الابراج الدائرية، ويفصل بينها وبين الاسوار الداخلية فصيل عرضه ٢٠,٨٠م، ويتقدمها خندق يبلغ عرضه ١٥,٩٠م[٢٢].

ومن المرجح أن المدينة كانت تشتمل على اربعة أبواب، وتوجد بقايا من باب عرف باسم بغداد يوجد فى الركن الجنوبى الشرقى، وقد تعددت الاراء بشأن تاريخ هذا الباب فقال هرتز فلد بنسبتها إلى الخليفة الرشيد الذى اعتاد الاقامة فى الرقة وبالتحديد فى عام ١٨٠هـ/ ٧٩٢م، وذكر كريسويل أنه يرجع إلى عهد الخليفة المنصور فى عام ١٥٥هـ/ ٧٧٢م، ويرجعها وارن إلى عصر ازدهار الرقة فى القرنين الرابع والخامس للهجرة / العاشر والحادى عشر للميلاد[٢٣].

قصر الأخيضر حوالى عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م

يقع قصر الاخيضر جنوب غربى مدينة كربلاء على مسافة لا تزيد عن ٥٠كم، وقد اختلفت الاراء حول وظيفته فهناك من يعتقد أنه حصن عسكرى يشكل خط دفاع من الغرب أو الجنوب الغربى لمدينة بغداد، ويعتقد آخرون أنه قصر صيد ونزهة، ويعتقد فريق ثالث أنه أحدى قلاع من انشق وتمرد على الخلافة فى مدينة بغداد، وهناك من يربطه بعدد من القصور أو الابنية التى تقع غربى الفرات وتوصل ما بين البصرة والشام اى أنه محطة للقوافل التجارية(٢٤).

واغلب الظن أنه شيد على يد الأمير العباسى عيسى بن موسى بن عبد الله فى حوالى عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م كدار امارة(٢٥).

وقد جاء مخطط القصر من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٧٦م، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ١٦٩م، يحيط به سور خارجى غاية فى القوة يشتمل على عدة وسائل دفاعية فريدة من نوعها فى تاريخ العمارة الإسلامية، ويشغل القصر جزءً كبيرا من هذه المساحة، وهو مستطيل الشكل طول جداره من الشمال إلى الجنوب ١١٢م، ومن الشرق إلى الغرب ٨٠م، يحيط به سور آخر يشتمل على عدة وسائل دفاعية، وتفصيل ذلك أن السور الخارجى قد وصل الينا فى حالة جيدة، وقد شيد بالحجارة والجص يرتفع بمقدار ١٩م بسمك ٥م، والسور مصمت إلى ارتفاع ١٠,٥م، أما القسم العلوى منه فهو على هيئة دهليز عرضه ٢م يغطيه قبو نصف برميلى، ويدور هذا الدهليز على السور كله، وتدعم السور ابراج نصف دائرية تقوم على قواعد مستطيلة، أما ابراج الاركان فهى شبه دائرية ترتكز على قواعد مربعة، وترتفع الابراج بارتفاع السور، وهى على هيئة غرف نصف دائرية وشبه دائرية فى القسم العلوى من السور، ويبلغ قطر هذه الابراج ٣,٣٠م، أما ابراج الاركان فقطرها

١٠,٥م، ويبلغ عدد ابراج السور ثمانية واربعون موزعة بالتساوى على الجدران، وتبلغ المسافة بين كل برجين ٧م، وقد اوجد المعمار بين كل برجين حنيتين تتوجهما عقود نصف دائرية ترتكز على دعامات مستطيلة ملتصقة بالجدار، وترتفع بارتفاع القسم المصمت من السور، وتغطى وجوه الجدران من الداخل حنايا بنفس العرض والارتفاع، الا أن وظيفتها غير دفاعية، كما فى الحنايا الخارجية، ويخترق السور اربعة مداخل تتوسط جدرانه الاربعة، ويتشابه تصميم المداخل الشرقية والغربية والجنوبية، أما المدخل الشمالى فيختلف عنها، حيث أوجد المعمار برجين مستطيلين على جانبيه بواقع برج فى كل جانب، أما فى بقية المداخل فإن تصميم الابراج على جانبيها جاء على هيئة نصف دائرية، ويمر الداخل إلى القصر من أى من هذه المداخل بفتحة باب مستطيلة يتوجها عقد مدبب، تؤدى إلى بهو مستطيل يؤدى بدوره إلى باب آخر يطل على داخل القصر، وعلى جانبى هذا الباب بابان بسلم يؤدى إلى القسم العلوى من السور وإلى غرفتين فوق بهو المدخل بشكل طابقين، وتخترق سقف بهو المدخل خمس فتحات متوازية مستطيلة صغيرة نسبيا عبارة عن مزاغل افقية.

يبرز المدخل الشمالى قليلا عن مستوى السور والجدران بهيئة مستطيل يتوسطه الباب الخارجى للمدخل بحيث يتألف من برجين مستطيلين يحفان بالباب الخارجى، ويتضح من تصميم هذا المدخل أن تعديلا اجرى عليه، حيث كان فى الاصل يشبه المداخل الثلاثة الأخرى[٢٦].

يؤدى المدخل إلى بهو مستطيل يؤدى بدوره إلى دهليز كبير مستعرض يفصل جدار السور الشمالى عن القصر ويتقاطع معه ليؤدى إلى مدخل البهو الكبير الذى يتوسط القسم الشمالى من القصر، وتقوم قبة نصف كروية تزدان من الداخل بزخارف هندسية ناتجة من التباين فى صف الطابوق على مربع تقاطع المدخل مع الدهليز، ولا يقتصر الصعود إلى دهليز السور على السلالم بالمداخل، بل هناك اربعة سلالم أخرى تقوم فى اركان السور من الداخل، وهى حلزونية

تؤدى إلى الابراج المستديرة والدهليز، وبالدهليز تحصينات دفاعية، حيث أوجد المعمار به من الخارج وبالابراج فتحات عددها ثلاث فى كل برج نصف دائرى وخمس فى كل برج شبه مستدير(٢٧).

وتتوج السور من الخارج حنايا على هيئة محاريب تتوجها عقود نصف دائرية ترتكز على اعمدة اسطوانية مندمجة، يحيط هذا السور الضخم بالقصر ويتصل به من الجهة الشمالية فقط، ويشكل فناء يحيط بالقصر من الجهات الثلاث الأخرى، وجدار القصر مدعم بابراج نصف دائرية عددها (٢١) برجا اضافة إلى برجى الركن الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى، أما الجدار الشمالى فخال من الابراج وذلك لانه الجدار الجنوبى للدهليز الكبير الذى يفصل بين القصر والسور.

يكشف تخطيط القصر أنه يتألف من قسمين أحدهما جنوبى والآخر شمالى، وهما معا يتكونا من سبع وحدات تختلف فى وظائفها فيضم القسم الجنوبى القسم المركزى الذى خصص للامور الادارية، وهناك اربع وحدات سكنية تحيط بالقسم المركزى من الغرب والشرق ويقع قسم الخدمات المكون من المطبخ والحمامات ودور الخدم بالقسم الجنوبى من القصر، وجميع هذه الاقسام بطابق واحد، أما القسم الشمالى فيضم المسجد والبهو الرئيسى ومرافقه فهو من ثلاثة طوابق ما عدا المسجد فأنه يتألف من طابق واحد، ويبدو أن هذه الاقسام كانت للموظفين والحراس، أما مادة بناء القصر فمن الحجر والجص، وهناك أجزاء منه مشيدة بالطابوق والجص(٢٨).

يتميز الدهليز الفاصل بين جدار السور الشمالى بأنه أكثر اتساعا من دهليز المدخل يغطيه قبوا سطوانى يفتح من الجهة الشرقية على الفناء الشرقى الذى يفصل بين القصر والسور، ويفتح عن طريق بوابة إلى الفناء الغربى ومنه يمكن الدخول إلى صحن المسجد والدار التى كانت تشغل القسم الشرقى من القصر.

يؤدى الدهليز إلى دهليز آخر مستطيل يؤدى بدوره إلى البهو الذى يتوسط القسم الشمالى وهو أكبر وحدة فى القصر يتميز بسمكه، يغطيه قبو نصف

برميلى، تخطيطه مستطيل الشكل ابعاده ٥،١٥×٩م تحيط به من الجهة الشرقية دهليز وثلاث قاعات مستطيلة، أما فى الجهة الغربية فهناك ثلاث قاعات مستطيلة ودهليز يؤدى إلى الجامع ويفتح من الجهة الجنوبية بمدخل إلى المجاز الذى يفصل بين القسم الشمالى من القصر وبقية الاقسام، والقسم الغربى من القسم الشمالى يشغله المسجد، أما القسم الشرقى فتشغله دار كبيرة نسبيا من ثلاثة طوابق مثل القسم الاوسط فى القصر تتكون من فناء مستطيل تطل عليه غرف من الناحيتين الشرقية والجنوبية، ويتقدم الغرف من الناحية الغربية رواق يغطيه سقف برميلى.

يتألف القسم المركزى فى القصر من فناء يشغل نصف مساحة هذا القسم، وهو مستطيل الشكل أبعاده ٣٣ x ٢٧م يتوسط جداره الجنوبى بهو مفتوح على الصحن يسمى بهو الشرف، يطل على الفناء بعقد مدبب يرتكز على عمودين شبه اسطوانيين، والبهو مستطيل الشكل أبعاده ٧٥ر١٠ x ٦م يفتح على خمس غرف: اثنتان مستطيلتان على يمينه، ومثلهما على يساره، والأخيرة مربعة خلفه، وتفتح هذه الغرفة المربعة من جوانبها الثلاثة فتطل من جهة الجنوب على رواق، ويطل الرواق على فناء مستطيل محاط بغرفتين من الجهتين الشرقية والغربية، ويتوسط هذا الفناء مدخل على خط محور الغرفة المربعة، والبهو الكبير فى القسم الشمالى والمدخل الشمالى، ويؤدى من جهة الجنوب إلى الدهليز المستطيل الذى يحيط بالقسم المركزى، أما من جهة الشرق فتفتح الحجرة المربعة على غرفة مستطيلة، وكذلك من الغرب، وجميع غرف هذا القسم من أقبية نصف برميلية من الداخل وأسقف مستوية من الخارج، فيما عدا سطح بهو الشرف والقاعة المربعة فهو من قبو نصف برميلى ويستدل من تصميم هذا القسم وموقعه من القصر أنه كان لأعمال الوالى، ويحيط بهذا القسم دهليز مقبى يفصله عن باقى أقسام القصر.

وتشغل الجناح الغربى من القصر داران للسكن جاء تصميمهما وفقا للطراز الحيرى تمتدان من خلف المسجد إلى القسم الجنوبى الغربى من الجدار الجنوبى، وهاتان الداران متناظرتان مع دارين مثلهما تماما تشغلان الجناح الشرقى من القصر

تتألف الدار التى تشغل الركن الشمالى الغربى من فناء مربع تفتح عليه غرفتان يتوسطهما أيوان ويتقدم الجميع رواق مقبى تقوم عقوده على أعمدة أسطوانية من كل من الجهتين الشمالية والجنوبية، أما الدار الثانية فتشغل نفس مساحة الدار الأولى وبنفس التصميم، إلا أنها لاتتضمن أروقة تتقدم الغرف فيها، والقسم الأخير هو الجناح الذى يقع بين الدارين فى الركنين الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى، ويكمل استطالة القصر، ويتألف من مجموعة غرف تطل على فناء، ويعتقدان هذا القسم كان مخصصا للخدم والخدمات، ويشغل جزء من هذا القسم حمام مربع يفتح عليه الدهليز الرئيسى.

وفى القصر(٢٥) اضافة تشغل حيزا من الفناء الشرقى وتمتد من الشرق إلى الغرب فتتصل بجدار السور من جهة، وبجدار القصر من الجهة الأخرى ولعلها انشئت بعد فترة قصيرة من بناء القصر، حيث أن تخطيطها وعمارتها يتطابق تقريبا مع تخطيط القسم الجنوبى من القسم المركزى، حيث تتألف من بهو الشرف محاطا بخمس غرف، غرفة المؤخرة مربعة تفتح من جهة الجنوب على رواق تكتنفه حجرة من جهة الجنوب والغرب، ويطل الرواق على فناء مستطيل تقوم غرفتان على يمينه ومثلهما على يساره، وتزين واجهات الغرف المحيطة به والمطلة على الفناء الشمالى حنايا تتوجها عقود مدببة ترتكز على أعمدة أسطوانية، ولقد قامت هيئة فنية بصيانة هذا القسم وكشف عن سرداب تحت البهو الرئيسى، والغرفة المربعة.

وقد اهتم المعمار بزخرفة المنشأة فابتكر طريقة جديدة فى تكوين الأشكال الزخرفية وهى التفنن فى صف الطابوق فى أشكال هندسية متنوعة، كما استغل المعمار الجص فى تكوين أشكال زخرفية بديعة.

والواقع أن هذا الأثر يتميز بروعة التصميم ودقة التخطيط والعمارة وجمال الزخارف النباتية والهندسية، ويتمثل فى هذا القصر أقدم أمثلة العقد المدبب والعقد النصف دائرى والأقبية البرميلية والمتقاطعة والحنايا والنوافذ لأغراض

متعددة وظيفية وجمالية والمزاغل وغير ذلك من العناصر العمارية، كما يتميز هذا الأثر من خلال زخارفه فنجد لأول مرة فى تاريخ العمارة الإسلامية طريقة جديدة فى تكوين الأشكال الزخرفية، تتمثل فى التفنن فى صف الطابوق للحصول على أشكال هندسية متنوعة، وقد نفذت هذه التشكيلات بأسلوبين أحدهما بالأسلوب البارز، والآخر لمستوى وجه الجدار، وقد تطور هذا الأسلوب وبلغ غاية من الدقة والاتقان خلال القرون اللاحقة لبناء قصر الاخيضر، كذلك تطورت التشكيلات الزخرفية المحفورة فى الجص وتنوعت(٣٠).

خان عطشان أو العطيشى النصف الثانى من القرن ٢هـ/٨م

تقع هذه المنشأة وسط بادية واسعة ومرتفعة قليلا غرب طريق كربلاء النجف، يبعد حوالى ١٦كم بإتجاه الغرب، يتوسط الطريق بين الكوفة والاخيضر، ويعرف الأثر بين سكان المناطق القريبة بخان عطشان أو خان العطيشى، والأثر صغير نسبيا إذا ما قورن بقصر الاخيضر، ويستدل من ذلك كما يذكر د. عيسى سلمان أنه لم يكن سوى دار استراحة لوالى منطقة الاخيضر فى رحلته بين الكوفة وقصر ولايته ويرتبط البرج المعروف بموجدة بالقصر والخان، حيث تدل التسمية كما يذكر د. عيسى سلمان على نوع الوظيفة التى يؤديها وهو علامة للمسافر بين الاخيضر وعطشان، ويؤرخ بالنصف الثانى من القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى أى إلى نفس الفترة التى شيد فيها الاخيضر[٣١].

شيد البناء بالطابوق والجص، وجاء من مساحة مستطيلة يبلغ طول ضلعها من الشمال إلى الجنوب ٥ر٢٥م ترتفع جدرانه حوالى ٧م تدعمها أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، يبلغ عددها ثمانية أبراج وتتوسط الأبراج الجدران تقريبا، ويتوصل إلى داخل البناء من مدخل يقع فى الجدار الشمالى، حيث يفضى إلى فناء واسع تطل عليه مرافق الدار من الجهتين الجنوبية والغربية، وقد جاء الفناء مستطيلا مقاييسه ١٢ x ١٦م يشتمل على بئر فى وسطه، ويتألف القسم الجنوبى من أيوان مستطيل يتوسط البناء يشرف على الفناء من خلال عقد مدبب، ويغطيه قبو نصف برميلى، ويؤدى الايوان إلى قاعة مستطيلة من خلال فتحة مدخل تتوسط جداره الجنوبى، والقاعة مغطاة بقبو نصف برميلى، واضافة لذلك أوجد المعمار عدة قاعات أخرى تتفق فى عرضها وتختلف فى أطوالها تغطيها جميعا أقبية نصف برميلية، ويتفق بهو الشرف هنا وموقع المدخل مع قصر الاخيضر ولكن بصورة بسيطة ومصغرة.

مدينة سامراء ٢٢١هـ/٨٣٦م والجعفرية ٢٤٧هـ/٨٦١م

بدأ المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) يكثر من استخدام الجند الاتراك والاعتماد عليهم منذ أن كان واليا للعهد فكون منهم جيشا كبيرا اعتمد عليه، وبعد أن بويع له بالخلافة ترك أتباعه وجيشه مدينة بغداد فى نهاية عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م بسبب سوء سلوك جند الخليفة وامعانهم فى مضايقة أهل بغداد ونزل فى موضع محاط بالأنهار من كل جهاته تقريبا فدجلة سوره الغربى والرصاصى خط دفاعه الشمالى والشرقي، ونهر القائم حصنه الجنوبى، فهذا الموضع لايحتاج إلى أسوار، وترتفع أرض الموقع عن مستوى سطح النهر هواؤها عذب وأرضها واسعة تحيط بها أراضى زراعية شاسعة(٣٢).

وكان المعتصم قد نزل عدة مواضع قبل اختيار موقع سامراء، ثم نزل قصر هارون الرشيد الذى شيده الخليفة الرشيد للتنزه والراحة عند نهر الجند، ثم انتقل منه إلى الشمال قليلا فى موقع استراتيجى مهم تتوافر فيه كافة مقومات المدينة، يشغل مساحة شبه مستطيلة، وكان هذا الموقع مدينة سامراء، فكان ابتداء البناء فيها فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، وقد أمر الخليفة بإحضار الصناع والبنائين والعمال من الأقطار الاسلامية، وكانت هذه المدينة من الجمال والروعة بحيث سميت سر من رأى(٣٣).

انتقل الخليفة المعتصم إلى حاضرته الجديدة، فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، وشيد بها المسجد الجامع (جامع المتوكل على الله أو سامراء الكبير) والأسواق حوله، وجعلت كل تجارة منفردة على مثل مارسمت عليه أسواق بغداد، واختار أفضل المواقع للقصور، فشيد الجوسق الخاقانى لخاقان عرطوج أبى الفتح بن خاقان،

والقصر المعروف بالعمرى إلى عمر بن فرج، والقصر الوزيرى إلى ابن الوزير، وفصل بين الاتراك الجند والمدنيين، واقطع اشناس وأصحابه الموضع المعروف بالكرخ(٣٤).

وقد نمت المدينة وازهرت ازدهاراً عظيما فى كافة أحوالها وازدهرت قصورها، خاصة الجوسق الخاقانى، وبلغ ازدهار المدينة أوجه فى خلافة المتوكل على الله، حيث ضاق مسجدها الجامع بالمصلين فهدمه وأعاد بناؤه وامتد البناء والعمران، فقد شيد قصر البلكوارة والسندان والبديع والبرج والعروس والغريب واللؤلؤ والصبيح والممتاز وغيرها، وامتد العمران إلى الجانب الغربى من دجلة، فقد كشف عن قصر كبير يقع شمال شرق قصر المعشوق أغلب الظن أنه قصر الجص الذى شيده المعتصم ويعرف اليوم بالحويصلات، وكشف عن قصر آخر يعرف بالاصطبلات جنوب غرب المدينة، وأقام الخليفة جسرا يربط ما بين الجوسق الخاقانى والجهة الغربية من دجلة(٣٥).

وفى عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م شيد الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م) مدينة جديدة عرفت بالجعفرية، والمتوكلية، إلا أنها هجرت بعد تسعة شهور وثلاثة أيام من نزوله بها بعد مقتله، وعاد العباسيون إلى سامراء(٣٦).

هذا وقد ترك الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م) مدينة سامراء فى عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م وعاد إلى بغداد، وبدأ ازدهار بغداد مرة أخرى واشتهر من قصورها تلك التى بنيت فى بغداد الشرقية قصر الجعفرى الذى تقدم ذكره وقصر التاج، وقصر الفردوس، وفى عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) فى عام ٣٠٥هـ/ ٩١٧م شيدت عدة منشآت ملحقة بقصر التاج، وشيد قصر دار الشجرة، وقصر الجوسق المستجد، وقد تعرضت بغداد فى عام ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م لفيضان هائل، ثم تعرضت فى عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م إلى سيطرة بنى بويه على الخلافة، وخلال تلك الفترة شيد الخليفة المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٦-٩٧٤م) قصر الطواويس والدار المربعة

والمثمنة، واشتهرت دار مؤنس المظفر التى سكنها معز الدولة إلى حين الانتهاء من بناء الدار المعزية فى عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وشيد معز الدولة دار المملكة البويهية فى عام ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م، وهدم قصر الخلد وشيد فى موقعه المارستان العضدى(٣٧). وعندما دخل السلاجقة بغداد فى عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م قاموا بإلحاق منشآت جديدة بدار المملكة البويهية من الجهة الجنوبية وعرفت بدار السلطنة، والحق بها السلطان ملكشاه جامعا كبيرا فى عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، ولكنها احترقت فى عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م(٣٨).

طرز سامراء

يذكر د. فريد شافعي أن مدينة سامراء تزيد أهمية تشييدها بسبب ما نتج عنه من تحول فى تطور الزخارف المحفورة فى الجص فى العمائر، وخاصة النباتية منها والتى عرفت فيما بعد بالارابسك نسبة إلى العرب، وقد ابتدأت تلك الزخارف المحفورة بالظهور فى سامراء، وهى تحتفظ فى مرحلتها الأولى بتأثيرات هلينستية وساسانية، وذلك من ناحية أشكال العناصر وأساليب حفرها، وقد عرفت هذه المرحلة من قبل العلماء بالطراز الأول، وفيه تخرج العناصر الزخرفية من عروق طويلة تمتد فى انحناءات وحلزونات، ويتضح فى أسلوب حفرها اتساع الأرضيات وتجسيم العناصر فى تقعر أو تحدب، ومن عناصرها ورقة العنب الخماسية ذات القطاع المقعر، وعنصر الورقة الثلاثية، وعنقود العنب ذو المحيط الذى يتكون من ثلاثة فصوص، وله قطاع محدب تملؤه حبيبات مثقوب وسطها، ثم عناصر كأسية ذات قطاع محدب تملؤها معينات غائرة.

وفى الطراز الثانى تضاءلت الأرضية حتى صارت قنوات ضيقة تفصل ما بين العناصر التى ترتب أن يخرج الواحد منها من طرف الآخر، حيث كادت أن تفقد ما الفناه من اتصال بعضها ببعض بواسطة العروق الطويلة، وتطورت العناصر إلى وحدات كبيرة مسطحة لاتجسيم فيها، وبحيث يتبع محيط كل عنصر منها الحدود الخارجية للعناصر الأخرى التى تحيط به، وأصبح لا يفصلها عن بعضها إلا تلك القنوات الضيقة، ونتج عن هذا الاتجاه الجديد تحوير كبير فى أشكال العناصر وهيئاتها وأحجامها، ويعزى ذلك إلى ضرورة انجاز أكبر ما يمكن من المسطحات الزخرفية لكسوة جدران العمائر فى أقصر وقت. أما الطراز الثالث فيمثل المرحلة الثالثة والأخيرة لتطور الطراز الثانى بفكرته وعناصره. مع تعديل جديد فيها

بحيث يصبح أكثر صلاحية لفكرة جديدة هى الصب فى قوالب واستخراج نسخ متعددة من التكوين الزخرفى الواحد، وهى طريقة لها طابع آلى يساعد على توفير الوقت والجهد والنفقة أكثر من طريقة الحفر المبسطة فى الطراز الثانى، ويساعد على اتباع تلك الطريقة أسلوب حفر العناصر الزخرفية بطريقة الشطف للتخلص من الأرضيات العميقة، فتلاصقت عناصر الطراز الثالث تماما بجوار بعضها، وأصبح لها قطاع محدب، إلا أنه ليس من الضرورى أن تكون طريقة القوالب قد اتبعت فى جميع الأحوال، ولعل من أهم المميزات الجديدة لزخارف الطرازين الثانى والثالث، والتى أصبحت من مميزات الزخارف العربية الاسلامية هى ظاهرة خروج الأوراق النباتية من بعضها(٣٩).

سامراء والجعفرية من خلال وصف اليعقوبى:

أورد اليعقوبى وصفا للمدينتين سامراء والجعفرية يمكن عرضه على النحو التالى «المدينة الثانية من مدن خلفاء بنى هاشم. وقد سكنها ثمانية خلفاء منهم: المعتصم وهو ابتدأها وانشأها، والواثق وهو هارون ابن المعتصم، والمتوكل جعفر بن المعتصم، والمنتصر محمد بن المتوكل، والمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم، والمعتز أبو عبد الله بن المتوكل، والمهتدى محمد بن الواثق، والمعتمد أحمد بن المتوكل.. فمر فى مسيره حتى صار إلى موضع سر من رأى.. ثم عزم المعتصم على أن ينزل بذلك الموضع.. ثم احضر المهندسين فقال: اختاروا أصلح هذه المواضع، فاختاروا عدة مواضع للقصور.. ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس، وخط المسجد الجامع، واختط الأسواق حول المسجد الجامع على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد وكتب فى اشخاص الفعلة، والبنائين، وأهل المهن من الحدادين والنجارين، وسائر الصناعات، وفى حمل الساج، وسائر الخشب، والجذوع من البصرة، وما والاها من بغداد، وسائر السواد، ومن أنطاكية وسائر سواحل الشام.. وأفرد قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعا.. واقطع اشناس وأصحابه الموضع المعروف بالكرخ.. وبنى المعتصم العمارات قصورا وصير فى كل بستان قصرا، فيه مجالس وبرك وميادين، فحسنت العمارات.. ومات

المعتصم بالله سنة سبع وعشرين ومائتين.. وولى جعفر المتوكل بن المعتصم.. وبنى المسجد الجامع فى أول الحير.. واتقنه، ووسعه، واحكم بناءه، وجعل فيه فوارة ماء لا ينقطع ماؤها، وجعل الطرق إليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة.. فى كل صف حوانيت، فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات.. وعزم المتوكل أن يبتنى مدينة ينتقل إليها، وتنسب إليه، ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعا، فوقع اختيارهم على موضع يقال: الماحوزة. وقيل له: أن المعتصم قد كان على أن يبنى ها هنا مدينة، ويحفر نهرا، قد كان فى الدهر القديم. فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه فى سنة خمس وأربعين ومائتين، ووجه فى حفر ذلك النهر، ليكون وسط المدينة.. وابتدأ الحفر وانفقت الأموال الجليلة على ذلك النهر، واختط موضع قصوره ومنازله، واقطع ولاة عهوده، وسائر أولاده، وقواده، وكتابه، وجنده، والناس كافة. ومد الشارع الأعظم.. وجعل عرض الشارع الأعظم مائتى ذراع، وقدر أن يحفر فى جنبى الشارع نهرين يجرى فيهما الماء من النهر الكبير.. وبنيت القصور، وشيدت الدور، وارتفع البناء، وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جد فى البناء أجازه وأعطاه، فجد الناس وسمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية، واتصل البناء من الجعفرية إلى الموضع المعروف بالدور، ثم بالكرخ وسر من رأى.. وارتفع البنيان فى مقدار سنة، وجعلت الأسواق فى موضع معتزل، وجعل فى كل مربعة وناحية سوقا، وبنى المسجد الجامع، وانتقل المتوكل إلى قصور هذه المدينة أول يوم من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين.. وقال: الآن علمت أنى ملك، اذ بنيت لنفسى مدينة سكنتها. ونقلت الدواوين.. وأقام المتوكل نازلا فى قصوره بالجعفرية تسعة أشهر وثلاثة أيام، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فى قصره الجعفرى.. وولى محمد المنتصر بن المتوكل فانتقل إلى سر من رأى، وامر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزة، وأن يهدموا المنازل ويحملوا النقض إلى سر من رأى، فانتقل الناس[٤٠].

الجوسق الخاقانى

يعد الجوسق الخاقانى من أكبر وأعظم وأروع قصور سامراء، يقع على شارع السريجة (الشارع الأعظم) بالقرب من المسجد الجامع، تحيط به الأسواق الرئيسية، وهو دار الخلافة، اشتهر ببركته الرائعة التى خلدها البحترى فى قصيدته الألفية المشهورة، ولم يبق من هذا القصر سوى البوابة التى تدعى باب العامة أو دار العامة، حيث كان يجلس الخليفة المعتصم فى أيوان المدخل ليستمع إلى شكاوى عامة الناس، وكان يخصص يومين فى الأسبوع لهذا الغرض، وتعرف هذه البوابة اليوم بالخليفة، وتمثل هذه البوابة المدخل الوحيد للقصر(٤١).

وقد قامت بعثة ألمانية بالتنقيب فيه وتوصلت إلى نتائج هامة بشأن تخطيطه وبنائه وكشفت عن مجموعة من النقوش الجدارية على الجص وعدد كبير من لوحات جصية تزدان بزخارف نباتية وهندسية بالاضافة إلى مجموعة من الأوانى الخزفية الرائعة، وتابعت هيئة فنية من مديرية الآثار العامة بالعراق أعمال التنقيب لعدة مواسم فظهرت معالم القصر مما سهل على أهالى بلدة سامراء عملية هدم الجدران للاستفادة من الطابوق واستخدامه(٤٢).

يطل القصر على الشارع الأعظم من جهة الشرق، ويشرف على دجلة من الغرب، وتتاخمه قطائع القادة من الشمال والجنوب، وتحيط به جدران تفصله عما حوله من قطائع، كانت حديقته عبارة عن بستان يمتد على شاطىء دجلة، يفصل البناء عن النهر، وكانت البركة الرائعة تقع فى هذا البستان، وتوضح الخريطة التى رسمتها البعثة الألمانية أقسام القصر الرئيسية ومرافقه المختلفة والتى تضم قاعات وغرف الادارة وابنية السكن ودواوين الدولة وثكنات الحرس، وقد شيد الجوسق الخاقانى على الطراز الحيرى، حيث يتألف من مجموعة من

وحدات بنائية تتألف كل واحدة منها من مجموعة غرف وايوانات تطل على فناء أوسط، وتتوزع هذه الابنية حول خط محورى يبدأ بالمدخل الرئيسى وينتهى فى نقطة مركزية فى الجهة المقابلة كما هو الحال فى قصر الاخيضر، حيث يؤدى باب العامة إلى مرافق الادارة وقاعة العرش(٤٣).

تتألف قاعة العرش من قاعة مربعة تفتح عليها أربع قاعات من الجهات الأربع، وكانت تغطيها قبة وتتصل بمسجد صغير وحمام ذى حوض مستدير يزدان برسوم آدمية، كما تتصل بقاعة العرش المرافق التى دعيت بقسم الحريم، وهناك عدد من الأفنية الواسعة تتوسط عددا من مرافق القصر، وهى بهيئة ملاعب، ويشتمل القصر على ثكنات للجند تشغل القسم الشمالى منه، وقد كشف عن أربعة مساجد بينها، كما عثر على عدد من السراديب، وتضم الدار بالإضافة إلى ما تقدم ابنية دواوين الدولة ومرافقها الادارية الأخرى، أما فيما يتعلق بالرسوم التى عثر عليها فيه فتمثل مناظر رقص وصيد وحيوانات برية واليفة ورسوم نباتية، وقد نفذت كلها بألوان مائية على طبقة من الجص (الفرسكو)، وتمثل هذه التصاوير أهمية كبيرة فى مجال التصوير الإسلامى(٤٤).

يرتفع القسم المتبقى من باب العامة حوالى ١٢م، يشغل مساحة مستطيلة يبلغ عرضها ١٧,٤٢م، وقد شيد بالطابوق والجص شأنه فى ذلك شأن بقية وحدات وعناصر القصر، وتم ترميم هذا القسم من قبل مديرية الآثار العامة بالعراق، وتفتح هذه البوابة على الجهة الغربية بثلاثة مداخل واسعة مرتفعة تتوجها عقود مدببة من أربعة مراكز، ويتميز المدخل الأوسط بأنه أكثر إتساعا وارتفاعا من المدخلين الجانبيين، وتؤدى هذه المداخل إلى ايوانات تغطيها أقبية، يتصل الايوان الأوسط بأبنية القصر مباشرة من خلال مدخل يتوسط جداره الشرقى، يغطيه قبو نصف برميلى مدبب من الوسط قليلا، وفى الايوانين الجانبيين جاء التكوين المعمارى لهما من غرفتين من خلال جدار شيد فى وسط كل منهما، يخترقه باب يوصل بين الغرفتين ونافذة لاضاءة وتهوية الحجرة الخلفية، ويتألف القسم الأول منها من غرفة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤م يغطيها سقف على هيئة نصف قبة ترتكز على حنيتين تتوسطهما نافذة مستطيلة، وكانت الجدران تزدان بلوحات جصية ذات زخارف نباتية وهندسية محفورة بدقة واتقان(٤٥).

قصر العاشق ٢٦٥-٢٦٩هـ/٨٧٨-٨٨٢م

يعد هذا القصر من قصور سامراء، ويعرف أيضا بالمعشوق، وتقوم بقاياه على يسار الطريق العام الذى يوصل سامراء بالموصل، ويطل على دجلة من مكان مرتفع نسبيا فى مواجهة الجوسق الخاقانى، ويقع فى منطقة خالية من البناء تقريبا، عدا البناء المعروف بالقبة الصليبية إلى الجنوب منه، وكان القصر يتصل بقصور سامراء فى الجانب الشرقى بجسر(٤٦).

شيد هذا القصر للخليفة المعتمد على الله بن المتوكل (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م)، فقد سكنه ما بين عامى ٢٦٥-٢٦٩هـ/ ٨٧٨ - ٨٨٢م قبل أن يترك سامراء ويعود إلى بغداد، ويرجح د. عيسى سلمان أنه كان قصر راحة وتنزه، وقد اجريت فيه حفائر اثرية من قبل البعثة الألمانية، وتوصلت إلى نتائج جيدة تتعلق بتخطيطه، ثم تابعت هيئة فنية من مديرية الآثار العامة بالعراق أعمال البعثة الألمانية فتم الكشف عن جميع مرافقه ومدخله الرئيسى، وتم ترميم القصر بجدرانه وأبراجه، كما تم الكشف عن مجموعة من اللوحات الجصية المحفورة، وقد جاء تخطيط القصر من مستطيل يشتمل على مرافق تتكون كل وحدة منها من مجموعة من القاعات تطل على فناء أوسط وفقا للطراز الحيرى كما هو الحال فى قصرى الاخيضر والجوسق الخاقانى، وقد شيد القصر بلبن كلسى وجص كما هو الحال فى القبة الصليبية، وقد جاءت جدران القصر سميكة مرتفعة تدعمها أبراج مستطيلة، وتقوم أبراج الأركان على قواعد مربعة، ويبلغ عدد الأبراج ستة عشر برجا وزعت بصورة غير متساوية وغير متناظرة ثلاثة منها تدعم الجدار الغربى وأربعة تدعم الجدار الشرقى وثلاثة فى الجدار الجنوبى، واثنان فى الجدار

الشمالى، ويقع المدخل فى الضلع الشمالى، وتزدان الجدران بين الأبراج بحنايا غير عميقة ذات عقود ثلاثية أوجدها المعمار داخل اطار مستطيل وتعلو هذه الحنايا دخلات أخرى ذات عقود مقصوصة (مفصصة) ترتكز على عمودين اسطوانيين مدمجين تعلوها تيجان مربعة، وقد وزعت بواقع ثلاث حنايا بين كل برجين[٤٧].

دار المملكة (قره سراى) ٦٣٠هـ/١٢٣٣م

تقع بقايا هذا المنشأة شمالى بلدة الموصل القديمة، تطل على دجلة من على جرف فى الضفة الغربية من النهر، وتشير كتابة تذكارية أن بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله أمر بعمارتها عندما ولى الموصل بعدان انتزعها من امراء بنى زنكى وحصل على اعتراف الخليفة العباسى فى بغداد المستنصر بالله، فأصبح ملكا على الموصل وما كان تحت سيطرة الدولة الزنكية فى عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، واشتهر هذا الملك بحبه للبناء والتعمير فشيد العديد من المنشآت الدينية والمدنية من مساجد ومدارس ومشاهد وخانات فازدهرت الموصل فى عهده ازدهارا كبيرا، وقد عرفت هذه الدار بقصر بدر الدين لؤلؤ[٤٨].

يتألف البناء المتبقى من ايوانين مقبيين متجاورين يفتحان على الجهة الغربية بعقدين مدببين من أربعة مراكز، ويشرفان على دجلة من الجهة الشرقية ببابين ونافذتين، حيث جاء الجدار الشرقى فى كل ايوان من مدخل مستطيل يتوجه عقد مستقيم تعلوه نافذة مستطيلة يتوجها عقد مدبب، ويستدل من بقايا الجدران التى تعلو الجدار الشرقى أن الدار كانت تتكون من طابقين أو أكثر، وقد شيد الأثر بحجر غير مهندم وجص عدا الواجهة الشرقية التى شيدت بحجر مهندم.

ويستدل من بقايا الرسوم الزخرفية والنقوش الكتابية وما ذكر عنها أن الدار كانت تزدان برسوم آدمية وحيوانية برية واليفة وطيور وغير ذلك وكتابات تذكارية بخط الثلث محفورة فى الجص وأشكال معمارية من حنايا زخرفية، وتغطى هذه الأشرطة الأربعة الزخرفية مساحة من وجوه جدران الايوانين بعرض المساحة بين قمة الباب وقاعدة النافذة التى تعلوه فى الايوانيين[٤٩].

هوامش وتعليقات الفصل الرابع

(١) مزيد من التفاصيل عن العوامل التى دفعت المنصور إلى اختيار بغداد. انظر: د. طاهر مظفر العميد: بغداد، ص ص ١١٨-١٣٤.، بشير فرنسيس: بغداد تاريخها وآثارها، مطبعة الرابطة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م، ص ص ٥-٦.، د. صالح أحمد العلى: بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٨٥م، مج ١، ص ٢٦.،

Ministry of Information: Baghdad, Republic of Irao, Baghdad, 1972, PP. 3-4.

(٢) د. طاهر مظفر العميد: بغداد، ص ص ١٣٥-١٤٣.، د. خالص الاشعب: مدينة بغداد نموها، بنيتها، تخطيطها، دار الجاحظ، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص ص ٥-٢٦.

مزيد من التفاصيل انظر: Creswell: Ashort Account, PP. 230-231.

(٣) اليعقوبى: البلدان، ص ص ٧-٨.

(٤) اجمع المؤرخون على أن لفظة بغداد فارسية الأصل وقيل أنها لفظة آرامية. مزيد من التفاصيل انظر: د. طاهر مظفر العميد، بغداد، ص ١٤٩.، ويذكر مكسمليان شتريك أن ابسط التفاسير واقربها احتمالا هى عبارة «عطية الله» أو «هبة الله» مكسمليان شتريك: خطط بغداد وانهار العراق القديمة» دراسة خططية تاريخية، ترجمةد. خالد اسماعيل على، المجمع العلمى العراقى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٦٤.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ص ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٦) د. طاهر مظفر العميد: بغداد، ص ص ١٦٠-١٦٢.، د. أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، ص ٥٥.

(٧) اليعقوبى: البلدان، ص ١١.

(٨) مزيد من التفاصيل انظر: د. طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٦٣-١٦٥.

(٩) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٤-١٥.

(١٠) اليعقوبى: البلدان، ص ١١.، د. طاهر مظفر العميد: بغداد، ص ص ١٦٦-١٧١.

(١١) د. طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٧٦-١٧٩.

(١٢) د. طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٨٣-١٨٥.

(١٣) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ٨١.

(١٤) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ص ٨٢-٨٣ مزيد من التفاصيل عن الابواب المنكسرة انظر:

Creswell: Ashort Account, PP. 337-338.

(١٥) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ص ٨٥-٨٦.

(١٦) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١١-١٣.

(١٧) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨٩.، اليعقوبى: البلدان، ص ص ٢٢-٢٣.، د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ٩٠.

(١٨) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ص ٩٠-٩١.

(١٩) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ٩١.

(٢٠) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٢٩١.، ابن خرداذبة (ابى القاسم عبد الله بن عبد الله) ت حوالى ٣٠٠هـ: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٧٣.

(٢١) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٠٥-٣٠٦.، د. أحمد عبد الرازق احمد: العمارة الإسلامية، ص ص ٢٣-٢٤.

(٢٢) د. كمال الدين سامح: العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ص ٦٤-٦٥.

(٢٣) د. أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية، ص ص ٢٧-٢٨.

(٢٤) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ١٧ . ، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٢٩٢ . ، Creswell: Ashort Account, P. 248.

(٢٥) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ١٧.

(٢٦) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٢٢ . ، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٢٩٤ . ، Creswell: Ashort Account, P. 250.

(٢٧) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٢٣.

(٢٨) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٢٣.

(٢٩) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ٣٤.

(٣٠) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ص ٣٧-٣٩.

(٣١) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ص ٣٩ - ٤١.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٣٢) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ٩٥ . ، Creswell A short Account, p. 331.

(٣٣) شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٣١٩.، د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ٩٦.

(٣٤) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ١ ، ص ٩٦ . ، شريف يوسف : تاريخ فن، ص ٣٢٠.

(٣٥) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ص ٩٩-١٠٢.

(٣٦) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ١ ، ص ص ١٠٢-١٠٣ . ، شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٣٢١.

(٣٧) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ١ ، ص ٩١.

(٣٨) د. عيسى سلمان: العمارات، جـ١ ، ص ٩٢.

(٣٩) د. فريد شافعي : العمارة العربية، ص ص ٤١٧ - ٤٢١. ، د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨١، ص ٥٩.

مزيد من التفاصيل انظر :

Creswell: Ashort Account, pp. 374-376.

(٤٠) اليعقوبى : البلدان، ص ص ٢٦ - ٣٦.

(٤١) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ٤٥. ،

Creswell: Ashort Account, p. 333.

(٤٢) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ٤٦.

(٤٣) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ص ٤٦ - ٤٧.

(٤٤) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ص ٤٧-٤٩.

(٤٥) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ص ٥٢ - ٥٣

Creswell : Ashort Acount, pp. 333-336.

(٤٦) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ٥٥،

Creswell : Ashort Account, p. 407.

(٤٧) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ص ٥٦ - ٦٢. ، شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٤٤-٣٤٥.

Creswell : Ashor Account, pp. 407-408.

(٤٨) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ٦٣. ، شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية، ص ٤٣٩.

(٤٩) د. عيسى سلمان : العمارات، جـ٢، ص ص ٦٣ - ٦٥.

الفصل الخامس

العمارة الدينية والضريحية
فى مصر وافريقية فى العصر العباسى

أولاً : عمارة المسجد فى مصر وافريقية
ثانياً : عمارة الضريح فى مصر

أولاً: عمارة المسجد

جامع العسكر ١٦٩هـ/ ٧٨٥م

شيد القائد صالح بن على عقب انتصاره على الأمويين فى مصر فى عام ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م حاضرة جديدة لمصر الإسلامية وهى مدينة العسكر، وهى الحاضرة الثانية لمصر بعد الفسطاط، وقد أقيمت مدينة العسكر فى الفضاء الواقع فى الجهة الشمالية الشرقية للفسطاط، والممتد من النيل حتى جبل يشكر، وقد كانت هذه المنطقة تعرف قبل الفتح الإسلامى بالحمراء القصوى، وشيد صالح بن على دار الامارة وثكنات الجند، غير أنه لم يشيد مسجدا جامعا، فقد كان جامع عمرو بن العاص يقوم بوظيفة المسجد الجامع، ولم تكن هناك حاجة إلى تشييد مسجد آخر(١).

وفى عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م رأى الوالى العباسى الفضل بن صالح اقامة المسجد الجامع بسبب تزايد عمران العسكر، حيث حفلت بالدور والبساتين والأسواق حتى اتصلت بالفسطاط، فقام بتشييد جامع العسكر إلى جانب دار الامارة قال المقريزى «هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذى هو اليوم فيما بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان إلى جانب الشرطة والدار التى يسكنها امراء مصر ومن هذه الدار إلى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة»(٢). هذا وقد امدنا المقريزى بمعلومات نتبين منها أنه جدد فى عهد والى مصر عبد الله بن طاهر حوالى عام ٢١٢هـ/٨٢٧م، حيث كان عامرا حتى بداية القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، فقد قال:

«فزاد فى عمارته وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع إلى ما بعد الخمسمائة من سنى الهجرة»[٣].

وقد اندثر المسجد ولم يصل إلينا، وبالتالى لم نعرف شيئا عن تخطيطه أو عناصره المعمارية أو الزخرفية، غير أنه أغلب الظن كان أقرب إلى عمارة جامع عمرو بن العاص فى عهد والى مصر عبد الله بن طاهر، حيث جدد هذا الوالى المسجدين فى توقيت واحد كما تقدم.

جامع أحمد بن طولون ٢٦٥هـ/٨٧٩م

يعد الجامع الطولونى ثالث مسجد جامع كبير شيد بمصر بعد جامع عمرو بن العاص ٢١هـ/ ٦٤٢م وجامع العسكر ١٦٩هـ/ ٧٨٥م، بدأ أحمد بن طولون فى تشييده فى سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م بعد أن شكا الناس إليه ضيق جامع العسكر بهم قال البلوى «وكان يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة، فلما ضاق عنه بنى الجامع الجديد...»(٤)، وقد كان الفراغ من عمارته فى عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م، يؤيد ذلك ما هو مسجل بالخط الكوفى البسيط فى لوحة تأسيسية مثبتة فوق احدى بدنات ظلة القبلة، ويتفق تاريخ البدء والفراغ من العمارة وما أورده المقريزى نقلا عن القضاعى ونصه «فابتدأ بنيانه فى سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين»(٥). شيد الجامع فوق هضبة تتوسط القطائع عرفت بجبل يشكر، نسبة إلى قبيلة يشكر بن جزيلة من عرب الشام، وقد سكنت هذه القبيلة بالقرب منه منذ الفتح العربى، وكانت تسمى المنطقة فى جنوب الهضبة بالحمراء القصوى، وقد كانت تلك الهضبة تشرف على العسكر وعلى الميدان الذى شيده احمد بن طولون أمام قصره، ومن ثم فقد سمى الجامع فى ذلك الحين بجامع الميدان(٦).

هذا وقد شيد الجامع كله بالآجر، فقد أورد المقريزى نقلا عن القضاعى «وقيل أن أحمد بن طولون قال أريد أن ابنى بناء أن احترقت مصر بقى وأن غرقت بقى فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولايجعل فيه أساطين رخام فانه لاصبر لها على النار فبناه هذا البناء»(٧). ويتجلى فى جامع ابن طولون تأثير التطورات التى حدثت فى سامراء على العمارة والفنون فى مصر، والواقع أن الجامع يشغل مع الزيادات المكشوفة المسورة التى

تحيط به من جهاته الثلاث الشمالية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية مساحة تبلغ نحو ستة أفدنة ونصف، وهى على هيئة مربع طول ضلعه ١٦٢م، أما الجامع نفسه فهو قريب من مستطيل يبلغ طول جدار القبلة فيه ١١٨م، أما الضلع العمودى عليه فيبلغ نحو ١٣٨م، وترتفع جدرانه إلى قمة شرافاته فوق سطحه نحو ١٣م من منسوب أرضية الظلات الداخلية، ويزيد ارتفاع الجدار الشمالى فى الجهة الشمالية الشرقية مما أدى إلى عمل سلالم أمام الأبواب فى تلك الجهة(٨).

وتبع تخطيط الجامع الطولونى نظام الصحن المكشوف والظلات المسقوفة المحيطة به، وهو التخطيط الذى كان سائدا فى العالم الاسلامى منذ عمارة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فى المسجد النبوى بالمدينة، حيث تكامل الشكل النهائى لتخطيط المسجد النبوى فى عهده، ومن ثم فقد صار نموذجا احتذاه المعماريون المسلمون وصاروا عليه فى تخطيط المساجد فى العالم الإسلامى.

ويتميز جامع ابن طولون بوضوح نضج كبير فى جملة نواح معمارية وزخرفية، ويتجلى هذا النضج فى حسن اختيار موقعه وتصميمه وأسلوب تشييده وروعة عناصره المعمارية والزخرفية، مما جعل له شخصية ذات طابع محلى صريح، على الرغم من وجود تأثيرات وافدة إليه من سامراء(٩).

جاء تخطيط الجامع على هيئة مربع، وهو التخطيط الذى وجد فى المساجد الأولى فى المدينة المنورة والبصرة والكوفة وبغداد وواسط وجامع عمرو بن العاص فى عام ٢١٢هـ/٨٢٧م فى عهد عبد الله بن طاهر من قبل المأمون الخليفة العباسى، بينما جاء تخطيط كل من جامع سامراء الكبير وجامع أبى دلف من مستطيل تبلغ مساحته أكثر من ضعف مساحة الجامع الطولونى، كما وزعت البلاطات فى ظلات جامع أحمد بن طولون بطريقة تختلف عن توزيعها فى كل من جامع سامراء وجامع أبى دلف، وتقرب كثيراً مما كانت عليه فى مساجد البصرة والكوفة وعمرو بن العاص بالفسطاط وجامع المنصور فى بغداد قبل توسيعه إلى ضعف ما كان عليه.

يتكون الجامع من صحن كبير مكشوف جاء مربعا يبلغ طول ضلعه نحو ٩٢م تحيط به الظلات من جوانبه الأربعة، وتعد ظلة القبلة أكبر هذه الظلات وأعمقها، حيث جاءت من خمس بلاطات تفصلها خمس بائكات، وتمتد البلاطات والبائكات من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وتتكون كل بائكة من سبعة عشر عقدا مدببا تحملها أكتاف بنائية مستطيلة المسقط على غرار أكتاف جامع أبى دلف، وقد شيدت هذه الدعامات من الآجر وتتكون نواصى كل بدنة منها من أعمدة قطاعها الأفقى من ثلاثة أرباع الدائرة، وقد أوجد المعمار فوق البدنات وبين العقود فتحات صغيرة تتوجها عقود مدببة الغرض منها تخفيف الثقل وإضافة بعض الضوء إلى داخل ظلة القبلة العميقة، وهو الأمر الذى وجد فى بقية ظلات الجامع.

وقد توجت جميع البائكات من الوجهين فيما عدا الواجهة على الصحن وكذلك أوجه الجدران الداخلية بشريط من زخارف جصية يسير فوق قمم اطارات العقود مباشرة يعلوه شريط من الخشب أسفل السقف، وقد كتب على هذه الأشرطة آيات قرآنية بخط كوفى بسيط حروفه بارزة.

وقد زخرفت واجهات البائكات على الصحن بشريط أفقى من حشوات مثمنة متلاصقة غائرة، وقد خلت هذه الواجهات من الشرافات، إلا أن النهايات العليا لجدران المسجد الخارجية زودت بأشرطة من الحشوات الهندسية تعلوها شرافات فريدة فى نوعها ليس لها مثيل فى العالم الإسلامى تشبه أشكالا أدمية تجريدية تتلاصق أيديها وأرجلها.

أما الظلات الثلاث الأخرى فيتكون كل منها من بلاطتين بنفس هيئة بائكات ظلة القبلة، فيما عدا أن البلاطتين فى الظلتين الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية تسير عقودهما فى اتجاه جدار القبلة.

أما فيما يتعلق بالجدران الخارجية للجامع فقد أوجد المعمار فى النصف العلوى صفا من النوافذ ذات العقود المدببة بنواصيها أعمدة ملتصقة قصيرة تشبه تلك التى فى حنايا الواجهات فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط وفى مقياس النيل

بجزيرة الروضة، وكذلك وضعت بين نوافذ الجامع حنايا غائرة لها طواقى مروحية تمثل مرحلة أكثر تطورا عن تلك التى بواجهات جامع عمرو بن العاص بالفسطاط.

ويصل عدد الأبواب فى جدران الجامع إلى تسعة عشر بابا منها: أربعة تفتح على ظلة القبلة من الجانبين، وخمسة تفتح على كل من الظلتين الجانبيتين، وخمسة تفتح على الظلة المقابلة للقبلة، يضاف إليها باب بجوار المنبر يؤدى الآن إلى حجرة خلف المحراب، وقد كان يؤدى إلى دار الامارة التى شيدها أحمد بن طولون ملاصقة لجدار القبلة، وكان هذا الباب يؤدى إلى المقصورة التي خصصت له فى ظلة القبلة بجوار المحراب والمنبر.

وزودت أسوار الزيادات حول الجامع بنفس العدد من الأبواب منها ستة فى كل من الجانبين، وسبعة فى السور الشمالى الغربى، وقد وضعت أبواب الزيادات على محور الأبواب فى جدران الجامع. وتتميز جميع عقود البائكات فى البلاطات والنوافذ فى جدران الجامع بأنها من النوع المدبب ذى المركزين، وهى بذلك تختلف وعقود باب العامة فى الجوسق الخاقانى وجامع أبى دلف فى سامراء فهى من النوع ذى المراكز الأربعة.

أما فيما يتعلق بالدعامات فهى تقوم مقام الأعمدة فى جامع عمرو بن العاص وجملة عددها مائة وستون دعامة، وهى مستطيلة القاعدة طول كل منها متران ونصف تقريبا، وعرضها ١٫٢٥م تقريبا، وقد صفت فى ظلة القبلة وظلة المؤخرة فى صفوف موازية لجدار القبلة، وصفت فى الظلتين الجانبيتين عمودية على اتجاه جدار القبلة.

وقد استخدمت الدعامات فى العمارة الإسلامية منذ حوالى ٧٢هـ/ ٦٩١م فى قبة الصخرة، وفى المسجد الأموى بدمشق ٨٦هـ-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م، وفى قصر الاخيضر حوالى ١٦١هـ/٧٧٨م، وفى خزانات المياه فى الرملة بفلسطين ١٧٢هـ/ ٧٨٩م، وفى رباط سوسة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، وفى المسجد الجامع

بسامراء، ثم فى المسجد الجامع بأبى دلف، وفى كثير غير ذلك من العمائر الإسلامية فى المشرق والمغرب قبل جامع ابن طولون، إلا أن دعامات هذا الجامع فريدة فى تاريخ العمارة الإسلامية فهى أول مثل معروف من نوعها، فهى مجموعة معمارية منسقة تشمل دعامات تحف بها أشكال أعمدة مبنية من الآجر مندمجة فى أركانها تعلوها طاقات أو فتحات، ولم تظهر مثل هذه المجموعة المعمارية فى أى بناء سابق تاريخا للجامع الطولونى، فهى ابتكار فى تاريخ العمارة(١٠).

ويتضح أسلوب سامراء بجلاء فى الزخارف النباتية التى اكتسبت طابعا رائعا تجريديا فى تلك المدينة، وتوجد محفورة فى ألواح خشبية تكسو بواطن أعتاب جامع أحمد بن طولون، كذلك يتضح أسلوب سامراء فى الزخارف والعناصر المعمارية فمنها الزخارف الجصية فى الاطارات حول عقود البائكات وفى بواطنها، وفى تيجان الأعمدة المندمجة بنواصى الدعامات، وفتحات النوافذ وفى زخارف الاطار حول المحراب الرئيسى المجوف، ويمتزج فى هذه الزخارف خصائص الطرازين الثانى والثالث معا من زخارف سامراء الجصية، وقد ساد هذه الزخارف العناصر النباتية من فروع وأوراق ثلاثية وخماسية وأوراق متموجة وأنصاف مراوح نخيلية.

المئذنة: تعد المئذنة من أهم وحدات المسجد، ويتجلى تأثير سامراء فى المئذنة التي شيدها أحمد بن طولون، وكانت تقع فى الزيادة الشمالية الغربية، ونلحظ هذا التأثير قائما فى المئذنة الحالية ويتمثل فى السلم الصاعد إلى أعلى، وهو يلتف حول بدن المئذنة من الخارج وليس من الداخل كما هو متبع فى جميع مآذن مصر والعالم الاسلامى عدا مئذنتى الجامع الكبير فى سامراء وجامع أبى دلف فى شمال تلك المدينة.

والواقع أن المئذنة الحالية تعد من أهم الوحدات المعمارية فى المسجد نظرا لما أثير حولها من اراء ونظريات وردت فى المصادر التاريخية والأثرية من قبل

المؤرخين وعلماء الآثار، والمئذنة الحالية هى من بناء السلطان حسام الدين لاجين فى سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، وتفصيل ذلك أن المئذنة الأولى التى شيدت وقت تشييد الجامع فى عهد أحمد بن طولون كانت مشيدة بالآجر شأنها فى ذلك شأن بقية وحدات وعناصر الجامع المعمارية، وأن هذه المئذنة عند تشييدها تأثرت بملويتى سامراء وأبى دلف، وقد شاهدهما ابن طولون قبل حضوره إلى مصر، وذلك من خلال الموقع والسلم الصاعد إلى أعلى. وعلى ما يبدو أن هذه المئذنة على هذا النمط بمادة بنائها الآجرية لم تستمر طويلا، فقد أورد المقدسى عنها «أنها من حجر صغير درجها من الخارج»[١١]. وهو الأمر الذى يدل على أن المئذنة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى أعيد بناؤها بالحجر لأن المقدسى توفى حوالى ٣٨٠هـ/٩٩٧م، لذا فانه من المرجح أن المئذنة الآجرية الأولى التى بنيت زمن ابن طولون قد سقطت نتيجة تأثرها ببعض الزلازل التى شهدتها مصر خلال الفترة التي أعقبت وفاة ابن طولون وحتى بداية العصر الفاطمى وأعيد بناؤها بالحجر عند زيارة المقدسى لها، فقد ذكر ابن اياس[١٢] أنه فى أيام هارون بن خمارويه وقعت زلزلة بمصر حتى وصلت إلى الاسكندرية وسقطت منها رأس المنار، وكانت زلزلة عظيمة جدا، كما ذكر ابن اياس أنه قد وقعت زلزلة عظيمة بمصر زمن كافور الأخشيد، وأغلب الظن أنها تأثرت من الزلزالين فأعيد بناؤها بالحجر على النمط القديم، وقد تعرضت هذه المئذنة للهدم مرة أخرى فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، كما أورد ناصر خسرو[١٣]. فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، وقد جددت المئذنة فى عهد الحاكم، فقد كان السلطان يصلى فى هذا الجامع طوال شهر رمضان وأيام الجمع فى بقية الشهور.

وقد أورد ابن جبير[١٤]. خلال الربع الأخير من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى أن جامع ابن طولون كان بحالة مزدهرة. وهو الأمر الذى يدل على أن المئذنة كانت بحالة جيدة، على أنه يبدو أن جامع ابن طولون قد شهد اهمالا وتدهورا فى أواخر العصر الأيوبى وأوائل عصر المماليك البحرية، فقد

ورد فى المصادر أنه كان خرابا بغير سقوف ولا أبواب مدة كبيرة عندما استمر لاجين مختفيا فى مئذنته، وهو ما أثر سلبيا على المئذنة وذلك فى عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، ولما كان لاجين قد أخذ عهدا على نفسه أن يعمر الجامع عامة والمئذنة خاصة، فانه لما ولى عرش مصر، أخذ فى عمارة الجامع، ومن المؤكد أنه ادرك بقايا من السمة المعمارية التى تميزت بها المئذنة، وهى السلالم التى تلتف حول المئذنة من الخارج ولكنه آثر هدم المئذنة كلها وإعادة تشييدها من جديد على ترميمها، وقد أضاف لاجين إلى السمة المعمارية التى حافظ عليها عند بناء المئذنة القسم العلوى المكون من الطابق المثمن والجوسق والقمة والذى يمثل طراز نهايات المآذن فى العصرين الفاطمى والأيوبى، لذا فان المئذنة من بدايتها وحتى قمتها من بناء السلطان لاجين فى عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م(١٥). وقد أورد د. فريد شافعى أن مئذنة جامع ابن طولون من خلال بناءها أو اعادة بناءها قد حدث فى وقت وفدت فيه موجة فنية قوية من المغرب والأندلس محملة بتأثيرات عديدة تتمثل فى ثلاث ظواهر:

الظاهرة الأولى : العقد المستدير ذو شكل حدوة الفرس، وهو مستعمل فى عقدى القنطرة التى تصل المئذنة بالمسجد، ثم فى عقد باب الدخول إلى سلم المئذنة، ثم فى عقود الشبابيك التوائم المصمتة فى أوجه الجزء المربع من المئذنة.

الظاهرة الثانية : الشبابيك التواءم، وقد ظهرت فى مدفن فاطمة خاتون، ثم فى مجموعة قلاوون.

الظاهرة الثالثة: وهى الكوابيل المفصصة، وهى ظاهرة انفردت بها بلاد الغرب الإسلامى فنرى من أمثلتها جامع قرطبة فى الجزء الذى ينسب إلى الحكم ٣٥٠-٣٥٥هـ/ ٩٦١-٩٦٦م، وهذه الكوابيل توجد تحت طرفى القبو فى سقف القنطرة، وهذا النوع لم يظهر فى أى أثر آخر في مصر غير الجامع الطولونى(١٦).

يبدأ التكوين المعمارى للمئذنة بقاعدة مربعة تقريبا يعلوها طابق أسطوانى يعلوه طابق مثمن، ثم تنتهى بجوسق مثمن تتوجه مبخرة، وقد شيدت كلها من القاعدة إلى القمة بالحجر، وتفصيل ذلك أن القاعدة تبدأ من الأرض، وهى مربعة تقريبا ١٢٫٧٨ X ١٣٫٦٥م، يبلغ إرتفاعها حوالى ٢١٫٣٥م أى أكثر من نصف الارتفاع الكلى للمئذنة، ويلتف حول أوجهها من الخارج سلم مكشوف بأربع قلبات يدور دورة كاملة بعكس اتجاه عقارب الساعة يشتمل على درابزين حجرى مدرج، ويتوصل إلى قلبات السلم من خلال فتحة مدخل بالناحية الجنوبية الشرقية، يتوجها عقد حدوى، وتشتمل القاعدة فى الأضلاع الأربعة على دخلات مصمتة توأمية بواقع دخلة فى كل ضلع يتوجها عقد حدوى، وقد قامت ادارة حفظ الآثار العربية بعمل ثقب افقى فى الدخلة التى بالجهة الجنوبية الغربية، يصل إلى عرض يكفى للكشف عن آثار جدران مستديرة فى جوف القاعدة للتحقيق من مدى صحة أن هذا البدن ما هو إلا غلاف لمئذنة قديمة مستديرة تشبه ملوية سامراء، ويعلو القاعدة طابق أسطوانى مصمت يبلغ ارتفاعه حوالى ٨٫٨٢م، يلتف حوله سلم حجرى حلزونى من الخارج يشتمل على درابزين حجرى مدرج، وينتهى هذا الطابق بشرفة حجرية مستديرة تتكون من مدماكين حجريين، ثم يبدأ الطابق الثانى المثمن من أرضية الشرفة، وقد أوجد المعمار بكل ضلع من أضلاعه الأربعة الموازية لأضلاع القاعدة فتحة مستطيلة يتوجها عقد مقصوص مصمت، أما الأضلاع الأربعة الأخرى فهى مضاهيات، ثم يلى كل ذلك اطار حجرى يعلوه مقرنص من ثلاث حطات يحمل الشرفة الثانية للمئذنة، وهى مثمنة فقدت درابزينها، يتوصل إلى أرضيتها من داخل الطابق من خلال سلم حجرى حلزونى، أما الجوسق فقد جاء مثمنا أوجد المعمار بكل ضلع من أضلاعه الأربعة الموازية لامتداد أضلاع القاعدة فتحة مستطيلة، أما الأضلاع الأربعة الأخرى فهى مضاهيات، ثم تتوج المئذنة مبخرة ترتكز على مقرنص من حطتين، ويرتفع الجوسق والقمة عن مستوى سطح الأرض بحوالى ٤٠٫٤٤م، وكان بأعلى المئذنة مركب من نحاس تعرف بالعشارى سقطت فى عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م[١٧].

أما فيما يتعلق بالقنطرة فقد شيدت من الحجر حملت على عقدين حدويين فتحتهما حوالى ٤٠ر٤م، وهما مبنيان من جهة جدار المسجد بكيفية تدل دلالة ظاهرة على أنهما خارجان عن نظام البناء الأصلى لأنهما عند اتصالهما به يقطعان شباكين من شبابيك المسجد فى محوريهما، ويغطى القنطرة سقف اسطوانى من الحجر.

أعمال السلطان لاجين بالجامع

ترجع الفوارة الحالية إلى عصر المنصور لاجين، وقد كان فى وسط الصحن فوارة انشأها أحمد بن طولون قال المقريزى «وكانت فى وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهى مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمود رخام فى جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة أذرع فى وسطها فوارة تفور بالماء وفى وسطها قبة مزوقة يؤذن فيها وفى أخرى على سلمها وفى السطح علامات الزوال»(١٨). وقد احترقت تلك الفوارة فى أوائل العصر الفاطمى فى سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م، ولم يبق منها شيء، وأمر الخليفة الفاطمى العزيز بالله فى عام ٣٫٨٥هـ/ ٩٩٥م ببناء غيرها، ولم تكن الفوارة مستخدمة للوضوء. بل كانت الميضأة القديمة تقوم فى الزيادة الشمالية الغربية بجوار المئذنة، وهي من الناحية المعمارية تشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٤م تحيط بها جدران سميكة من الحجر المنحوت، يتوسطها حوض مثمن للوضوء، ويشتمل كل جدار على مدخل يتوجه عقد مدبب من مركزين، ثم تغطيها قبة من الآجر قطاعها مدبب كسيت بالملاط من الداخل والخارج، ترتكز على مقرنص من أربع حطات، وقد فتح المعمار فى رقبتها ثمانى نوافذ بغرض الاضاءة والتهوية، وترتفع القبة من أرضية الصحن بمقدار ٣٣م.

وبجوار تلك الميضأة القديمة أمر ابن طولون بإعداد ما يشبه وحدة طبية للمصلين قال المقريزى «وعمل فى مؤخرة ميضأة وخزانه شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة»(١٩).

وقد شملت عمارة السلطان لاجين عمل القبة التى تعلو المحراب، والحجرة خلف المحراب، والمنبر والمحراب، ومن التجديدات التى طرأت عليه فى العصر المملوكى البحرى أن الملك الناصر محمد بن قلاوون شيد به مئذنتين قال المقريزى «ثم ولاه الناصر للقاضى كريم الدين الكبير فجدد فيه مئذنتين»(٢٠).

مر جامع ابن طولون بالعديد من التجديدات منذ العصر الفاطمى، فقد جدده بدر الجمالى فى عهد الخليفة المستنصر بالله فى عام ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م كما جاء باللوح الرخامى الذى يعلو جدار الزيادة الشمالية الشرقية أعلى المدخل الحالى الذى يتوصل منه للمسجد، ثم اتخذه الحجاج المغاربة منزلا لهم فى أثناء رحلة الحج، ثم اتخذ فيه الظاهر بيبرس البندقدارى مخبزا، واختفى فيه لاجين فى عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م وكان متخربا، ثم جدده لاجين تجديدا شاملا كما تقدم فى عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، ثم خرب مرة أخرى فى القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى حين شيد به مصنع الأحزمة الصوفية، وتحول إلى ملجأ للعجزة والمسنين تحت اشراف كلوت بك اعتبارا من عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٧٥م، ثم رمم ترميما شاملا من قبل لجنة حفظ الآثار خلال الفترة من ١٣٠٨-١٣٣٧هـ/ ١٨٩٠-١٩١٨م.

عمائر الأغالبة الدينية ١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م

شهد المغرب الاسلامى منذ أواخر القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى قيام دويلات مستقلة فى سائر أجزائه، ففى المغرب الأدنى بالقيروان[٢١]. قامت دولة الاغالبة، وفى المغرب الأوسط بتاهرت[٢٢] قامت دولة الرستميين، وفى المغرب الأقصى بفاس[٢٣] قامت دولة الادارسة، وفى سجلماسة[٢٤] قامت دولة بنى المدرار، وفى نكور والريف الغربى قامت دولة بنى صالح بن منصور الحميرى، وفى شالة بتامسنا قامت دولة بنى صالح بن طريف البرغواتى، غير أن أهم هذه الدويلات جميعا دولة بني الأغلب[٢٥].

أسس دولة الاغالبة ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى (ابراهيم الأول) (١٨٤-١٩٦هـ/ ٨٠٠-٨١١م) بولاية من الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، واتخذ من القيروان حاضرة لدولته، ثم شرع فى عام ١٨٥هـ/ ٨٠١م فى تشييد مدينة القصر القديم التى تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب القيروان وسماها العباسية تقربا من الخلافة العباسية وتعبيرا عن ولائه للعباسيين، ثم تولى بعده أبو العباس عبد الله بن ابراهيم (١٩٦-٢٠١هـ/ ٨١١-٨١٦م) الذى عرف بعبد الله الأول، ثم تولى بعده زيادة الله بن ابراهيم (زيادة الله الأول) ٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٦-٨٣٧م، وقد نعمت تونس فى عهده بالازدهار، وكان مولعا بالتشييد والعمارة، وقد ترك آثارا عديدة فى القيروان والعباسية وتونس وسوسة، كما كان على صلة طيبة بالمأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) وفى عهده فتحت جزيرة صقلية فى عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م[٢٦].

تولى أبو عقال الأغلب بعد وفاة زيادة الله خلال الفترة من ٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤٠م، ثم تولى أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم ٢٢٦-٢٤٢هـ/ ٨٤٠-٨٥٦م، وشيد مدينة بالقرب من تاهرت سماها العباسية فى عام ٢٢٧هـ/ ٨٤١م خربها الأمام افلح بن عبد الوهاب بن رستم، ثم تولى بعده أبو ابراهيم أحمد بن محمد ٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م، وكان مولعا بالتشييد والعمارة مثل زيادة الله الأول، ثم تولى زيادة الله الثانى وهو أبو محمد زيادة الله بن محمد ٢٤٩-٢٥٠هـ/ ٨٦٣-٨٦٤م، ثم تولى محمد الثانى وهو أبو الغرانيق محمد بن أحمد ٢٥٠-٢٦١هـ/ ٨٦٤-٨٧٤م، وشيد قصرا لصيد الغرانيق، وشيد حصونا ومحارس على ساحل البحر بالمغرب، ثم تولى ابراهيم الثانى، وهو ابراهيم بن أحمد ٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٠٢م، وشيد مدينة رقادة فى عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، وشيد بها جامعا وقصرا اسماه الفتح، وشيد ما جل القيروان والحصون والمحارس على ساحل البحر، وهو الذى شيد سور سوسة، ثم تولى عبد الله الثانى، وهو أبو العباس عبد الله بن ابراهيم ٢٨٩-٢٩٠هـ/ ٩٠٢-٩٠٣م، ثم تولى زيادة الله الثالث وهو زيادة الله بن عبد الله ٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م(٢٧).

مسجد الرباط فى سوسة ٢٠٦هـ/٨٢١م

يعد رباط سوسة المعروف بقصر الرباط من المنشآت الحربية الهامة فى تاريخ العمارة الإسلامية، وقد وصلت إلينا عمارته فى حالة جيدة، شيده الامير زيادة الله بن الأغلب فى عام ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، وقد سجل تاريخ الانشاء على لوحة من الرخام توجد بأعلى مدخل المنار، نقرأ عليها النص التالى «مما امر به الأمير زيادة الله بن ابراهيم أطال الله بقاه على يدى مسرور الخادم مولاه فى ستة ومائتين اللهم انزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين»(٢٨). ويقع رباط سوسة على خليج قابس بداخل أسوار مدينة سوسة فى القسم الأدنى منها، ويشتمل على سور مربع الشكل يبلغ طول ضلعه ٣٩م تقريبا تدعمه أبراج نصف دائرية، أما البرج الذى فى الركن الجنوبى الغربى فقد جاء مربعا يقوم عليه منار اسطوانى ينتهى بجوسق تعلوه قبة، ويقوم بوظيفتين الدعوة للصلاة، ثم اعطاء الاشارات الضوئية فى المساء، ويتكون الرباط من طابقين أحدهما سفلى، والآخر علوى يشغل الجانب الجنوبى منه مسجد صغير(٢٩).

يشغل المسجد مستطيلا طوله من الداخل ٣٩م وعرضه ٧م، ويقتصر على ظلة للقبلة، اذ لايشتمل على صحن أو ظلات جانبية، وقد جاء تخطيط ظلة القبلة من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، واحدى عشرة بلاطة عمودية عليه، وتتميز البلاطة التى تتقدم المحراب بإتساعها عن البلاطة الثانية، حيث جاءت بإتساع ٣ر٧٠م، أما البلاطة الثانية فيبلغ اتساعها ٢ر٧٠م، ويفصل بين البلاطتين صف من الدعامات يتكون من عشر دعامات، وترتقى على هذه الدعامات عقود على نظام ظلة القبلة فى المسجد الجامع فى سوسة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م منها صف من أحد عشر عقدا توازى جدار القبلة، وعشرة صفوف بكل منها عقدان فى اتجاه

عمودى على جدار القبلة، وتختلف مقاسات البلاطات بين الدعامات أقصاها طولا ٩٠ر٢م، واقصرها ٤٠ر٢م وتختلف المقاسات كذلك فى بداية البلاطة الواحدة وعند نهايتها، ولهذا فان عقود البلاطات جميعا ليست عمودية على جدار القبلة ولا هى موازية لبعضها بعضا، وتزداد البلاطتان المتطرفتان سعة عن البلاطات الأخرى، هذا ويتوسط المحراب جدار القبلة، تعلوه قبة تبدو من الخارج بارزة[٣٠].

وقد اوجد المعمار فى الجدار المواجه لجدار القبلة خمسة مداخل: اثنان عن يمين الواقف أمام المحراب، وثلاثة عن يساره، ولم يفتح المعمار مدخلا يقابل المحراب نفسه فى ذلك الجدار، وقد غطيت الأسقف فى البلاطتين بأقبية نصف دائرية.

مسجد بوفتاتة بسوسة ٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٧-٨٤١م

يقع هذا المسجد قريبا من باب سوسة الجنوبى، وهو مسجد صغير يشغل مساحة مستطيلة تمتد رأسيا من الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٣م، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ١٠م، ويعتقد د. أحمد فكرى أن المسجد كان يشتمل على صحن يحيط جهاته الشمالية والشرقية والغربية على غير النظام الذى تبدو عليه الجدران التى تحيط به حاليا من الشرق ومن الشمال، ذلك لأن الكتابة الكوفية المسجلة على الحجارة فى الاطار الذى يعلو جدار الواجهة الشمالية للمسجد، كانت تمتد كذلك على الواجهة الغربية، إذ ماتزال تشاهد آثار منها على هذه الواجهة، ونقرأ فى بقايا النقش الكتابى الذى كان يعلو واجهات المسجد عبارة «بن ابراهيم الأغلب»، وتشير العبارة إلى الأمير أبى عقال الأغلب بن ابراهيم الذى كان واليا على افريقية فى المدة من سنة ٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤١م بعد وفاة زيادة الله الأول فى عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م(٣١).

ولم يتبق من هذا المسجد غير ظلة القبلة وسقيفة تتقدم الظلة من الجهة الشمالية، تشرف على الصحن ربما استخدمت كصحن للجنائز، وتنقسم هذه الظلة إلى ثلاث بلاطات تمتد موازية وعمودية فى آن واحد بالنسبة لجدار القبلة حيث تحدها بائكتان موازيتان لجدار القبلة، بكل بائكة ثلاثة عقود ترتكز على دعامتين، وتقوم على الدعامتين بائكتان عموديتان على جدار القبلة، بكل بائكة ثلاثة عقود كذلك، أى أن تخطيط بيت الصلاة يشتمل على ثلاث بلاطات موازية تتقاطع معها ثلاث بلاطات عمودية، ويتكون بذلك تسع مساحات مربعة طول كل ضلع منها متران ونصف، ويتوسط المحراب جدار القبلة.

وقد أوجد المعمار مدخلا يقع على محور المحراب يفتح على السقيفة التى تقدم ذكرها والتى تطل على الصحن من الجهة الشمالية ببائكة من ثلاثة عقود، وتفتح هذه السقيفة من خلال مدخل على الصحن من الجهة الشرقية.

وأغلب الظن أن هذه السقيفة كانت تستخدم صحنا للجنائز كما تقدم، إذ ليس من المتبع فى بلاد المغرب أن تقام هذه الصلاة داخل بيوت الصلاة فى المساجد(٣٢).

وتخطيط المسجد على هذا النحو يعد تخطيطا جديدا لم يقابلنا فى عمارة ظلة القبلة فى المساجد السابقة، لذا فهو يعد أول مسجد تسير فيه البلاطات والبائكات موازية وعمودية فى آن واحد فى ظلة القبلة.

المسجد الجامع فى سوسة ٢٢٦-٢٤٢هـ/ ٨٤٠-٨٥٦م

اتخذ الاغالبة من سوسة ميناءً لعاصمتهم القيروان، وقاموا بتحصينها وتشييد الرباط بها، وقد شيد هذا المسجد الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم فيما بين سنتى ٢٢٦-٢٤٢هـ/ ٨٤٠-٨٥٦م، فى الموقع الذى يشغل الطرف الشمالى الشرقي من المدينة بالقرب من باب البحر، وقد سجل تاريخ الانشاء على افريز حجرى بالخط الكوفى حول الصحن يمتد بطول ١٣٥م، ويتضمن النقش آيات قرآنية وتاريخ البناء، وقد نفذت هذه الكتابات بأسلوب النحت البارز على الحجر، غير أن هذا الافريز تهدم ما يقرب من نصفه فى عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م أثر سقوط قذيفة على صحن المسجد، وقد ساهم د. أحمد فكرى فى إعادة تركيبه على حالته الأولى، إلا أن الجزء الذى كان يمتد منه على واجهة ظلة القبلة فقد بعض حروفه وكلماته عندما اختلت مواضعه عند اضافة بلاطة إليه فى عام ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م، ولذا فهو غير كامل ونقرأ فيه «مما أمر به.. محمد الا.. ست وثلاثون ومائتين فى المسجد...»، والمعروف أن الأمير الذى كان واليا على تونس فى ذلك العهد هو أبو العباس محمد بن الأغلب(٣٣).

هذا وقد جاء مخطط المسجد من مساحة مستطيلة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب، حيث يمتد المسجد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٢م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٤٤م، يحيط به جدار ضخم يبلغ سمكه ١م، وقد قسم المعمار هذه المساحة إلى صحن أوسط فسيح مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٤١م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٢٧م، وأربع ظلات أكبرها وأعمقها ظلة القبلة التى تمتد بطول ٤٩م، كما يبلغ عرضها ١٠م تقريبا، قسمها المعمار إلى ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وثلاث عشرة

بلاطة عمودية على جدار القبلة أى تمتد من الشمال إلى الجنوب، أى أن البائكات فى ظلة القبلة تمتد فى اتجاه موازى وعمودى فى آن واحد على جدار القبلة، وتشتمل البائكات على اثنتى عشرة دعامة، وتتميز كل دعامة بأنها تحمل أطراف أربعة عقود، وقد جاءت العقود على هيئة نصف دائرية مرتفعة موازية لجدار القبلة، وأخرى متجاوزة ومنخفضة عمودية على هذا الجدار، يشرف الصف الأخير منها على الصحن من خلال بائكة تتكون من أحد عشر عقدا، ويتميز العقد الأوسط بأنه أكثر اتساعا من بقية العقود، وبالتالى تتميز البلاطة الوسطى العمودية بأنها أكثر اتساعا من بقية البلاطات، حيث جاءت باتساع ٣٠ر٤م بينما جاءت بقية البلاطات الموازية والعمودية بإتساع يزيد قليلا عن ٣م، وقد جاء تخطيط ظلة القبلة هنا على غرار تخطيط ظلة القبلة فى مسجد بوفتاتة بسوسة ٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤١م، أما بقية ظلات المسجد فى الجهات الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، فقد جاءت من بلاطة واحدة، وتطل هذه الظلات على الصحن ببوائك تتكون عقودها من سبعة عقود فى الجانبين الشرقى والغربى، ومن أحد عشر عقدا فى الجانب الشمالى الغربى، وهو الجانب الذى الصق سلم المئذنة بثلاث بوائك منه.

وتقع المئذنة فى الزاوية الشمالية الشرقية من المسجد، وهى على هيئة برج شبه دائرى هدم قسمه العلوى الذى كان على هيئة مثمنة تتوجه قبة، ومازال سلمها باقيا من عهد بناء المسجد، ويغطى المسجد أسقف من أقبية نصف برميلية(٣٤).

ثانياً: عمارة الضريح

الدولة الأخشيدية (مشهد آل طباطبا) ٣٣٤هـ/٩٤٣م

ولى مصر بعد خمارويه (٢٧٠-٢٨٢هـ/ ٨٨٣-٨٩٥م) ثلاثة من آل طولون لم يزد حكمهم على عشر سنين، وهم أبو العساكر جيش بن خمارويه (٢٨٢-٢٨٣هـ/ ٨٩٥-٨٩٦م)، هارون بن خمارويه (٢٨٣-٢٩٢هـ/ ٨٩٦-٩٠٤م)، شيبان بن أحمد (٢٩٢هـ/ ٩٠٤-٩٠٥م)، وقد سادت الاضطرابات والفوضى البلاد خلال هذه الفترة، ولم تلبث الدولة الطولونية أن قضى عليها من قبل القائد العباسى محمد بن سليمان الذى خرب مدينة القطائع، قال المقريزى «وكان أول من ولى مصر بعد زوال دولة بنى طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب).. ودعا على المنبر لأمير المؤمنين المكتفى بالله.. ثم ورد كتاب المكتفى بولاية (عيسى بن محمد) النوشرى أبى موسى.. وابتدىء فى هدم ميدان بنى طولون فى شهر رمضان وبيعت أنقاضه»(٣٥).

أورد المقريزى «ثم ولى تكين الخزرى أبو منصور من قبل المقتدر.. ثم ولى ذكا الرومى.. ومات لاحدى عشرة خلت من ربيع الأول.. فولى تكين مرة ثانية من قبل المقتدر.. وصرف تكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسع وثلثمائة فولى مؤنس أبا قابوس محمود بن حمل فاقام ثلاثة أيام وعزله ورد تكين.. ثم صرفه.. ثم ولى هلال بن بدر من قبل المقتدر.. إلى أن صرف عنها.. فولى أحمد بن كيغلغ من قبل المقتدر،.. فولى تكين المرة الثالثة من قبل المقتدر.. وصلى الجمعة فى دار الامارة بالعسكر.. ولم يصل قبله أحد من الامراء فى دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وبويع أبو منصور القاهر بالله فأقر تكين حتى مات فى سادس عشر ربيع الأول سنة احدى

وعشرين وثلثمائة فحمل إلى بيت المقدس.. فقام ابنه محمد بن تكين موضعه.. ثم ولى محمد بن طغج بن جف الفرغانى أبو بكر من قبل القاهر بالله.. ودعى له وهو بدمشق اثنين وثلاثين يوما إلى أن قدم رسول احمد بن كيغلغ بولايته الثانية.. وولى محمد بن طغج الثانية من قبل الراضى.. ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة فى اسم الامير محمد بن طغج فلقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر»[٣٦].

وقد اشتهر محمد بن طغج الاخشيد (٣٢٣-٣٣٤هـ/ ٩٣٥-٩٤٦م) فى الخلافة العباسية منذ سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٩م حين ولى اقليم طبرية وجبل الشراة نيابة عن تكين، وقد لقب بالاخشيد بعد انتصاره على الفاطميين، وقد استقرت البلاد نسبيا فى عهده، ثم خلفه ابنه أبو القاسم أنوجور (٣٣٤-٣٤٩هـ/ ٩٤٦-٩٦٠م)، ثم ولى مصر أبو الحسن على بن الاخشيد (٣٤٩-٣٥٥هـ/ ٩٦٠-٩٦٦م)، ثم ولى أبو المسك كافور (٣٥٥-٣٥٧هـ/ ٩٦٦-٩٦٧م)، ثم كان أبو الفوارس أحمد بن على آخر امراء الدولة الاخشيدية (٣٥٧-٣٥٨هـ/ ٩٦٧-٩٦٩م)[٣٧].

أقام الاخشيد قصرا بجزيرة الروضة أطلق عليه اسم المختار، كما أقام ميدانا عرف نسبة إليه باسم «ميدان الاخشيد»، كما شيد قصرا آخر كان يقع غربى سوق النحاسين الحالى، وصار القصر يعرف فى عصر كافور الاخشيدى باسم «البستان الكافورى»، وشيد كافور دارا عرفت بدار الفيل، وكانت تقع على بركة قارون بالقرب من جامع ابن طولون وسكن بها فى رجب سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م[٣٨].

كذلك اهتم امراء الدولة بالتشييد والبناء، فقد شيد أبو بكر محمد بن على المادرائى جوسقا كان يجتمع به الناس فى ليلة النصف من شعبان وأيام الأعياد لتلاوة القرآن الكريم، كما شيد الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات بئرا بالفسطاط وعرفت باسم «بئر الوطاويط» وذلك فى عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م[٣٩].

ولم يصل إلينا من آثار الدولة الاخشيدية غير مشهد طباطبا الذى ينسب إلى ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، جاء إلى مصر فى أوائل القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، وجلس بالجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) واجتمع عليه الناس لسماع الحديث، ومن أولاد ابراهيم طباطبا الذين دفنوا بهذا المشهد على بن الحسن بن طباطبا، والامام أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا، والأمام عبد الله بن طباطبا الذى كانت تربطه علاقة وثيقة بكافور الاخشيدى، ولم يقتصر المشهد على الرجال فحسب، بل دفن به كذلك بعض أفراد عائلة طباطبا من النساء، فقد دفنت السيدة خديجة ابنة محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن طباطبا، وفى هذا المشهد عند الجدار الغربى قبر أبى الحسن على بن الحسن بن طباطبا المعروف باسم صاحب الحورية، ويضم المشهد أيضا قبر أبى محمد الحسن بن على بن طباطبا وبهذا المشهد أيضا يس بن الحسن كما يوجد قبر سليمان بن على وهو من خدام المشهد ومن داخل قبة المشهد يوجد قبر الشريف طباطبا الأصغر كما يوجد فيه جمع كبير من أهل العلم والصلاح والتقوى(٤٠).

يقع المشهد إلى الغرب من مسجد الامام الشافعى جاء تخطيطه من مستطيل غير منتظم الأضلاع مقاييسه ٣٠ X ٢٠م أوجد المعمار فى نهايته الجنوبية قبتين ويشتمل الجدار الشمالى الشرقى على مدخل يقع إلى اليسار منه بناء حديث من حجرة مربعة يغطيها قبة تشتمل على بئر لتزويد المشهد بالمياه ويتصل بجدارها مبنى مستطيل قسم إلى ست حجرات صغيرة بعضها مربع غطى بأقبية متقاطعة وقباب والآخر مستطيل تغطيه أقبية وتشتمل هذه الغرف على مقابر عائلة طباطبا وتتصل بمكان الصلاة من خلال مدخل فى الجهة الغربية(٤١).

أما تخطيط مكان الصلاة فقد جاء مربعا يبلغ طول ضلعه ١٨م تقريبا شيد من الأجر ويشتمل فى جدار القبلة على محراب فقد قسم المعمار مساحته إلى ثلاث بلاطات تمتد موازية وعمودية فى آن واحد، وذلك من خلال وجود أربع دعامات

صليبية في الوسط وأكتاف بارزة مدمجة فى الجدران بحيث قسمت المساحة فى مجملها إلى تسع مساحات مربعة غطيت بتسع قباب بحيث اشتملت كل بلاطة على ثلاث قباب ويماثل تصميم وتخطيط هذا المشهد مشهد السبعة وسبعين ولى باسوان، ويرجح كريسويل أن هذا المشهد قد شيد فى عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٣م وهو تاريخ وفاة الشريف طباطبا الأصغر.

هوامش وتعليقات الفصل الخامس

(١) د. ابراهيم العدوى : مصر الإسلامية، وزارة الثقافة، هيئة الآثار، ص ٩٩.

(٢) المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، جـ٢، ص ٢٦٤.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٦٤.

(٤) البلوى (أبى محمد عبد الله بن محمد المدينى) : سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٥٦.

(٥) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٦٦. مزيد من التفاصيل عن تجويد الخط فى العصر العباسى أو فى القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى، انظر: د. مايسة محمود داود: الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة (٧-١٨م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ١٠٦.

(٦) ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى): فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١١٨.، مزيد من التفاصيل عن جامع ابن طولون انظر:

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ص ٣٢-٤٦.، د. سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، جـ١، ص ص ١٣٥-١٥١.،

محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، القاهرة، ١٣٤١هـ/١٩٢٧م، ص ص ٧٢-٧٣.، د. فريد شافعى : مئذنة مسجد ابن طولون، رأى فى تكوينها المعمارى، فصلة من مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع عشر، جـ١، مايو ١٩٥٢م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢، ص ص ١٦٧-١٦٨.، د. السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب ٦٤، مطابع الشعب، ١٩٥٩م، ص ص ١٧٢٠-١٧٢.

Fattal, Antoine : Ibn Tulun's Mosque in Cairo (La Mosquee D'Ibn Tuloun Au Caire), Beyrouth 1960, pp. 3-8. Organization of Islamic Capitals And Cities : Principles of Architectural Design And Urban Planning During Different Islamic Eras, Center for Planning and Architectural Studies, 1412 A.H. 1992 A.D., pp. 19-25.

(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٦٦.

(٨) د. فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، مج١، ص ٤٦٣.

(٩) د. فريد شافعى : العمارة العربية، ص ٤٦٨.

(١٠) د. أحمد فكرى : المدخل، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢-١٣٨٩هـ / ١٩٦٢-١٩٦٩م، ص ١١٩.

(١١) المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى) ت حوالى ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٩٩.

(١٢) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، جـ١ ، ق١ ، ص ص ١٧٣ ، ١٨١.

(١٣) ناصر خسرو علوى: سفرنامة، ترجمة د. يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١١٦.

(١٤) ابن جبير: رحلة، ص ٢٥.

(١٥) د. عبد الله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ص ١٥١-١٦٠.

(١٦) د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ص ٤٨٠-٤٨١.

(١٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢٦٧. ، الجبرتى: تاريخ الجبرتى، دار الشعب، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، جـ١ ، ص ١٩.

مزيد من التفاصيل عن مئذنة ابن طولون من الناحيتين المعمارية والزخرفية أنظر:

Creswell: A short Account, pp. 430-404., Hautecoeur (L.), Wiet (G.): Les Mosquees du Caire, Texte I, Paris, 1932, pp. 215-216, Hassan (Z.M.): Les Tulanides, Etude de L'Egypte Musulmans a La Finix Siecle 868-905, Etablissements Busson, Paris, 1933 pp. 301-303, Rajab (G.): The Minaret of Ibn Tulun. Its Construction and History in Iraq, Vol. XXIII, 1967, pp. 83-96., Abouseif (D.B.) : The Minarts of Cairo, The American Universtity in Cairo Press, 1985, pp. 50-54.

(١٨) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ص ٢٦٧-٢٦٨.

(١٩) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٦٩.

(٢٠) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٤١.

(٢١) القيروان: مدينة عظيمة بافريقية شيدت فى صدر الاسلام من قبل القائد عقبة بن نافع الفهرى خلال الفترة من ٥٠-٥٥هـ/ ٦٧٠-٦٧٥م، وهى أجل مدن المغرب، وكان عليها سور عظيم هدمه زيادة الله بن الأغلب.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ٤، ص ص ٤٢٠ - ٤٢١.، القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١هـ/١٤١٨م: صبح الأعشى فى صناعة الانشا نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والارشاد القومى، جـ٥، ص ١٠١.

(٢٢) تاهرت : بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتين اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، وهى بين تلمسان وقلعة بنى حماد، وهى مدينة جليلة كانت قديما تسمى عراق المغرب، وكانت مسورة تشتمل على أربعة أبواب هي الصفا والمنازل والأندلس والمطاحن.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٢، ص ص ٧-٩.، الحميرى (محمد عبد المنعم)، ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م: الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص ١٢٦.

(٢٣) فاس: بالسين المهملة مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهى حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش، وهى مدينتان : عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢٤) سجلماسة: بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة، مدينة فى جنوبى المغرب فى طرف بلاد السودان، وهى فى منقطع جبل درن، وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة، ولنسائهم يد صناع فى غزل الصوف، وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم ما لا

لأنها على طريق من يريد غانة التى هى معدن الذهب.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٣، ص ١٩٢.

(٢٥) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص ٢٨٧.، د. أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص ص ٤٦-٥١.

(٢٦) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام، جـ٢، ص ص ١٧٢-١٧٧.، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢٨٦- ٢٩٩.

(٢٧) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٣٠٧-٣١٧.

(٢٨) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢٩) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣٠) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٢٦٥.

(٣١) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٣٢) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٣٦٠.، د. محمد محمد الكحلاوى: بحوث فى الآثار الاسلامية فى المغرب والاندلس، القاهرة، ١٩٩٩م، جـ١، ص ٦٣ شكل (١١).

(٣٣) د. أحمد فكرى : المدخل، ص ٢٥٠.، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٣٥٧.، د. محمد محمد الكحلاوى : مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين، ص ٣٥٨، شكل رقم (٥٠).

(٣٤) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٣٥٩.

(٣٥) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٢٧.، د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام، جـ٣، ص ١٣٩.

(٣٦) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ص ٣٢٧- ٣٢٩.

أخذ الولاة خلال تلك الفترة يتعاقبون على مصر، ولم يكن الوالى منهم يلبث إلا قليلا حتى يقتل أو يعزل ليتولى مكانه آخر أو يتقلد الحكم مرة ثانية وثالثة.

(٣٧) د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام، جـ٣، ص ص ١٤٢-١٤٤.

(٣٨) د. ابراهيم أحمد العدوى : مصر الاسلامية درع العروبة ورباط الاسلام، هيئة الآثار، المصرية، ص ١٢٥.

(٣٩) د. ابراهيم العدوى : مصر الاسلامية، ص ١٢٥.

(٤٠) د. سعاد ماهر : مساجد مصر، ص ص ١٥٨ - ١٦٢.

(٤١) د. سعاد ماهر : مساجد مصر ، ص ١٦٣.

الفصل السادس

العمارة المدنية والاستحكامات
الحربية فى مصر وافريقية

مدينة العسكر ١٣٢هـ/ ٧٥٠م

شيدها القائد صالح بن على فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م بعد القضاء على الخليفة الأموى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، ومن ثم القضاء على الخلافة الأموية فى الفضاء الواقع فى الشمال الشرقى من الفسطاط، وتعد العسكر الحاضرة الثانية لمصر فى العصر الاسلامى بعد الفسطاط، ذكرها المقريزى فقال «كان مكان العسكر فى صدر الاسلام يعد بعد الفتح بالحمراء القصوى»(١)، وهى المنطقة التى كانت بها خطط القبائل من بنى الأزرق ذويل وبنى يشكر بن جزيلة، وكان أكثر هذه القبائل من عرب الشام، وكانوا حمر الوجوه فسميت المنطقة لذلك بالحمراء القصوى، وقد عرفت بالعسكر نسبة لعسكر العباسيين(٢).

شيد القائد العباسى دار الامارة وثكنات الجند، وقد أصبحت هذه الدار مقرا للوالى إلى ما بعد مجىء أحمد بن طولون، قال المقريزى «وكان الأمراء ينزلون بهذه الدار إلى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها إلى القطائع»(٣).

وفى عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م شيد والى مصر الفضل بن صالح مسجدا جامعا إلى جانب دار الامارة بمدينة العسكر، قال المقريزى «وكان لها باب إلى الجامع الذى بالعسكر»(٤)، ثم ازداد عمرانها، وحفلت بالدور والبساتين والأسواق حتى اتصلت بمدينة الفسطاط، وغدت اشبه بضاحية لها، وفى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون تحولت المدينة إلى ديوان للخراج، ثم خربت بداية من دخول محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر وزوال الدولة الطولونية(٥).

مقياس النيل بالروضة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م

كان قياس ارتفاع النيل ذا أهمية بالغة اذ أن حق جباية الضرائب أو خراج الأرض كان يتوقف على ارتفاع مياه النيل إلى مستوى معين يمكن الفلاح من ري الأرض، وقد أمدتنا المصادر بعدة مقاييس شيدت بمصر بعد الفتح الإسلامى بعضها من انشاء عمرو بن العاص مثل مقياس أسوان ومقياس دندره، وبعضها من انشاء معاوية بن أبى سفيان مثل مقياس أنصنا الذى بقى مستخدما حتى شيد عبد العزيز بن مروان مقياسا غيره بحلوان فى عام ٨٠هـ/ ٦٩٩م. كما شيد أسامة بن زيد عامل الخراج من قبل الوليد بن عبد الملك مقياسا كبيرا فى جزيرة الروضة فى خلافة الوليد عام ٩٦هـ/ ٧١٥م، ثم ابطل الخليفة سليمان العمل به، ثم أعاد عمله فى السنة التالية فى خلافة سليمان بن عبد الملك(٦).

ويعد المقياس الحالى بجزيرة الروضة الذى عرف بالهاشمى، أو بالمقياس الجديد، أو بالمقياس الكبير، أو بمقياس الروضة ثان الآثار الاسلامية قدما بعد البقايا التى لاتزال قائمة بجامع عمرو بن العاص والتى تنسب إلى أعمال الوالى عبد الله بن طاهر فى عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م فهو ينسب إلى العصر العباسى حيث بنى فى عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م بأمر المتوكل الخليفة العباسى، وقد بقى المقياس كله فى حالة جيدة بفضل أعمال الاصلاح والصيانة التى قامت بها وزارة الأشغال فى ١٩٢٧م(٧).

ولقد اجمع المؤرخون على أن هذا المقياس قد شيد فى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م بأمر المتوكل الخليفة العباسى، ونسبه البعض إلى الخليفة المأمون، غير أن المؤرخ ابن خلكان ذكر ما يؤكد ان اسم الخليفة المتوكل كان محفورا فى الحجر فى نص

تسجيلى على شريط يحيط بفوهة البئر من أعلاها ومعه تاريخ بنائها فى رجب سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م وأن البئر قد بنيت على يدى أحمد بن محمد الحاسب، وهى كتابات كوفية[٨].

وأغلب الظن أن النصين اللذين أشار إليهما ابن خلكان فقدا عندما قام أحمد بن طولون باصلاحات فى المقياس فى عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م واستبدل الشريطين الكتابيين فى الجانبين الجنوبى والغربى القديمين بالشريطين الحاليين، ويعد الشريطان المنقوشان بالحفر فى الجانبين الشمالى والشرقى أقدم نصوص كتابية فى حكم المؤرخة على آثار معمارية بمصر، ومن المحتمل أن أحمد بن محمد الحاسب أما أنه كان مشرفا اداريا وماليا على العمل فحسب، أو كان مشرفا فنيا أيضا فى نفس الوقت، أى كان مهندسا[٩].

ويعد بناء المقياس فخرا هندسيا للمهندسين العرب المسلمين من عدة نواح أولها أن جدران البئر التى شيدت بالحجر المنحوت المتقن قد صممت بحيث يزيد سمكها كلما ازداد عمقها فى الأرض فعملت البئر على ثلاثة أدوار السفلى منها على هيئة دائرة يعلوه دور مربع ضلعه أكبر من ضلع الدور السفلى، أما الدور العلوى الأخير فهو مربع ضلعه أكبر من ضلع الدور الأوسط، وهذا التدرج فى سمك الجدار يدل على دراية ومعرفة بالنظرية الهندسية الخاصة بازدياد الضغط الأفقى للأتربة على الجدران كلما زاد عمقها ومن جهة ثانية فان أسلوب نحت الاحجار يدل على عناية ودقة فائقتين، اضافة إلى انتقاء نوع المونة التى استخدمت فى لصق الاحجار، فقد ظلت تقاوم التحلل بفعل الماء فترة تزيد على ألف سنة.

ومن جهة ثالثة فان مراحل العمل قد وضع لها تنظيم وتوقيت دقيقان، وذلك منذ البدء فى حفر البئر والانفاق الموصلة إليها، حتى انتهاء العمل فى بناء البئر جدرانها وانفاقها والعمود الذى وضع فى محور البئر تماما، وقد وضع البناء فوق طبلية من جذوع الشجر الضخمة ثم ارتفع مداميك منتظمة واحجار دقيقة النحت

مع عمل النفق الأسفل فى الدور السفلى المستدير ليصل بينها وبين فرع النيل من جهة الفسطاط ثم شيد الدور الثانى فوق السفلى وترك فيه نفق آخر مشيد بالحجر المنحوت، وأخيرا بنى الدور الثالث والأخير وفيه النفق العلوى(١٠).

وقد كان يتخلل البناء أشرطة من الكتابات الكوفية محفورة فى الحجر أو الرخام، كما كان يتخلل الجدران دخلات غائرة تتوجها عقود مدببة وحليات ترتكز على أعمدة بنواصى الدخلات مندمجة ذات تيجان مزخرفة وقواعد كأسية.

وضع العنصر الرئيسى فى المقياس وهو العمود الأوسط الرخامى الذى حفرت عليه علامات الاذرع والقراريط التى تعين مناسيب الماء فوق الطبلية الخشبية، ويبلغ ارتفاع العمود نحو عشرة أمتار ونصف وهو مثبت من أعلى بواسطة كمرة أو رباط من الخشب المجوف المحشو بالرصاص، وكل تلك المراحل الهندسية المختلفة التى بدأت بالحفرة الكبيرة العميقة وانتهت بتثبيت العمود الأوسط كان لابد من الانتهاء منها فى فترة ما بين هبوط النيل إلى الحد الذى يكاد يجف فيه تماماً فرع النيل بين الروضة والفسطاط، وبين بدء فيضانه مرة أخرى أى ما يقرب من ستة أشهر فقط(١١).

وإلى جانب ما يحتوى عليه المقياس من أقدم مثل للكتابة التسجيلية على العمائر الاسلامية بمصر فان به أيضا مثلين صريحين لعنصرين من أهم العناصر الاسلامية وهما العقد المدبب ذو المركزين، وهو يتوج الدخلات الغائرة الأربع فى جوانب الدور العلوى الأخير من البئر، والثانى هو قاعدة الأعمدة الركنية المندمجة التى لها شكل كأسى أو ناقوسى، وهو الشكل الذى صار النموذج السائد لتيجان وقواعد الأعمدة فى العصر الاسلامى فى أقطار المشرق، ويوجد أقدم مثل له فى سامراء.

هذا وقد جدد المقياس فى العصر الفاطمى، فقد عهد الخليفة المستنصر بالله إلى وزيره بدر الجمالى بتجديده فاتم ذلك فى عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م وشيد مسجدا

فى جانبه الغربى عرف بمسجد المقياس، ثم أقام الظاهر بيبرس قبة فوق بئره، وجدده السلطان الأشرف قايتباى، وفى العصر العثمانى جدد المقياس من قبل كل من السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانونى والسلطان سليم الثانى، كذلك قام بتجديده على بك الكبير فى عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م، ثم جدده فى عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م، ثم جدد من قبل الحملة الفرنسية، ونقش تاريخ التجديد فى عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م على الواجهة الشرقية، وقامت وزارة الأشغال العمومية بإصلاحه فى عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م واستبدلت تاج العمود بآخر وسجلت تلك الأعمال على لوحة رخامية تحمل تاريخ ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، ثم جدد فى عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ثم أقيمت قبة خشبية مخروطية حديثة فوقه.

مدينة القطائع ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م

ينتمى أحمد بن طولون إلى العنصر التركى من بخارى فى بلاد ما وراء النهر، وقد تولى والده طولون منصب «أمير الستر» فى خلافة المأمون، وهو المنصب الذى تولاه ابنه أحمد بعد وفاته، ثم تقلب ابن طولون فى الوظائف حتى ولاه القائد التركى باك باك إدارة مصر نيابة عنه وذلك فى عام ٢٥٣هـ/ ٨٦٨م، ولما آل اقطاع مصر إلى يارجوخ صهره بدأ أحمد بن طولون جهوده للاستقلال بمصر على الجهتين الداخلية والخارجية، وبدأ ابن طولون يفكر فى تشييد حاضرة جديدة لدولته، وكان يسكن دار الامارة فى العسكر، قال المقريزى «نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها إلى القطائع»(١٢). ويذكر لنا البلوى سبب تحول ابن طولون من العسكر إلى القطائع فيقول «فضاقت به داره، وكان هو والأمراء من قبله يسكنون فى الدار التى تعرف إلى اليوم ببلد الامارة»(١٣).

ويحدثنا البلوى عن بناء القطائع الحاضرة الثالثة لمصر فى العصر الإسلامى فيقول « فركب أحمد بن طولون إلى سفح الجبل، فاختط فيه قصرا، وأمر أصحابه وغلمانه وتباعه أن يختطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه، فاختط الناس وبنوا، حتى اتصل البناء بعمارة البلد.. ثم قطعت القطائع، وسميت كل قطيعة باسم من يسكنها.. وبنى القواد مواضع متعددة، فعمرت عمارة حسنة، تفرقت فيها السكك والأزقة، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران، وسميت أسواقها.. فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن»(١٤).

كان تشييد القطائع فى عام ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، وهى تقع شمالى الفسطاط بين جبل يشكر وسفح المقطم، بالقرب من دار امارة العسكر، وازداد عمران القطائع حتى امتدت إلى الفسطاط والعسكر، وقام ابن طولون بتشييد مسجده على جبل يشكر، وشرع فى البناء فى عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م، وفرغ منه فى عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م كما هو مسجل بالخط الكوفى البسيط على لوحة تأسيسية مثبتة فوق احدى بدنات ظلة القبلة، قال البلوى «وكان يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة، فلما ضاق عنه بنى الجامع الجديد»(١٥).

شرع ابن طولون فى بناء قصره فى نفس العام، وجعل أمامه ميدانا عظيما يلعب فيه بالصوالج، وهى المعروفة فى الوقت الحاضر بلعبة البولو، وتقام فيه المسابقات فى فنون القتال بين الامراء ورجال الجيش ويتدرب فيه الجند، وكان يخترق المدينة شارع كبير يصل بين القصر والجامع عرف بالشارع الأعظم كما هو الحال فى مدينة سامراء التى أراد ابن طولون محاكاتها، قال البلوى «وبنى قصره ووسعه وحسنه، وبنى فيه ميدانا حسنا يضرب فيه بالصوالجة، فسمى القصر كله الميدان من أجل الميدان. . وعمل له أبوابا وسمى كل باب منها باسم، فمنها باب الميدان، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش، وسمى باب الصوالجة، وباب الخاصة لا يدخل منه إلا خاصته و (ما) كان مما يلى المقطم سمي باب الجبل، وباب للحرم، ولا يدخل منه الا خادم أو حرمة. . وباب فى الشارع الأعظم، كان يخرج منه إلى الجامع الذى بناه فسمى باب الصلاة، وصور عليه سبعين من جبس. . وهو يعرف بباب السباع. . وكان له فى قصره مجلس يشرف منه يوم العرض، ويوم المساكين. . وبنى على باب السباع مجلس يشرف منه ليلة العيد على القطائع. . . وكان يشرف منه أيضا على البحر، وعلى باب المدينة وما والاهما، وكان متنزها حسناً»(١٦). وكانت حدود القطائع على وجه التقريب من الجهة الشمالية الشرقية الهضبة التى تقوم عليها قلعة محمد على حاليا، ومن الجهة الشمالية الغربية شارع الصليبة ومن الجهة الجنوبية الغربية كان يحدها خط يتجه من الجنوب إلى الغرب مارا بمسجد زين العابدين إلى الشمال قليلا من

مجرى العيون، ومن الجنوب الشرقى قرافة السيدة نفيسة، وكانت مساحتها نحو ميل فى ميل قال المقريزى «وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون وهذا أشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من أول الرميلة تحت القلعة إلى الموضع الذى عرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل»(١٧).

وقد جاء القصر متأثرا فى تصميمه وعمارته وزخرفته بالأساليب والتقاليد المعمارية التى سادت مدينة سامراء، والتى شيد عليها الجوسق الخاقانى قصر الخليفة المعتصم بها، وقصر بللكورا فى شمالها، وما كان فيها من أبهاء وقاعات وافنية وبساتين وأشجار وملاعب، إلى غير ذلك من أنواع الترف والابهه، وبمعنى أدق أراد أحمد بن طولون محاكاة الخلافة العباسية فى أروع حواضرها مدينة سامراء.

وفى عهد خمارويه ازدهر القصر والميدان ازدهارا عظيما، قال المقريزى «اقبل على قصر ابيه وزاد فيه واخذ الميدان.. فجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر.. وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى فيها الماء.. فتنحدر إلى فساقى.. وغرس فيه من الريحان.. وزرع فيه النيلوفى الأحمر والأزرق والأصفر والجنوى العجيب.. وطعموا له شجر المشمش باللوز وأشباه ذلك.. وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش.. وزوقه بأصناف الأصباغ وبلط أرضه.. وسرح فى هذا البرج من أصناق القمارى والدباسى والنوينات وكل طائر مستحسن حسن الصوت.. وجعل فيه أوكارا فى قواديس لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها.. وسرح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبشى ونحوها.. وعمل فى داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب.. وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صورا

فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات.. بأحسن تصوير وأبهج تزويق.. فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا وجعل بين يدى هذا البيت فسقية مقدرة وملأها زئبقا.. وبنى أيضا فى القصر قبة تضاهى قبة الهواء وسماها الدكة.. وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه، وبنى أيضا فى داره دارا للسباع عمل فيها بيوتا بازاج كل بيت يسع سبعا ولبوته وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات ولكل بيت فيها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت.. وفى جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير.. ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج إلى القاعة.. وبنى أيضا دار الحرم ونقل إليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن وجعل معهن المعزولات من أمهات أولاده وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة.. واتسعت أيضا اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا.. وعمل للنمور دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللفيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التى بالجيزة.. وكان للخليفة أيضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكر تنتج فيها الخيل لحلبة السباق وللرباط فى سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق والسنى والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة.. قال القضاعى المنظر بناه أحمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الأربعة التى منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقى من هذه الأربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد.. وقد ذهبت الجمعة ببغداد.. بقتل هولاكو للخليفة المستعصم.. وبقيت مكة شرفها الله تعالى وليس فى شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه أنه من عجائب الإسلام...»[١٨].

قناطر المياه

من المنشآت المائية التى ترجع إلى عصر الدولة الطولونية قناطر مياه أحمد بن طولون التى تعرف الآن بمجرى الامام، ويعد برج المأخذ المتصل بها هو أكثر الأجزاء الباقية تماسكا، وهو عبارة عن كتلة مشيدة بالآجر بداخلها بئر مفرغ مفتوح، وعلى جانبيه غرفتان يغطيهما قبوان، وينقسم البئر إلى قسمين، ويسحب الماء منهما بواسطة ساقيتين ترفعانه إلى المجرى فوق ظهر البرج، ثم يسير منه فى مجرى وضع فوق القناطر التى تخرج من البرج فى انحراف يبلغ ١٤٠م على جانب البرج الشمالى، وبعد نحو ١٧م ينحرف فى اتجاه القناطر من الشمال الغربى إلى الشمال بميل قليل نحو الغرب، ثم ينحرف مرة أخرى بعد ١٢٢م نحو الشمال بميل إلى الشرق، ويمتد بعد ذلك خط مستقيم نحو مئذنة شاهين أغا الخلواتى، غير أن أكثر عقود هذه القناطر قد تهدم[١٩].

ولقد كان اختيار موضع البئر عند شاطىء بركة الحبش يخدم الغرضين اللذين كان يهدف إليهما أحمد بن طولون من تشييده لقناطر المياه، وهما حمل الماء إلى كل من قصره المترامى الأطراف وإلى منطقة القرافة التى يوجد بها بقعة لها مكانتها الدينية الكبيرة عند الناس هو قبر الإمام الشافعى الذى توفى ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م ودفن فى مقابر أولاد عبد الحكم فى نفس المكان الذى شيد فوقه الملك الكامل بناء الضريح الحالى، وإضافة إلى الفائدة المزدوجة التى يوفرها اختيار بدء القناطر من عند شاطىء بركة الحبش فهناك ميزة هندسية واقتصادية مهمة يوفرها موقع وتخطيط القناطر، هى فارق نحو عشرة أمتار فى الارتفاع من

منسوب الأرض عند بئر مأخذ القناطر على شاطىء بركة الحبش وبين منسوب الأرض عند شاطىء النيل، ولايقتصر الاقتصاد فى النفقة على بناء القناطر ومأخذ المياه من ناحية ذلك الارتفاع الكبير فحسب، بل أيضا من ناحية ما يترتب عليه من غرض القناطر نفسها، فقد امكن عمل العرض نحو ٥٠ر١م فقط بينما تطلب ارتفاع قناطر المياه التى شيدها الناصر محمد من عند فم الخليج أن يقرب عرضها من ٣م بل يزيد على ذلك فى بعض المواقع[٢٠].

بيمارستان ابن طولون

شيد أحمد بن طولون مارستانا بمدينة العسكر فى عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م، وقيل فى عام ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، وانفق على بنائه ٦٠٠٠٠ دينار، قال المقريزى عند ذكره مارستان ابن طولون «هذا المارستان موضعه الآن فى أرض العسكر.. وقد دثر هذا المارستان فى جملة ما دثر ولم يبق له أثر.. وقال جامع السيرة الطولونية وفى سنة احدى وستين ومائتين بنى أحمد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ولم فرغ منه حبس عليه.. وشرط فى المارستان أن لايعالج فيه جندى ولا مملوك وعمل حمامين للمارستان أحداهما للرجال والأخرى للنساء حبسهما على المارستان وغيره وشرط أنه إذا جىء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه.. وكان الذى انفق على المارستان ومستقله ستين ألف دينار، وكان يركب بنفسه فى كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين...»(٢١).

بيمارستان كافور الاخشيدى

فى العصر الاخشيدى شيد كافور الاخشيدى مارستانا آخر فى الفسطاط فى عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م، وكان مارستان أحمد بن طولون يعرف بالمارستان الأعلى، وكان مارستان كافور يعرف بالمارستان الأسفل، قال المقريزى عند ذكره المارستانات «هذا المارستان بناه كافور الاخشيدى وهو قائم بتدبير دولة الأمير أبى القاسم انوجور بن محمد الاخشيد بمدينة مصر فى سنة ست وأربعين وثلثمائة»(٢٢).

ويذكر د. فريد شافعى أنه يمكن القول أن أحمد بن طولون لم يكن مؤسس أسرة الطولونيين وأول من استقل بمصر فى العصر الإسلامى فحسب، بل أنه كان أول من اكتسبت العمارة والفنون فى مصر فى عهده طابعا اسلاميا خالصا من حيث الجوهر والمظهر معا. فان ولعه الكبير بالتشييد قد دفع عجلة تطور العمارة دفعة قوية، مما جعلها تكتسب ذلك الطابع الإسلامى العربى الخالص فى مدة قصيرة(٢٣).

تخطيط البيت الطولونى

تتمثل أقدم نماذج العمارة السكنية فى مصر الإسلامية فى جزء من منزل كشف عنه فى مدينة العسكر، ويؤرخ اعتمادا على زخارفه الجصية التى نفذت وفقا للطراز الثالث بحوالى سنة ٢٨٥هـ/ ٩٠٠م، وقد جاء تصميمه المعمارى وفقا للطراز الحيرى من ايوان أوسط وقاعتين مستطيلتين على جانبيه، وتتقدم الوحدات الثلاث سقيفة مستعرضة وتفتح على فناء الدار من خلال ثلاث فتحات، تتميز الوسطى منها بأنها أكثر اتساعا من الفتحتين الجانبيتين، وتتناسب هذه الفتحات والوحدات الثلاث من حيث اتساعها، وقد وجد هذا الأسلوب فى وحدتين من الوحدات الأربع التى يضمها قصر الأخيضر، وفى دور سامراء التى تنسب إلى فترة ما بين سنتى ٢٢١ و ٢٧٨هـ/ ٨٣٧ و ٨٩١م، ويعد هذا الأسلوب امتدادا للأسلوب الساسانى(٢٤).

هذا وقد كشف د. عباس حلمى عن دار ترجع إلى العصر الطولونى اعتمادا على زخارفها كما فى الدار السابقة، حيث تمثل الطراز الثالث من طرز سامراء، وجاء التصميم المعمارى لها من فناء فسيح تفتح عليه وحدات الدار كلها تقريبا وتتمثل فى جناحين رئيسيين فى الجهتين الشمالية والجنوبية ثم فى جناح ثالث جاء بحجم أصغر يلاصق الجناح الجنوبى، ثم بقية ملحقات البيت من المطبخ وحمامات وممرات وغير ذلك، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن الفناء يمثل النقطة المركزية فى تخطيط البيت الطولونى(٢٥).

وقد جاء تخطيط أجنحة الدار على نسق واحد يتبع الطراز الحيرى كما فى

البيت السابق، حيث يتألف من أيوان وقاعتين مستطيلتين، وتتقدم هذه الوحدات سقيفة مستعرضة ، وقد جاء الجناح الأصغر بحجم أصغر، حيث خصص لزوار الدار من الغرباء فهو منفصل تماما عن بقية وحدات البيت يتوصل إليه من المدخل الرئيسى، حيث جاء ملاصقا لكتلة المدخل، وقد جاء المدخل من النوع المنكسر أو غير المباشر، ويعرف هذا النوع أيضا بالباشورة والمدخل ذو المرفق والمدخل ذو العطف، حيث أنها جميعا مسميات لنوع واحد من المداخل، وهى التى ينحرف فيها الداخل يمينا أو يسارا مرة أو عدة مرات، ويؤدى المدخل المنكسر غرضين مهمين فى العمارة السكنية يمثل أحدهما منع انظار المارة فى الطريق من أن تكشف من بداخل الدار اذا ما فتح الباب الخارجى، أما الآخر فهو زيادة فرص الدفاع عن الدار إذا ما قامت فتن داخلية أو خارجية، هذا ويعد المدخل المنكسر هنا أقدم مثل قائم كما يذكر د. فريد شافعى[٢٦] من نوعه ثابت التاريخ فى العالم الإسلامى، ولم يعرف قبل ذلك إلا فى فى مدينة بغداد حسب ماورد فى كتابات المؤرخ العربى الخطيب البغدادى عند وصفه المدينة، وهى المدينة التى اندثرت آثارها تماماً.

يبدأ المدخل المنكسر فى هذا البيت بالبـاب الذى يفتح على الطريق العام مباشرة، ثم ينعطف الداخل منه إلى اليمين فى زاوية قائمة ويسير فى ممر قصير، وينعطف عند نهايته مرة أخرى ليخرج من كـتلة المدخـل من بـاب إلى يساره فى زاوية قائمة إلى الفناء الأول الصغير والذى يشتمل فى ضلعه الجنوبى على جناح صغير تقدم ذكره، ثم يخرج من هذا الفناء من ركنه الشمالى الشرقى ممر ينعطف يمينا ثم يسارا ليصب فى محور الضلـع الطويل للفناء الرئيسى المستطيل.

وتشتمل الدار على ممرات طويلة تربط بين وحداتها وملحقاتها دون المرور من خلال الفناء الأوسط، كما أوجد المعمار خلف الأيوان الشمالى درجا كان يصعد منه إلى الطابق العلوى أو الطوابق العلوية، حيث أجنحة الحريم وحجرات النوم.

هذا وقد كشف الأثارى على بهجت والمهندس البير جابرييل فى أول حفريات أجريت فى الفسطاط عن بعض الدور والبيوت، وخلصا إلى تأريخها فى فترة أربعة قرون تشمل من القرن ٣ حتى ٦ من الهجرة/ القرن ٩ حتى ١٢ من الميلاد، ثم ارخها كريسويل كلها بالقرن ٥هـ/ ١١م ثم نسبها د. عباس حلمى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، ويناقش د. فريد شافعى كل ذلك ويقول أن البيوت كلها تتفق فى وجود الفناء المكشوف الذى يتوسطها، ثم تلتف به الوحدات السكنية التى يتكون منها البيت الواحد، ويتراوح تصميم الفناء بين المربع وشبه المربع والمستطيل، وقد خضع توزيع العناصر الرئيسية حول الفناء لنموذج ساد فى تخطيط أربعة عشر بيتا من الستة عشر، وهو الذى وضع فى جانب واحد من الفناء الأوسط منه الجناح التقليدى المكون من السقيفة والايوان والحجرتين على جانبيه، أما الأضلاع الأخرى للفناء فقد وضع فى ضلع واحد أو أكثر أيوان عميق بغير سقيفة تتقدمه، وأحيانا يستبدل الايوان بدخلة ضحلة كأنها رمز لايوان، إلى غير ذلك من أنواع التصرف فى أشكال الايوانات والدخلات من حيث اتساعها وأعماقها، تبعا لما تسمح به مساحة الأرض والحدود الخارجية لها والتي شيد داخلها البيت بوحداته المختلفة(٢٧).

ويستدل على وجود طوابق علوية فى هذه الدور كما يذكر د. فريد شافعي من استعراض أربع ظواهر تتمثل فى عرض أو سمك الجدران الرئيسية المشيدة بالآجر والذى يصل إلى متر واحد فى أغلب الأحوال، ثم وجود قنوات رأسية قطاعها مربع أو مستطيل تركت داخل الجدران فى أثناء البناء وبخاصة قرب المراحيض أو فى جدرانها نفسها، ثم وجود درج سلالم صاعدة إلى أعلى، ثم وجود أنابيب من الفخار قطاعها مستدير مدفونة داخل الجدران تدل نظافتها على أنها كانت تستعمل للماء النقى ويضيف ان بعضا من الدور التى كانت فى ملك الاثرياء وذوو المقدرة من الناس بوجه خاص كانت تحتوى على وحدات أخرى إضافية مثل الاسطبلات للدواب، والحواصل، والشاذروانات والفساقى وأحواض المياه المحاطة بأحواض الزهور(٢٨).

وأغلب الظن أن الطوابق العليا من هذه الدور خصصت للحريم والنوم، بينما كانت وحدات الدور الأرضى مخصصة للمعيشة اليومية أثناء النهار وللاستقبالات والضيافة، وقد زخرفت الوحدات الرئيسيةفى هذه الدور مثل الأيوانات والقاعات بزخارف نباتية وهندسية ونقوش كتابية كوفية، وكانت هذه الدور تزدان بقطع من الخشب على هيئة أشرطة وازارات وحشوات، وكان بعضها يزدان بالحفر أو بالألوان والذهب أو بهما معا، ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بالعديد من هذه التحف التى تزدان بزخارف نفذت وفقا لطراز سامراء الثالث.

أما فيما يتعلق بالنوافذ والفتحات فى الوحدات السكنية المختلفة فهى بصفة عامة تفتح على الأفنية لتحقيق عنصر الاضاءة والتهوية من جهة والرؤية من جهة أخرى، وكانت غالبا تزود من قبل المعمار بمشربيات دقيقة رائعة من خشب الخرط الواسع أو الضيق المعشق مع بعضه وذلك فى دور الأثرياء، وبمشربيات بسيطة فى بيوت عامة الناس.

وفيما يتعلق بتأريخ الدور المكتشفة يعلق د. فريد شافعى على أراء الأثارى على بهجت والمهندس البير جابرييل ود. عباس حلمى والتى تقدم ذكرها قائلا أن الاعتماد على تأريخها يتمثل فى تخطيطها من جهة، ثم على ما عثر عليه من آثار معمارية وزخرفية فيها، فمن ناحية التخطيط فانه ينقسم إلى نموذجين رئيسيين لها: أحدهما هو الذى يوجد فيه جناحان رئيسيان يتكون الواحد منهما من السقيفة التى تتقدم ايوانا أوسط وعلى جانبيه قاعتان، ووضع كل جناح منهما فى الجانب القصير من الفناء المستطيل الذى يتوسط البيت، أما الأضلاع الطويلة فقد اشتملت على وحدات البيت الأخرى، أما النموذج الثانى فيشتمل على جناح واحد ذو سقيفة فى أحد أضلاع الفناء، ووضع فى الأضلاع الباقية ايوانات عميقة أو ضحلة على هيئة دخلات غائرة حسب المساحة المتاحة، مما يمكن معه تسميته بالنموذج ذى الأيوانات الأربعة، وتختلف البيوت الباقية فى عدد الأيوانات وأشكالها وطريقة توزيعها، ويرجع النموذج الأول إلى العصر الطولونى اعتمادا على البيت الطولونى المتكامل الذى تقدم ذكره، كما يمكن نسبة الدار

الخامسة أيضا إلى العصر الطولونى، وهى الدار التى تشتمل على بيتين من النموذج الثانى من التخطيط أى من النموذج ذى الأيوانات الأربعة، والتى عثر فيها على زخارف جصية من العناصر الهندسية التى صنعت بطريقة اللصق، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن هذا النموذج قد ظهر فى العصر الطولونى، وكل ما يمكن قوله بصفة عامة هو أن بعضا من تلك الدور قد شيد فى العصر الطولونى وأن بعضا آخر قد شيد فى عصور تالية على النموذج الطولونى ذى الايوانات الأربعة، فانه لايمكن اهمال المخلفات الأثرية الأخرى التى عثر عليها بين الانقاض أيضا وترجع إل العصر الفاطمى مثلا، لذا فان هذا النموذج الثانى أغلب الظن قد ظل مستخدما لبناء الدور حتى العصر الفاطمى بدليل وجوده فى بقايا القصر الفاطمى الغربى الصغير الذى بناه الخليفة الفاطمى العزيز بالله لابنته ست الملك(٢٩).

ويضيف د. فريد شافعى أنه بثبوت وجود المسقط ذى الأيوانات الأربعة يمكن الرد على نظرية كريسويل التى يقول فيها أن تخطيط العمائر الدينية المملوكية الذى يتكون من أربعة ايوانات تطور من التخطيط المكون من ايوانين فحسب والذى ظهر فى العصر الفاطمى وكانت تشيد عليه المساكن فى ذلك العصر(٣٠).

منشآت الأغالبة المدنية (المدن والقصور) العباسية

يعد ابراهيم بن الأغلب (ابراهيم الأول) ١٨٤-١٩٦هـ/ ٨٠٠-٨١١م) المؤسس الحقيقى لدولة الأغالبة، وقد اتخذ من القيروان حاضرة لدولته، ثم لم يلبث أن شرع فى بناء حاضرة جديدة أطلق عليها اسم العباسية تعبيرا عن ولائه للعباسيين، وذلك فى عام ١٨٥هـ/ ٨٠١م، فكانت هذه المدينة تقع فى موقع مدينة القصر القديم على بعد ثلاثة أميال جنوبى القيروان[٣١].

وقد شيد قصرا للامارة عرف بالقصر القديم بالنسبة لقصر ابراهيم بن أحمد (٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٠٢م) فى رقادة الذى شيد فى عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م، وقد ظلت هذه المدينة دارا للامارة فى عهد خلفاء ابراهيم بن الأغلب، فقد شيد بها زيادة الله بن ابراهيم (٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٦-٨٣٧م) القصور والمنيات، وحصنها فى عام ٢٠١هـ/ ٨١٦م[٣٢]. هذا وقد أقام أبو الغرانيق محمد بن أحمد (٢٥٠-٢٦١هـ/ ٨٦٤-٨٧٤م) فى العباسية، وشيد بها قصرا لصيد الغرانيق انفق فيه ٠٠٠ر٣٠ مثقالا من الذهب، وازدهرت العباسية ازدهاراً كبيراً فى منشآتها الحربية من أسوار وأبراج، وشيدت بها الحمامات والفنادق والأسواق والمواجل، ثم هجرها الأغالبة فى عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م[٣٣].

رقـــادة

شيد ابراهيم بن أحمد مدينة رقادة فى عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، وشيد بها جامعا وقصرا أسماه الفتح، وتقع رقادة على بعد ثمانية أميال جنوبى القيروان، وهى الحاضرة الثانية للأغالبة بعد العباسية، وظلت مقر الحكم حتى زوال الدولة الأغلبية فى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م فى عهد زيادة الله الثالث وهو زيادة الله بن عبد الله (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م)، حيث دخلها عبيد الله المهدى وقضى على الأغالبة وأقام بقصر الصحن حتى عام ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، ثم انتقل بعد ذلك إلى المهدية، وكان من قصور رقادة قصر بغداد، والمختار، والفتح، والبحر، والعروس، والصحن(٣٤).

منشآت الأغالبة المائية

شرع الأمير أبو ابراهيم أحمد بن محمد الأغلبى (٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م) فى عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م في حفر الماجل الكبير الذى يقع على باب تونس، وفرغ منه فى عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، وهو على شكل صهريج عظيم مستدير الشكل يبلغ قطره نحو ١٥٠م، وكانت مياه الأودية تجرى إليه، وكان أهل القيروان يشربون منه[٣٥].

وقد انشأ زيادة الله بن عبد الله وهو زيادة الله الثالث (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م) مركبا على ماجل القيروان سمى بالزلاج[٣٦].

هذا وقد شيد زيادة الله بن ابراهيم (زيادة الله الأول) (٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٦-٨٣٧م) قنطرة أبى الربيع وتقع خارج باب أبى الربيع جنوبى مدينة القيروان، وقد أصلحها الأمير أبو ابراهيم أحمد فى عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م[٣٧].

منشآت الأغالبة الحربية

كان الخوف من غارات الروم على سواحل تونس من جهة، والاستعداد الدائم للجهاد ضد الروم فى صقلية من جهة أخرى حافزا على عناية الأغالبة بتحصين هذه السواحل، وذلك بإقامة المحارس والأربطة، وكانت الأربطة تزود بمنارات توقد فيها النار للنذير باقتراب سفن العدو، وعن طريق هذه الأشارات تستعد المحارس والأربطة المجاورة لملاقاة العدو برا وبحرا، ولذلك كثر عدد الأربطة على سواحل تونس، ومن المنشآت الحربية الأغلبية ما قام بتشييده الأمير أبو ابراهيم أحمد بن محمد (٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م) بسوسة، حيث شيد سورها فى عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[٣٨].

وقام الأمير أبو الغرانيق محمد بن أحمد (٢٥٠-٢٦١هـ/ ٨٦٤-٨٧٤م) بتشييد الحصون والمحارس على ساحل البحر فى برقة وما يليها غربا، كما شيد ابراهيم بن أحمد (٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٠٢م) الذى يعد أعظم امراء بنى الأغلب على الاطلاق الحصون والمحارس بساحل البحر، وفى ذلك يذكر المؤرخ ابن الاثير «وكان عادلا، حازما فى أموره، أمن البلاد.. وكان القوافل والتجار يسيرون فى الطرق آمنين، وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر، حتى كان يوقد النار من سبتة فيصل الخبر إلى الاسكندرية فى الليلة الواحدة، وبنى على سوسة سورا»[٣٩].

هذا وقد شيد زيادة الله بن الأغلب (زيادة الله الأول) (٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٦-٨٣٧م) فى عام ٢٠٦هـ/ ٨٢١م رباط سوسة المعروف بقصر الرباط، وقد

سجل تاريخ الانشاء على لوحة رخامية بأعلى مدخل المنار، ويقع الرباط على خليج قابس، ويشتمل على سور مربع الشكل يبلغ طول ضلعه ٣٩م تقريبا، تدعمه أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، أما البرج الواقع فى الركن الجنوبى العربى فقد جاء مربعا يقوم عليه منار اسطوانى ينتهى بجوسق تعلوه قبة، والمدخل بارز يتوسط الواجهة الجنوبية يؤدى من خلال درج هابط إلى داخل الرباط، حيث نصل إلى باب يتوجه عقد مستقيم يفضى إلى ممر ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ويؤدى الممر بدوره إلى صحن الرباط، وقد جاء الصحن من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٢٠ر٤٠م. ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٩ر٢٠م يحيط به من الجهات الشمالية والشرقية والغربية أروقة تطل عليه ببوائك ترتكز عقودها على دعامات، ثم نجد غرفا لا نوافذ لها تغطيها أقبية نصف برميلية، ويعلو هذا الطابق طابق ثان يماثل الأول فيما عدا أن مجنبات الصحن حل محلها سطح يبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح الأرض الخاصة بالصحن نحو ٣٠ر٥ م، ويشغل الجانب الجنوبى من هذا الطابق مسجد صغير يعرف بمسجد الرباط(٤٠).

هوامش وتعليقات الفصل السادس

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٦٤.

(٢) د. فريد شافعى : العمارة، ص ٣٤٨.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٦٤.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٦٥.

(٦) ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) : الانتصار لواسطة عقد الامصار، بيروت، جـ١، ص ص ١٠٩ - ١١٤. د. فريد شافعى : العمارة، ص ص ٣٨٥ - ٣٨٨.

(٧) د. فريد شافعى : العمارة، ص ٣٨٨. د. أحمد عبد الرازق : العمارة الإسلامية، ص ٨٤.

(٨) د. فريد شافعى : العمارة، ص ص ٣٨٨ - ٣٨٩.
مزيد من التفاصيل انظر:
د. محمد محمد الكحلاوى : آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٢٧.

(٩) د. فريد شافعى : العمارة، ص ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(١٠) د. فريد شافعى : العمارة، ص ٣٩١.

(١١) د. فريد شافعى : العمارة، ص ص ٣٩١ - ٣٩٢.، د. أحمد عبد الرازق : العمارة الإسلامية، ص ٨٦.

(١٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(١٣) البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص ص ٥٢-٥٣.

(١٤) البلوى : سيرة، ص ص ٥٣ - ٥٤.

(١٥) البلوى : سيرة، ص ٥٦.

(١٦) البلوى : سيرة، ص ص ٥٤-٥٦.، د. فريد شافعى : العمارة، ص ٤٢٣.

(١٧) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣١٣.، د. فريد شافعى : العمارة، ص ٤٢٣.

(١٨) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ص ٣١٦ - ٣١٩.

(١٩) د. فريد شافعى : إلعمارة العربية، ص ٥٠١.

(٢٠) د. فريد شافعى : العمارة، ص ص ٥٠٧ - ٥١٠.

(٢١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٠٥.، د. فريد شافعى : العمارة العربية، ص ص ٥١٠ - ٥١١.

(٢٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢، ص ٤٠٦.

(٢٣) د. فريد شافعى : العمارة العربية، ص ٥١٢.

من آثار ابن طولون الدارسة الحصن الذى شيده ابن طولون فى جزيرة الروضة عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م عقب الخلاف الذى وقع بينه وبين الموفق طلحة لتحصين العاصمة من الجهة الغربية، ولكنه لم يتمه، ومن الآثار الطولونية التى اندثرت مسجد التنور الذى شيده ابن طولون بأعلى جبل المقطم في عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م وجعل له منارة وصهريجا. د. عبد الله

كامل موسى عبده: الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ٢٤٩.

(٢٤) د. فريد شافعى : العمارة، ص ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٢٥) د. فريد شافعى : العمارة، ص ٤٢٨.

(٢٦) د. فريد شافعى : العمارة، ص ٤٣٥.

(٢٧) د. فريد شافعى : العمارة، ص ٤٤١.

(٢٨) د. فريد شافعى : العمارة، ص ص ٤٤٥ - ٤٤٧.

(٢٩) د. فريد شافعى : العمارة ، ص ص ٤٥٧ - ٤٦١.

(٣٠) د. فريد شافعى : العمارة، ص ٤٦١.

(٣١) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٢٨٩.، د. محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨، ص ٩٨.

(٣٢) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣٣) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٣٧٠.

(٣٤) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٣٧١.

(٣٥) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ص ٣١١ - ٣١٣.

(٣٦) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٣١٧.

(٣٧) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٣٧٥.

(٣٨) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ص ٣١١-٣١٣.

(٣٩) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، جـ٦، ص ٣٢٨.

(٤٠) أبى عبيد البكرى : المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ص ٦٩٠-٦٩١.

د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ص ٣٦٤-٣٦٥.، د. حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ص ١٧٢-١٧٣.

Sameh, Kamal El Din: Minarets in Islam (Birth and Evolution), The Bullet in of the Faculty of Engineering, Cairo University Press, 1955, p. 163.

الخاتمــة

وبعد فهذه دراسة تطرقت إلى موضوعات تاريخية وحضارية وأثرية فى مجال العمارة الاسلامية فى العراق فى العصر العباسى خلال الفترة الممتدة من ١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م، وفى مصر خلال الفترة الممتدة من ١٣٢-٣٥٨هـ/ ٧٥٠-٩٦٩م خلال عصر الولاة والعصرين الطولونى والاخشيدى، وفى افريقية خلال الفترة الممتدة من ١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م، وهى الفترة التى تمثل دولة الأغالبة، وفيما يلى عرض بعض ما تحقق من نتائج من خلال فصول الكتاب.

جاء التمهيد بعنوان قيام الدولة العباسية فى الكوفة وتأسيس الهاشمية الأولى والثانية، تطرق التمهيد إلى قيام الدولة العباسية فى مدينة الكوفة وبيعة أبى العباس عبد الله بها، ثم تحوله عنها إلى مدينة الهاشمية الأولى كما تطرق إلى تحوله عن الهاشمية لكونها تنسب فى الأصل لإبن هبيرة وتشييده الهاشمية الثانية التى شهدت أوج ازدهارها فى عهد الخليفة المنصور، هذا وقد تطرق التمهيد إلى مدينة كانت تعرف بالمصيصة جددها المنصور تجديداً شاملاً شمل منشآتها الحربية والمدنية وشيد بها مسجداً جامعاً.

جاء الفصل الأول بعنوان العمارة الدينية العباسية فى العراق (عمارة المسجد) وقد تضمن هذا الفصل دراسة شملت التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية للمساجد العباسية التى شيدت فى العراق خلال الفترة الممتدة من ١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م وتتمثل هذه المساجد فى مسجد الخليفة المنصور فى بغداد، مسجد

الرقه، مسجد قصر الاخيضر، جامع سامراء الكبير، جامع أبى دلف، هذا وقد تطرق الفصل إلى الوحدات المعمارية التى تبقت لنا من عمائرها الدينية التى اندثرت ولم تصل إلينا، وتتمثل فى مئذنة عنه، مئذنة سنجار، ثم تطرقت الدراسة إلى الجامع النورى فى الموصل، وجامع مجاهد الدين فى الموصل، والمئذنة المظفرية فى إربيل ومئذنة داقوق، ومئذنة المكيطيمة (المقطومة) فى اليوسفية، وجامع الخفافين (جامع الحظائر) فى بغداد الشرقية، ومئذنة مسجد الجنائز (باب الدير)، وجامع قمرية فى بغداد فى الجانب الغربى منها، ومئذنة جامع الخلفاء (سوق الغزل) وفيما يتعلق بالمساجد موضوع الدراسة فقد تطرق الفصل إلى تخطيطها ووحداتها وعناصرها المعمارية والزخرفية كما تقدم ثم التجديدات التي طرأت عليها خلال العصر العباسى والآراء التى ذكرت فيها من قبل العلماء والباحثين، أما فيما يتعلق بالمآذن التى تقدم ذكرها فقد تطرقت الدراسة إلى موقعها ومادة البناء ثم التكوين العام وأخيراً تأريخها.

وجاء الفصل الثانى بعنوان العمارة الدينية العباسية فى العراق (عمارة المدرسة) وقد شملت الدراسة فى هذا الفصل نشأة المدرسة والآراء التى ذكرت فى هذا الصدد، كما شملت آثار المدارس التى تبقت لنا فى الشام والعراق من خلال عرض تاريخى حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م كذلك تطرقت الدراسة إلى مدارس العراق التى شيدت منذ منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م من خلال عرض تاريخى ثم ركزت الدراسة على مدرستين هما المدرسة الأقبالية (الشرابية - الشرفية) ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، والمدرسة المستنصرية ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م وقد تناولت الدراسة هذه المدرسة الأخيرة من حيث التخطيط والوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية لأهميتها القصوى فى عمارة المدرسة فى العالم الإسلامى.

وجاء الفصل الثالث بعنوان العمارة الضريحية فى العراق، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل من خلال تسلسل تاريخى القباب الضريحية التى شيدت خلال الفترة الممتدة من ١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م) من حيث التخطيط

والعناصر المعمارية مع الاشارة للعناصر الزخرفية التى اشتملت عليها هذه القباب وتتمثل هذه القباب فى القبة الصليبية وقبة محمد الدرى، وقبة زمرد خاتون (الست زبيدة)، ومشهد الأربعين، وقبة الإمام عبد الرحمن ، وقبة الحسن البصرى، وقبة الشمس، وقبة السهروردى، وقبة الامام محمد الباقر، وقبة يحيى بن القاسم، وقبة السيدة زينت، وقبة الامام عون الدين، وقبة مقام الخضر، وقبة الشيخ حديد، وقبة نجم الدين.

وجاء الفصل الرابع بعنوان العمارة المدنية (المدن والقصور) والاستحكامات الحربية فى العراق، وقد شملت الدراسة فى هذا الفصل مدينة بغداد من خلال دراسة شملت الموقع والإسم والمساحة، كما اشتملت الدراسة على المهندسين والصناع والفعلة وتاريخ الشروع فى حفر الأساس مع دراسة وصفية للمدينة من الخارج إلى الداخل هذا وقد تضمنت الدراسة وصفا للمدينة من خلال نص اليعقوبى، كما شملت الدراسة مدينة الرصافة (عسكر المهدى)، ومدينة الرقة (الرافقة)، وقصر الأخيضر، وخان عطشان أو العطيشى، ومدينة سامراء من حيث التخطيط والعمارة مع الاشارة إلى طرزها الفنية، ومدينة الجعفرية أو المتوكلية، وقد تضمنت الدراسة وصفا للمدينتين بنص اليعقوبى، كذلك تطرقت الدراسة فى هذا الفصل إلى بعض قصور مدينة سامراء كالجوسق الخاقانى، وقصر العاشق، وأخيرا تناول الفصل دار المملكة (قره سراى) فى الموصل.

وجاء الفصل الخامس بعنوان العمارة الدينية والضريحية فى مصر وافريقية فى العصر العباسى، وقد تطرقت الدراسة فى هذا الفصل بالنسبة لعمارة المسجد لجامع العسكر، وجامع أحمد بن طولون مع التركيز على عمارة مئذنة الجامع، وبالنسبة لعمائر الأغالبة الدينية فى افريقية خلال الفترة من ١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م تطرقت الدراسة إلى مسجد الرباط فى سوسة، ومسجد بوفتاتة فى سوسة، والمسجد الجامع فى سوسة من خلال دراسة شملت التخطيط والعناصر المعمارية أما بالنسبة للعمارة الضريحية فقد تناولت الدراسة مشهد آل طباطبا فى العصر الاخشيدى بمصر.

وجاء الفصل السادس والأخير بعنوان العمارة المدنية والاستحكامات الحربية فى مصر وافريقية، وقد تضمنت الدراسة فى هذا الفصل فيما يتعلق بالعمارة المدنية فى مصر مدينة العسكر، ومقياس النيل فى الروضة، ومدينة القطائع نشأتها وتطورها فى عهدى أحمد بن طولون وخمارويه، وقناطر مياه أحمد بن طولون، وبيمارستان أحمد بن طولون، والحصن الذى انشأه فى الروضة ولم يتمه، وبيمارستان كافور الاخشيدى، كما شملت الدراسة تخطيط البيت الطولونى ووحداته وعناصره المعمارية والزخرفية، كذلك تناولت الدراسة فى هذا الفصل منشآت الأغالبة المدنية والمائية (المدن والقصور والمواجل) ومنشآتهم الحربية (الدفاعية) فى افريقيا ومنها رباط سوسة.

ثبت الأشكال واللوحات

أولا : الأشكال

شكل (١) خريطة العراق الاثرية عن شريف يوسف.

شكل (٢) رسم تخطيطي لمسجد المنصور عن هرتزفلد.

شكل (٣) رسم تخطيطي لمسجد المنصور فى عهد المعتضد بالله عن د. أحمد فكرى.

شكل (٤) رسم تخطيطي لمسجد المنصور عن كريسويل.

شكل (٥) رسم تخطيطي لمسجد المنصور بالنسبة لقصر باب الذهب عن شريف يوسف.

شكل (٦) رسم تخطيطي لمسجد الرقة عن هرتزفلد مع تعديل د. أحمد فكرى.

شكل (٧) رسم تخطيطي لمسجد الرقة عن كريسويل.

شكل (٨) رسم تخطيطي لمسجد قصر الاخيضر عن د. عيسى سلمان.

شكل (٩) رسم تخطيطي لجامع سامراء الكبير عن كريسويل.

شكل (١٠) رسم تخطيطي لجامع سامراء الكبير عن د. عيسى سلمان.

شكل (١١) دعامة فى جامع سامراء الكبير عن د. فريد شافعى.

شكل (١٢) رسم تخطيطي لجامع أبى دلف عن د. عيسى سلمان.

شكل (١٣) رسم تخطيطي لدار الإمارة خلف محراب مسجد أبى دلف عن كريسويل نقلا عن بشير فرنسيس ومحمود على.

شكل (١٤) دعامة فى جامع أبى دلف وجامع ابن طولون عن د. فريد شافعى.

شكل (١٥) تخطيط الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

شكل (١٦) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

شكل (١٧) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

شكل (١٨) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

شكل (١٩) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

شكل (٢٠) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

شكل (٢١) رسم تخطيطى لجامع مجاهد الدين عن د. عيسى سلمان.

شكل (٢٢) رسم تخطيطى لجامع الخفافين عن د. عيسى سلمان.

شكل (٢٣) رسم تخطيطى لجامع قمرية عن د. عيسى سلمان.

شكل (٢٤) رسم تخطيطى إفتراضى لمدرسة كومشتكين فى بصرى عن د. أحمد فكرى.

شكل (٢٥) رسم تخطيطى لمزار الأربعين فى تكريت عن د. عبد العزيز حميد.

شكل (٢٦) رسم تخطيطى إفتراضى لدار الحديث النورى بدمشق عن د. أحمد فكرى.

شكل (٢٧) رسم تخطيطى إفتراضى لمدرسة خان آتون بحلب عن د. أحمد فكرى.

شكل (٢٨) رسم تخطيطى للمدرسة النورية الكبرى بدمشق عن د. أحمد فكرى.

شكل (٢٩) رسم تخطيطى للمدرسة الشاذبختية بحلب عن د. أحمد فكرى.

شكل (٣٠) رسم تخطيطى إفتراضى لمدرسة معرة النعمان بالشام عن د. أحمد فكرى.

شكل (٣١) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة العادلية بدمشق عن هرتزفلد.

شكل (٣٢) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة الظاهرية بحلب عن د. أحمد فكرى.

شكل (٣٣) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة السلطانية بحلب عن د. أحمد فكرى.

شكل (٣٤) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة الشرابية (القصر العباسى) عن ناجى معروف.

شكل (٣٥) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة المستنصرية ببغداد، الطابق الأرضى عن ناجى معروف.

شكل (٣٦) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة المستنصرية ببغداد الطابق الأول عن ناجى معروف.

شكل (٣٧) رسم تخطيطى لمدرسة الفردوس بحلب عن د. أحمد فكرى.

شكل (٣٨) خريطة توضح الأماكن التى تحوى القباب الضريحية عن عطا الحديثى، هناء عبد الخالق.

شكل (٣٩) القبة الصليبية عن د. عيسى سلمان.

شكل (٤٠) تخطيط مشهد محمد الدرى والمسجد التابع له عن د. عيسى سلمان.

شكل (٤١) تخطيط مشهد الأربعين عن شريف يوسف.

شكل (٤٢) محراب مزار الأربعين (قاعة الضريح) عن د. عيسى سلمان.

شكل (٤٣) مخطط مشهد الشمس عن عطا الحديثى، هناء عبد الخالق.

شكل (٤٤) زخارف من قبة زمرد خاتون عن د. عيسى سلمان.

شكل (٤٥) زخارف مدخل ضريح الامام يحيى بن القاسم بالموصل عن شريف يوسف.

شكل (٤٦) مخطط الجامع المجاهدى (مقام الخضر) عن شريف يوسف.

شكل (٤٧) مدينة بغداد فى عهد المنصور عن شريف يوسف.

شكل (٤٨) مسقط أفقى لاسوار بغداد (أ عن كريسويل، ب عن لاسنى).

شكل (٤٩) قطاع لأحد أبواب مدينة بغداد عن كريسويل.

شكل (٥٠) مخطط قصر أبى مسلم الخراسانى فى مرو، الذى يعتقد كريسويل أنه أثر على مخطط قصر المنصور فى بغداد عن كريسويل.

شكل (٥١) مدينة الرقة عن كريسويل.

شكل (٥٢) مخطط قصر الاخيضر عن د. عيسى سلمان.

شكل (٥٣) مخطط قصر الاخيضر عن كريسويل.

شكل (٥٤) تفصيل من قصر الاخيضر عن كريسويل.

شكل (٥٥) مخطط حمام قصر الاخيضر عن شريف يوسف.

شكل (٥٦) قصر شيرين، وحدة سكنية عن د. فريد شافعى.

شكل (٥٧) قصر الاخيضر، وحدة سكنية عن د. فريد شافعى.

شكل (٥٨) تخطيط خان عطشان عن د. عيسى سلمان.

شكل (٥٩) تخطيط مدينة سامراء عن د. عيسى سلمان.

شكل (٦٠) الجوسق الخاقانى بسامراء عن نورثدج.
شكل (٦١) القسم الشمالى من الجوسق الخاقانى عن نورثدج.
شكل (٦٢) القسم الجنوبى من الجوسق الخاقانى عن نورثدج.
شكل (٦٣) ملعب الصوالجة بالجوسق الخاقانى عن نورثدج.
شكل (٦٤) السرداب الصغير بالجوسق الخاقانى عن حمودى.
شكل (٦٥) تفاصيل من زخارف باب العامة عن هرتزفلد (كريسويل).
شكل (٦٦) رسم تخطيطى لقصر العاشق عن كريسويل.
شكل (٦٧) رسم تخطيطى لقصر بلكوارا عن كريسويل.
شكل (٦٨) رسم تخطيطى لقصر بلكوارا مع رسم مجسم عن شريف يوسف.
شكل (٦٩) رسم تخطيطى لجامع أحمد بن طولون عن د. فريد شافعى.
شكل (٧٠) رسم تخطيطى لمسجد الرباط فى سوسة عن كريسويل.
شكل (٧١) رسم تخطيطى لمسجد بوفتاتة فى سوسة عن كريسويل.
شكل (٧٢) رسم تخطيطى لمسجد سوسة الجامع عن د. أحمد فكرى.
شكل (٧٣) رسم تخطيطى لمسجد سوسة الجامع عن كريسويل.
شكل (٧٤) رسم تخطيطى ومنظور لمشهد آل طباطبا عن د. فريد شافعى.
شكل (٧٥) مقياس النيل بجزيرة الروضة عن د. فريد شافعى.
شكل (٧٦) مقياس النيل، مسقط البئر والطبلية وقطاع فيها عن د. فريد شافعى.
شكل (٧٧) مأخذ مياه قناطر ابن طولون عن د. فريد شافعى.
شكل (٧٨) خريطة منطقة حفائر على بهجت وجابرييل عن د. فريد شافعى.

شكل (٧٩) البيت الطولونى الأول عن د. فريد شافعى.

شكل (٨٠) البيت الطولونى الثانى عن د. فريد شافعى.

شكل (٨١) الفسطاط، الدار الأولى عن د. فريد شافعى.

شكل (٨٢) الفسطاط، الدار الثانية والثالثة عن د. فريد شافعى.

شكل (٨٣) الفسطاط، الدار الرابعة والخامسة عن د. فريد شافعى.

شكل (٨٤) الفسطاط، الدار السادسة عن د. فريد شافعى.

شكل (٨٥) الفسطاط، الدار السابعة والثامنة عن د. فريد شافعى.

شكل (٨٦) مخطط إحدى الدور الكبيرة فى سامراء عن شريف يوسف.

شكل (٨٧) رسم تخطيطى لرباط سوسة عن كريسويل.

شكل (٨٨) سوسة: المنار فى السور عن د. فريد شافعى.

ثانياً: اللوحات

لوحة (١) ظلة القبلة فى مسجد قصر الاخيضر عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٢) محراب جامع سامراء الكبير عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٣) نافذة من جدار القبلة فى جامع سامراء عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٤) ملوية جامع سامراء.

لوحة (٥) ملوية جامع أبى دلف.

لوحة (٦) مئذنة عنه عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٧) مئذنة سنجار عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٨) الجامع النورى.

لوحة (٩) مئذنة اربيل.

لوحة (١٠) مئذنة المكيطيمة.

لوحة (١١) مئذنة جامع الخفافين.

لوحة (١٢) مئذنة مسجد الجنائز.

لوحة (١٣) مئذنة جامع قمرية.

لوحة (١٤) مئذنة جامع الخلفاء.

لوحة (١٥) تشكيلات زخرفية وكتابات مدخل المدرسة المستنصرية.

لوحة (١٦) واجهة المدخل على الفناء فى المدرسة المستنصرية.

لوحة (١٧) الايوان الشمالى.

لوحة (١٨) الرواق أمام القاعات الكبيرة.

لوحة (١٩) قبة ضريح الامام الدرى عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٠) قبة ضريح زمرد خاتون عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢١) تفاصيل من قبة ضريح زمرد خاتون عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٢) قبة الامام عبد الرحمن عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٣) ضريح الحسن البصرى عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٤) قبة مشهد الشمس عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٥) تفاصيل من قبة مشهد الشمس عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٦) قبة ضريح السهروردى عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٢٧) تشكيلات زخرفية من الداخل عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٢٨) تفاصيل زخرفية بالقبة عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٩) قبة ضريح الامام الباقر عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٣٠) ضريح يحيى بن القاسم عن د. عيسى سلمان.
لوحة (٣١) مخطط ضريح يحيى بن القاسم عن د. عيسى سلمان.
لوحة (٣٢) تفاصيل من زخارف الضريح عن د. عيسى سلمان.
لوحة (٣٣) ضريح الست زينب عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.
لوحة (٣٤) مشهد الامام عون الدين عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.
لوحة (٣٥) مدخل مشهد الامام عون الدين عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.
لوحة (٣٦) قبة مقام الخضر عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.
لوحة (٣٧) تفاصيل من قبة مقام الخضر عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.
لوحة (٣٨) قبة ضريح الشيخ حديد عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.
لوحة (٣٩) قبة ضريح نجم الدين عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.
لوحة (٤٠) مدينة الرقة (باب بغداد) عن كريسويل.
لوحة (٤١) قصر الاخيضر عن كريسويل.
لوحة (٤٢) برج أو منارة - موجدة (مجصة) بين الاخيضر وخان عطشان عن د. عيسى سلمان.
لوحة (٤٣) سامراء الطراز الأول عن كريسويل.
لوحة (٤٤) سامراء الطراز الثانى عن كريسويل.
لوحة (٤٥) سامراء الطراز الثالث عن كريسويل.
لوحة (٤٦) الجوسق الخاقانى (باب العامة) عن كريسويل.
لوحة (٤٧) تشكيلات زخرفية فى الجوسق الخاقانى.
لوحة (٤٨) تشكيلات زخرفية فى الجوسق الخاقانى.
لوحة (٤٩) بقايا قصر العاشق وتشكيلات زخرفية جصية.
لوحة (٥٠) مدينة الجعفرية (صورة جوية) عن د. عيسى سلمان.
لوحة (٥١) بقايا قصر بدر الدين لؤلؤ عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٥١) بقايا قصر بدر الدين لؤلؤ عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٥٢) كتابات تذكارية على جدار القصر عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٥٣) جامع أحمد بن طولون ويظهر الصحن ورواق القبلة عن أسس التصميم المعمارى.

لوحة (٥٤) جامع ابن طولون وتظهر الفوارة والمئذنة عن أسس التصميم المعمارى.

لوحة (٥٥) تفاصيل من الرواق الشمالى الغربى والمئذنة.

لوحة (٥٦) فوارة الجامع وتفاصيل من الأروقة.

لوحة (٥٧) منبر المسجد.

لوحة (٥٨) تفاصيل من الدعامات والعقود.

لوحة (٥٩) فوارة الجامع.

لوحة (٦٠) تفاصيل من زخارف جامع ابن طولون والشرافات.

لوحة (٦١) زيادات المسجد وتظهر مئذنة مدرسة صرغتمش.

لوحة (٦٢) مئذنة مسجد ابن طولون.

لوحة (٦٣) تفصيل من الطابق الاسطوانى فى المئذنة.

لوحة (٦٤) القسم العلوى فى المئذنة.

لوحة (٦٥) تفصيل من القسم العلوى للمئذنة.

لوحة (٦٦) تفصيل من القسم العلوى للمئذنة من الداخل.

لوحة (٦٧) تفصيل من قنطرة المئذنة.

لوحة (٦٨) مسجد بوفتاتة عن كريسويل.

لوحة (٦٩) مسجد سوسة الجامع عن كريسويل.

لوحة (٧٠) مقياس النيل بجزيرة الروضة.

المصادر والمراجع العربية وغير العربية

القرآن الكريم

أولاً : المصادر :

* ابن الاثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م:

- الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* ابن اياس (محمد بن أحمد الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م:

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* ابن بطوطه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى) ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧م:

- تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

* ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد) ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م:

- الرحلة، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

* ابن خرداذبه (أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت حوالى ٣٠٠ هـ:

- المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
* ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى).
- الانتصار لواسطة عقد الامصار، بيروت.
* ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى).
- فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
* الاسفرايني (أبى المظفر) ت ٤٧١هـ/١٠٩٨م:
- التبصير فى الدين وتمييز الغرفة الناجية عن الفرق الهالكين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* البكرى:
- المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.
* البلاذرى (الامام أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.
- فتوح البلدان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* البلوى (أبى محمد عبد الله بن محمد المدينى).
- سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
* الجبرتى :
- تاريخ الجبرتى، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
* الحميرى (محمد عبد المنعم) ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م:

- الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس، مؤسسته ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

* الزركشى (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م:

- اعلام الساجد باحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* الشهرستانى (أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد) ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

- الملل والنحل، دار الفكر، بيروت، لبنان.

* القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م:

- صبح الأعشى فى صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والارشاد القومى.

* المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى) ت حوالى ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م:

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م:

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

* ناصر خسرو علوى :

- سفر نامة، ترجمة د. يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

* النعيمى (عبد القادر بن محمد الدمشقى) ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م:

- الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م.

* ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغداى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م:

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

* اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب) ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م:

- كتاب البلدان، دار احياء التراث العربى (السلسلة الجغرافية - ٦)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ثانيا : المراجع العربية

* د. ابراهيم أحمد العدوى :

- مصر الاسلامية درع العروبة ورباط الاسلام، هيئة الآثار المصرية، وزارة الثقافة.

* د. أحمد عبد الرازق أحمد :

- العمارة الاسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* د. أحمد فكرى :

- المدخل ، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢-١٣٨٩هـ/ ١٩٦٢-١٩٦٩م.

- مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثانى، دار المعارف بمصر.

* د. أحمد مختار العبادى :

- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

- فى التاريخ العباسى والفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

* د. أيمن فؤاد سيد

- المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى (تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

* بشير فرنسيس :

- بغداد تاريخها وآثارها، مطبعة الرابطة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

* د. حسن ابراهيم حسن :

- تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* د. حسن الباشا :

- مدخل إلى الآثار الاسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة.

* حسن عبد الوهاب

- تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

* خالد خليل حمود الأعظمى :

- المدرسة المستنصرية فى بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، الجمهورية العراقية.

* د. خالص الأشعب :

- مدينة بغداد نموها، بنيتها، تخطيطها، دار الجاحظ، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.

* د. زكى محمد حسن:

- فنون الاسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨١م.

* د. سعاد ماهر محمد.

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، جمهورية مصر العربية.

* د. سعيد عبد الفتاح عاشور :

- العلم بين المسجد والمدرسة (تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية)، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
* سليمة عبد الرسول
- القصر العباسى فى بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨١م.
* د. السيد عبد العزيز سالم :
- التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب ٦٤، مطابع الشعب، ١٩٥٩م.
- تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.
* شريف يوسف :
- تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية (السلسلة الفنية - ٤٩)، ١٩٨٢م.
* د. صالح أحمد العلى:
- بغداد تأسيسها ونموها (كتاب العراق فى التاريخ)، بغداد، ١٩٨٣م.
- بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٨٥م.
* د. طاهر مظفر العميد :
- بغداد مدينة المنصور المدورة (رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد للحصول على درجة الماجستير بالآثار الاسلامية)، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
* د. عبد الرحيم غالب :
- موسوعة العمارة الاسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* د. عبد الله كامل موسى عبده :

- تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى، دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الاسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م.

* د. عبد النعيم محمد حسنين :

- ايران والعراق فى العصر السلجوقى، دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* عطا الحديثى، هناء عبد الخالق :

- القباب المخروطية فى العراق، وزارة الاعلام، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٤م.

* د. عفاف سيد محمد :

- المدارس فى العصر الأيوبى (تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

* علاء الدين أحمد العانى .

- المشاهد ذات القباب المخروطة فى العراق، المؤسسة العامة للآثار والتراث، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.

* د. عيسى سلمان وآخرون :

- العمارات العربية الاسلامية فى العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م.

* د. فريد شافعى :

- مئذنة مسجد ابن طولون، رأى فى تكوينها المعمارى، فصلة من مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع عشر، مايو، ١٩٥٢م، جـ١ مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م.

- العمارة العربية فى مصر الاسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

* د. كمال الدين سامح :

- العمارة فى صدر الاسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

* د. مايسة محمود داود :

- الكتابات العربية على الآثار الاسلامية منذ القرن الأول حتى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة (٧-١٨م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

* د. محمد جمال الدين سرور :

- تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

* د. محمد سيف النصر أبو الفتوح :

- منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٠م.

* د. محمد محمد زيتون :

- القيروان ودورها فى الحضارة الاسلامية، دار المنار، القاهر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* د. محمد محمد الكحلاوى :

- آثار مصر الاسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية

اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- بحوث فى الآثار الاسلامية فى المغرب والأندلس، القاهرة، ١٩٩٩م.

- مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

* محمود عكوش :

- تاريخ ووصف الجامع الطولونى، القاهرة، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٧م.

* د. ناجى معروف :

- تاريخ علماء المستنصرية، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

- المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ثالثا : المراجع الأجنبية المعربة

* اوقطاى اصلان آبا :

- فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

* مكسمليان شتريك :

- خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، دراسة خططية تاريخية، ترجمة د. خالد اسماعيل على، المجمع العلمى العراقى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

رابعاً : المراجع غير العربية

* Abouseif (D.B.):

- The Minarets of Cairo, The American University in Cairo Press, 1985.

* Creswell (K.A.C):

- Ashort Account of Early Muslim Architecture, The American University in Cairo Press, Cairo, Egypt, 1989.

* Fattal, Antoine :

- Ibn Tulun's Mosque in Cairo (La Mosquee D'Ibn Toulun Au Caire), Beyrouth 1960.

* Hassan (Z.M.)

- Les Tulunides, Etude de L'Egypte Musulmans a La Finix, Siecle 868-905, Paris, 1933.

* Hautecoeur (L.) , Wiet (G.):

- Les Mosquees du Caire, Texte I, Paris, 1932.

* Ministry of In Formation:

- Baghdad, Republic of Iraq, Baghdad, 1972.

* Organization of Islamic Capitals and Cities :

- Priniciples of Architectural Design And Urban Planning During Different Islamic Eras, Center for planning and Architectural Studies, 1412 A. H. 1992 A.D.

* Rajab (G.):

- The Minaret of Ibn Tulun. Ist Construction Description, sumer A journal of Archaeology and History in Iraq, Vol. XXIII, 1967.

* Sameh, Kamal El Din:

- Minarets In Islam (Birth and Evolution) The Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University Press, 1955.

الخلفاء العباسيون

	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى
١- أبو العباس السفّاح	١٣٢-١٣٦	٧٤٩-٧٥٤
٢- أبو جعفر المنصور	١٣٦-١٥٨	٧٥٤-٧٧٥
٣- المهدى	١٥٩-١٦٩	٧٧٥-٧٨٥
٤- الهادى	١٦٩-١٧٠	٧٨٥-٧٨٦
٥- هارون الرشيد	١٧٠-١٩٣	٧٨٦-٨٠٩
٦- الأمين	١٩٣-١٩٨	٨٠٩-٨١٣
٧- المأمون	١٩٨-٢١٨	٨١٣-٨٣٣
٨- المعتصم	٢١٨-٢٢٧	٨٣٣-٨٤٢
٩- الواثق	٢٢٧-٢٣٢	٨٤٢-٨٤٧
١٠- المتوكل	٢٣٢-٢٤٧	٨٤٧-٨٦١
١١- المنتصر	٢٤٧-٢٤٨	٨٦١-٨٦٢
١٢- المستعين	٢٤٨-٢٥١	٨٦٢-٨٦٦
١٣- المعتز	٢٥٢-٢٥٥	٨٦٦-٨٦٩
١٤- المهتدى	٢٥٥-٢٥٦	٨٦٩-٨٧٠
١٥- المعتمد	٢٥٦-٢٧٩	٨٧٠-٨٩٢
١٦- المعتضد	٢٧٩-٢٨٩	٨٩٢-٩٠٢

١٧- المكتفى	٢٩٥-٢٨٩	٩٠٨-٩٠٢
١٨- المقتدر	٣٢٠-٢٩٥	٩٣٢-٩٠٨
١٩- القاهر	٣٢٢-٣٢٠	٩٣٤-٩٣٢
٢٠- الراضى	٣٢٩-٣٢٢	٩٤٠-٩٣٤
٢١- المتقى	٣٣٣-٣٢٩	٩٤٤-٩٤٠
٢٢- المستكفى	٣٣٤-٣٣٣	٩٤٦-٩٤٤
٢٣- المطيع	٣٦٣-٣٣٤	٩٧٤-٩٤٦
٢٤- الطائع	٣٨١-٣٦٣	٩٩٢-٩٧٤
٢٥- القادر	٤٢٢-٣٨١	١٠٣١-٩٩٢
٢٦- القائم	٤٦٧-٤٢٢	١٠٧٥-١٠٣١
٢٧- المقتدى	٤٨٧-٤٦٧	١٠٩٤-١٠٧٥
٢٨- المستظهر	٥١٢-٤٨٧	١١١٨-١٠٩٤
٢٩- المسترشد	٥٢٩-٥١٢	١١٣٥-١١١٨
٣٠- الراشد	٥٣٠-٥٢٩	١١٣٦-١١٣٥
٣١- المقتفى	٥٥٥-٥٣٠	١١٦٠-١١٣٦
٣٢- المستنجد	٥٦٦-٥٥٥	١١٧٠-١١٦٠
٣٣- المستضىء.	٥٧٥-٥٦٦	١١٨٠-١١٧٠
٣٤- الناصر لدين الله	٦٢٢-٥٧٥	١٢٢٥-١١٨٠
٣٥- الظاهر	٦٢٣-٦٢٢	١٢٢٦-١٢٢٥
٣٦- المستنصر	٦٤٠-٦٢٣	١٢٤٢-١٢٢٦
٣٧- المستعصم	٦٥٦-٦٤٠	١٢٥٨-١٢٤٢

بحوث وكتب صدرت للمؤلف

أولاً: قائمة البحوث:

* الجامع الكبير بصنعاء «رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقى. مجلة الاكليل، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

* متنزه سرياقوس فى العصر المملوكى، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد الثالث - ١٩٩٤م.

* الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية - مجلة كلية الآداب بقنا، العدد الرابع، ١٩٩٥م.

* أضواء جديدة على بعض منشآت أمراء المماليك فى القرنين السابع والثامن للهجرة (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد) - منشآت الأمير الجاولى وسلار فى مصر والشام، مجلة المؤرخ العربى، العدد الرابع، المجلد الأول، مارس ١٩٩٦م.

* دراسة أثرية وثائقية للمنصورة منذ نشأتها وحتى نهاية القرن السابع عشر، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ١٩٩٧م.

* منزل وقف السادات الوفائية «دراسة أثرية وثائقية»، مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادى، العدد السابع، ١٩٩٧م.

* المبخرة.. من روائع العمارة الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥٥٠، المجلد ٩٠، العام ٦٤، يونية ١٩٩٨م.

* سلطنة عمان فى كتابات الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى، مجلة المنهل، العدد ٥٥٩، المجلد ٦١، العام ٦٥، يوليو وأغسطس ١٩٩٩م.

* نصوص كتابيةفاطمية من برقة محفوظة بمتحفى البيضاء وطلميثة بليبيا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، يناير ٢٠٠٠م.

* دراسة أثرية معمارية لقلعتين ليبيتين من العصر العثمانى الثانى (١١٢٣-١٣٢٩هـ/ ١٧١١-١٩١١م) بمدينتى توكرة والقيقب، مجلة كلية الأداب، المنيا، ابريل ٢٠٠٠م.

* مساجد مدينة المرج الليبية الباقية من العصر العثمانى الثانى (١١٢٣-١٣٢٩هـ/ ١٧١١-١٩١١م) دراسة أثرية معمارية - بحث ألقى فى الملتقى الثالث لجمعية الاثاريين العرب - الندوة العلمية الثانية بعنوان دراسات فى آثار الوطن العربى فى الفترة من ١٢-١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م» وقد أقرت اللجنة العلمية المحكمة فى ٢٤/٨/ ٢٠٠٠م بأنه صالح للنشر.

* المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ بداية العصر العثمانى حتى نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م «دراسة أثرية وثائقية» - بحث ألقى فى الندوة العلمية التى عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة فى الفترة من ٢١-٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م بعنوان «طرق التجارة العالمية عبر العصور».

ثانياً : قائمة الكتب :

• The Fatimid Architecture in Cairo, General Egyptian book Organization, 1998.

* مدينة برقة وآثارها الاسلامية - عبق التاريخ وطرز العمارة - دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

* الفاطميون وآثارهم المعمارية فى أفريقية ومصر واليمن - دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

* المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى - تحت النشر.

شكل (١) خريطة العراق الاثرية عن شريف يوسف.

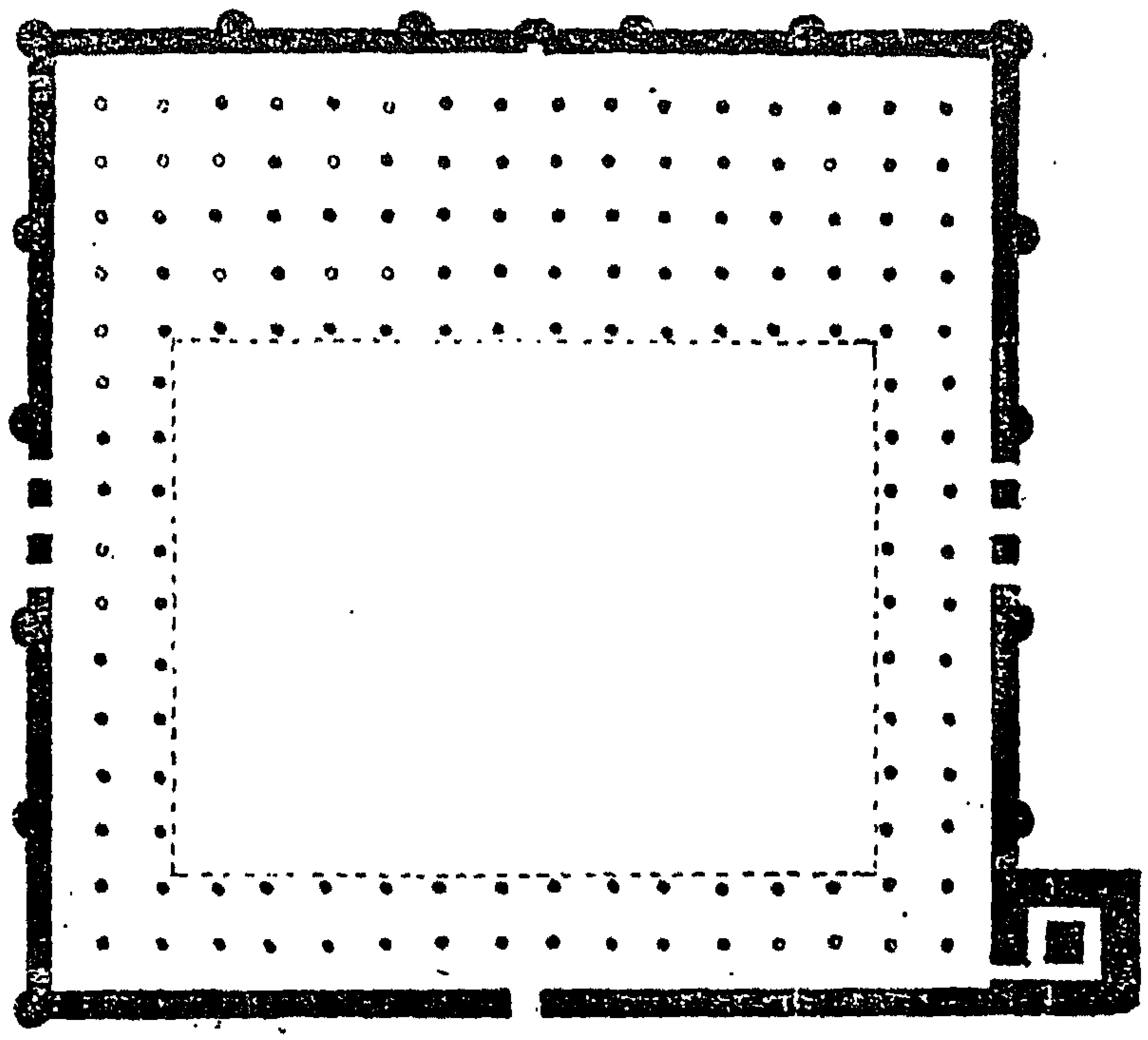

شكل (٢) رسم تخطيطى لمسجد المنصور عن هرتزفلد.

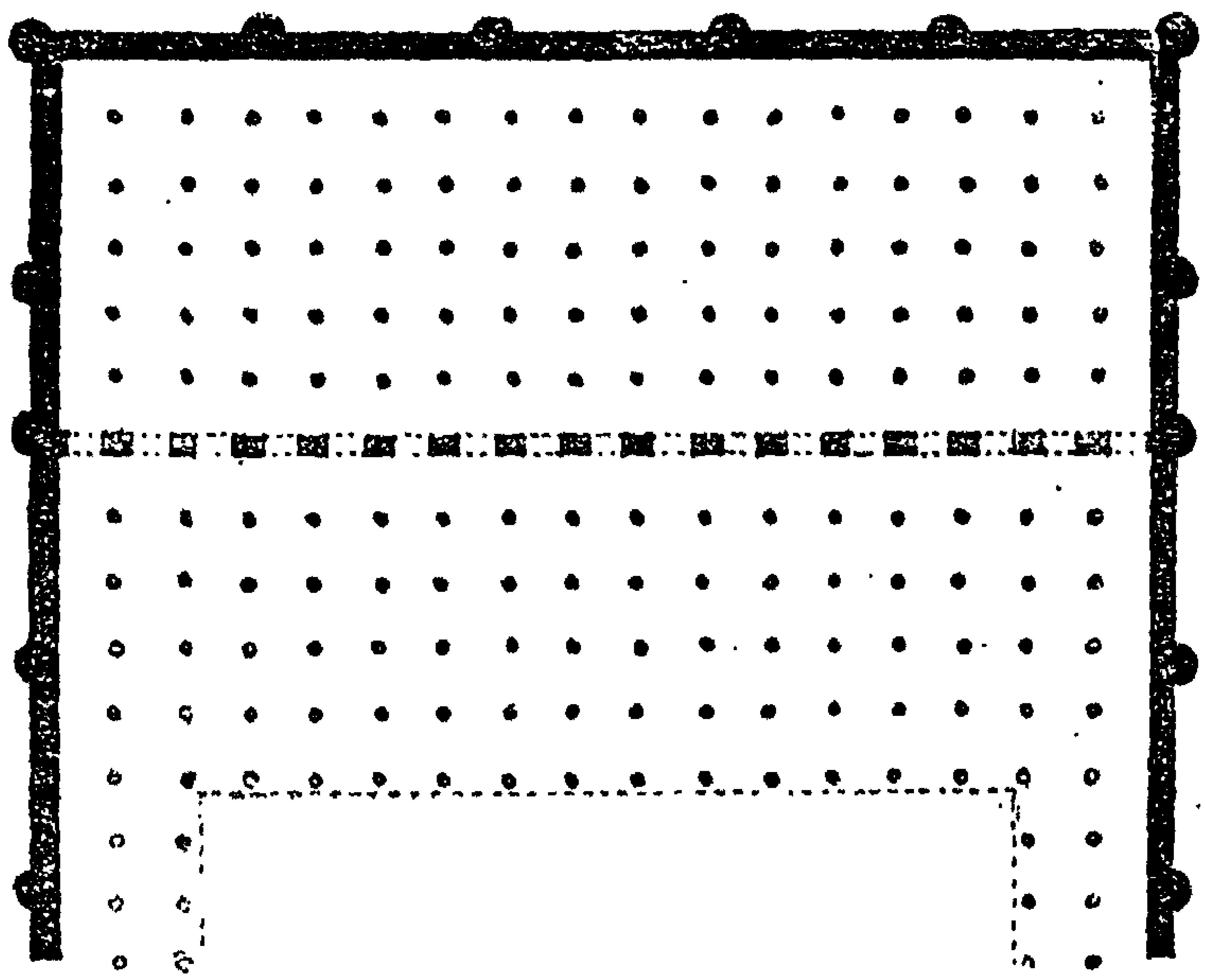

شكل (٣) رسم تخطيطى لمسجد المنصور فى عهد المعتضد بالله عن د. أحمد فكرى.

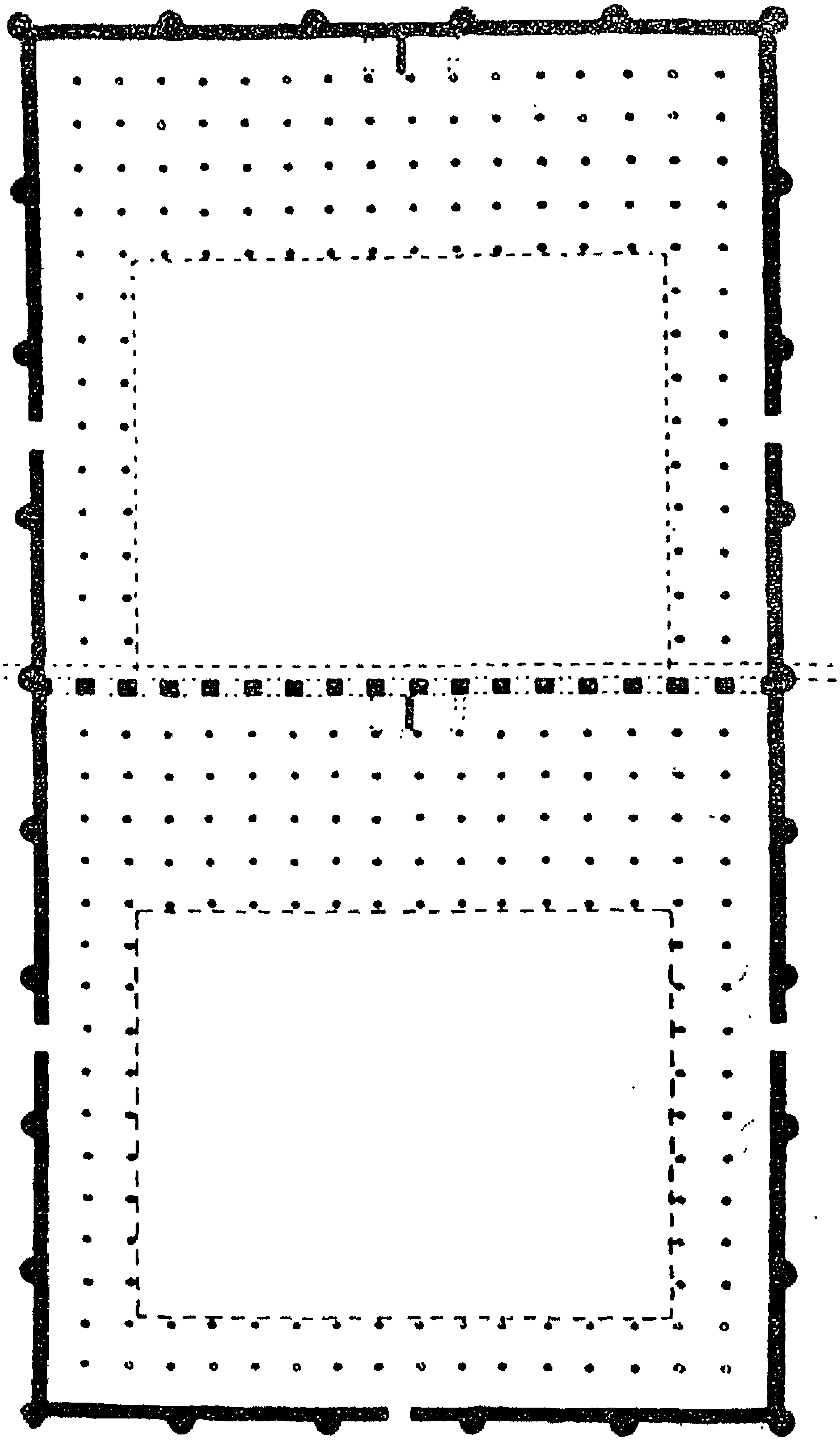

شكل (٤) رسم تخطيطي لمسجد المنصور عن كريسويل.

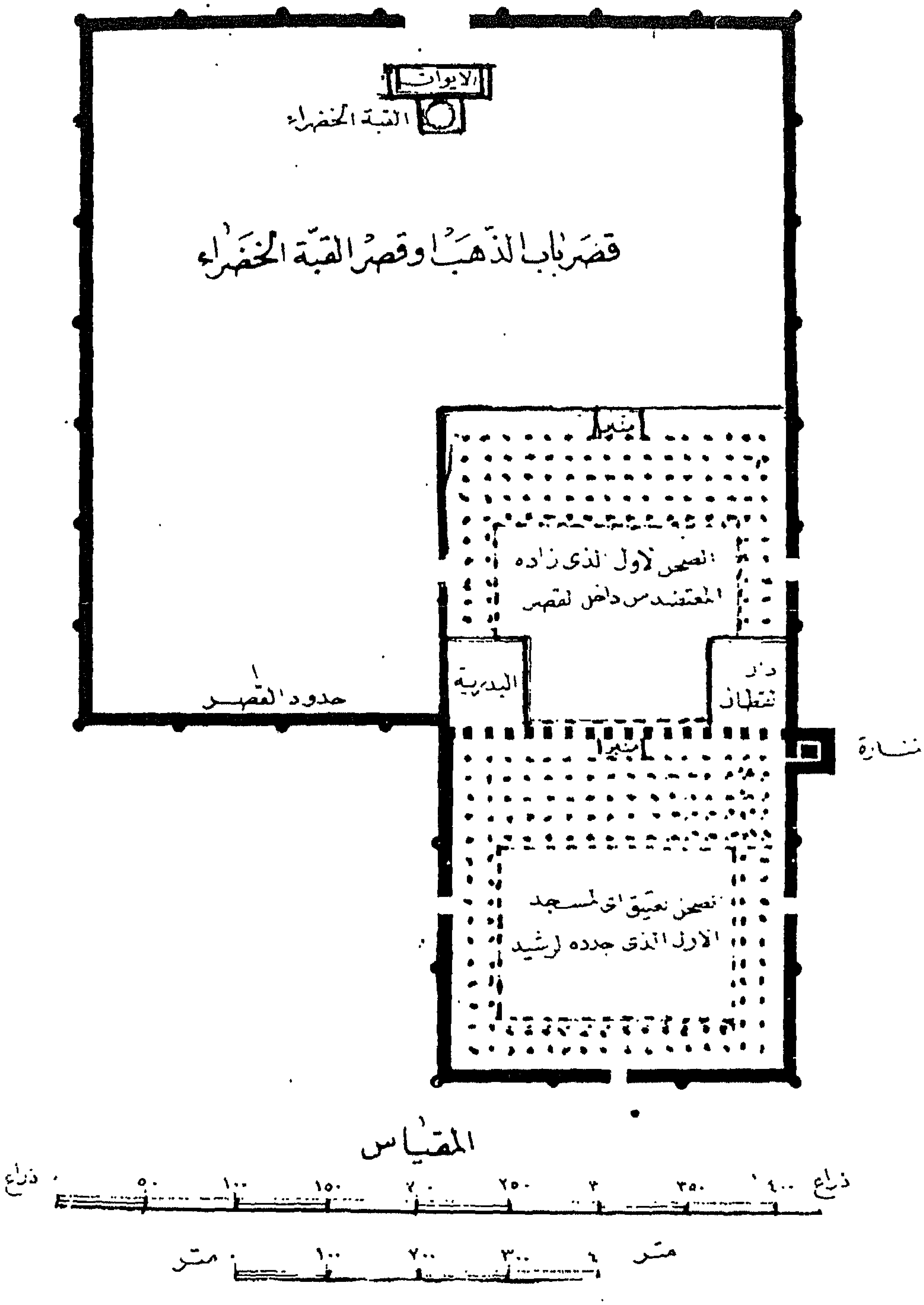

شكل (٥) رسم تخطيطي لمسجد المنصور بالنسبة لقصر باب الذهب عن شريف يوسف.

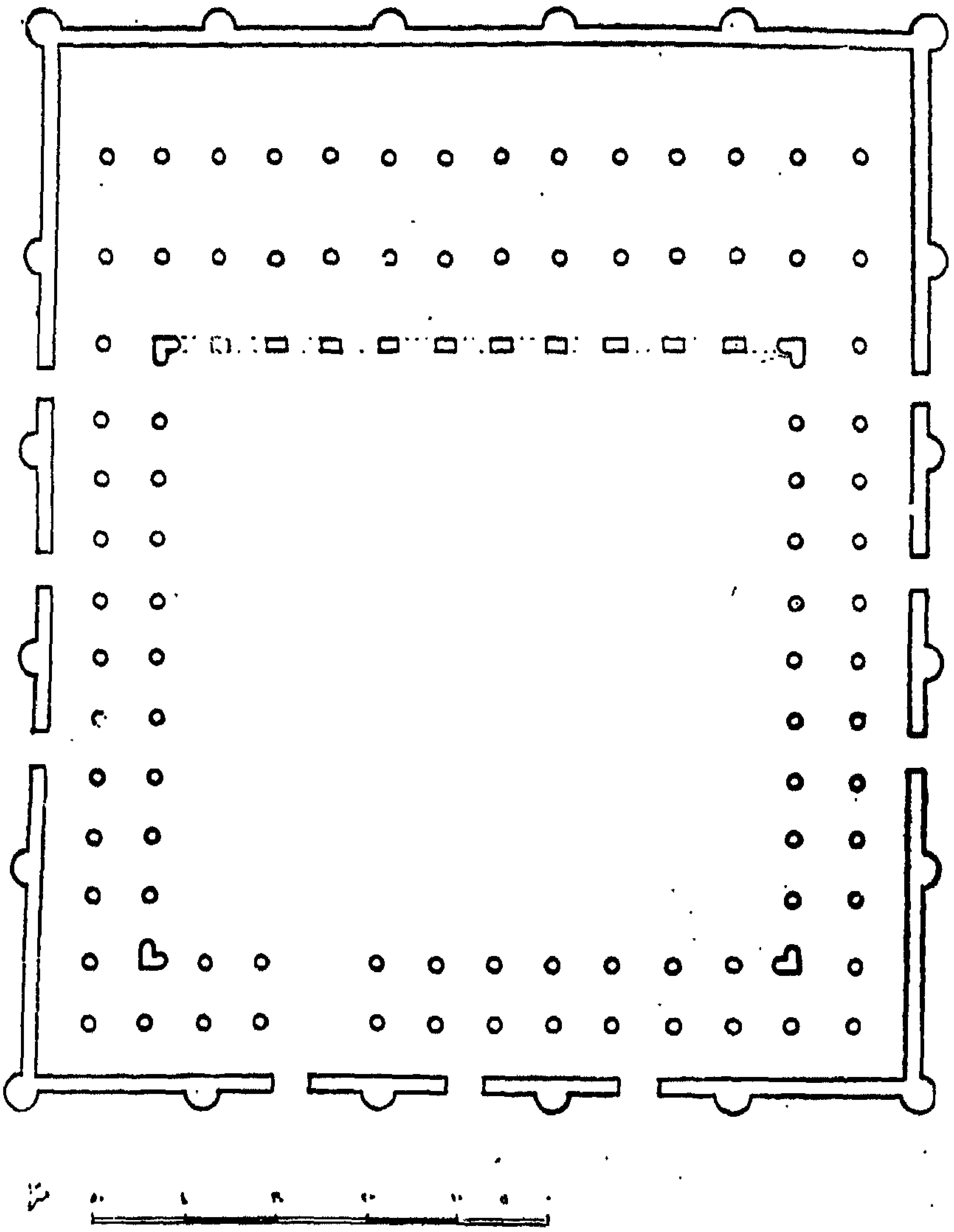

شكل (٦) رسم تخطيطى لمسجد الرقة عن هرتزفلد مع تعديل د. أحمد فكرى

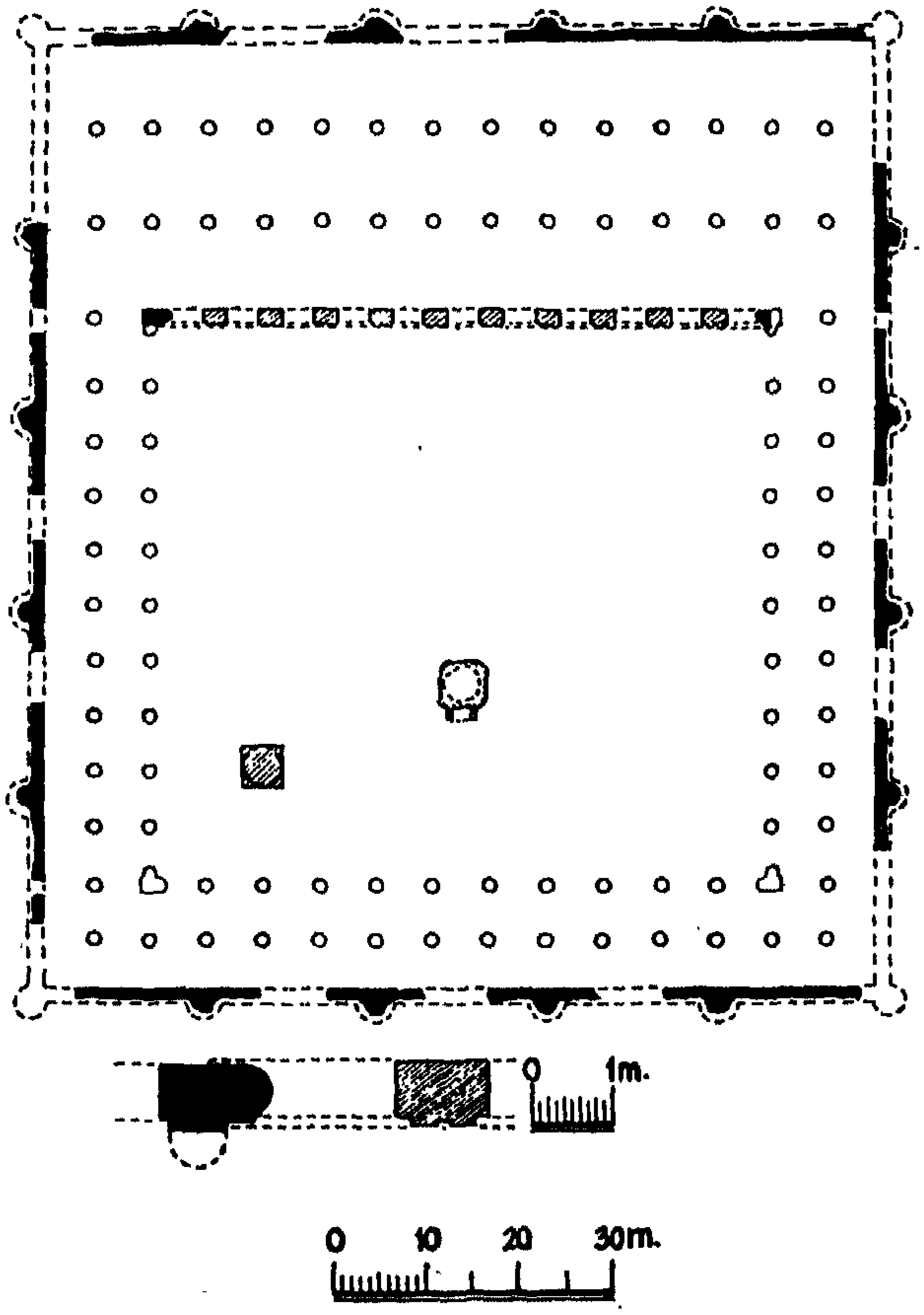

شكل (٧) رسم تخطيطي لمسجد الرقة عن كريسويل.

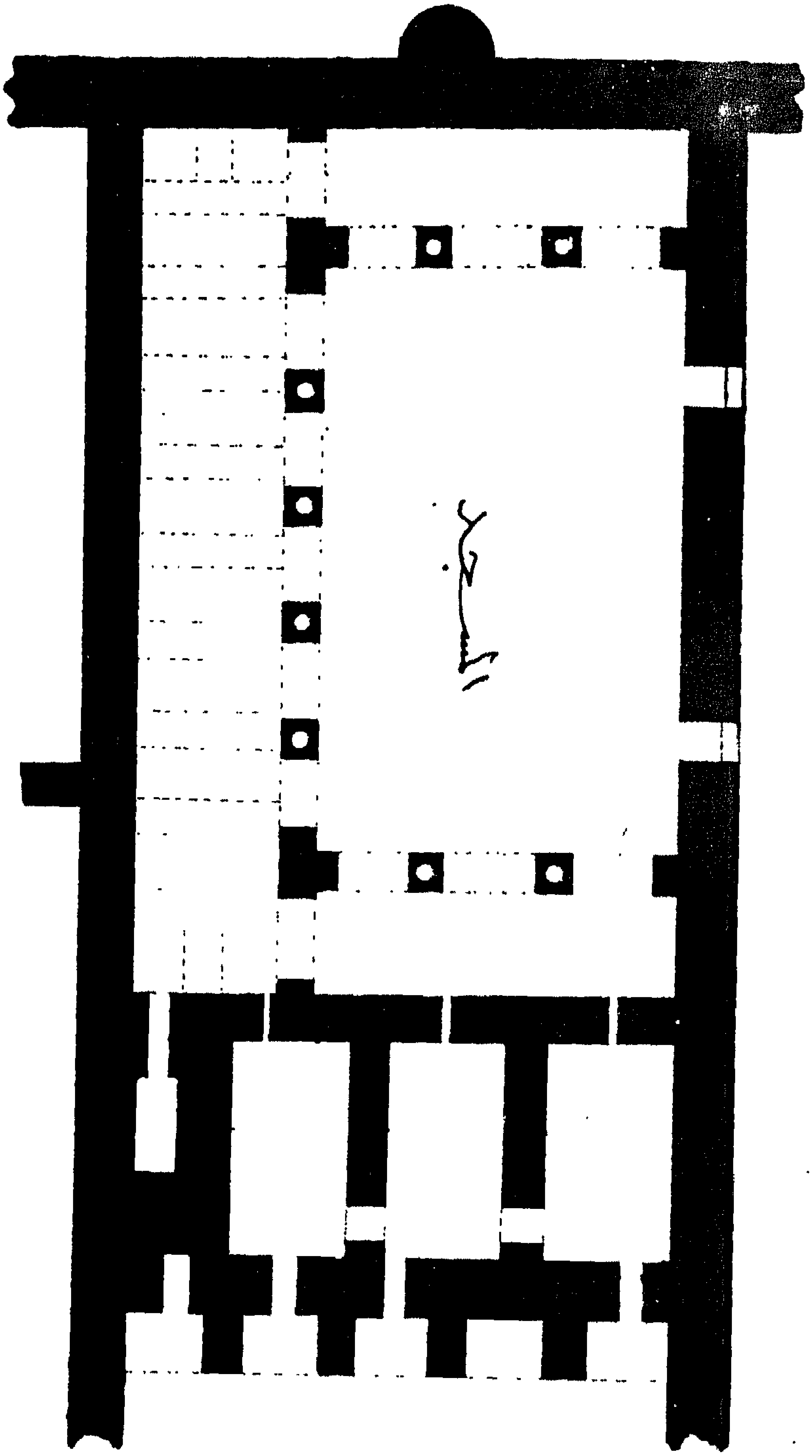

شكل (٨) رسم تخطيطي لمسجد قصر الاخيضر عن د. عيسى سلمان.

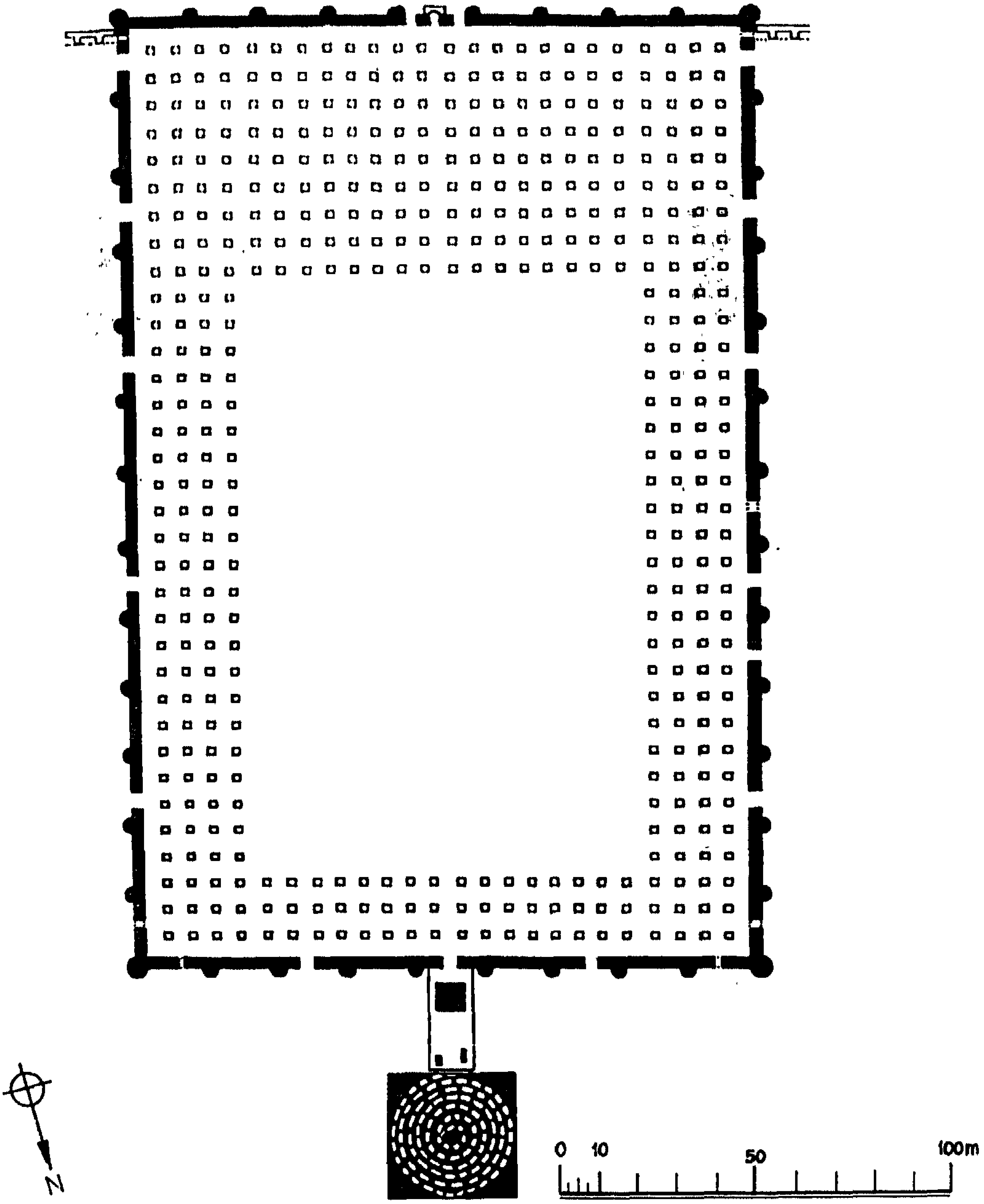

شكل (٩) رسم تخطيطي لجامع سامراء الكبير عن كريسويل.

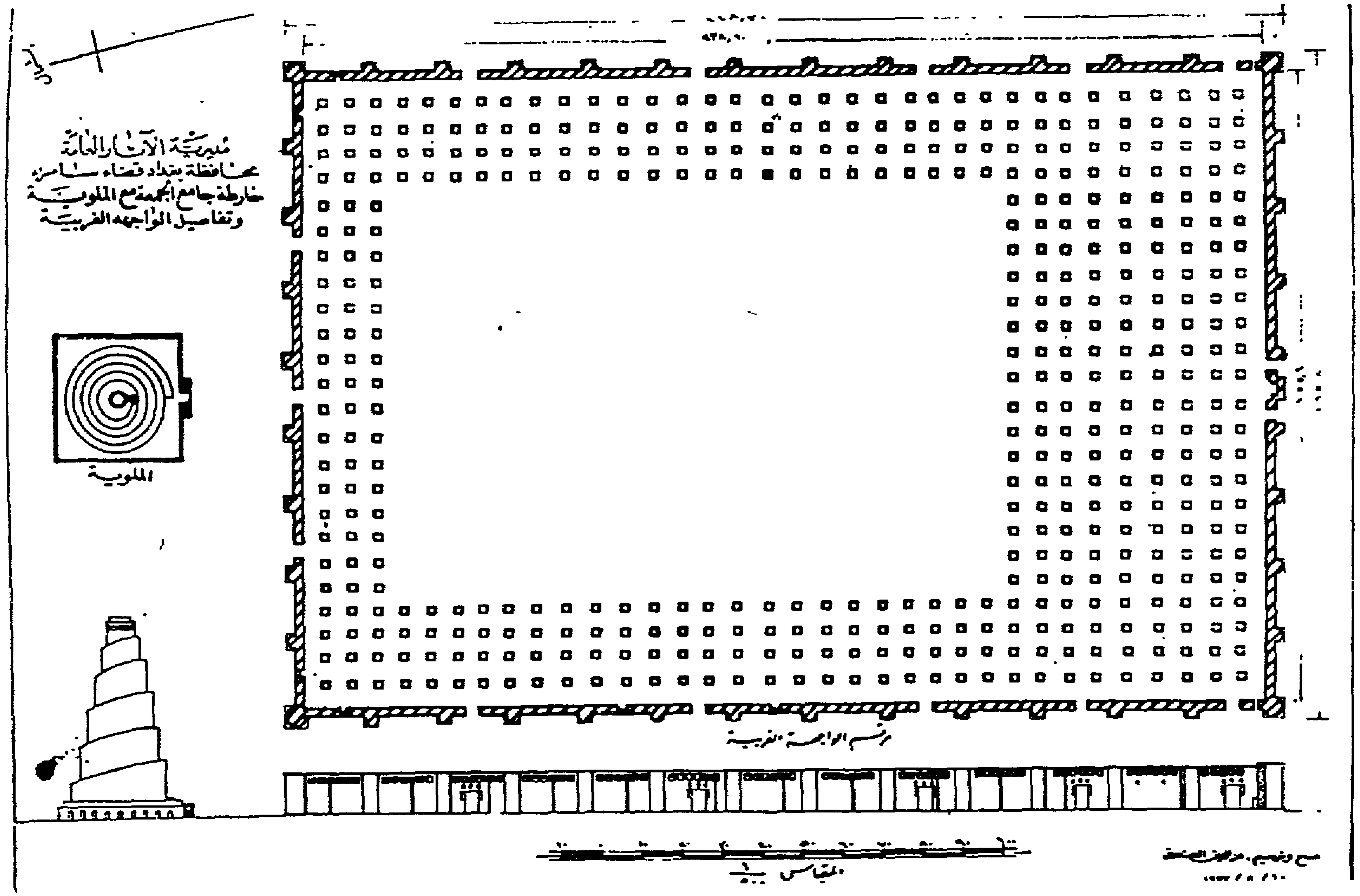

شكل (١٠) رسم تخطيطي لجامع سامراء الكبير عن د. عيسى سلمان.

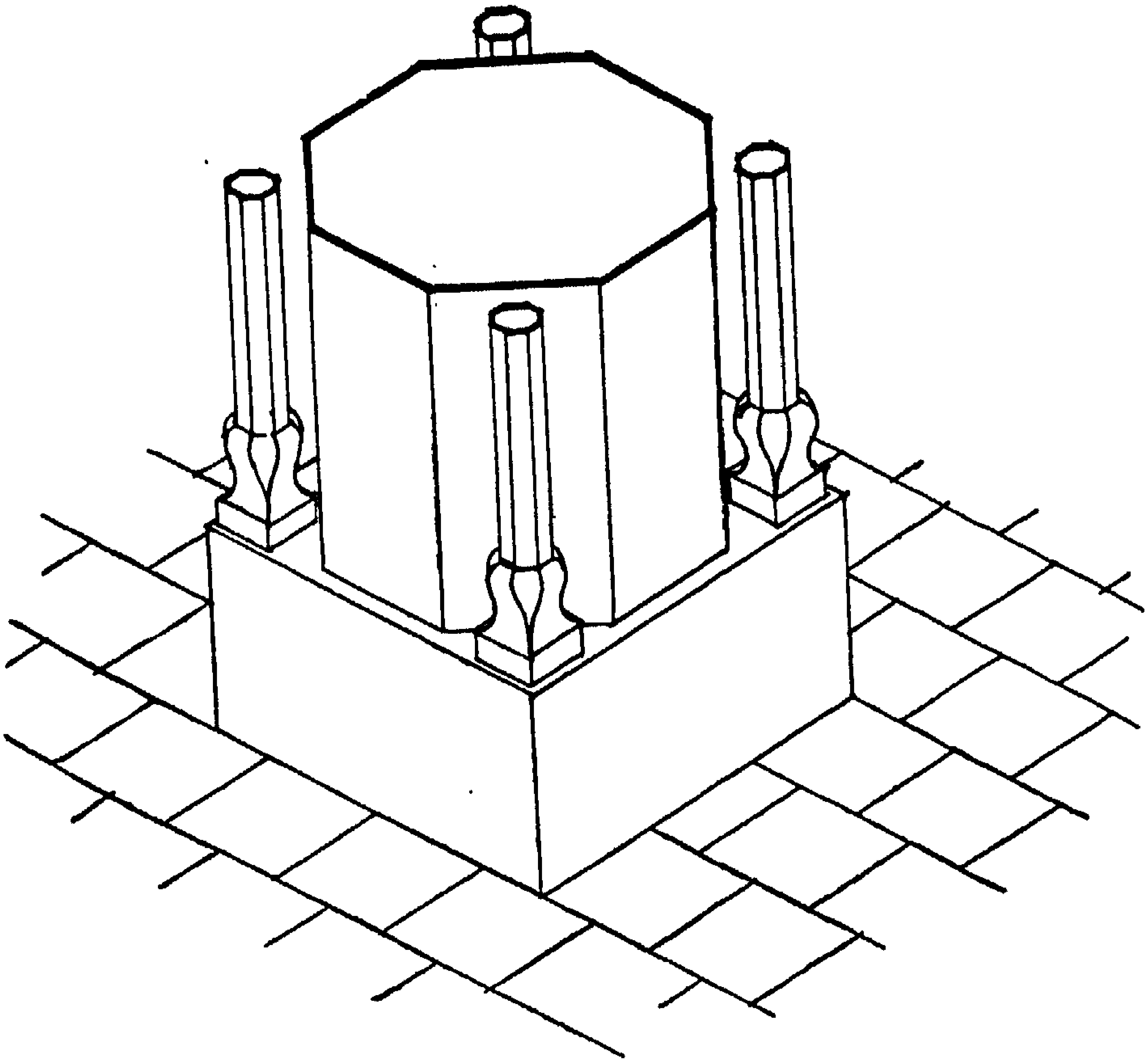

شكل (١١) دعامة فى جامع سامراء الكبير عن د. فريد شافعى.

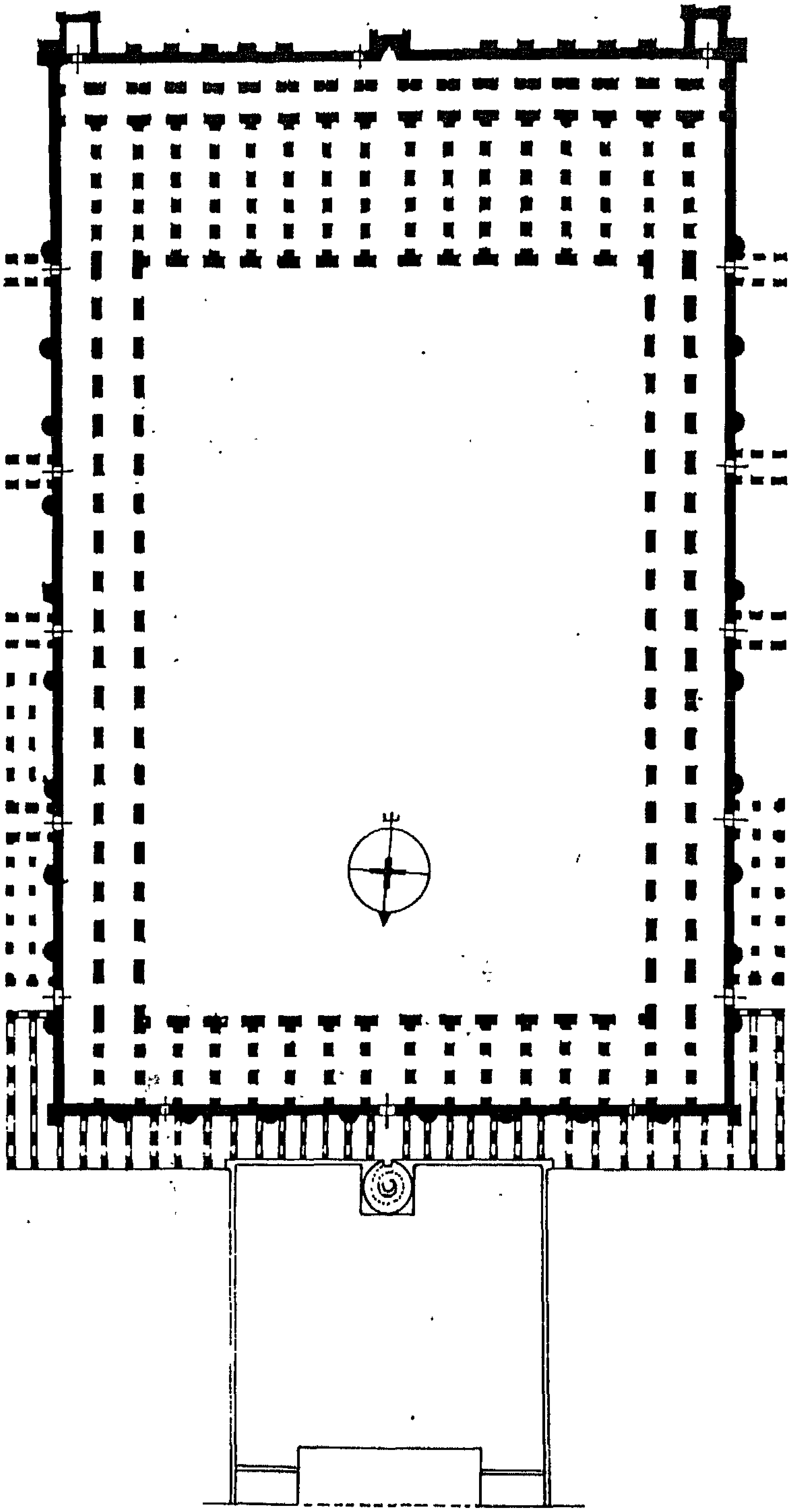

شكل (١٢) رسم تخطيطي لجامع أبي دلف عن د. عيسى سلمان.

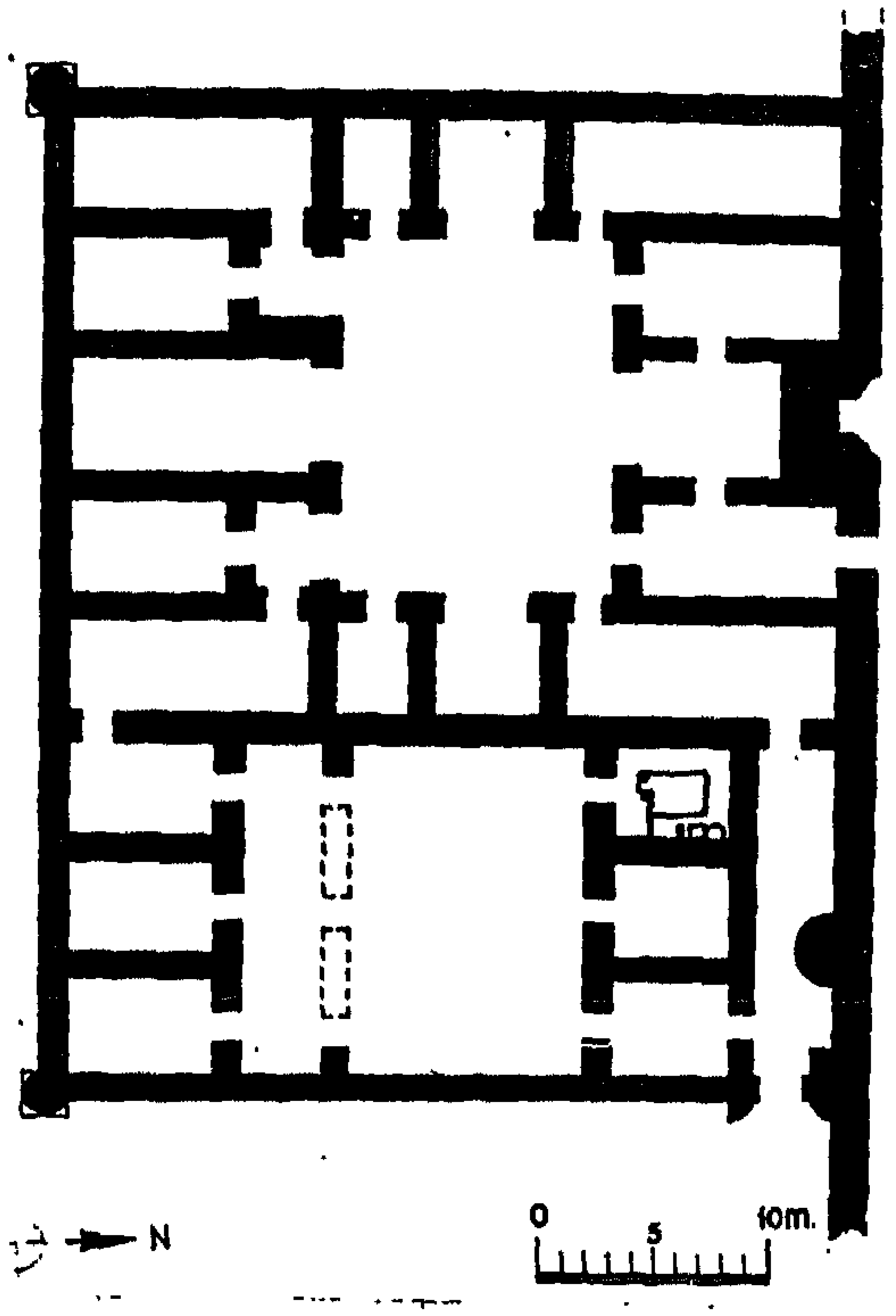

شكل (١٣) رسم تخطيطي لدار الإمارة خلف محراب مسجد أبى دلف عن كريسويل نقلا عن بشير فرنسيس ومحمود علي.

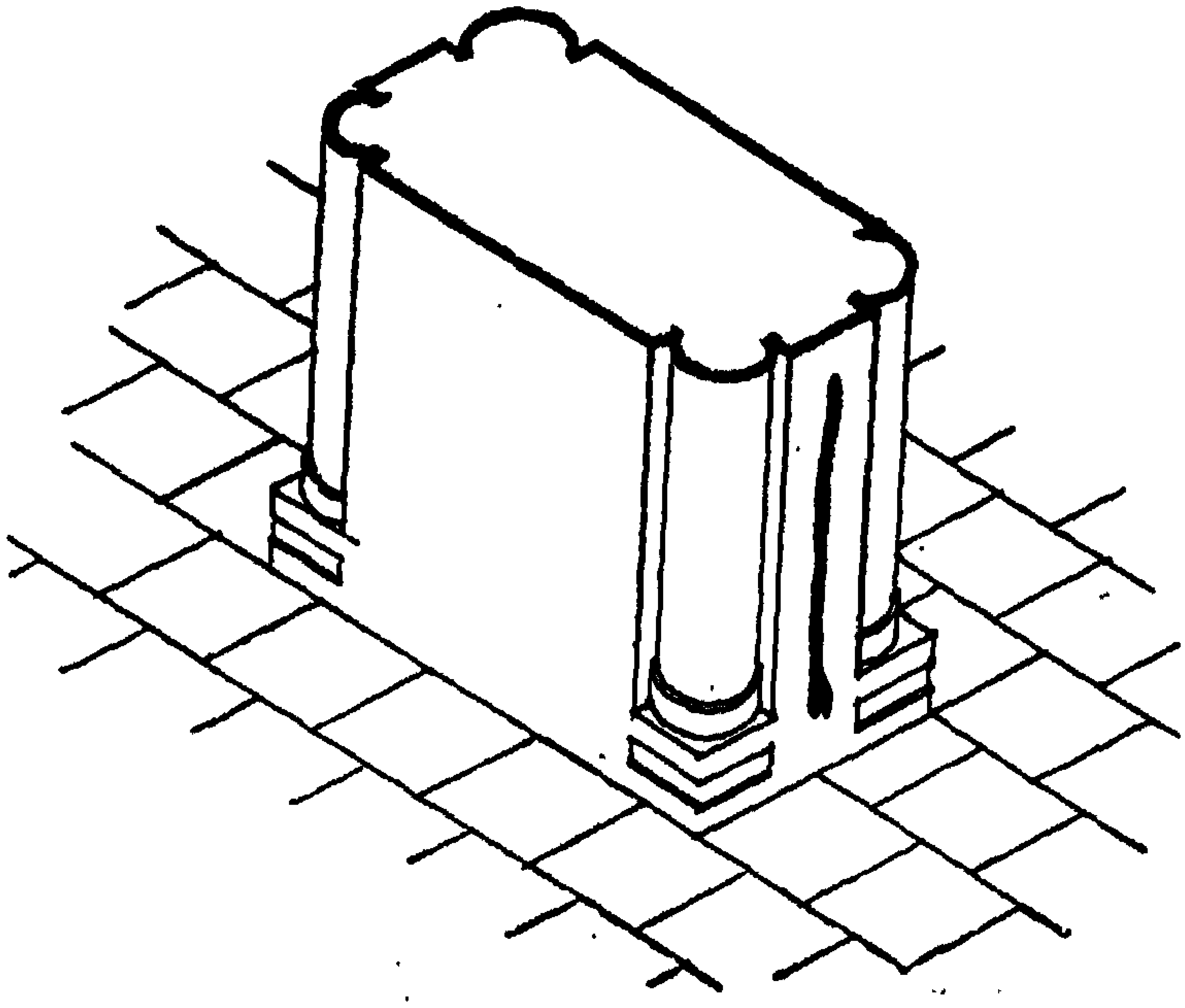

شكل (١٤) دعامة فى جامع أبى دلف وجامع ابن طولون عن د. فريد شافعى.

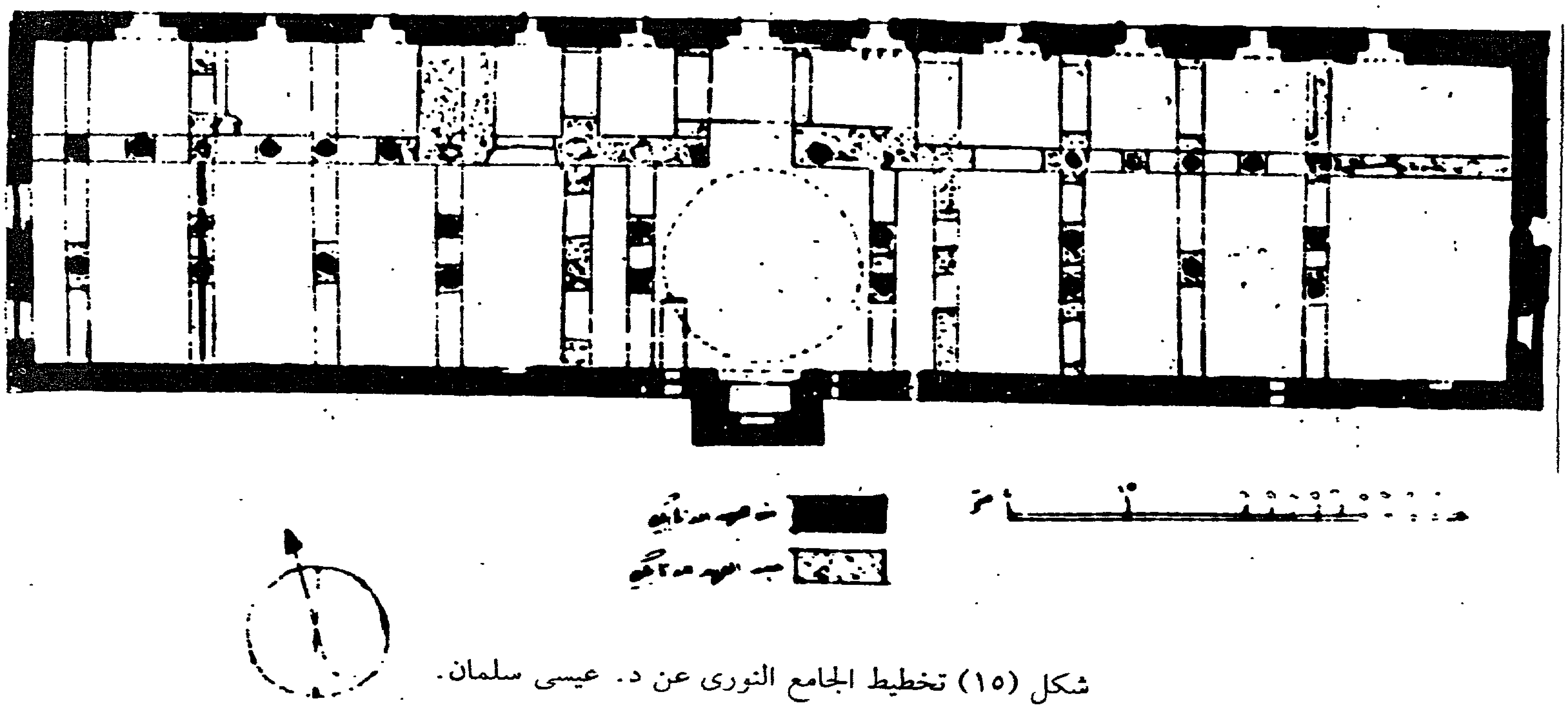

شكل (١٥) تخطيط الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

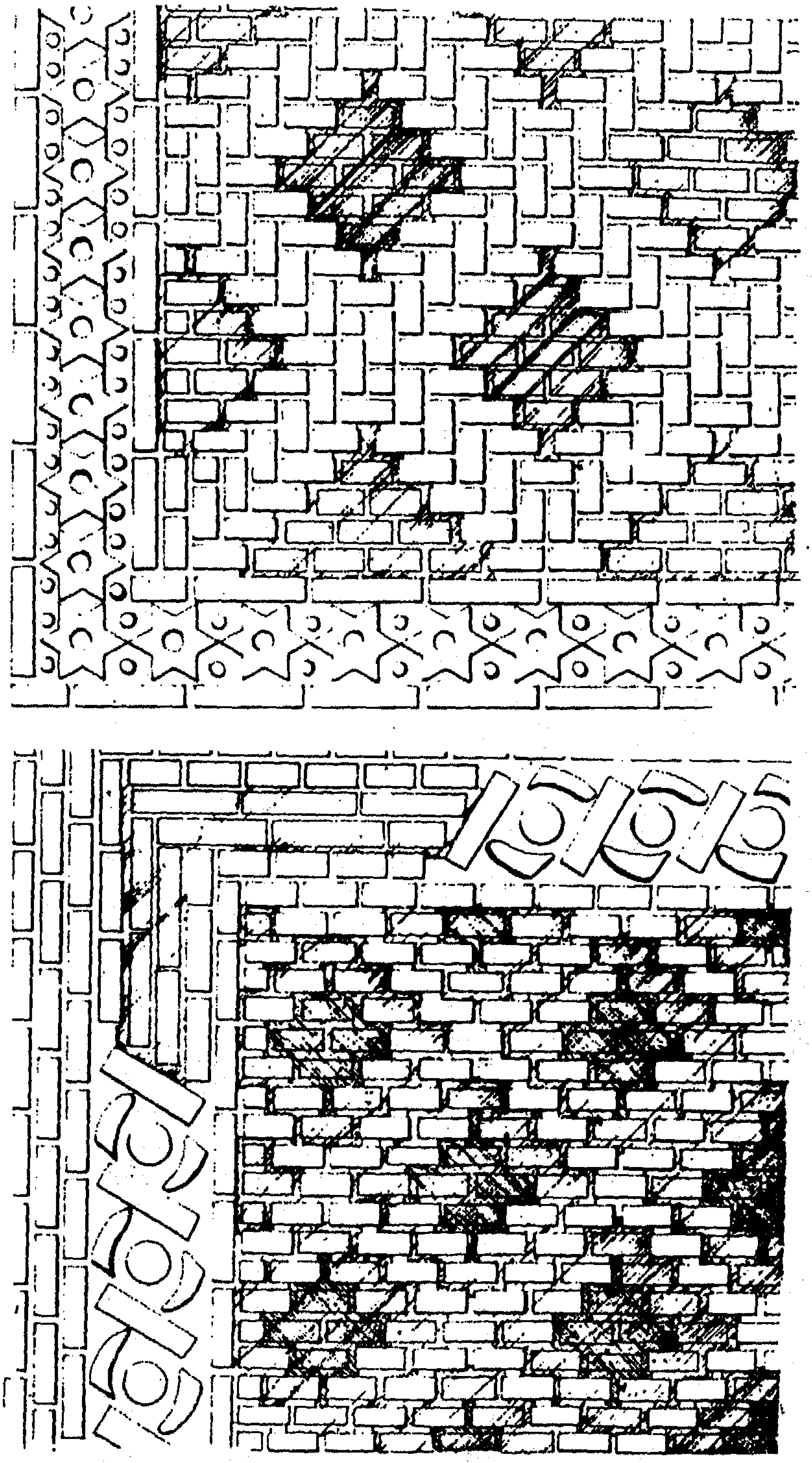

شكل (١٦) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

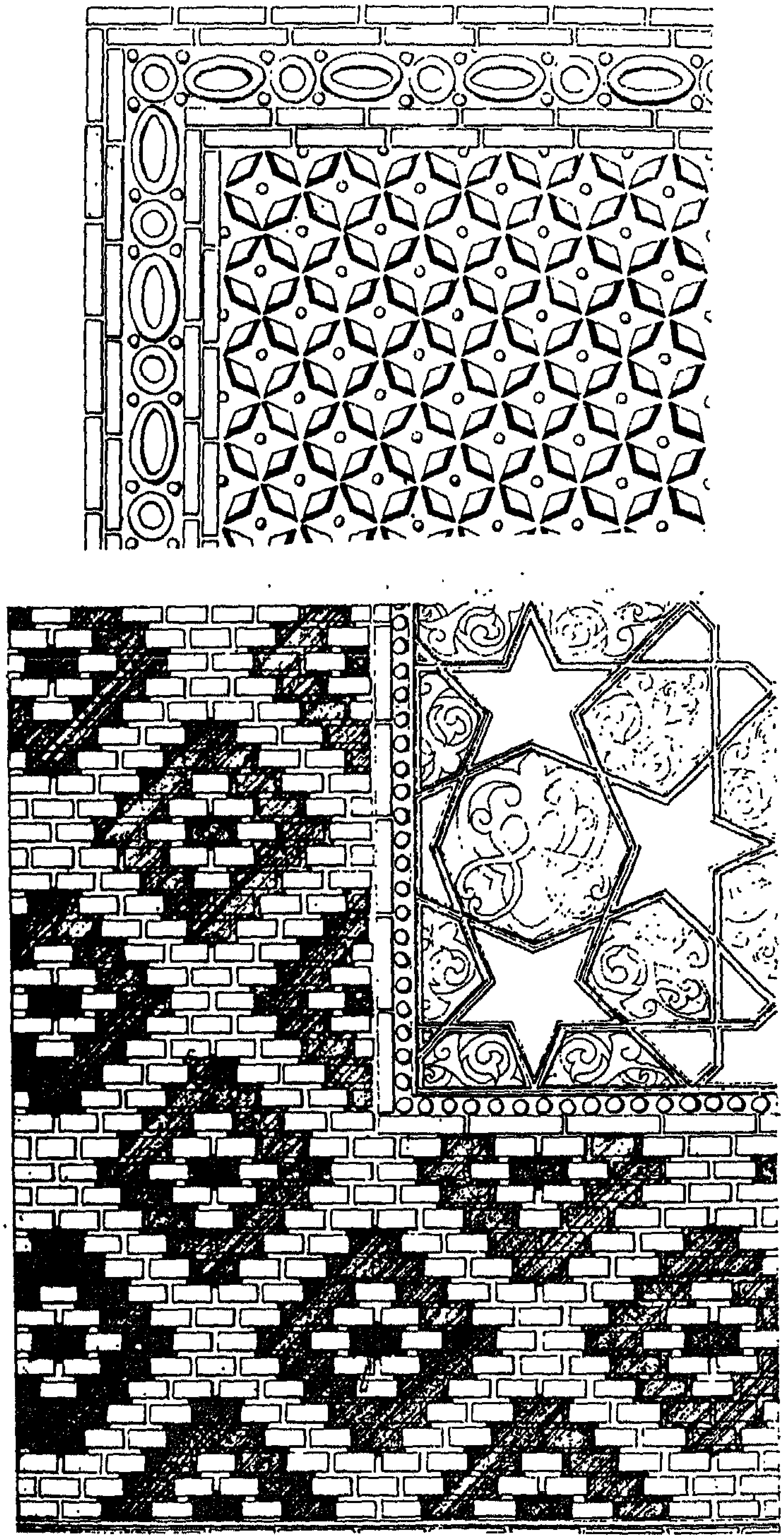

شكل (١٧) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

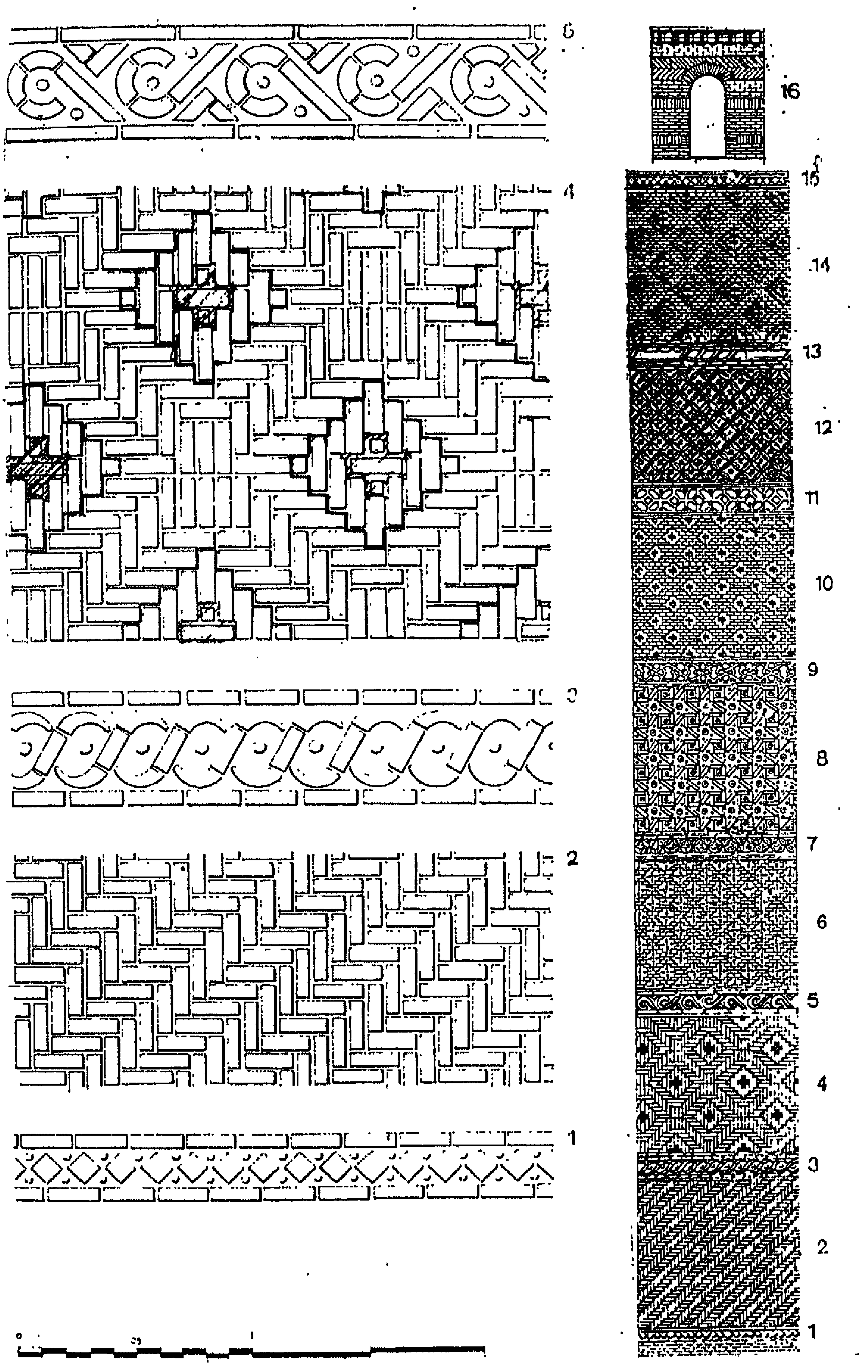

شكل (١٨) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

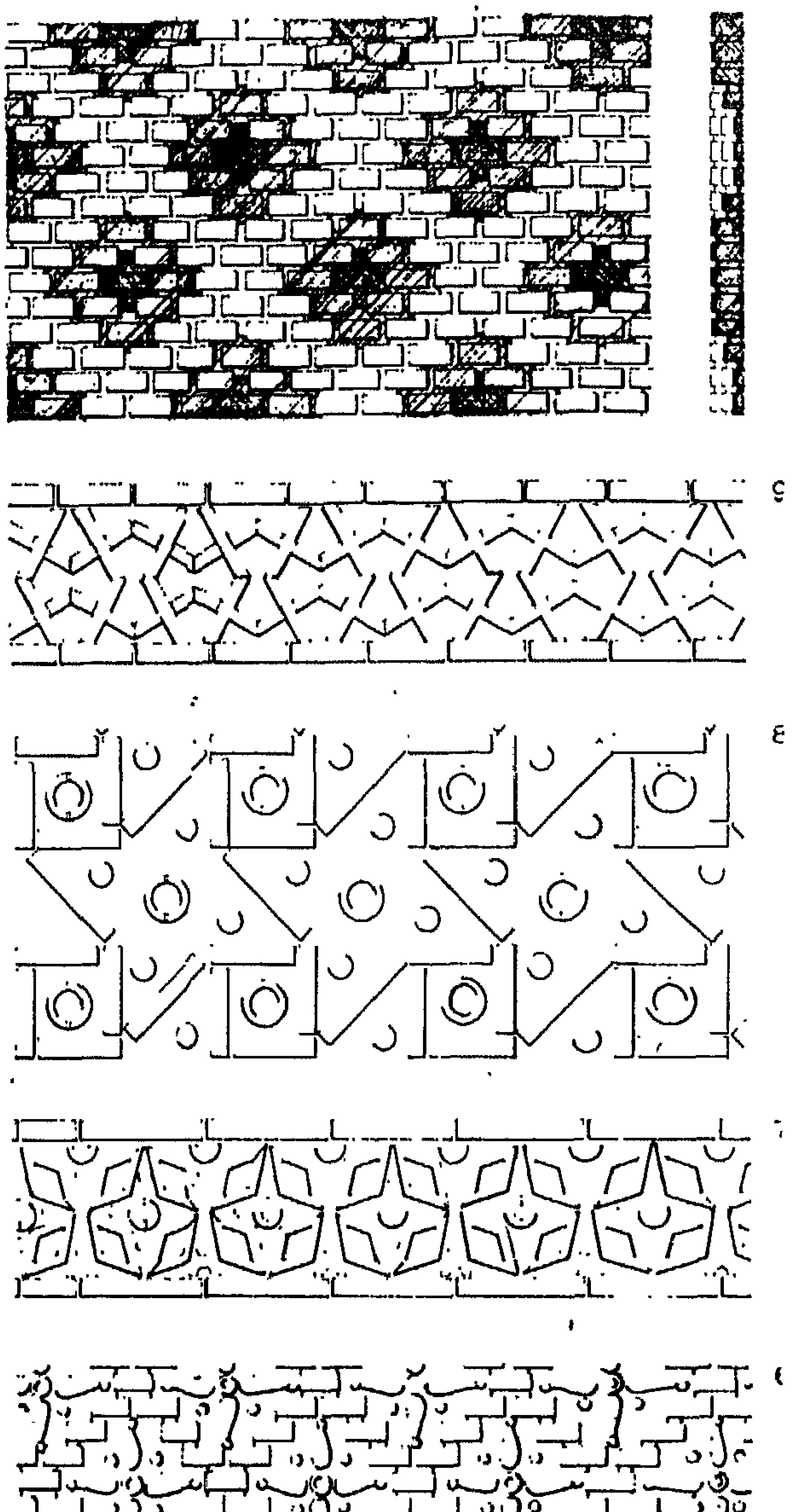

شكل (١٩) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

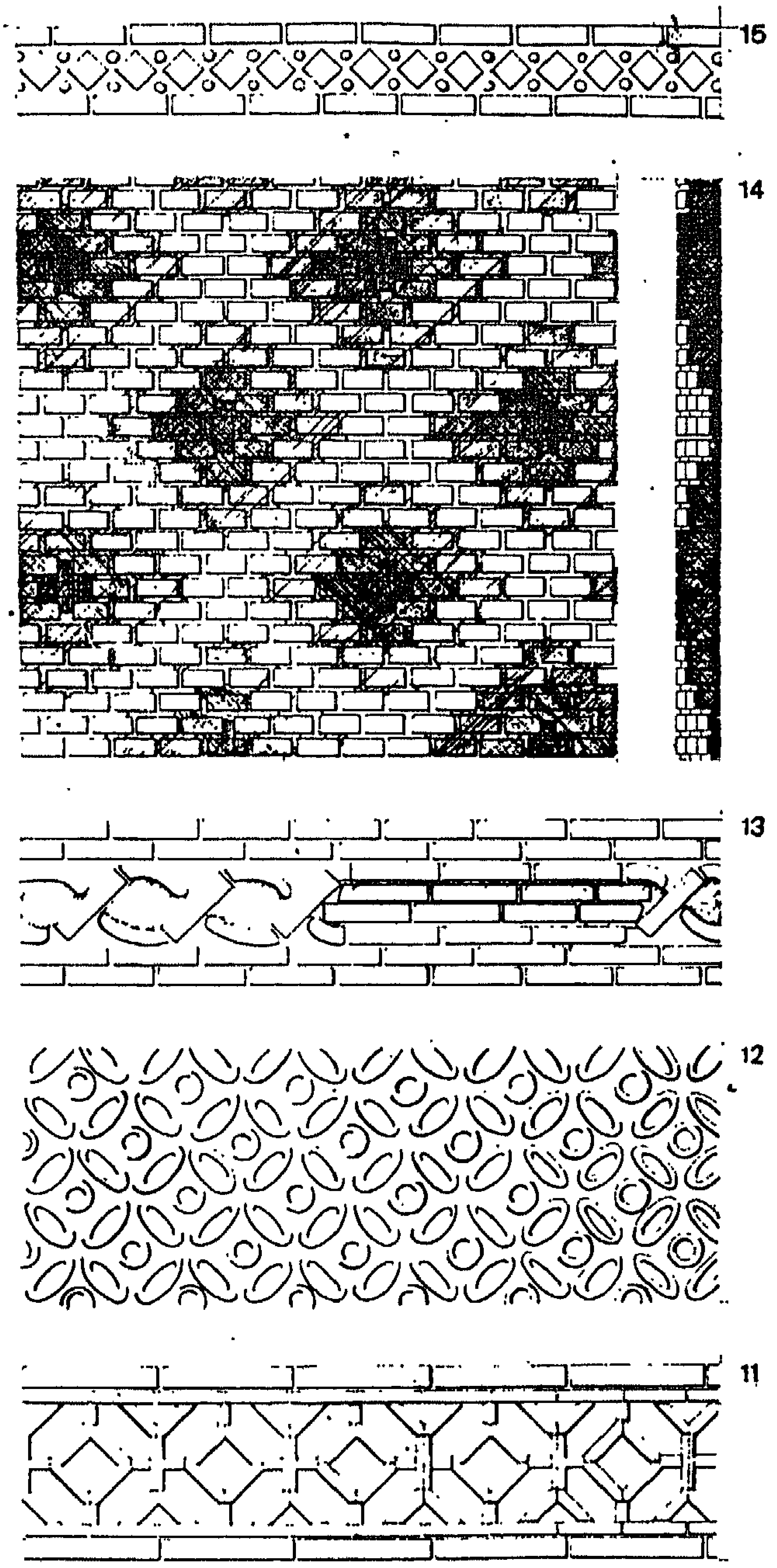

شكل (٢٠) تشكيلات زخرفية تزين قاعدة مئذنة الجامع النورى عن د. عيسى سلمان.

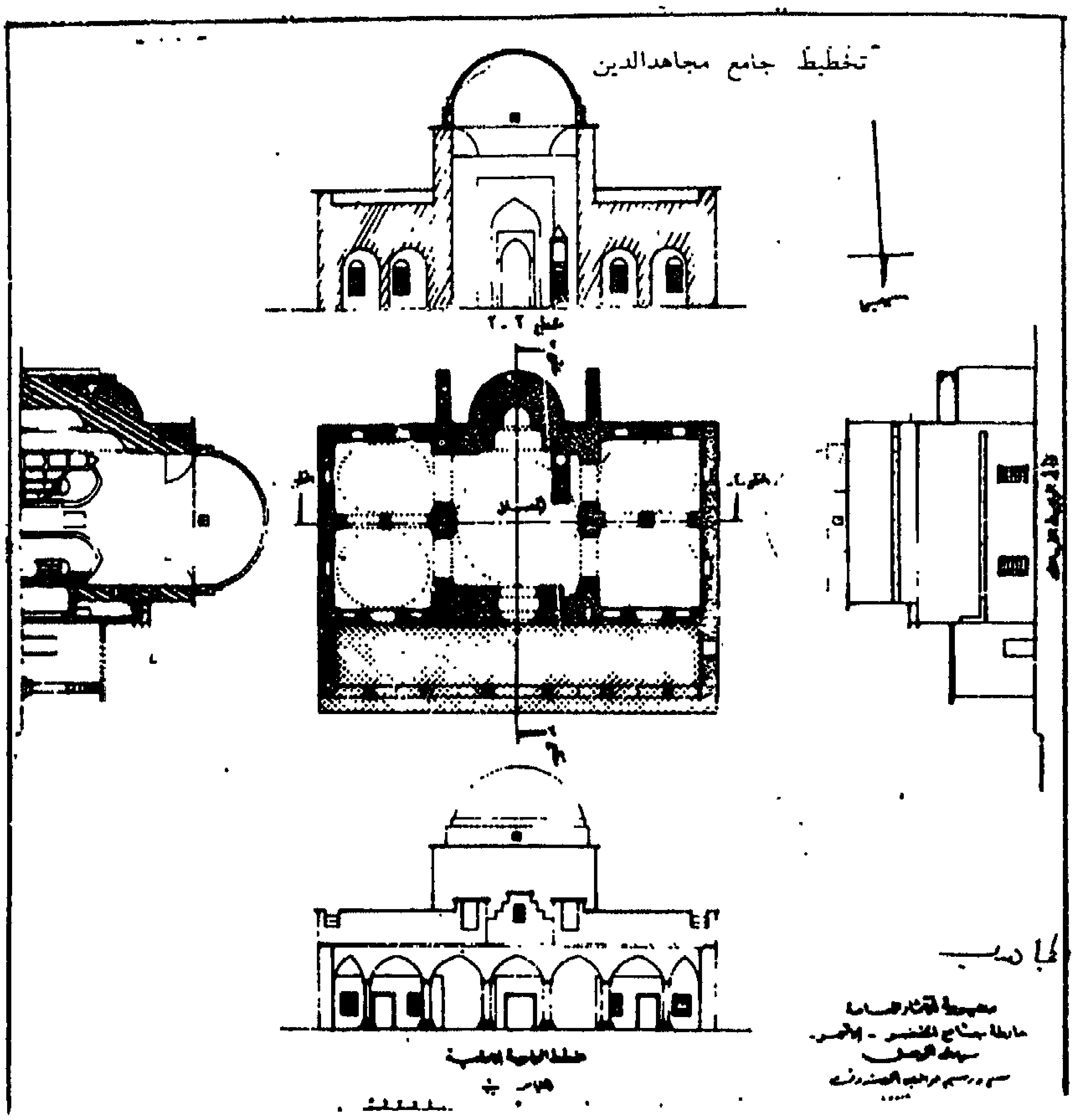

شكل (٢١) رسم تخطيطي لجامع مجاهد الدين عن د. عيسى سلمان.

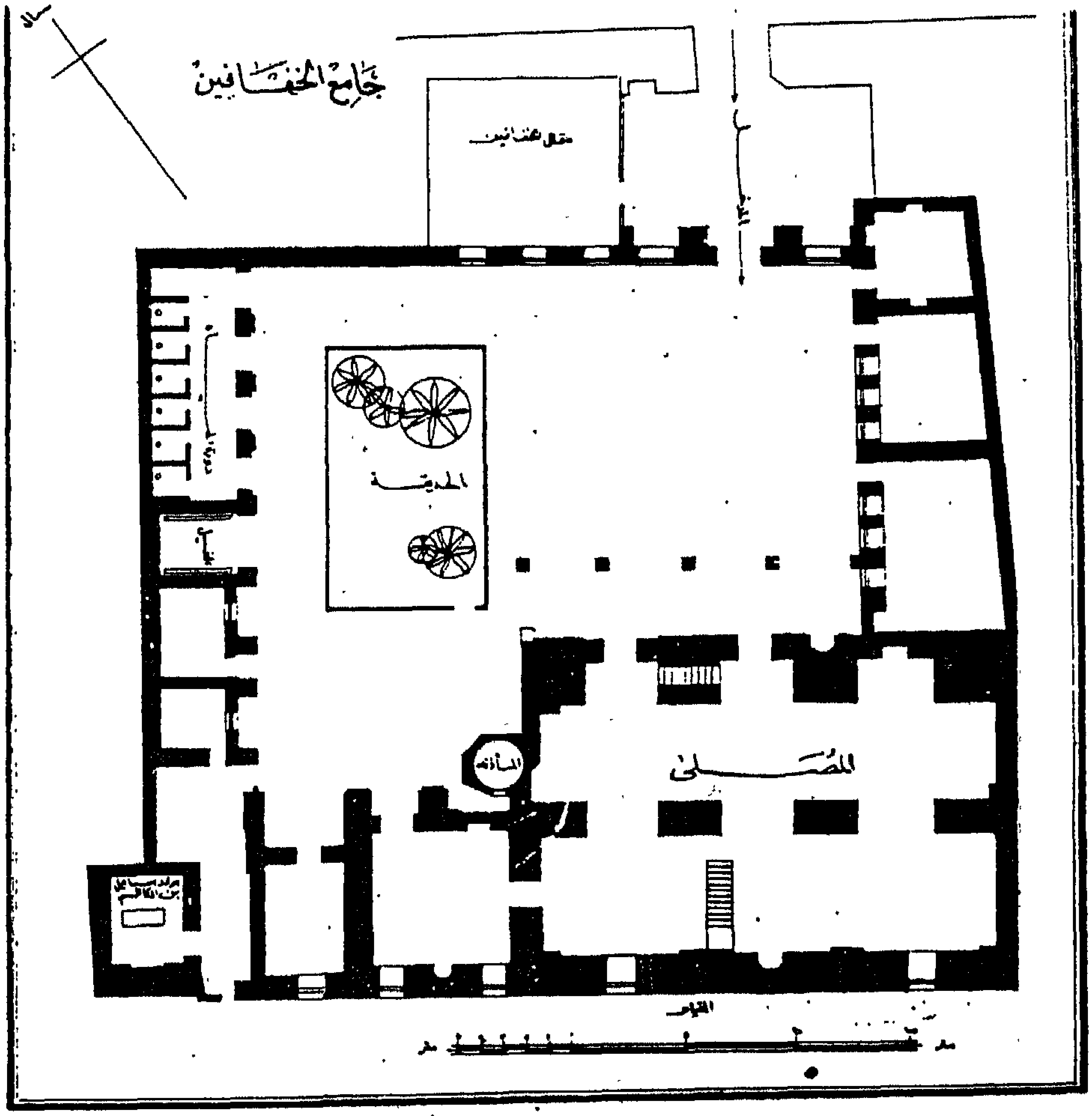

شكل (٢٢) رسم تخطيطي لجامع الخفافين عن د. عيسى سلمان.

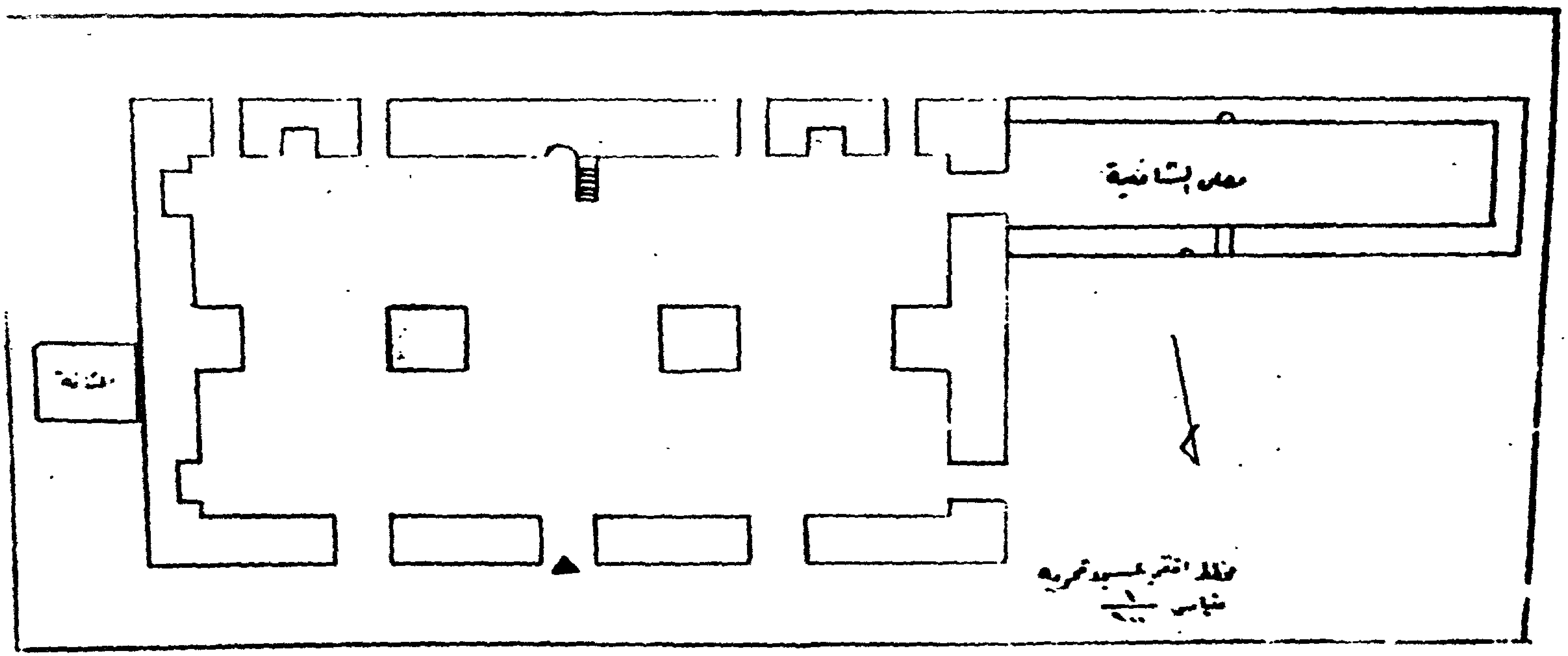

شكل (٢٣) رسم تخطيطي لجامع قمرية عن د. عيسى سلمان.

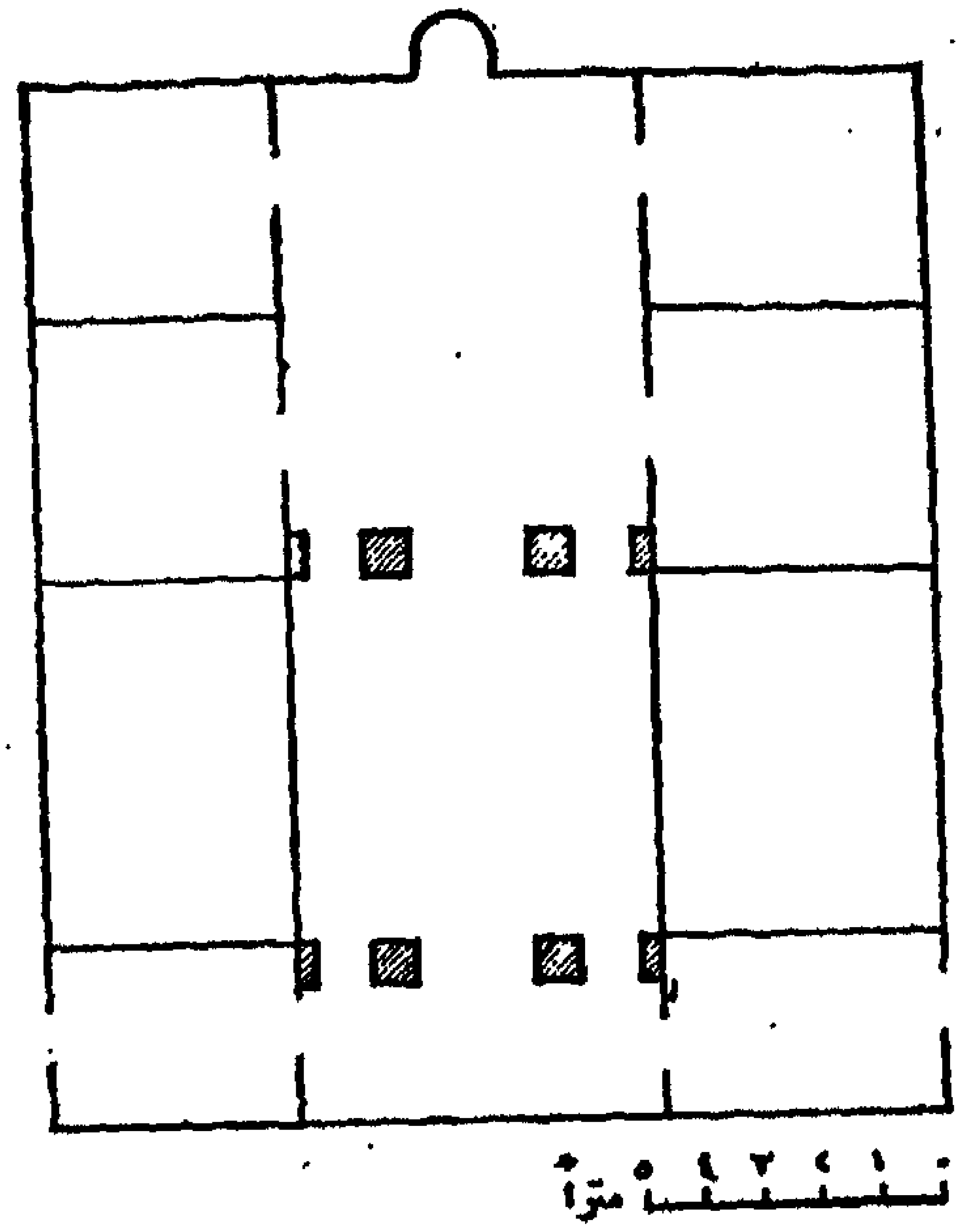

شكل (٢٤) رسم تخطيطى إفتراضى لمدرسة كومشتكين فى بصرى عن د. أحمد فكرى.

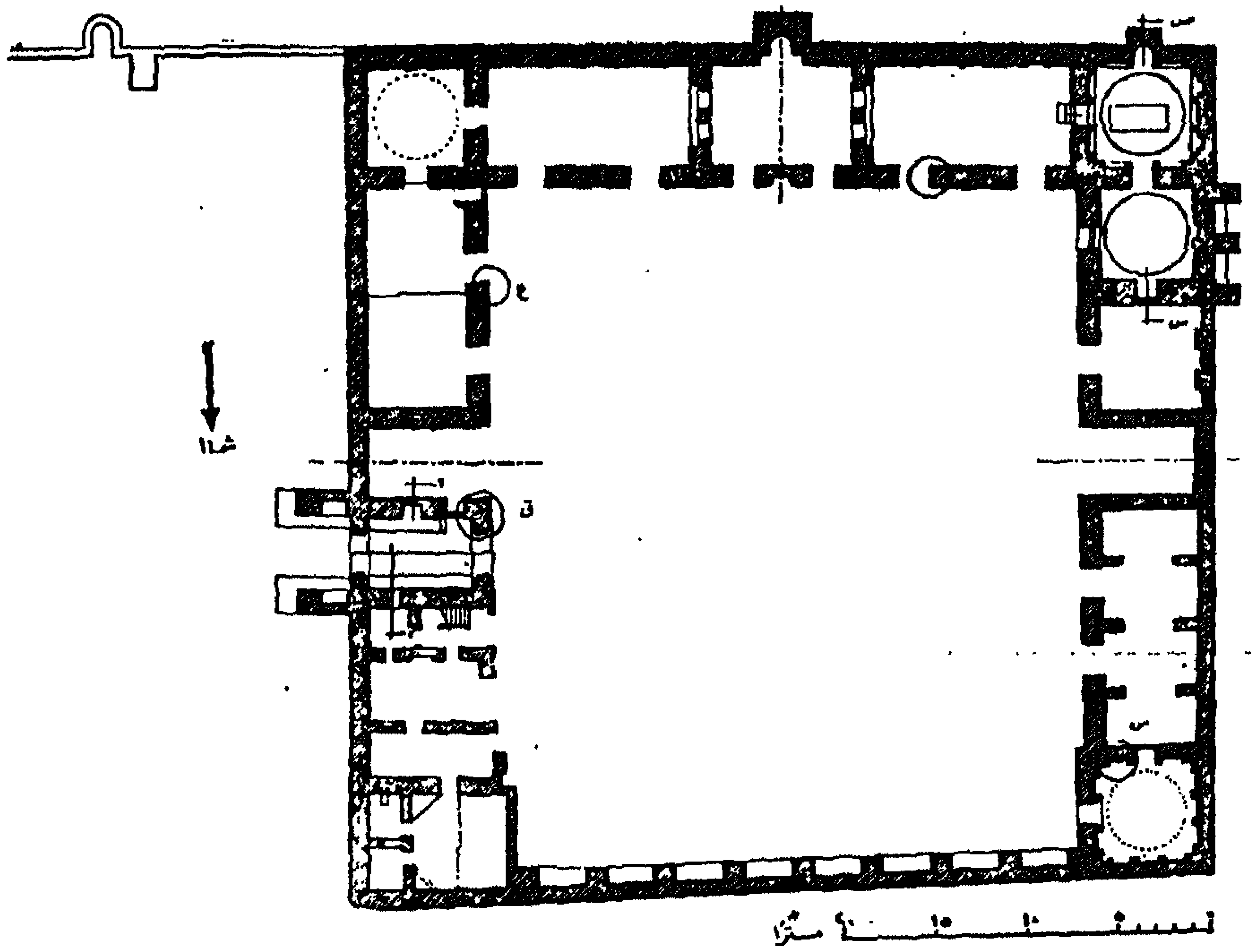

شكل (٢٥) رسم تخطيطى لمزار الأربعين فى تكريت عن د. عبد العزيز حميد.

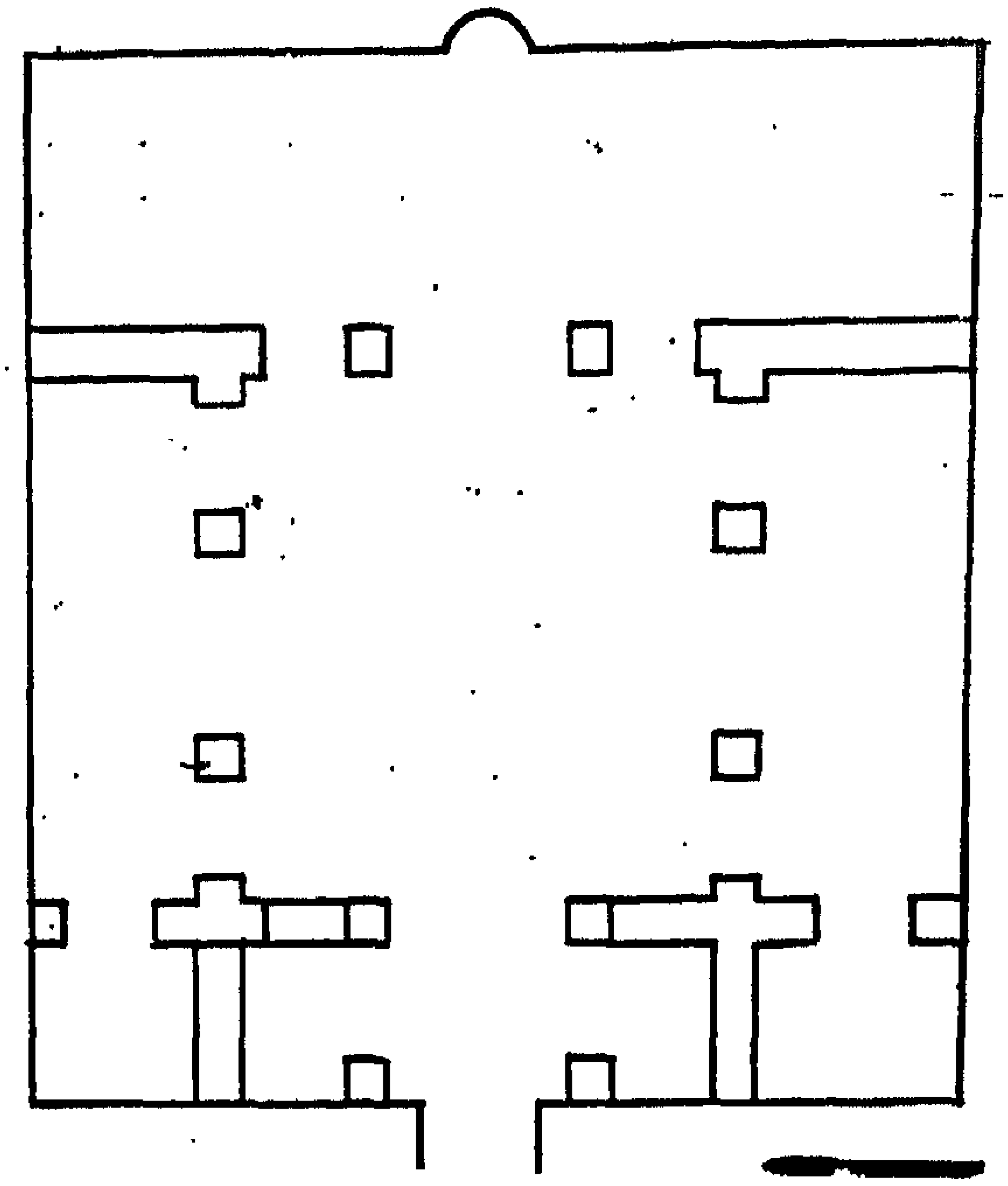

شكل (٢٦) رسم تخطيطى إفتراضى لدار الحديث النورى بدمشق عن د. أحمد فكرى.

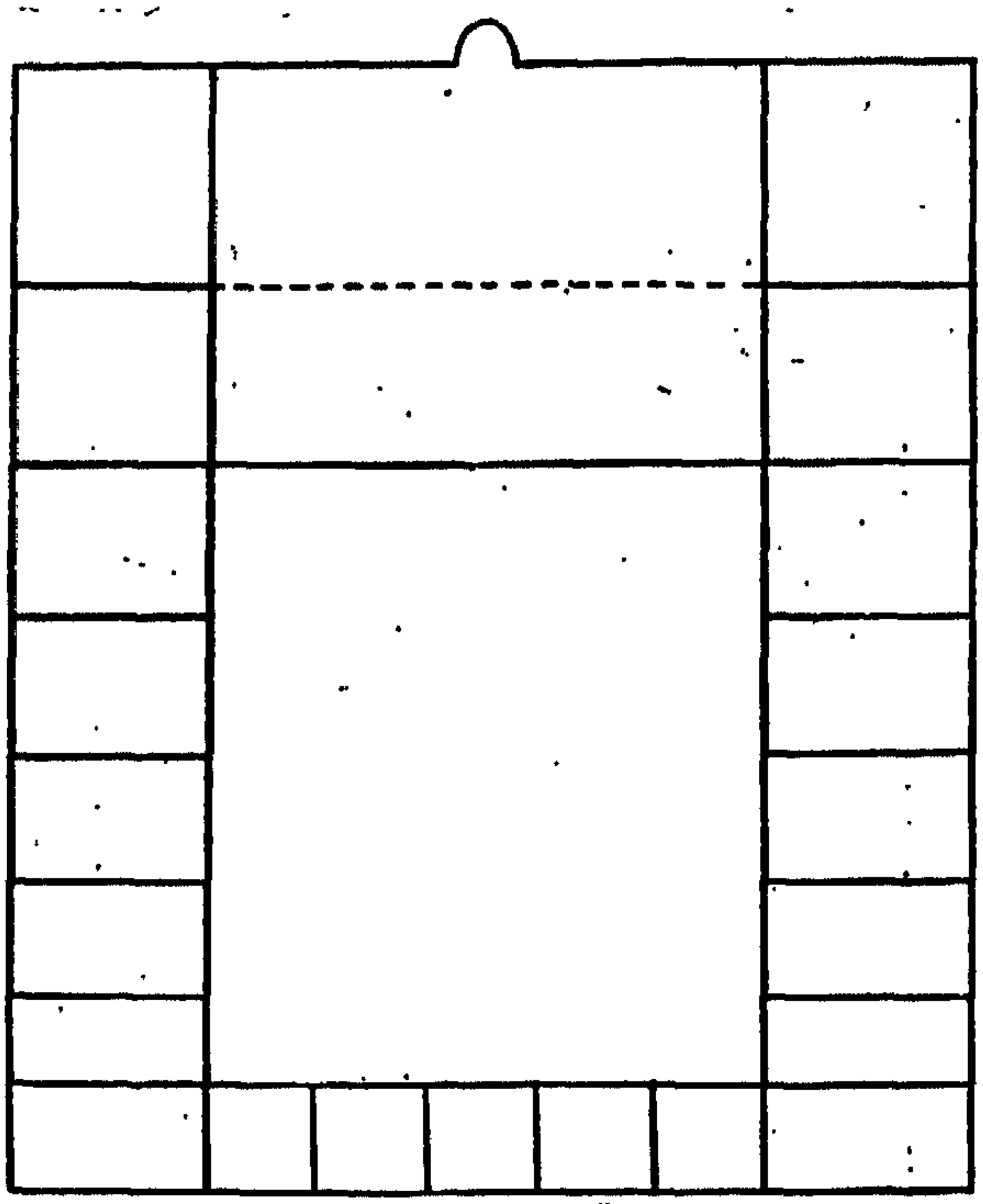

شكل (٢٧) رسم تخطيطى إفتراضى لمدرسة خان آتون بحلب عن د. أحمد فكرى.

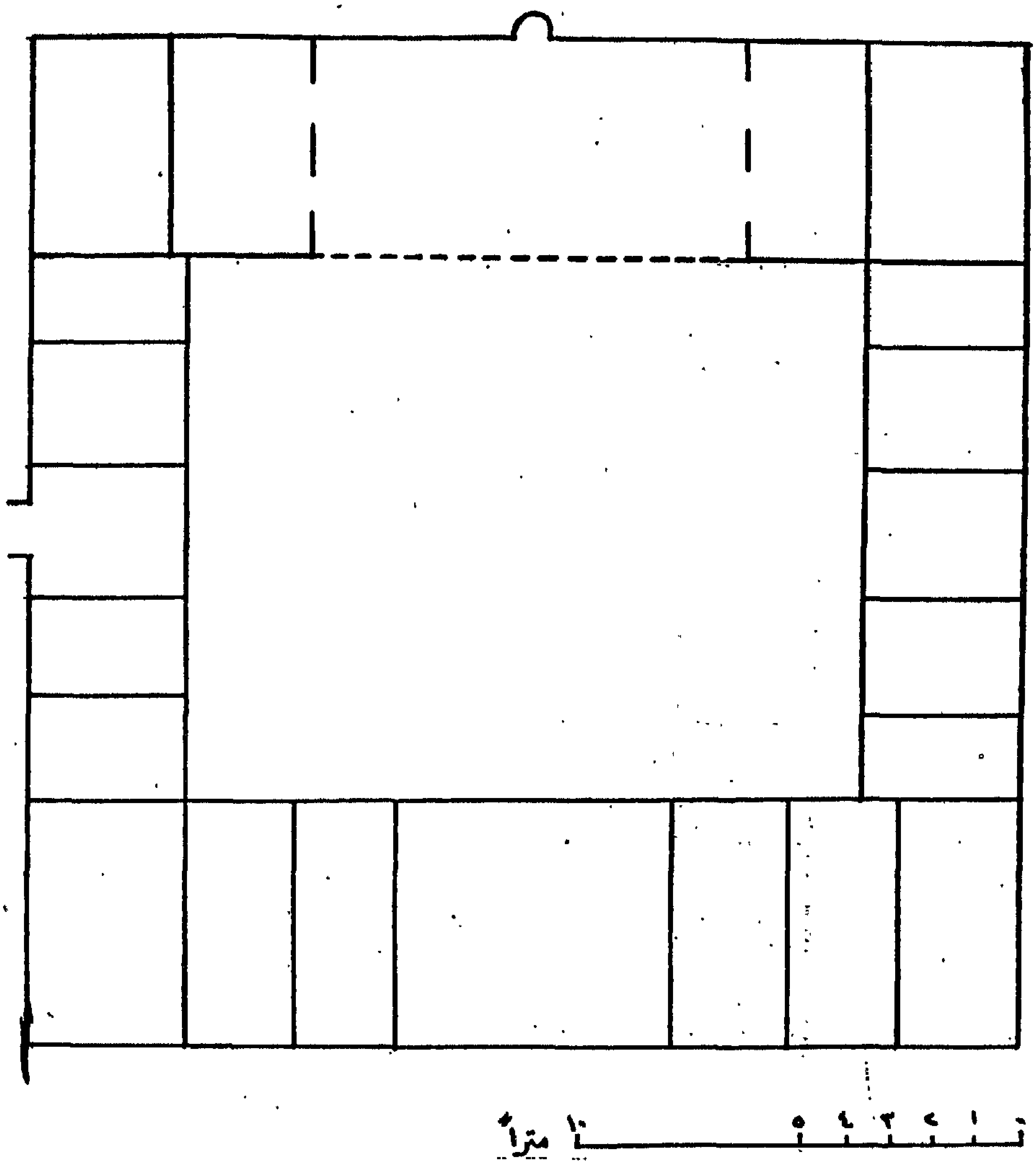

شكل (٢٨) رسم تخطيطى للمدرسة النورية الكبرى بدمشق عن د. أحمد فكرى.

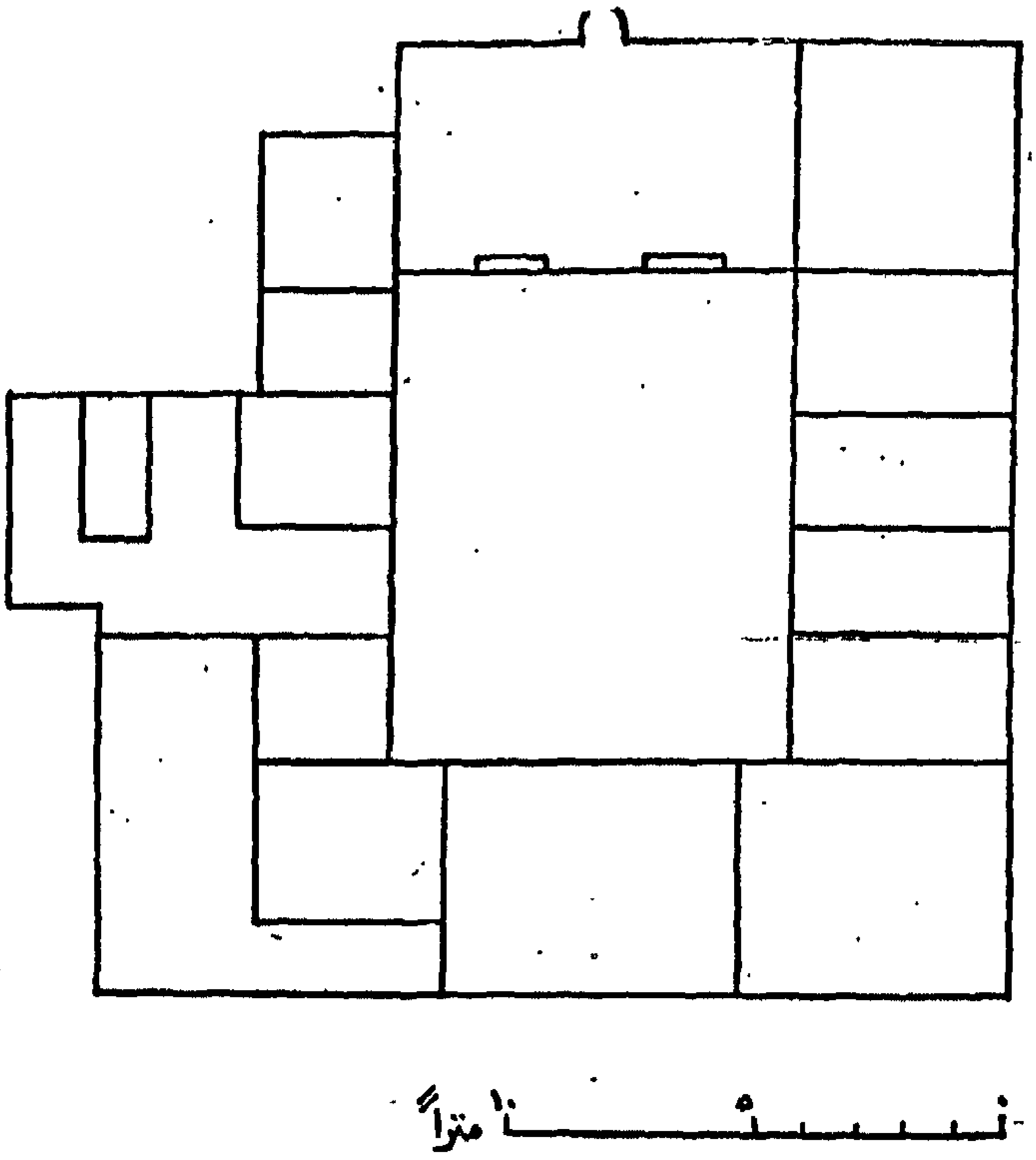

شكل (٢٩) رسم تخطيطي للمدرسة الشاذبختية بحلب عن د. أحمد فكري.

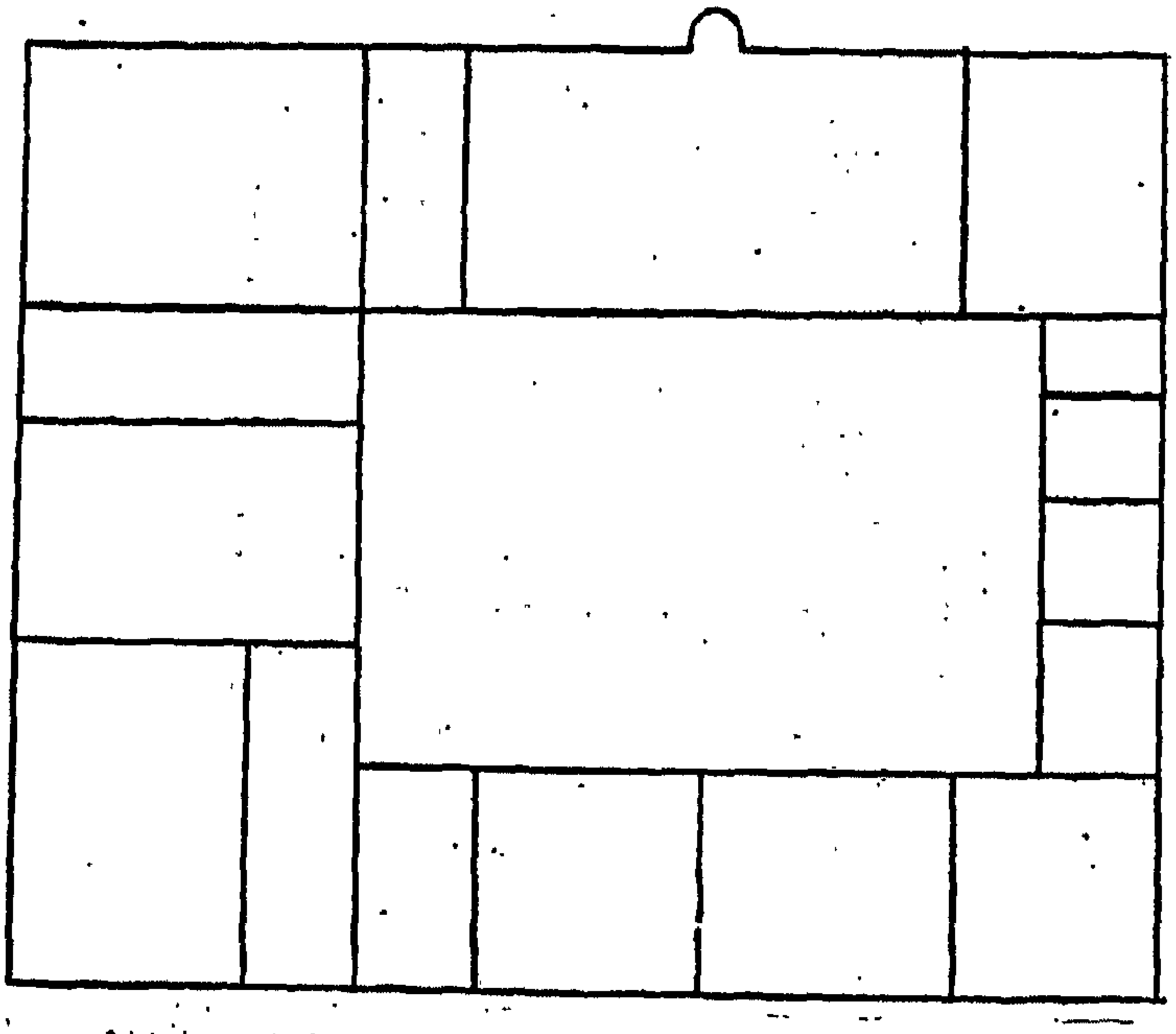

شكل (٣٠) رسم تخطيطي إفتراضي لمدرسة معرة النعمان بالشام عن د. أحمد فكري.

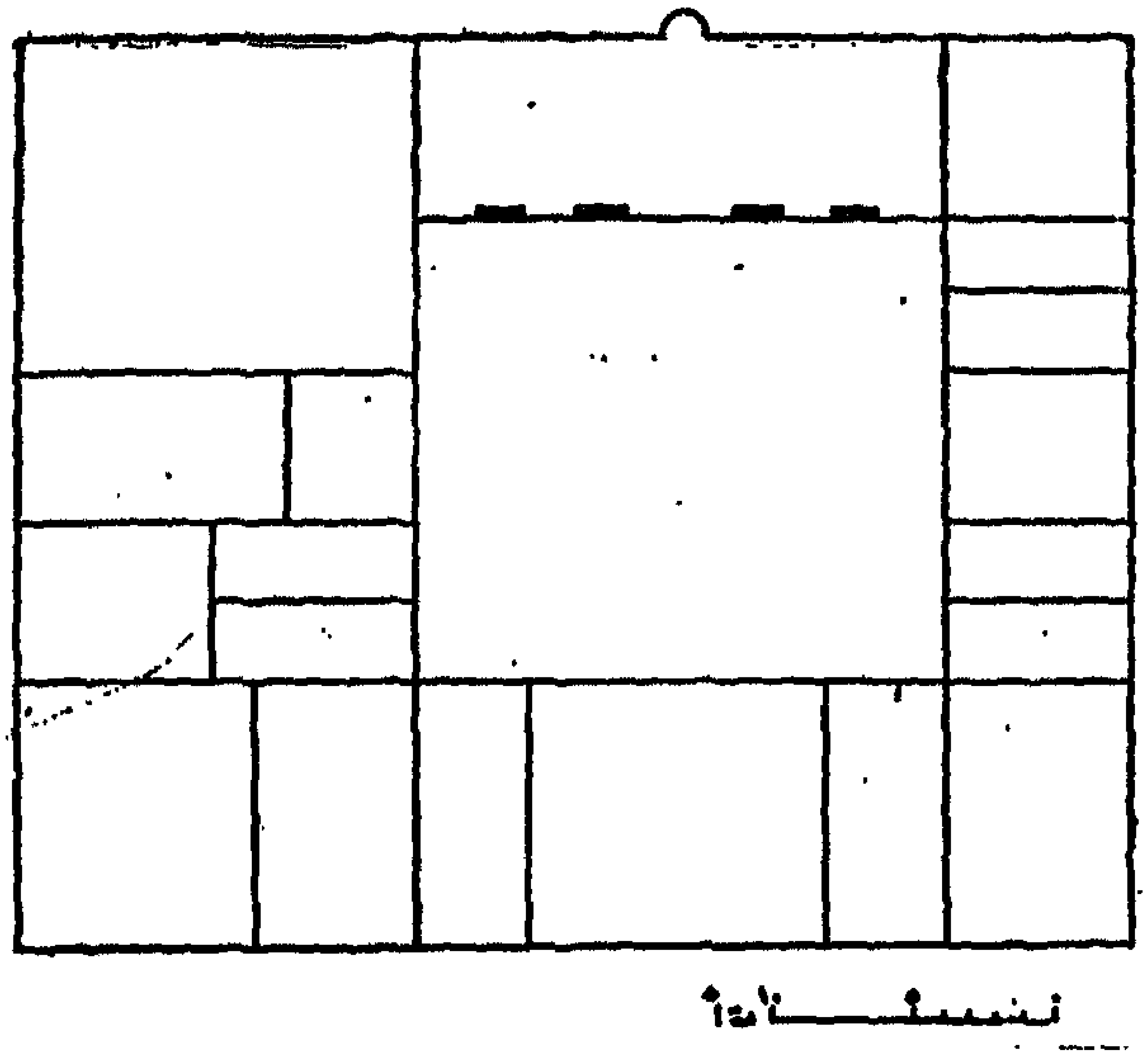

شكل (٣١) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة العادلية بدمشق عن هرتزفلد.

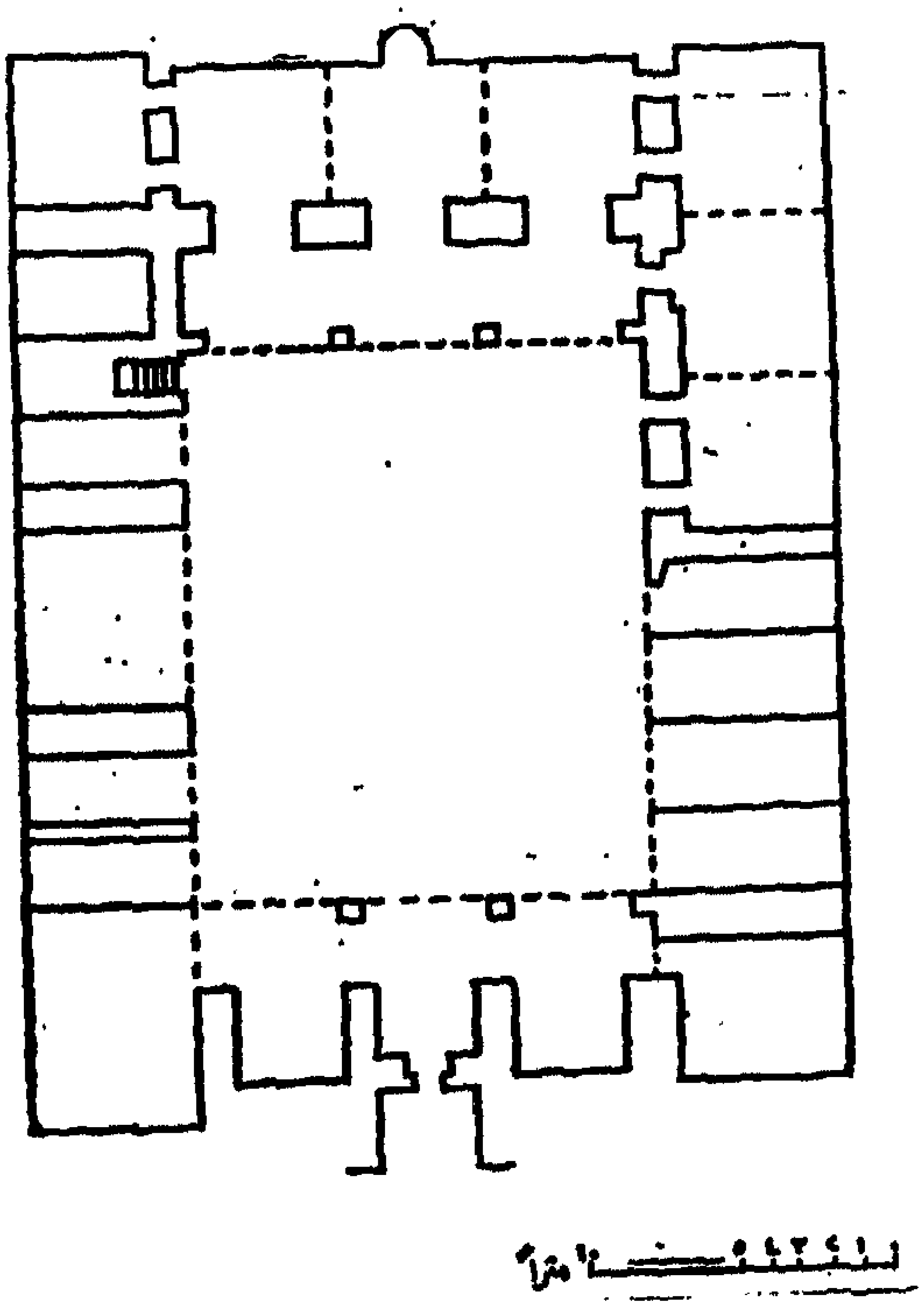

شكل (٣٢).رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة الظاهرية بحلب عن د. أحمد فكرى.

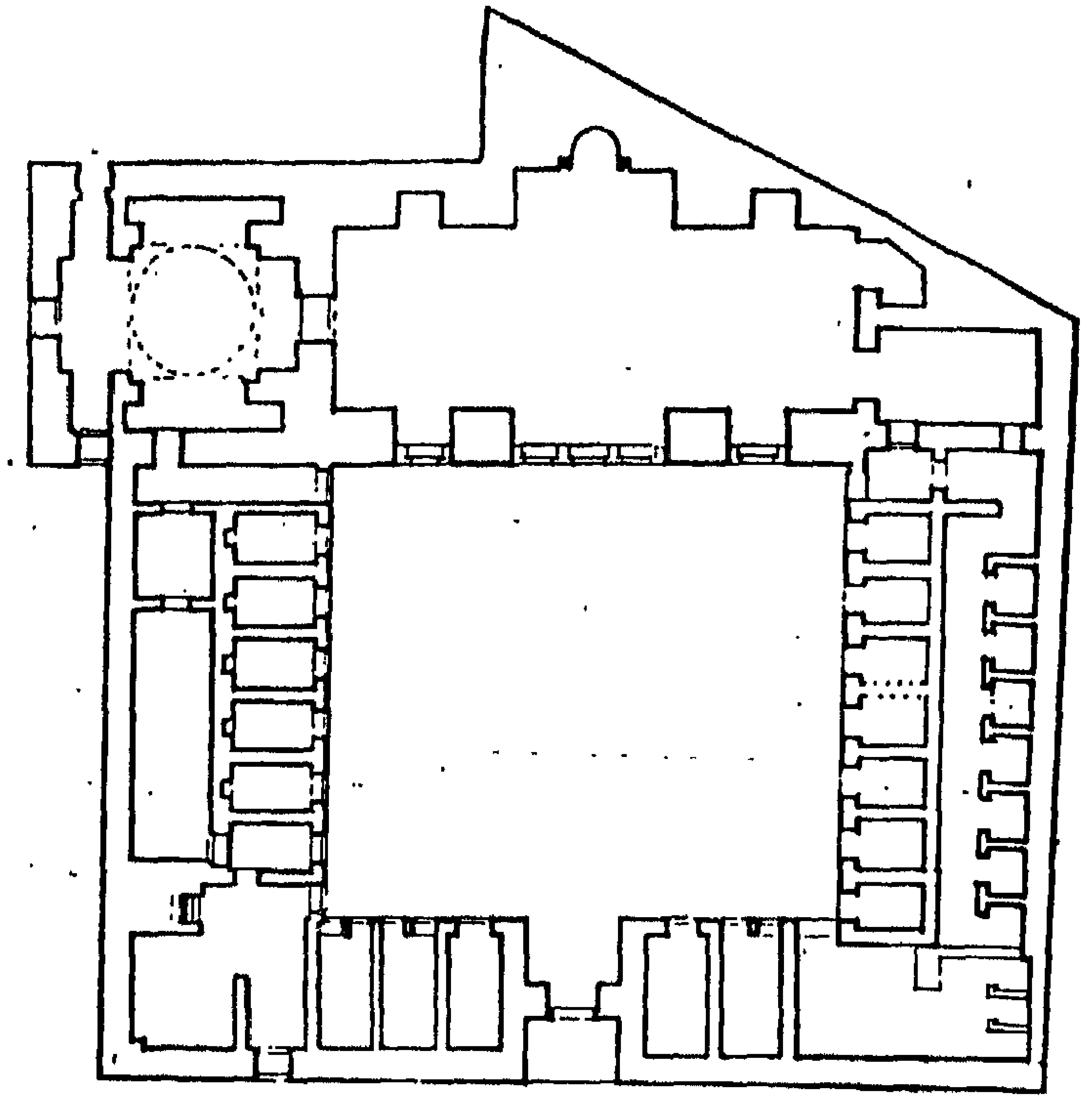

شكل (٣٣) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة السلطانية بحلب عن د. أحمد فكرى.

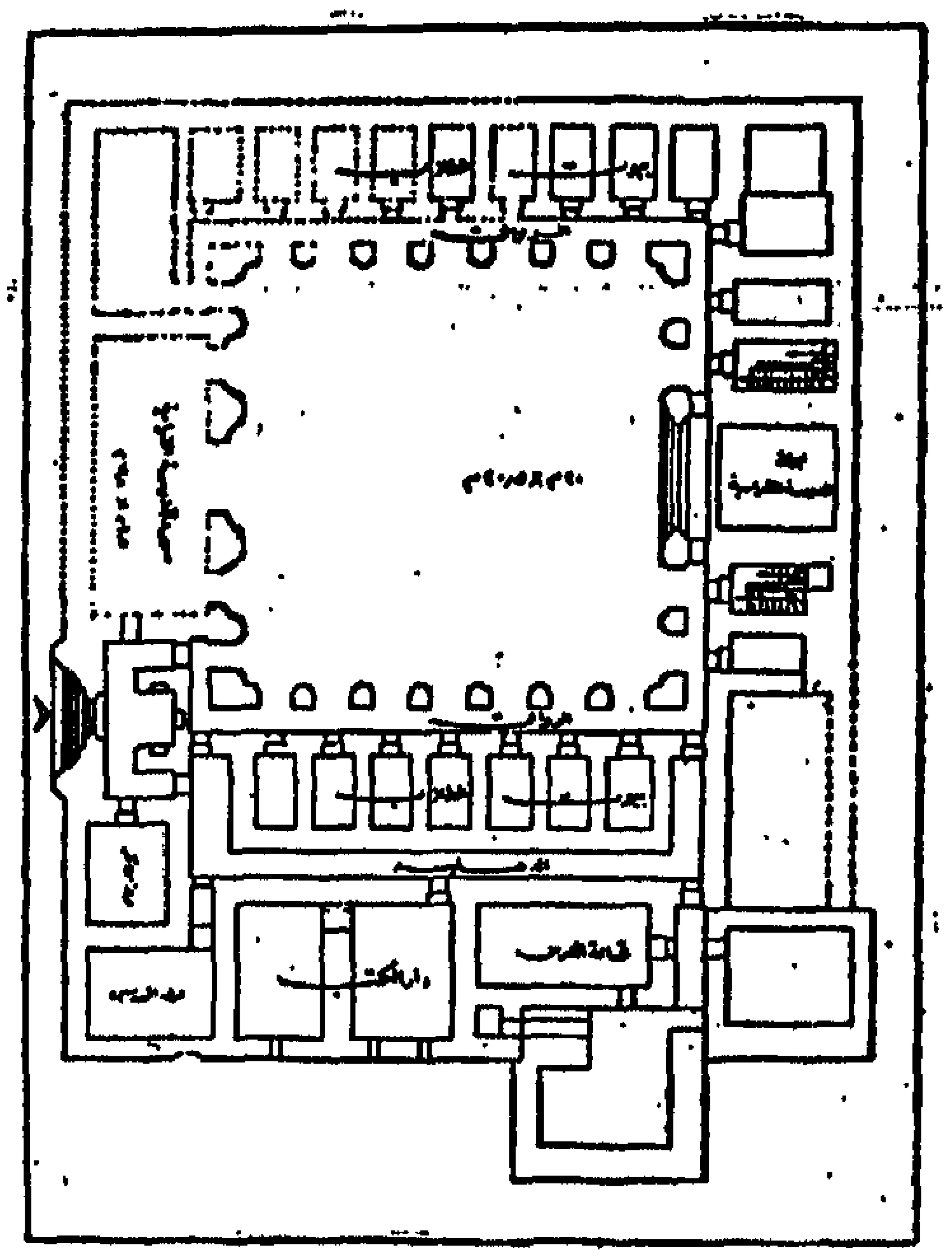

شكل (٣٤) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة الشرابية (القصر العباسى) عن ناجى معروف.

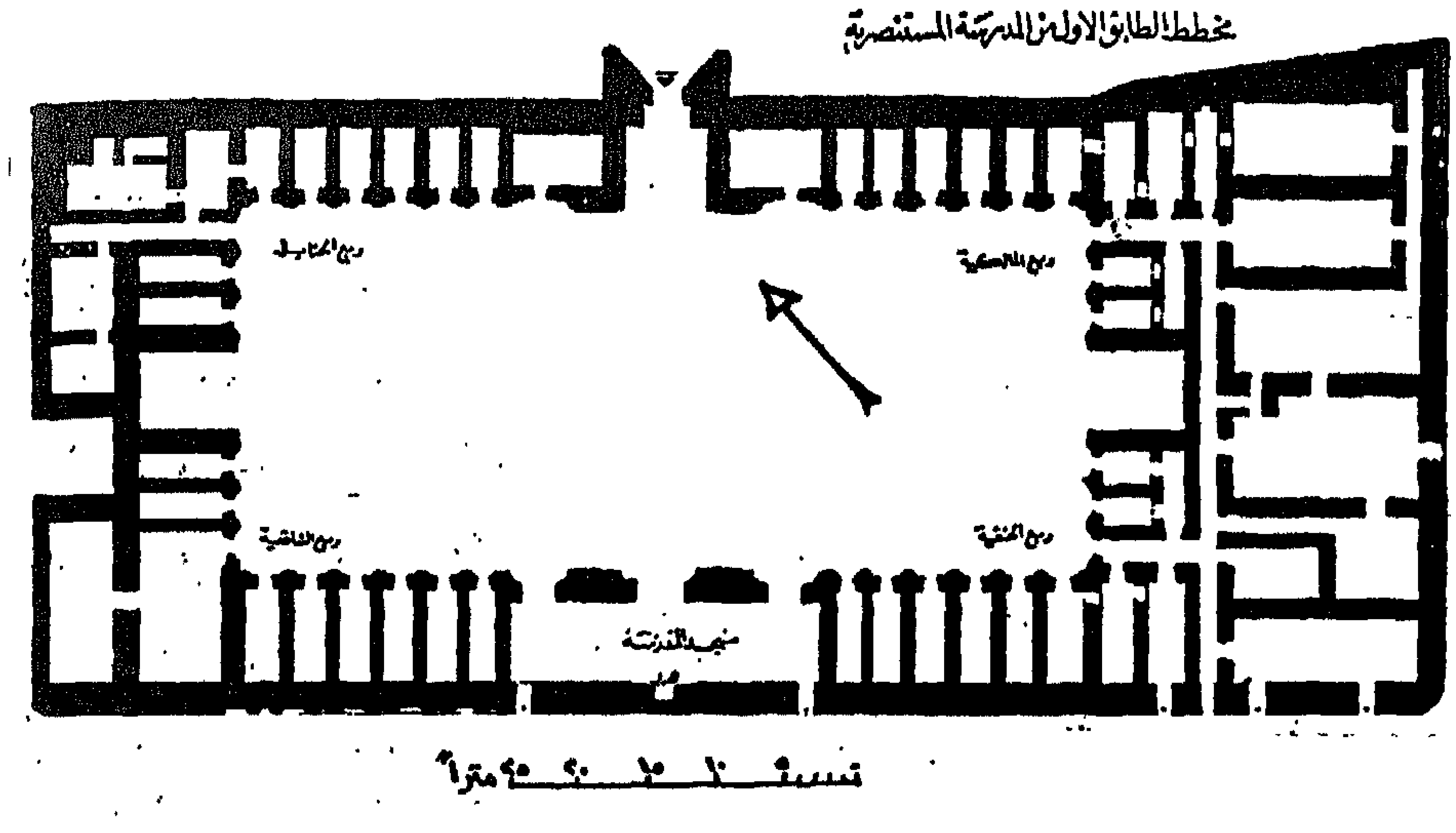

شكل (٣٥) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة المستنصرية ببغداد، الطابق الأرضى عن ناجى معروف.

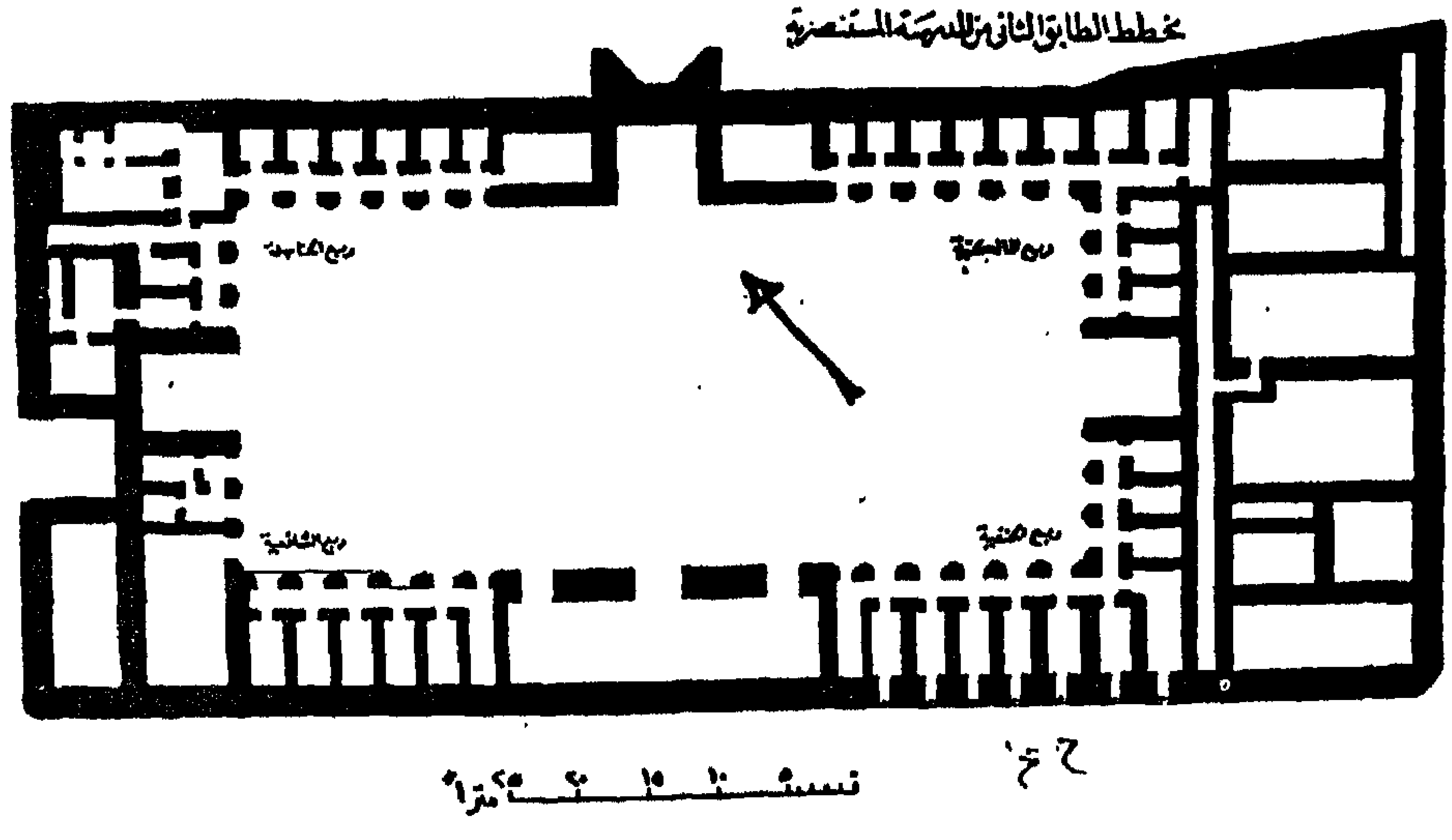

شكل (٣٦) رسم تخطيطى إفتراضى للمدرسة المستنصرية ببغداد الطابق الأول عن ناجى معروف.

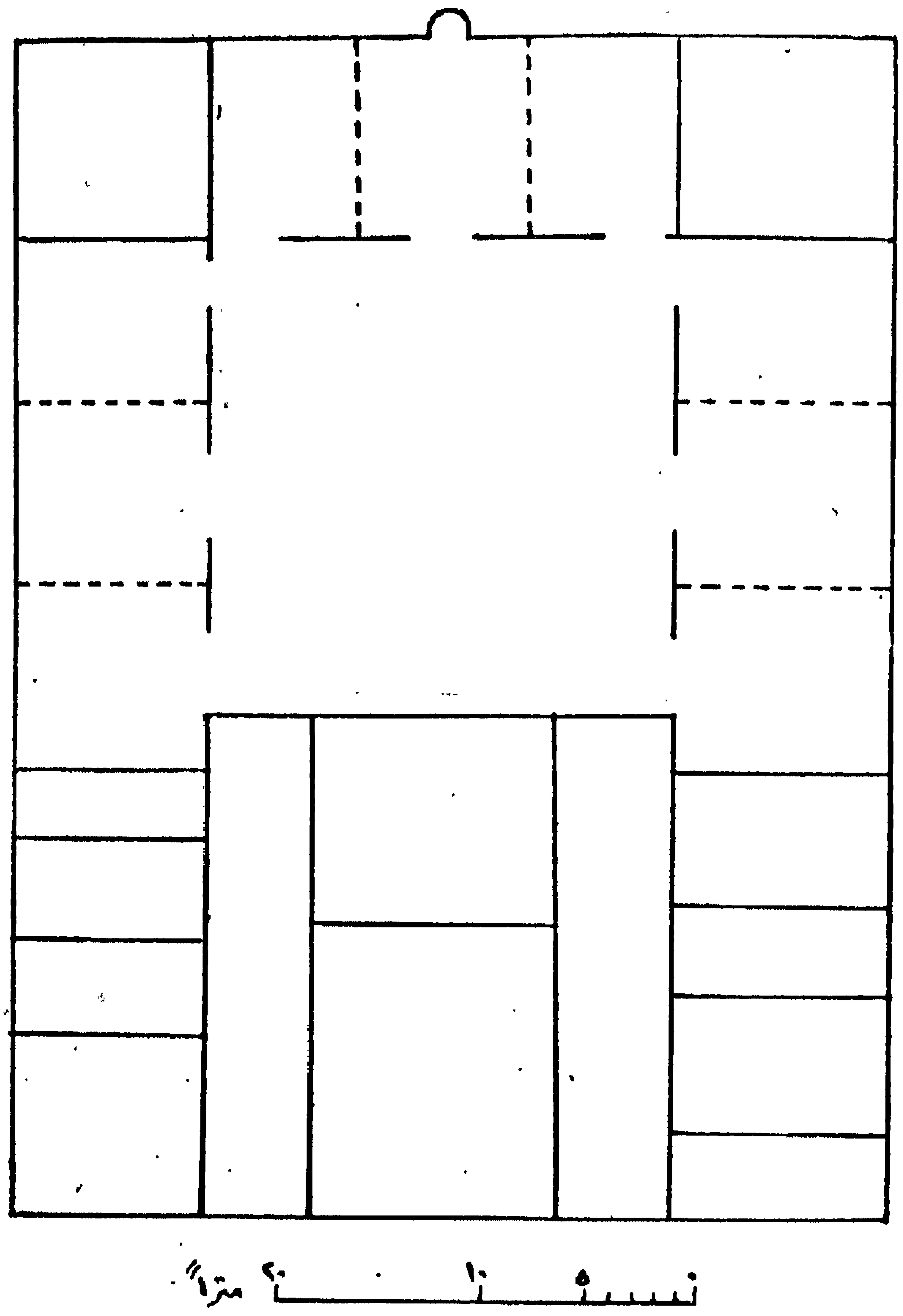

شكل (٣٧) رسم تخطيطي لمدرسة الفردوس بحلب عن د. أحمد فكرى.

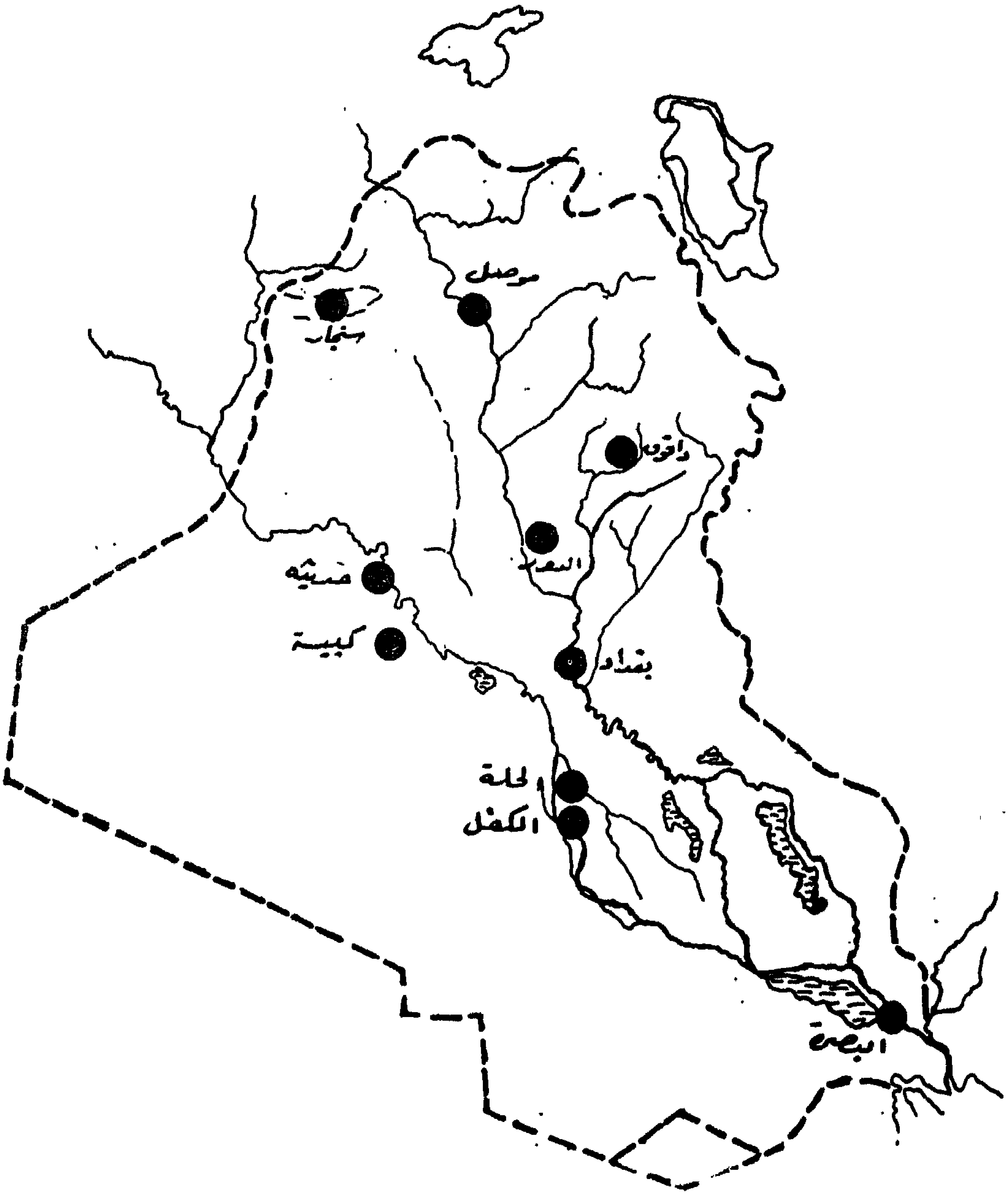

شكل (٣٨) خريطة توضح الأماكن التى تحوى القباب الضريحية عن عطا الحديثى، هناء عبد الخالق.

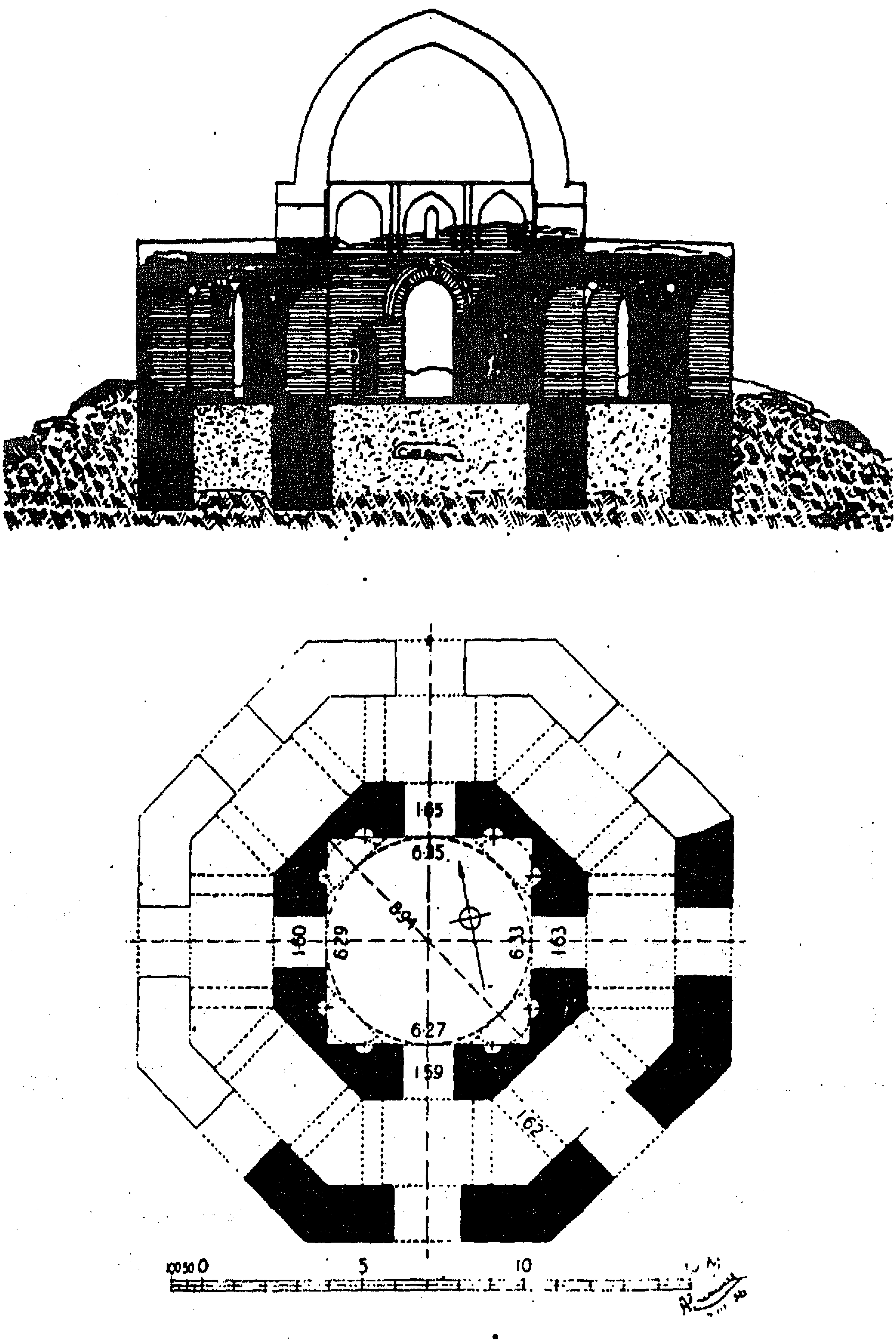

شكل (٣٩) القبة الصليبية عن د. عيسى سلمان.

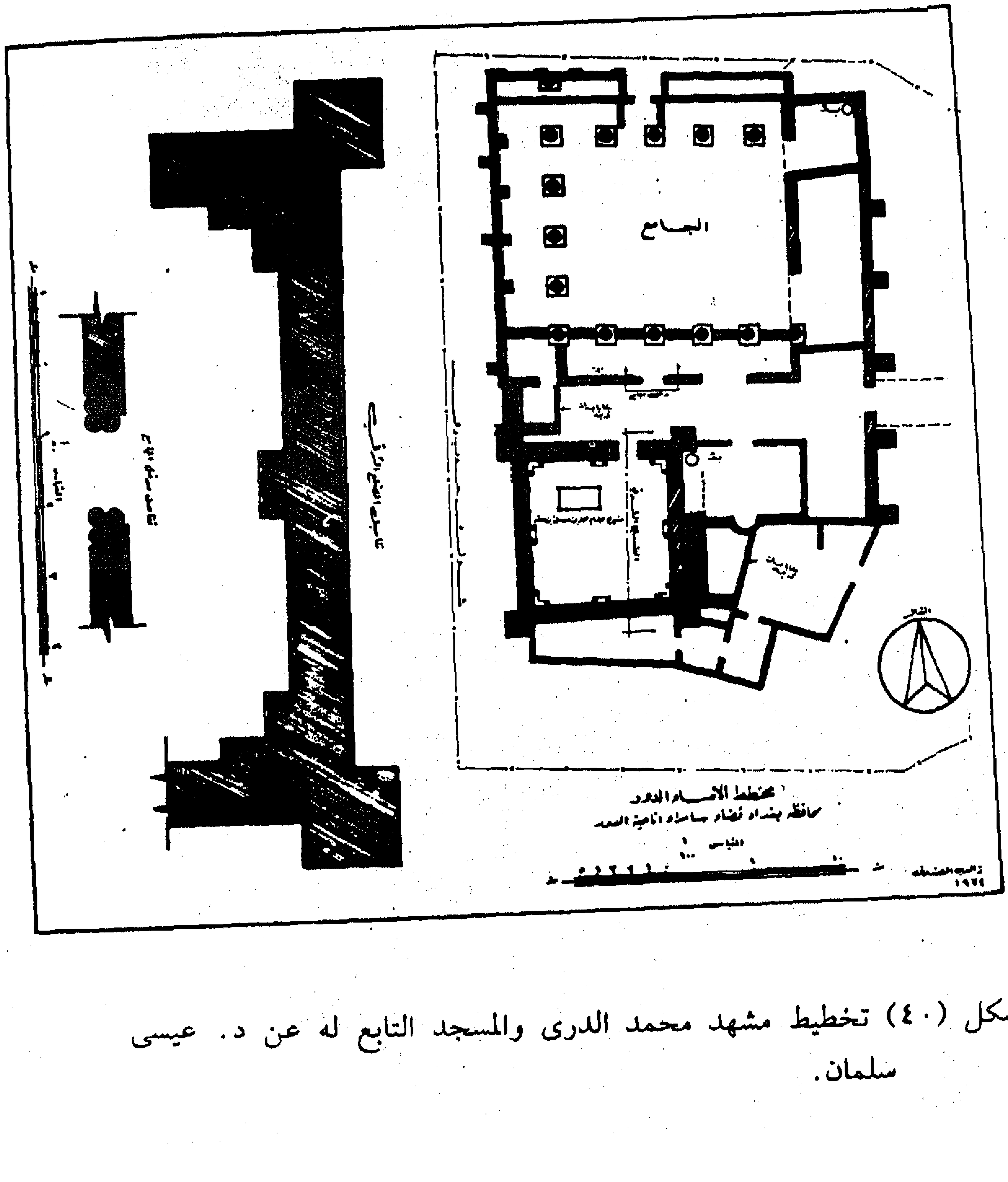

شكل (٤٠) تخطيط مشهد محمد الدرى والمسجد التابع له عن د. عيسى سلمان.

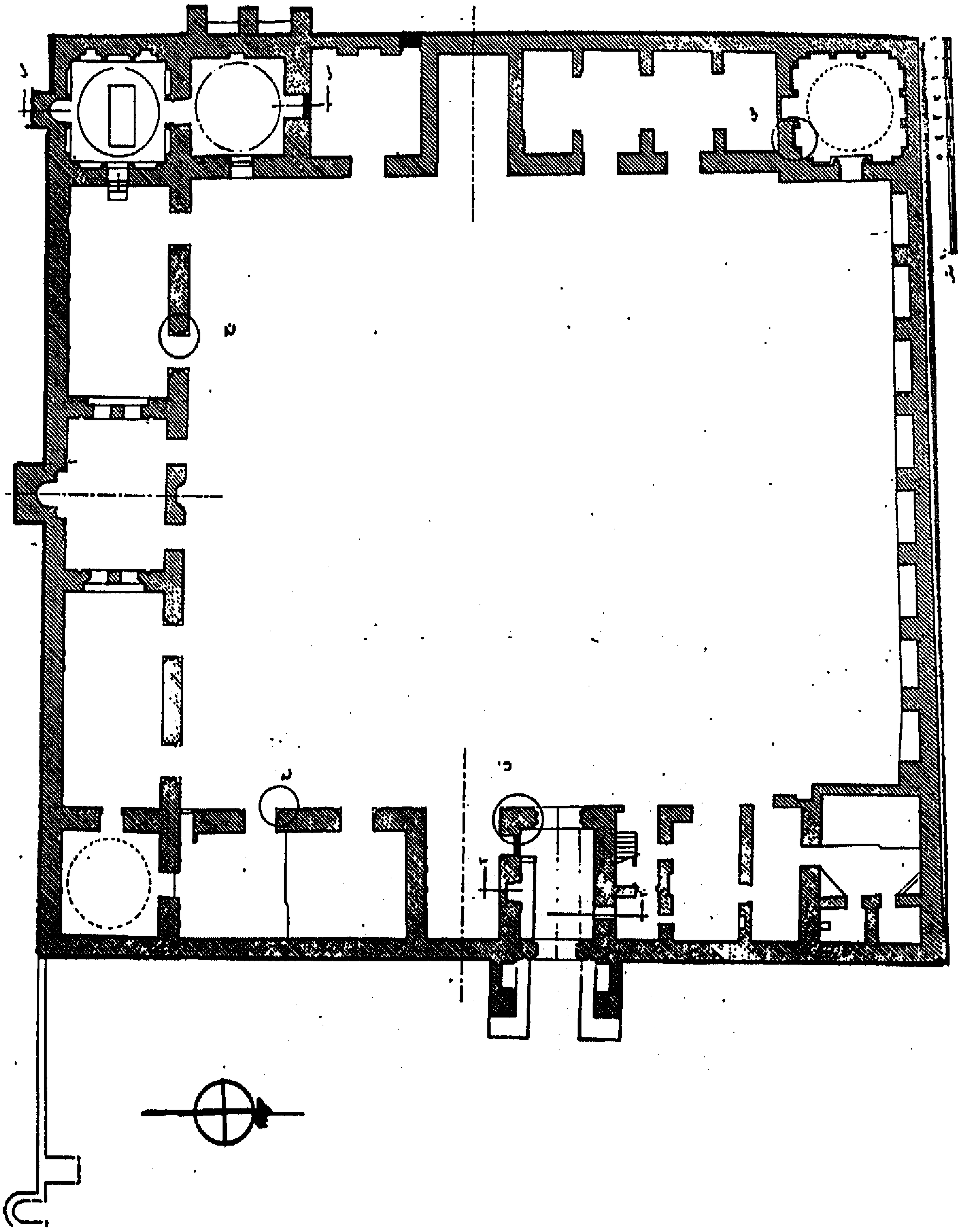

شكل (٤١) تخطيط مشهد الأربعين عن شريف يوسف.

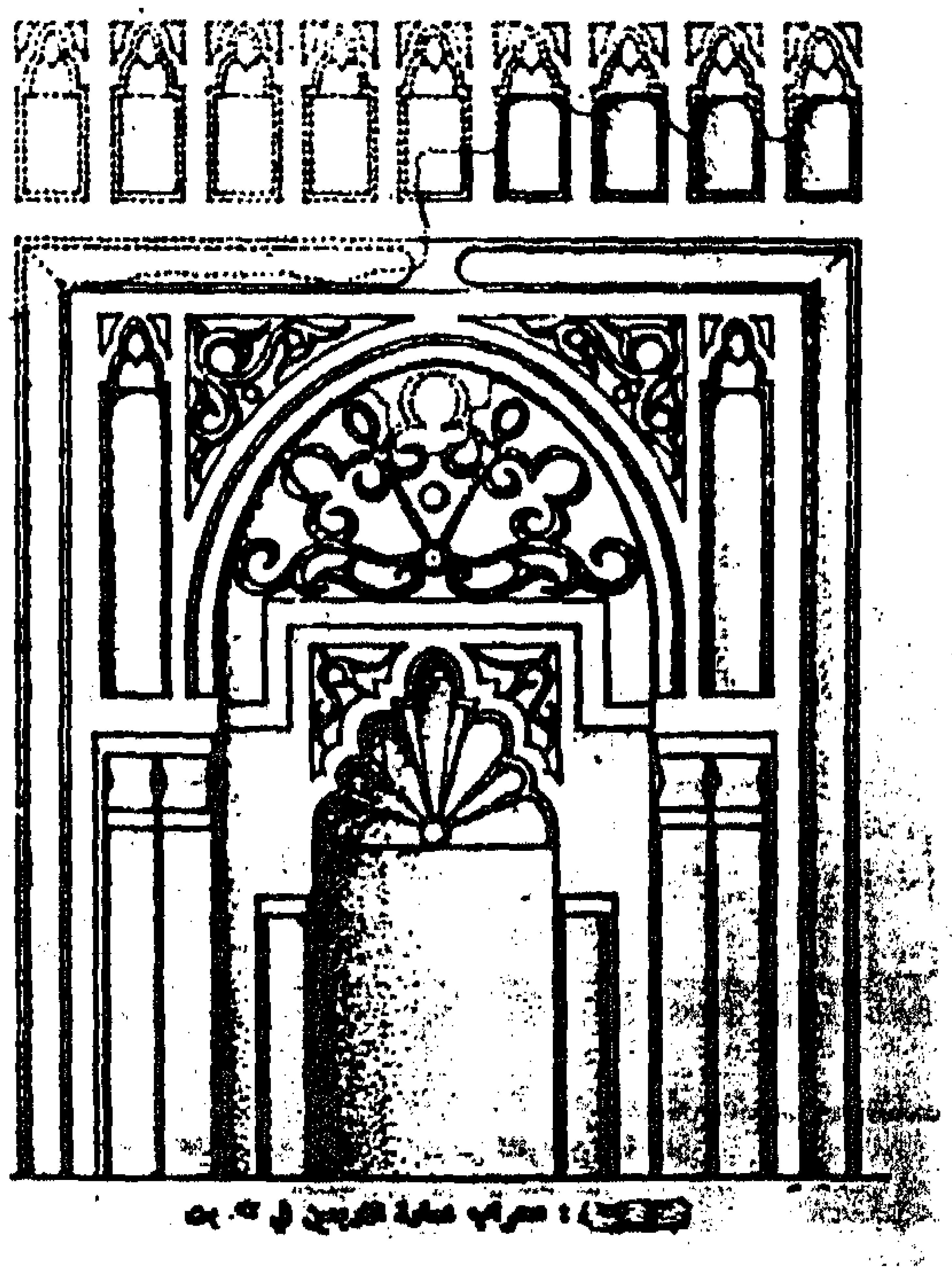

شكل (٤٢) محراب مزار الأربعين (قاعة الضريح) عن د. عيسى سلمان.

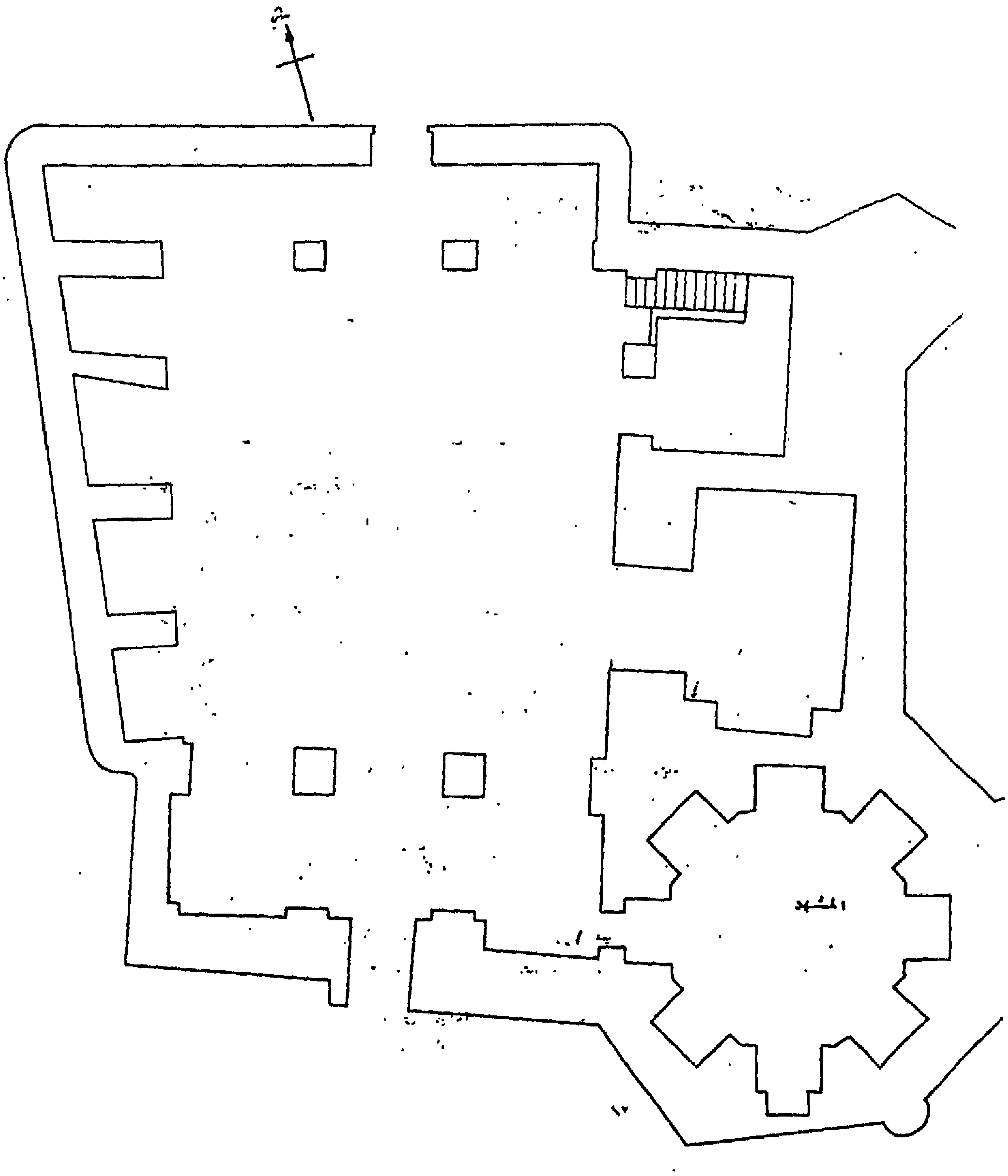

شكل (٤٣) مخطط مشهد الشمس عن عطا الحديثى، هناء عبد الخالق.

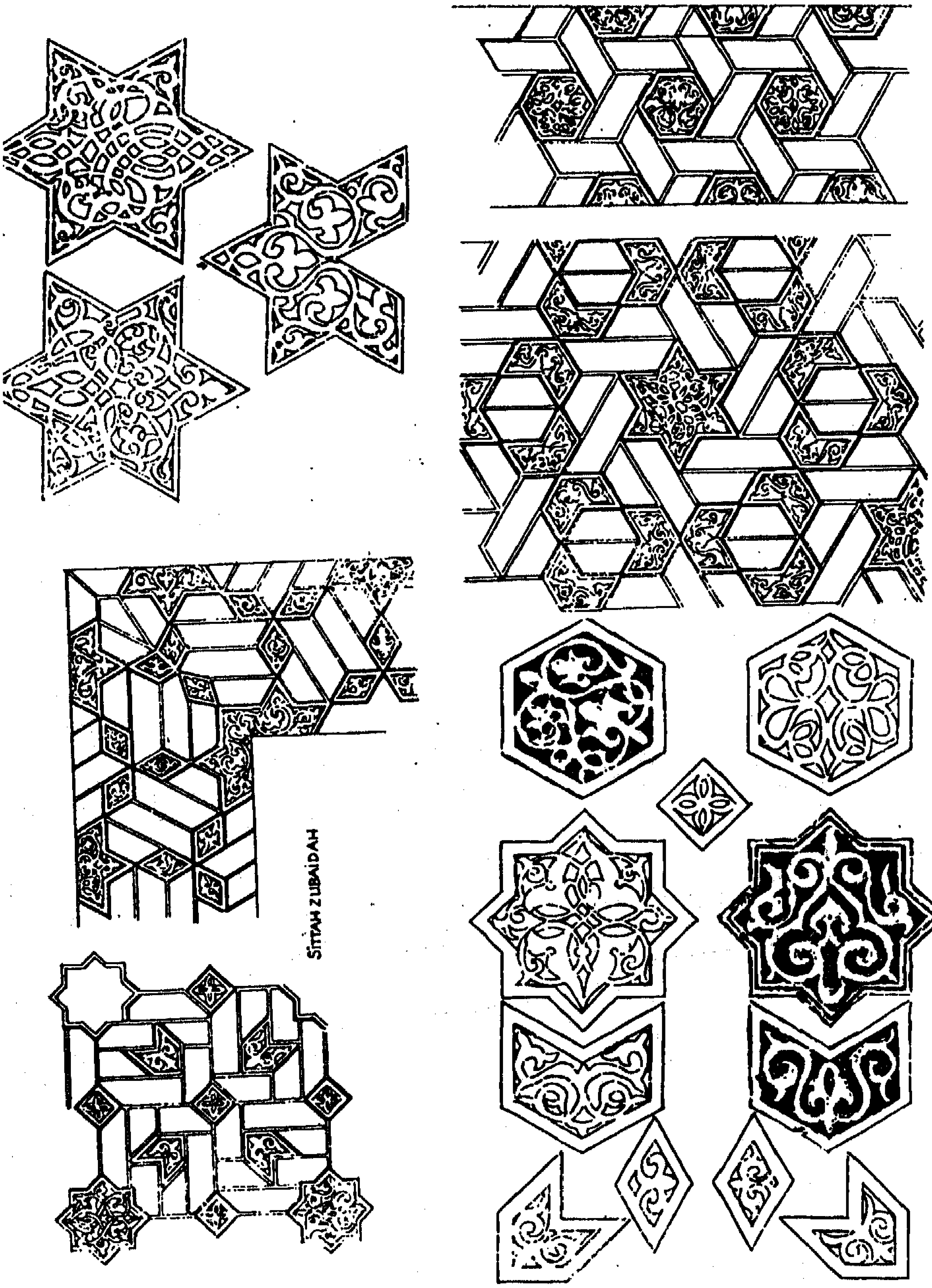

شكل (٤٤) زخارف من قبة زمرد خاتون عن د. عيسى سلمان.

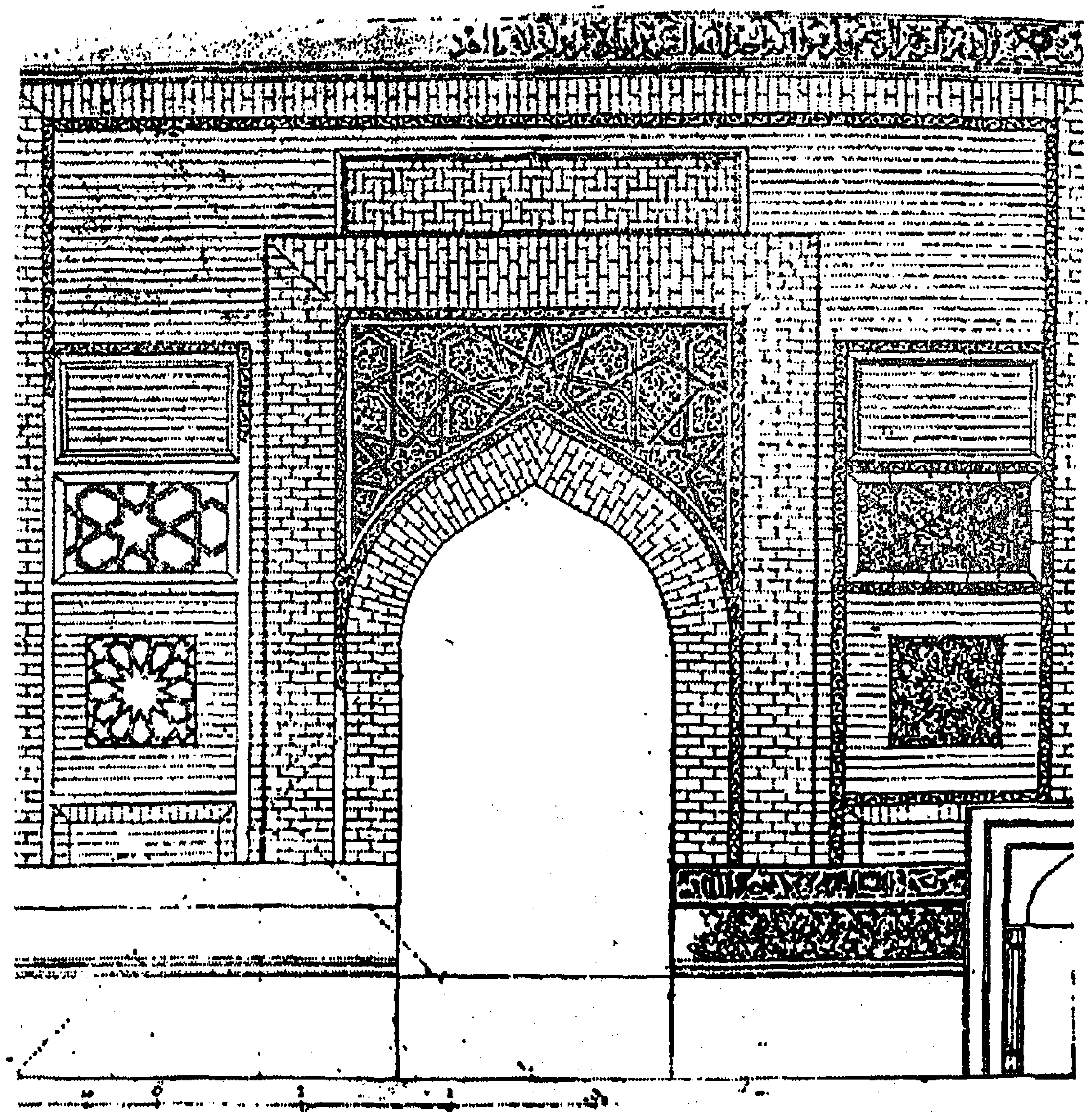

شكل (٤٥) زخارف مدخل ضريح الامام يحيى بن القاسم بالموصل عن شربف يوسف.

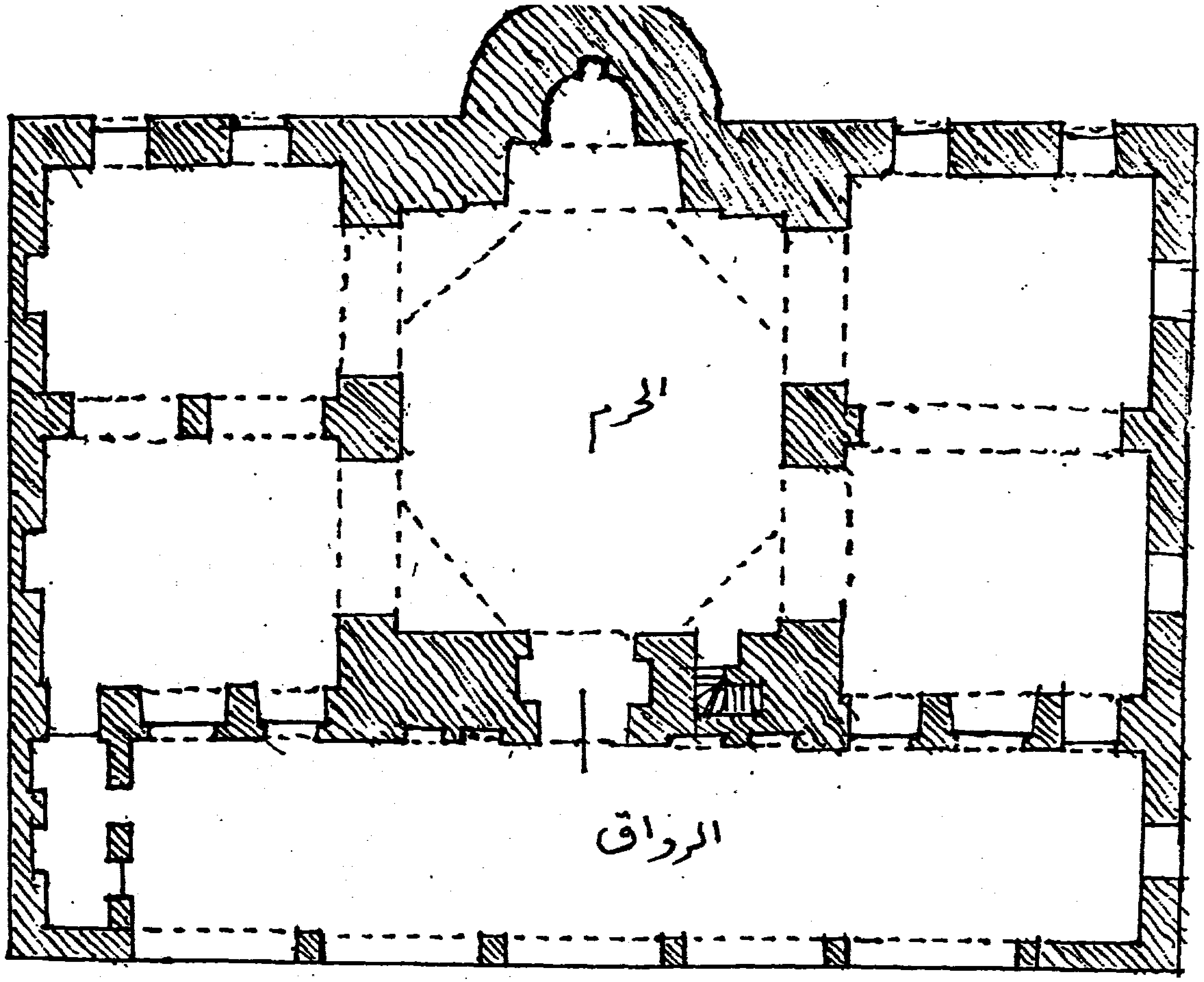

شكل (٤٦) مخطط الجامع المجاهدى (مقام الخضر) عن شريف يوسف.

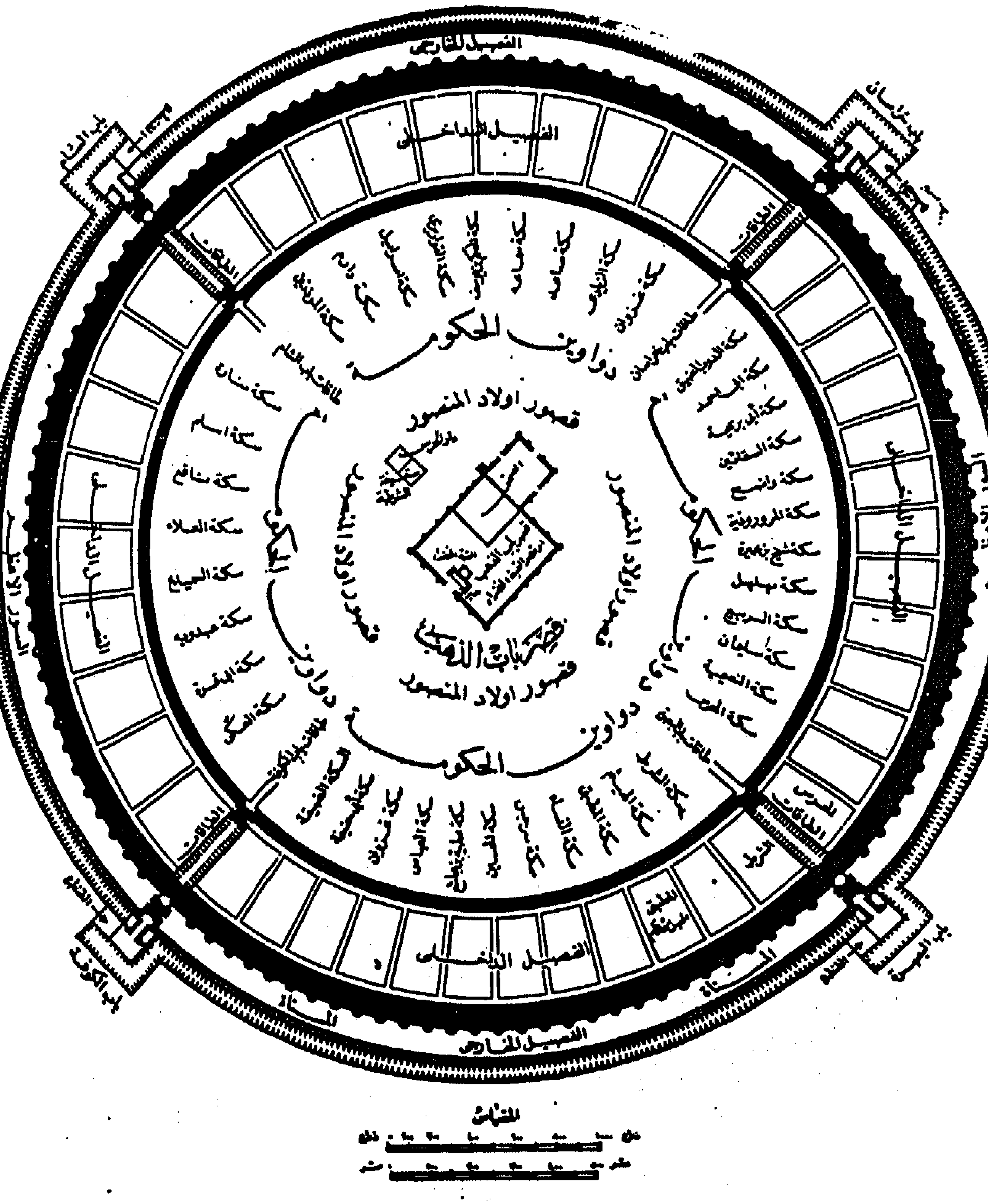

شكل (٤٧) مدينة بغداد فى عهد المنصور عن سريف يوس

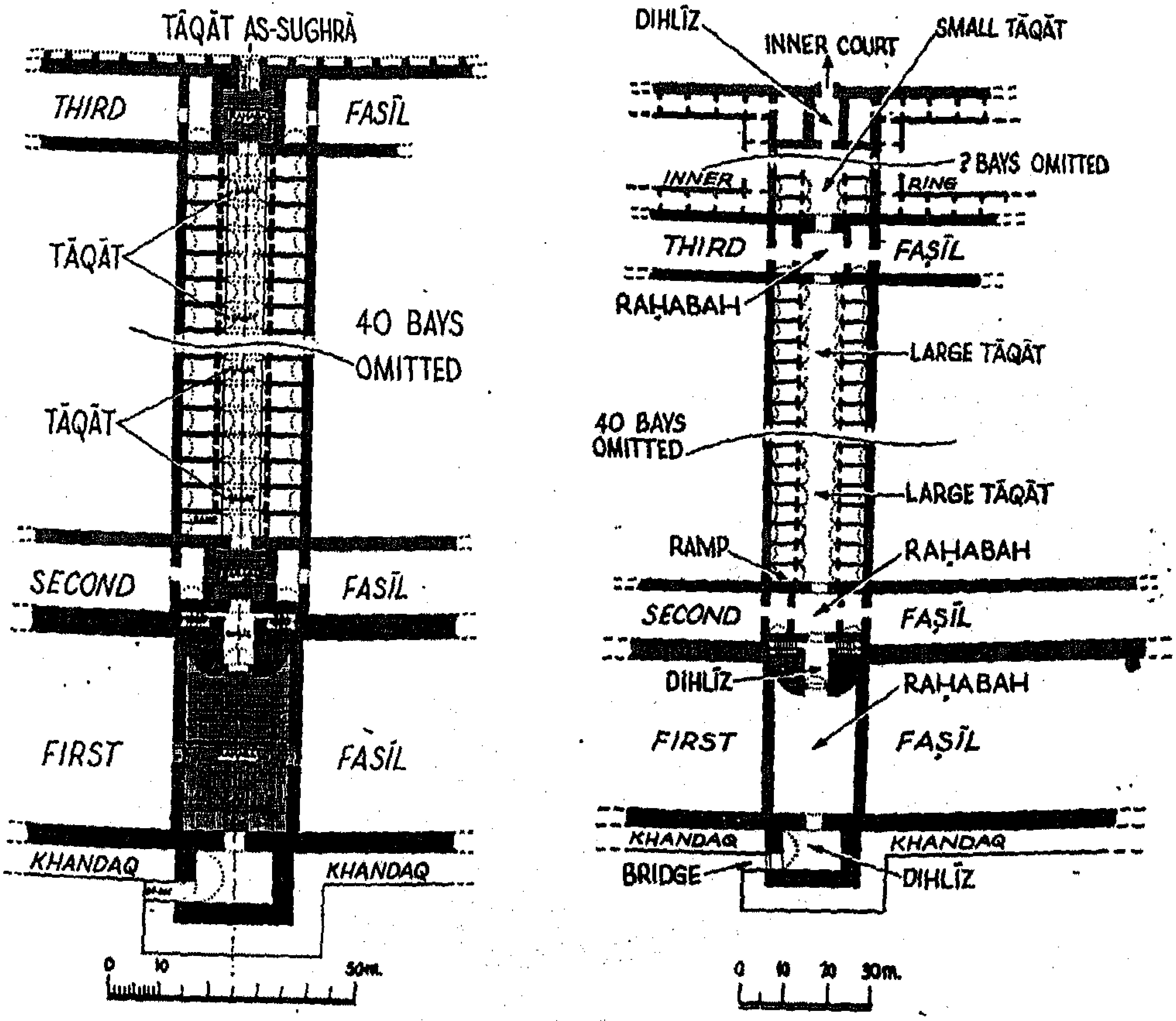

شكل (٤٨) مسقط أفقي لاسوار بغداد (أ عن كريسويل، ب عن لاسنى).

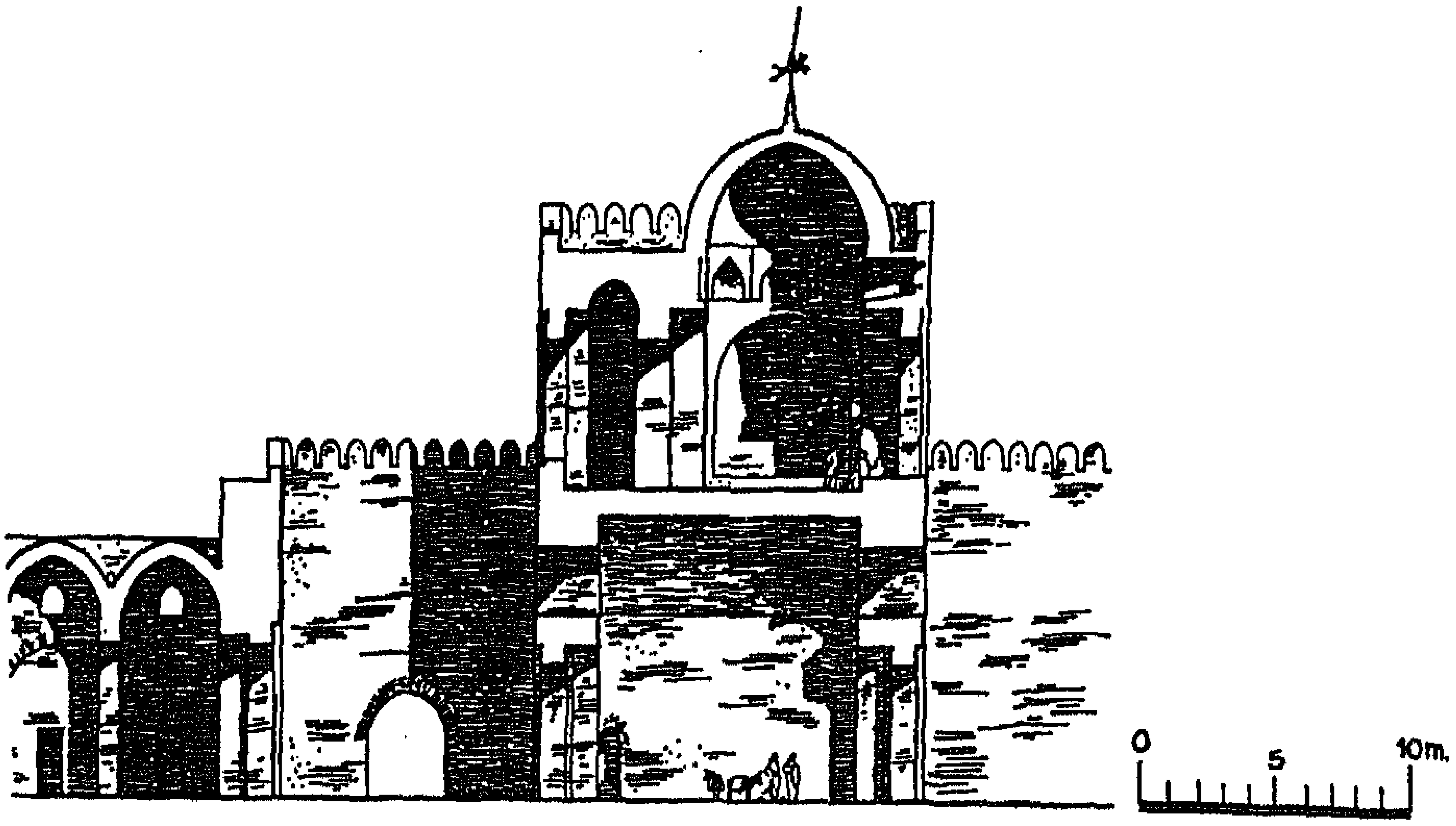

شكل (٤٩) قطاع لأحد أبواب مدينة بغداد عن كريسويل.

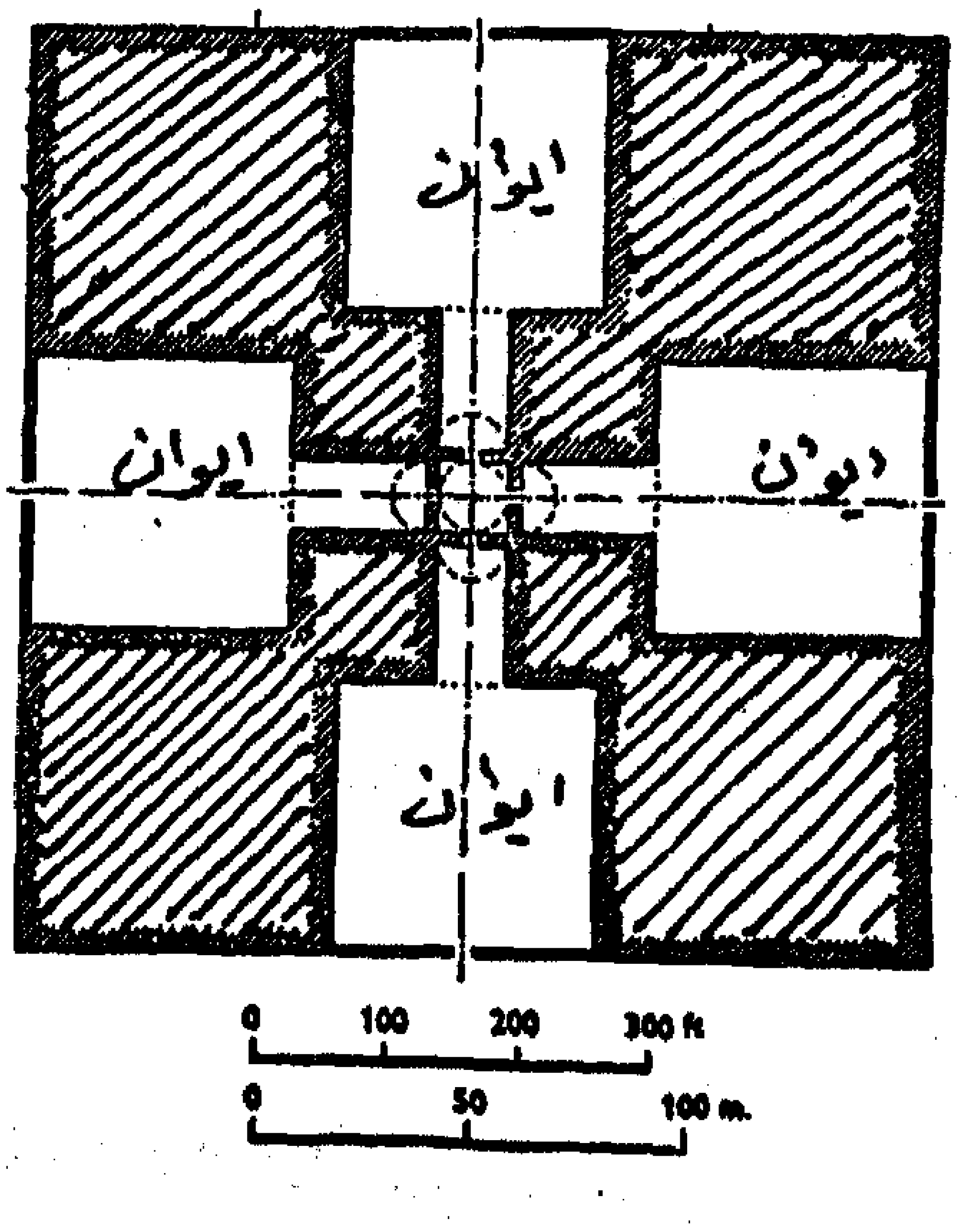

شكل (٥٠) مخطط قصر أبى مسلم الخراسانى فى مرو، الذى يعتقد كريسويل أنه أثر على مخطط قصر المنصور فى بغداد عن كريسويل.

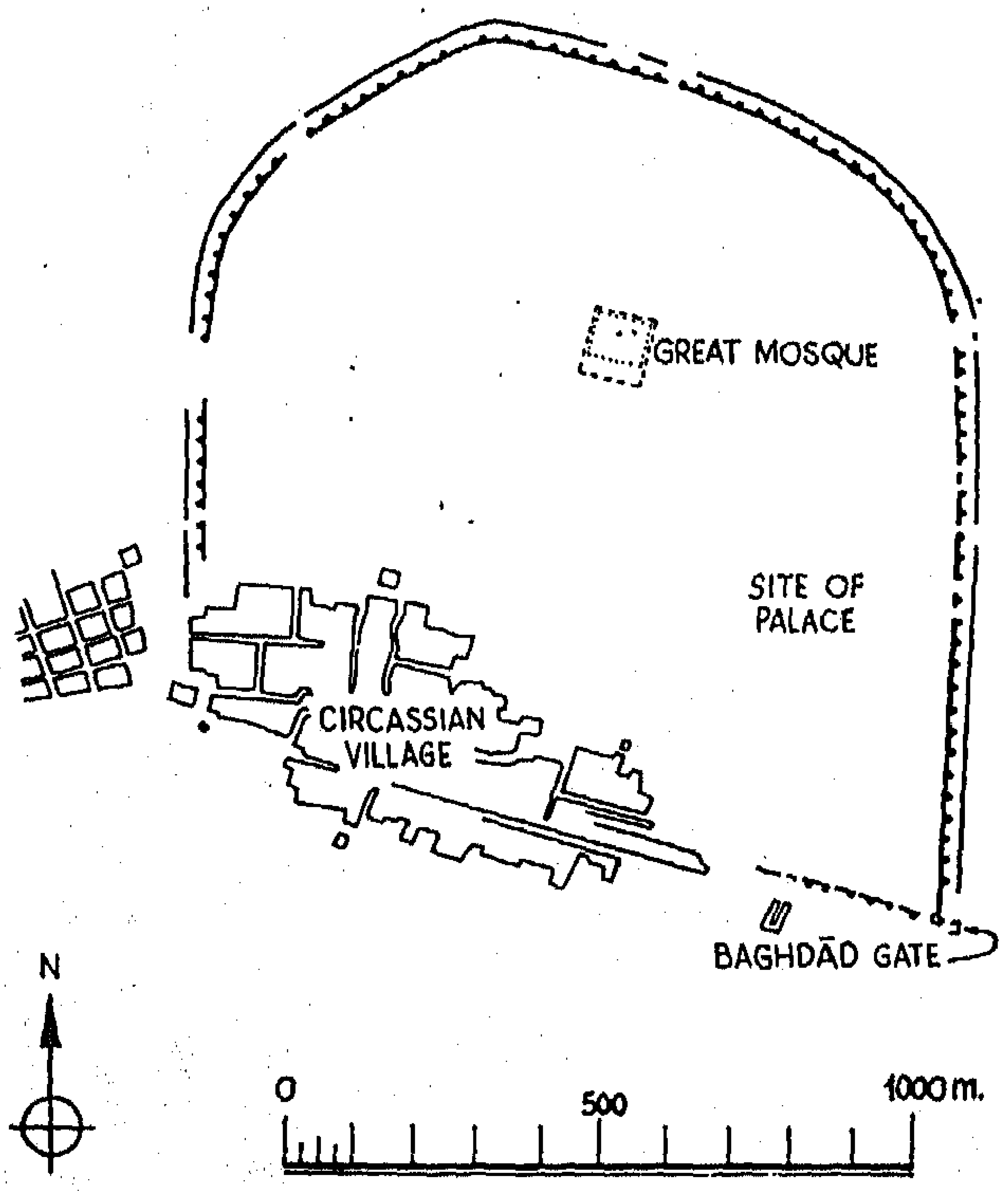

شكل (٥١) مدينة الرقة عن كريسويل.

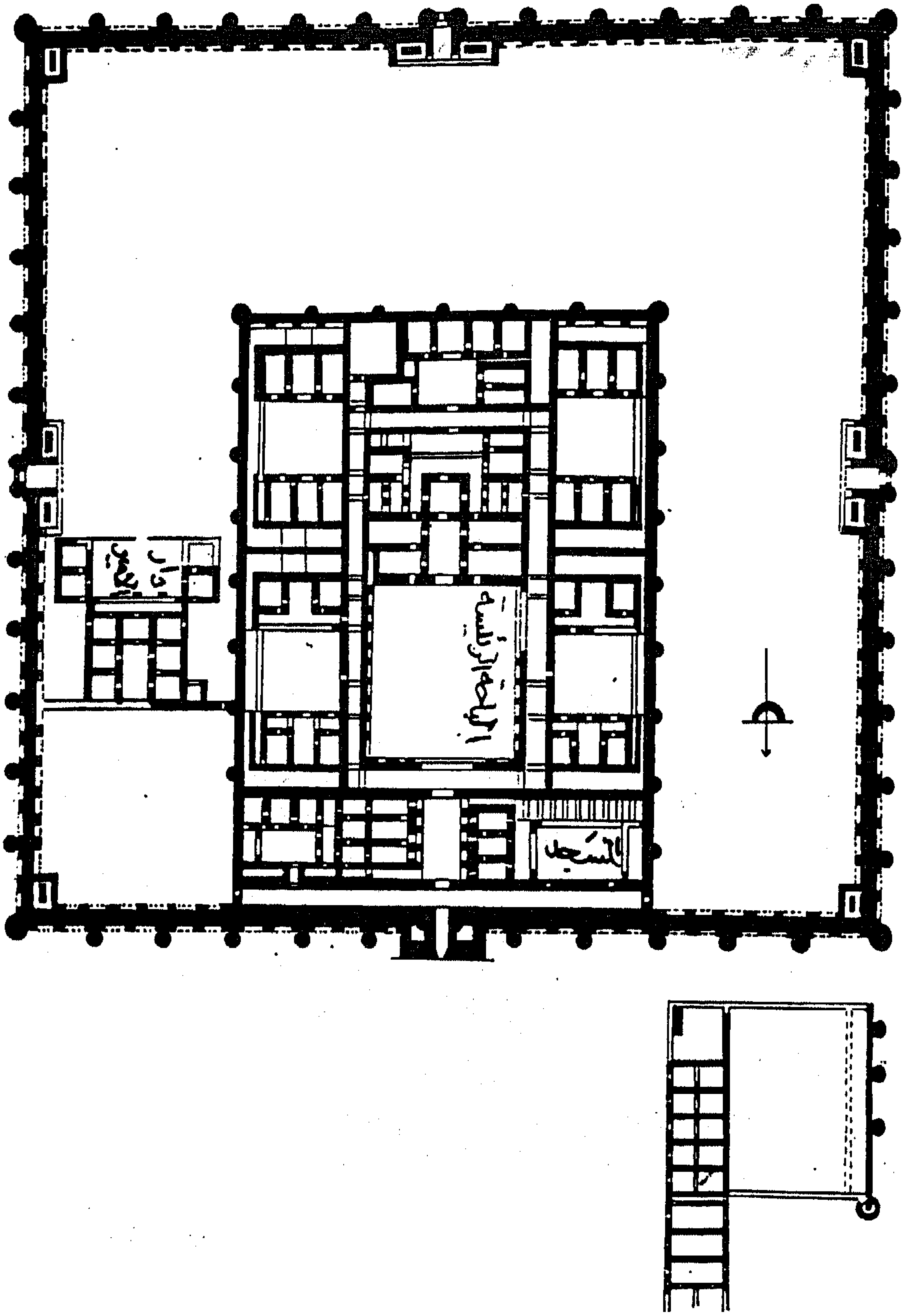

شكل (٥٢) مخطط قصر الاخيضر عن د. عيسى سلمان.

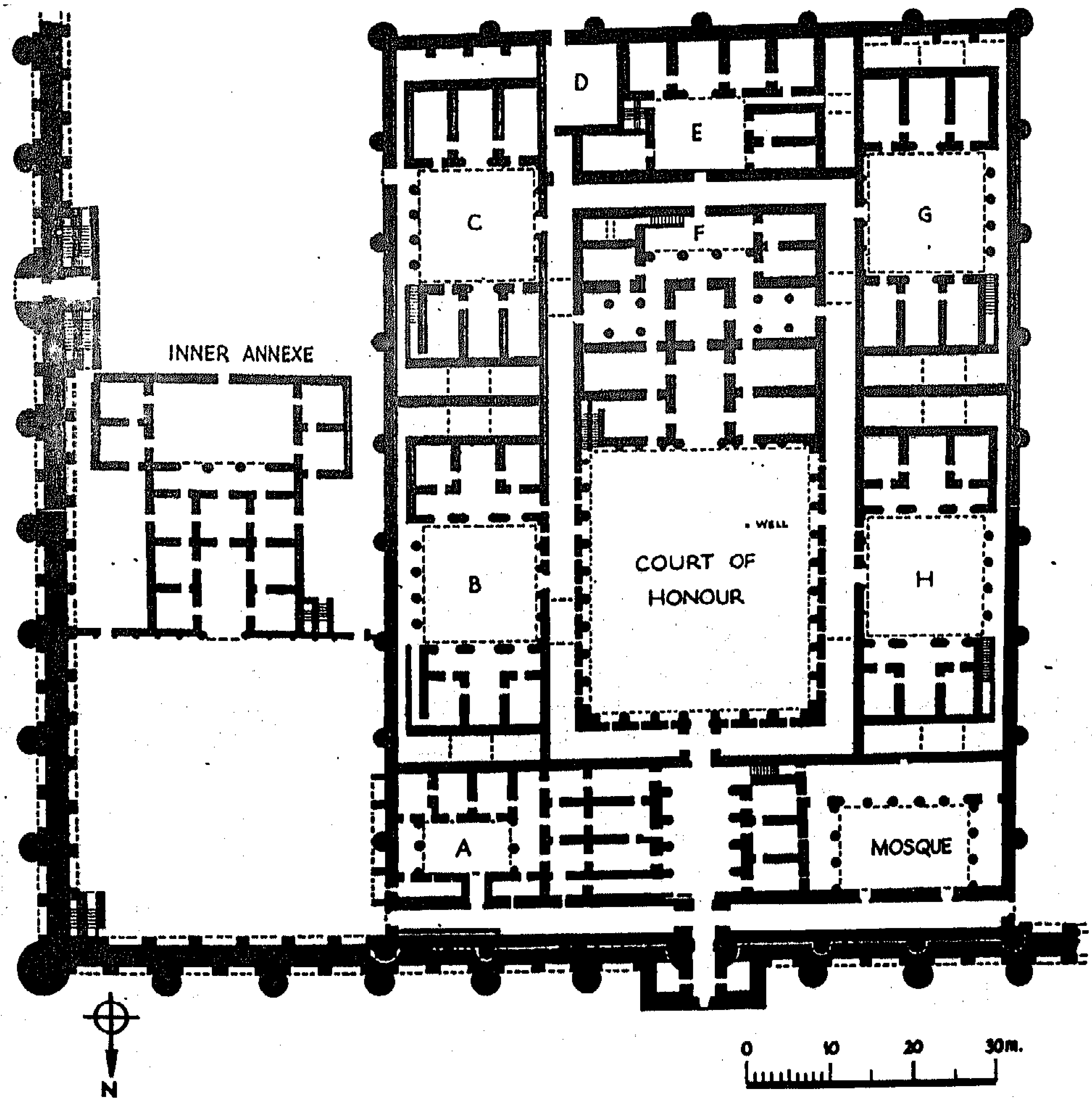

شكل (٥٣) مخطط قصر الاخيضر عن كريسويل.

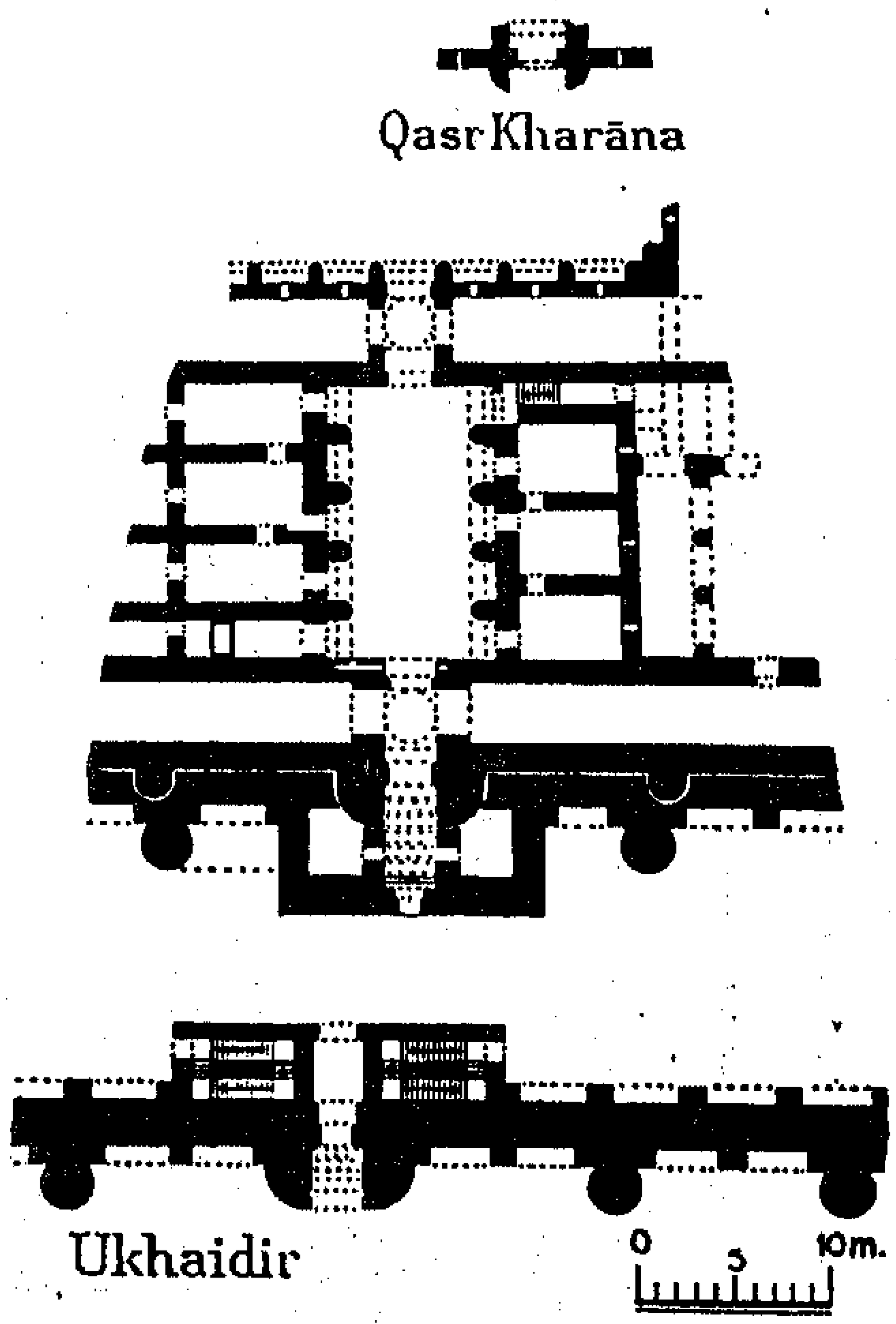

شكل (٥٤) تفصيل من قصر الاخيضر عن كريسويل.

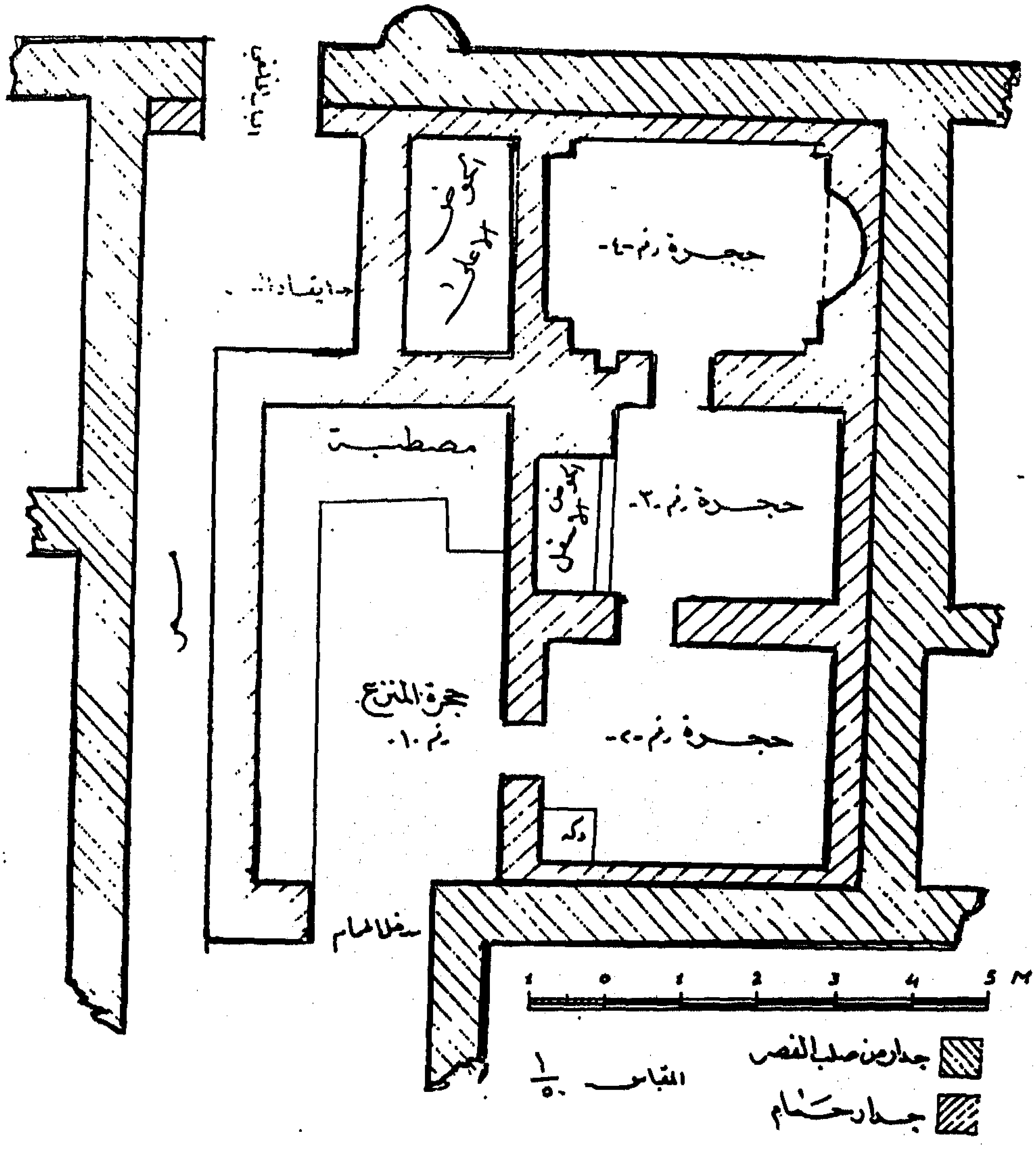

شكل (٥٥) مخطط حمام قصر الاخيضر عن شريف يوسف.

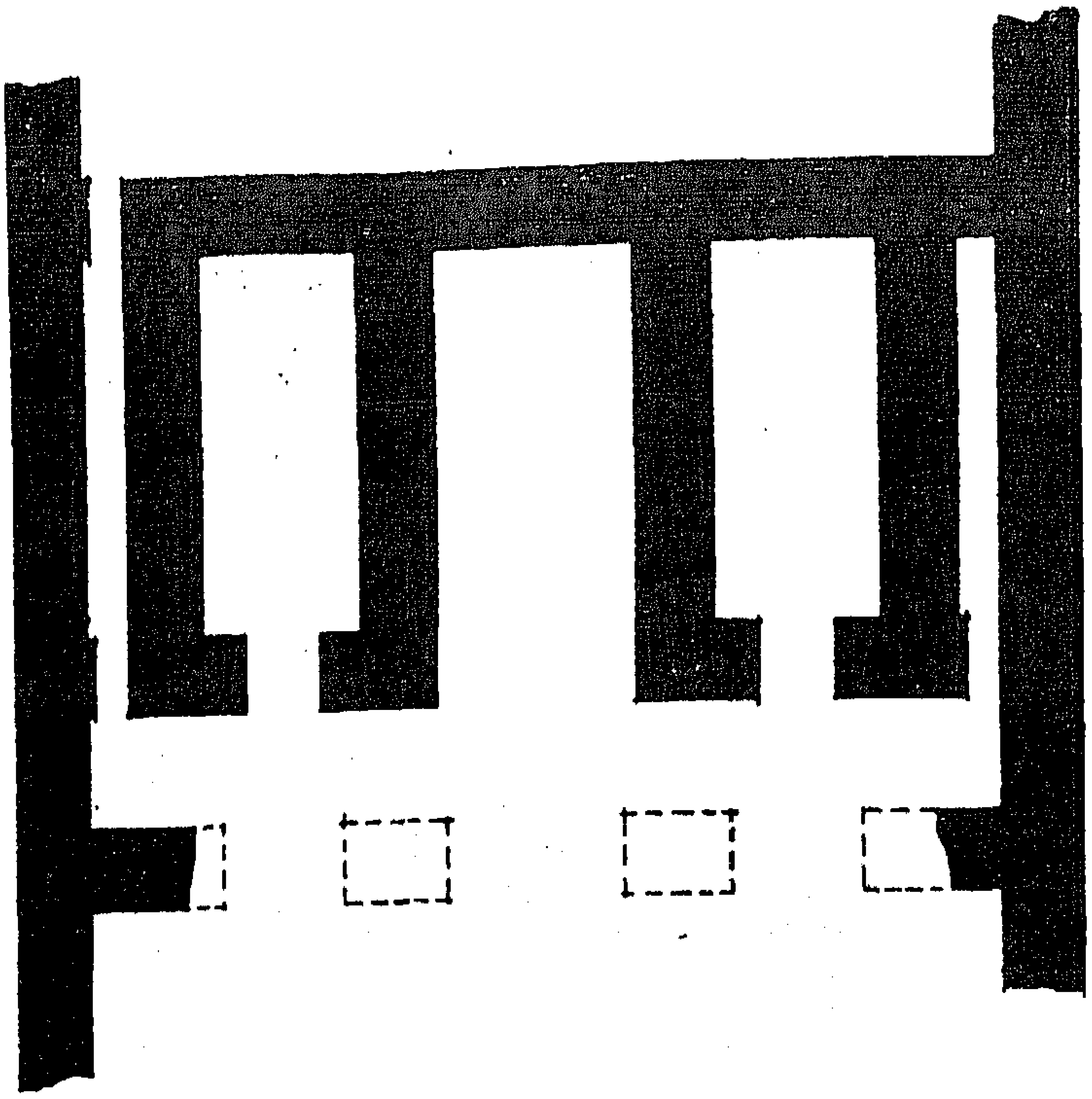

شكل (٥٦) قصر شيرين، وحدة سكنية عن د. فريد شافعى.

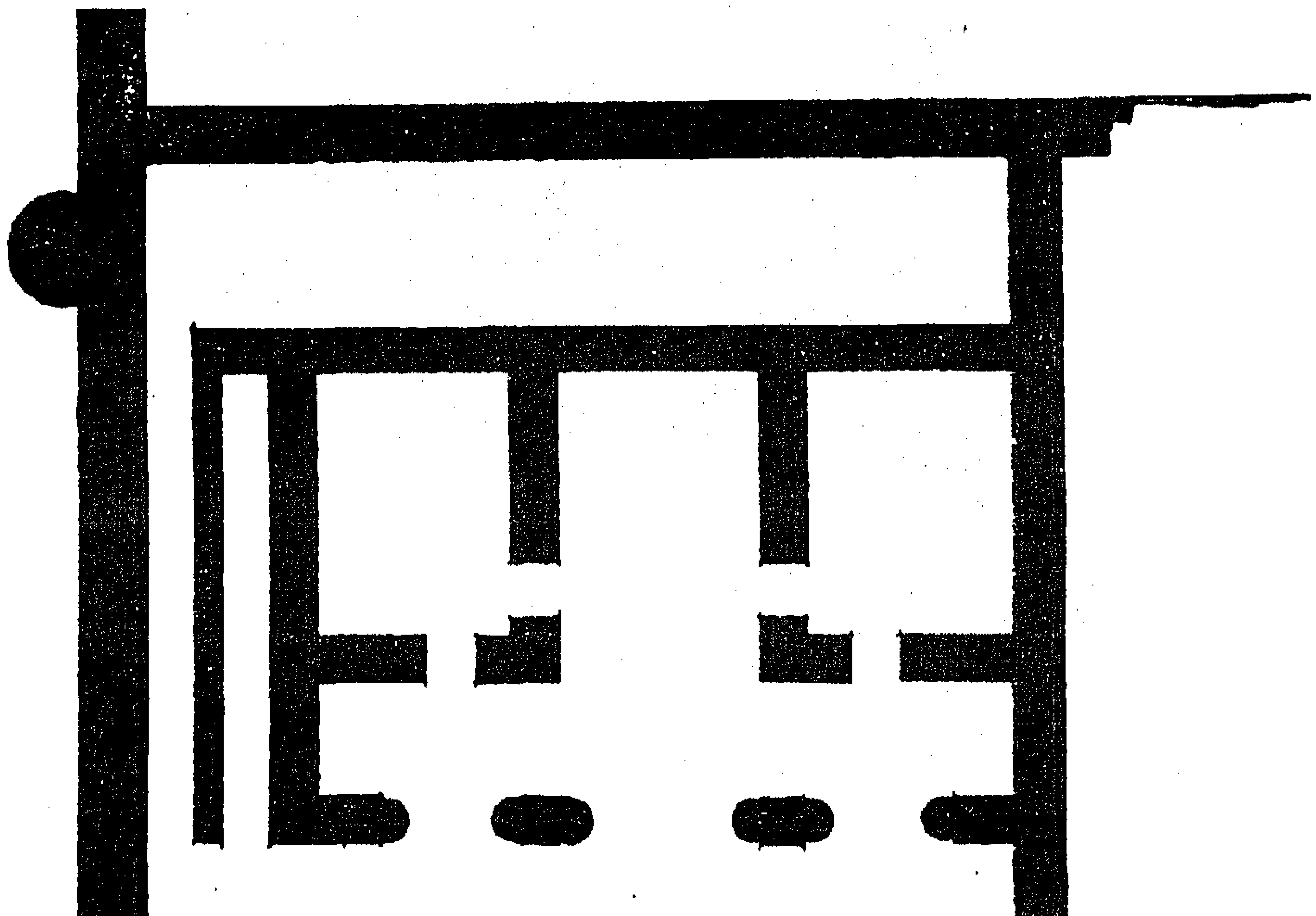

شكل (٥٧) قصر الاخيضر، وحدة سكنية عن د. فريد شافعى.

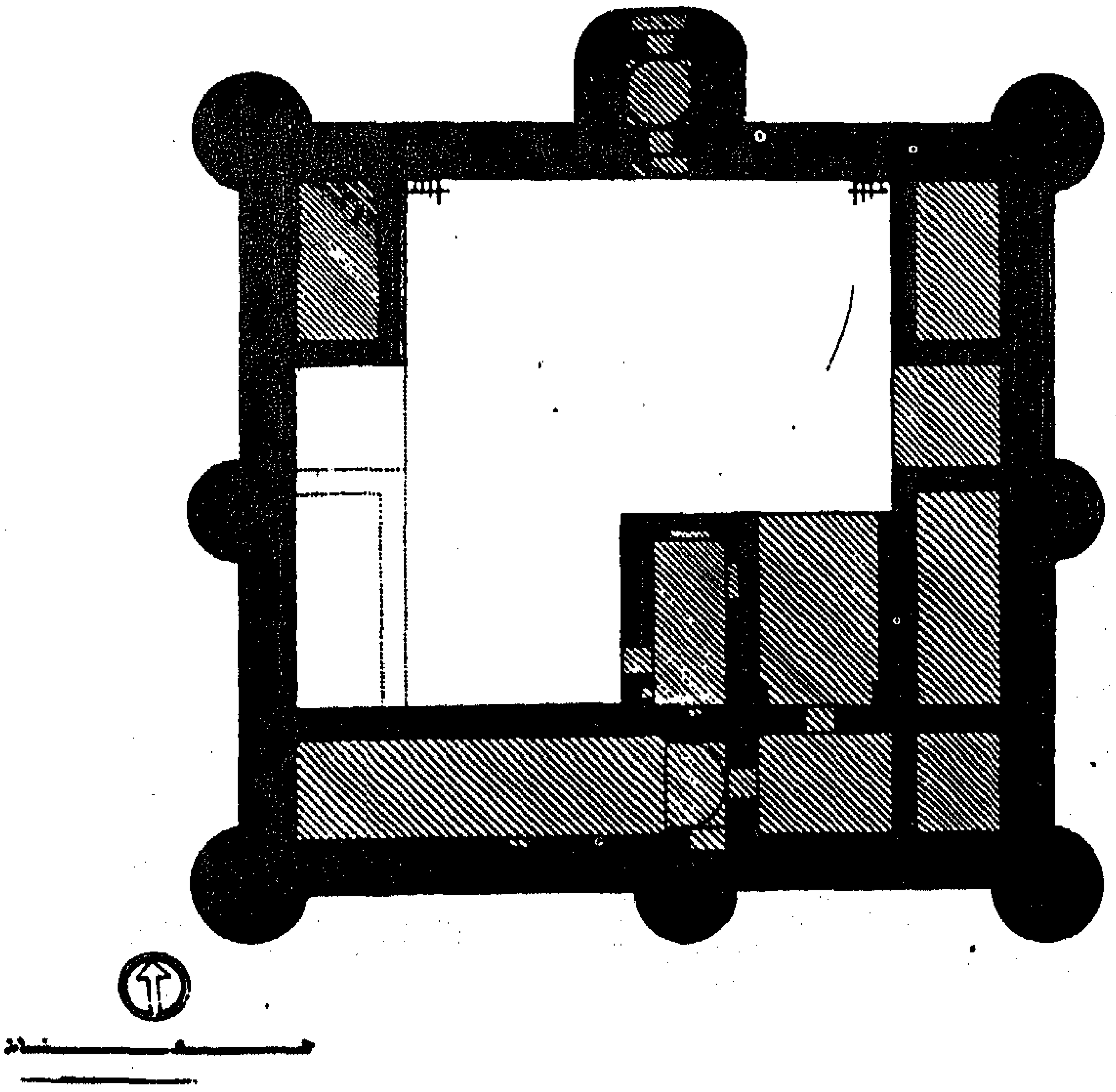

شكل (٥٨) تخطيط خان عطشان عن د. عيسى سلمان.

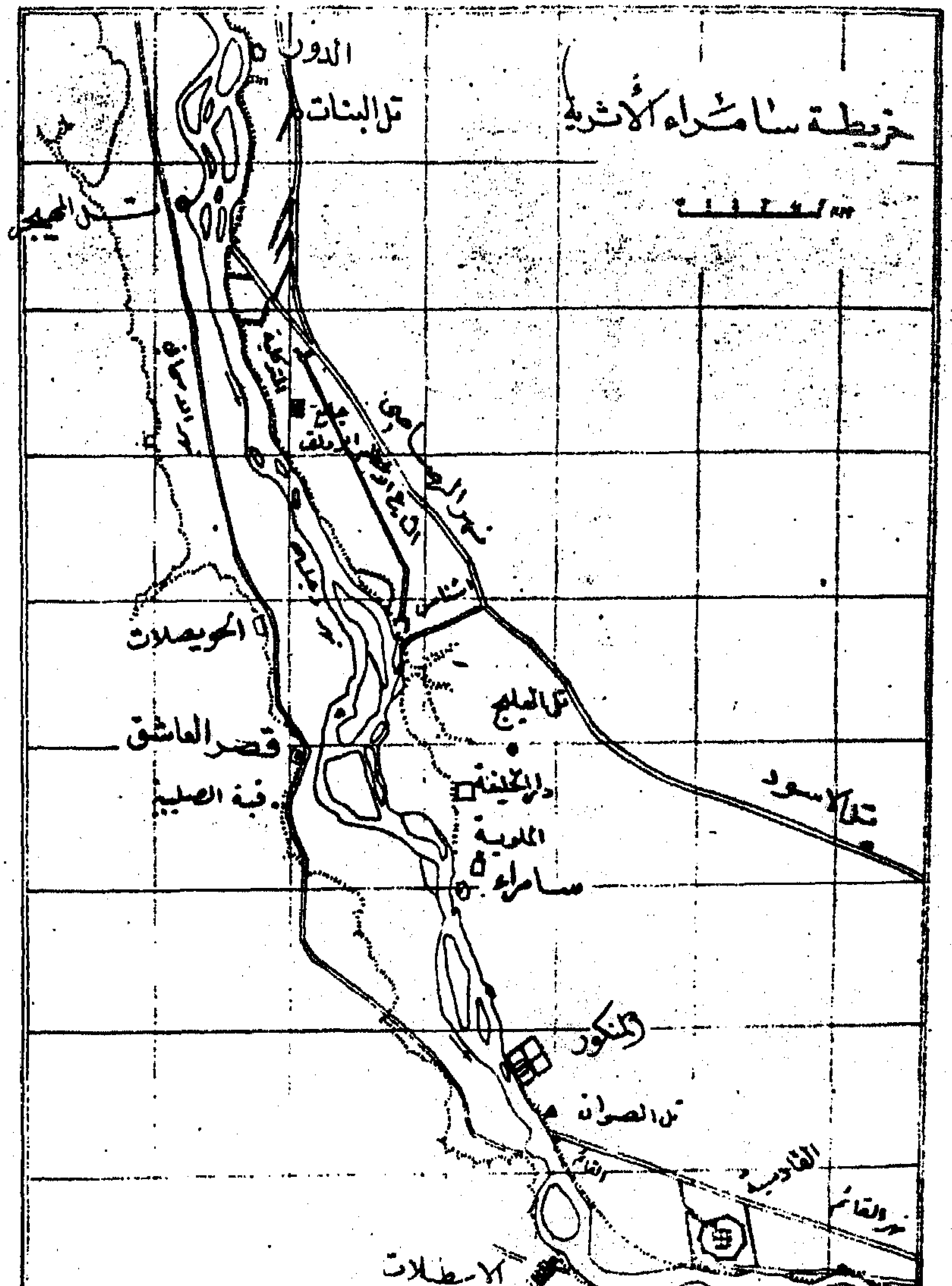

شكل (٥٩) تخطيط مدينة سامراء عن د. عيسى سلمان.

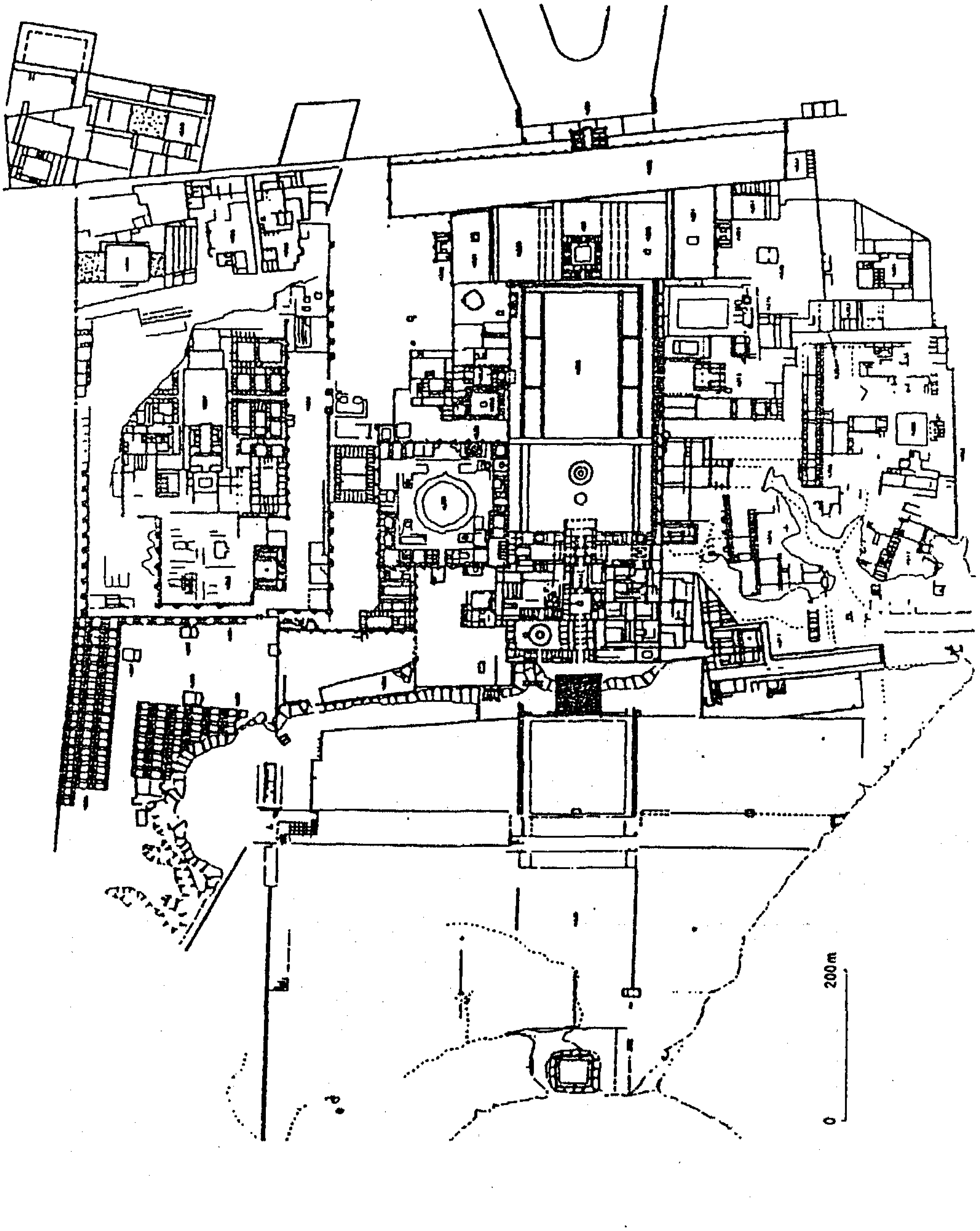

شكل (٦٠) الجوسق الخاقانى بسامراء عن نورثدج.

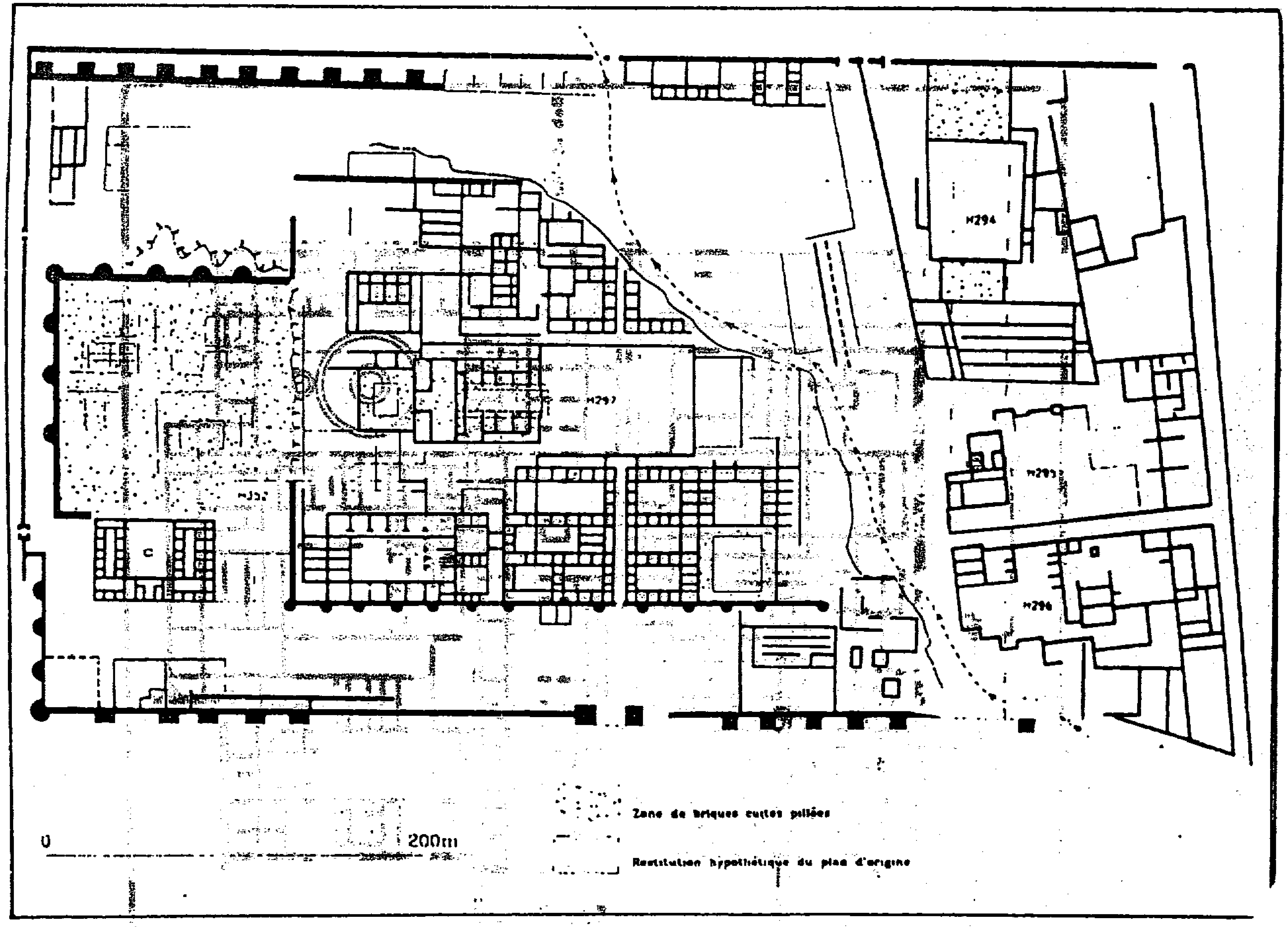

٢٠: (٦١١) القسم الشمالى من الجوسق الخاقانى عن نورثدج.

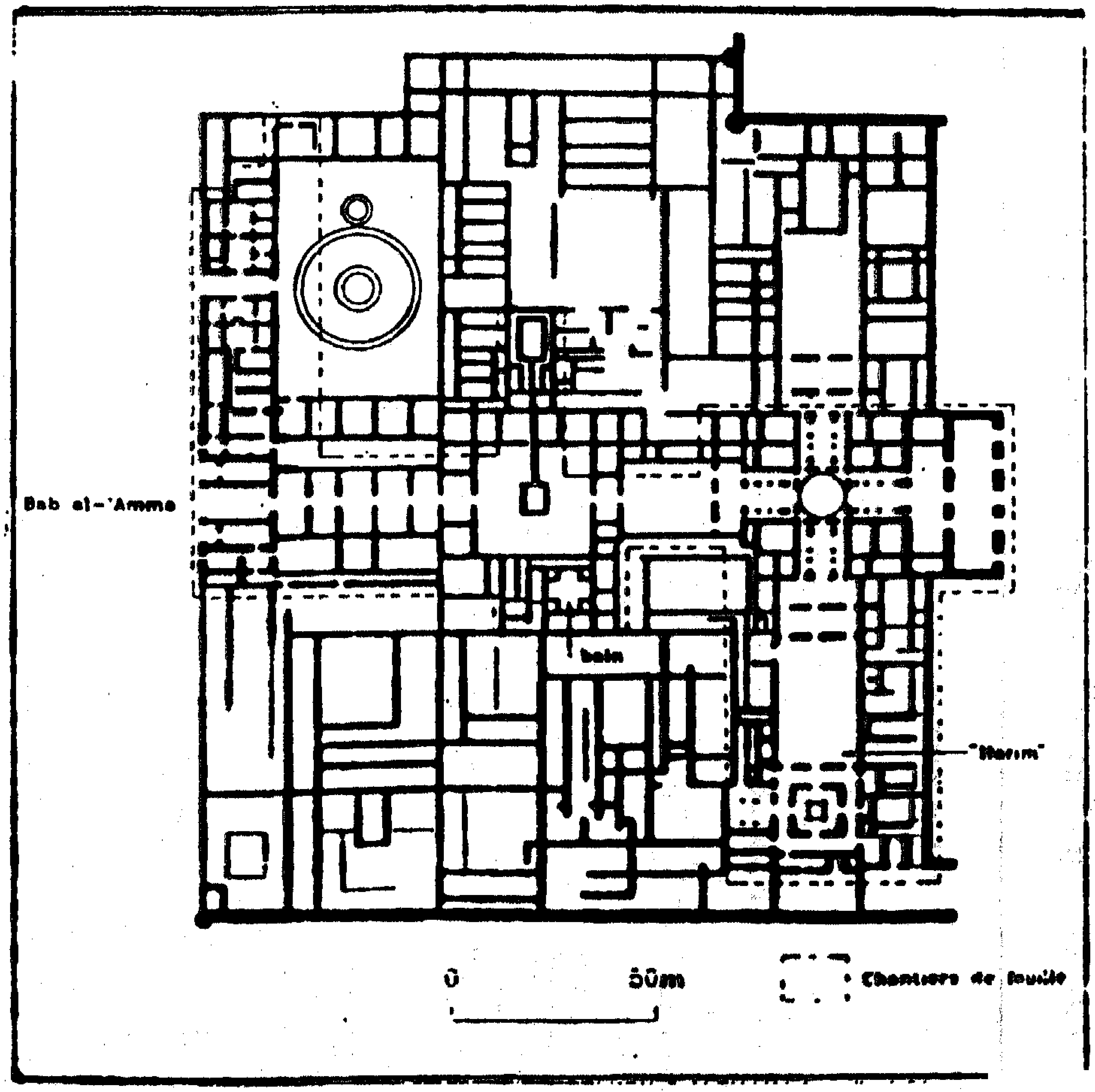

شكل (٦٢) القسم الجنوبي من الجوسق الخاقاني عن نورثدج.

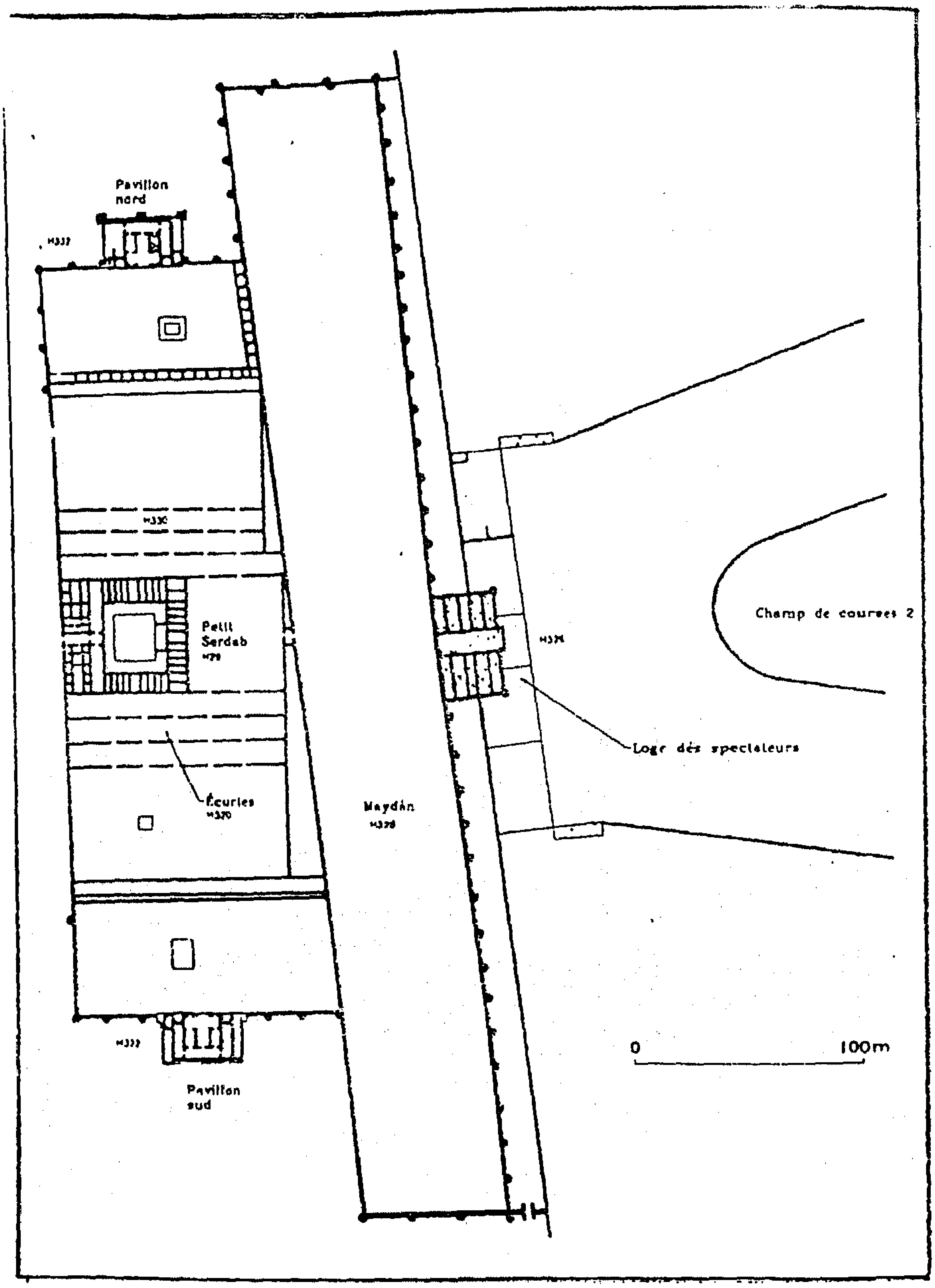

شكل (٦٣) ملعب الصوالجة بالجوسق الخاقانى عن نورثدج.[١]

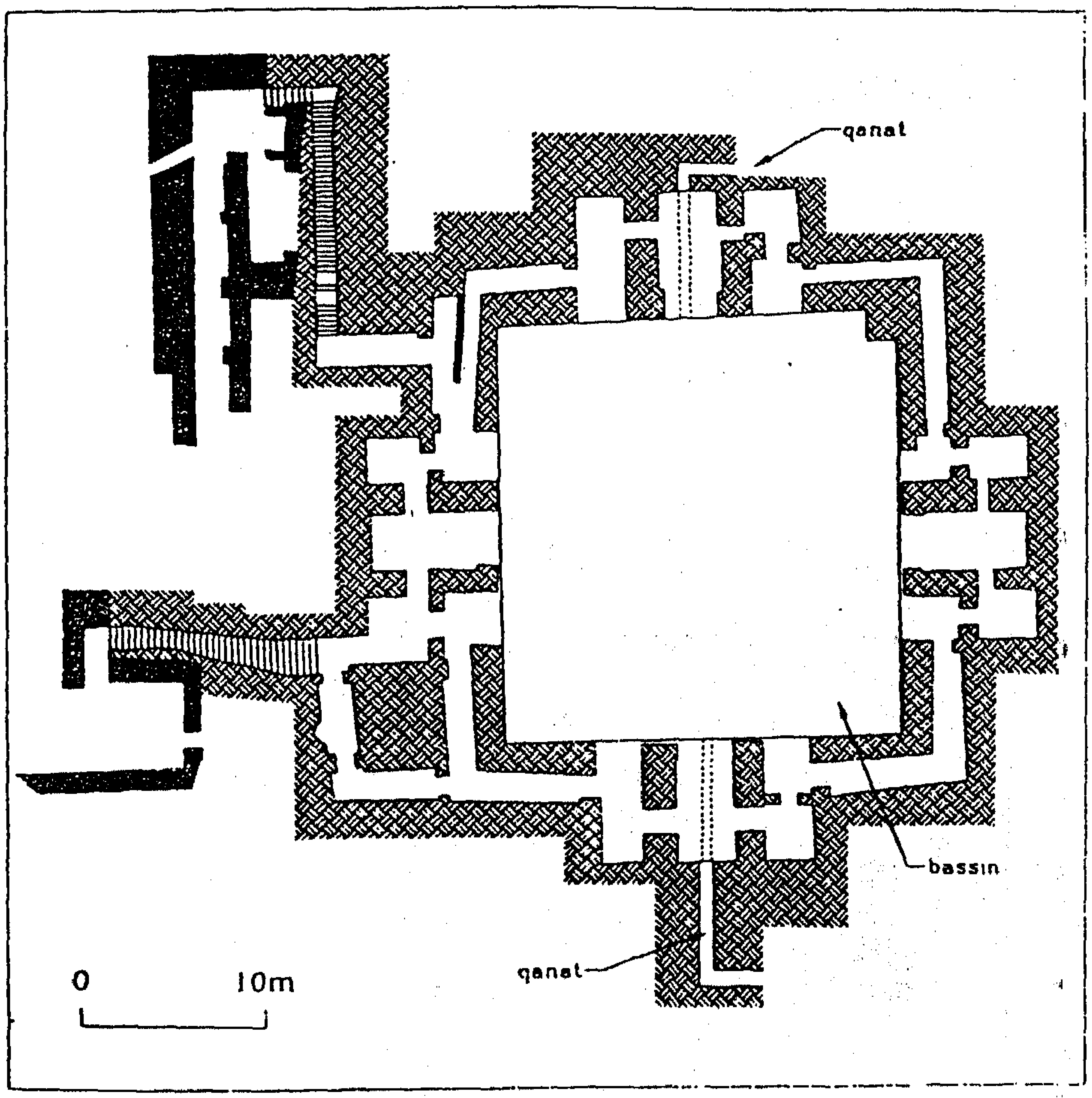

شكل (٦٤) السرداب الصغير بالجوسق الخاقانى عن حمودى.

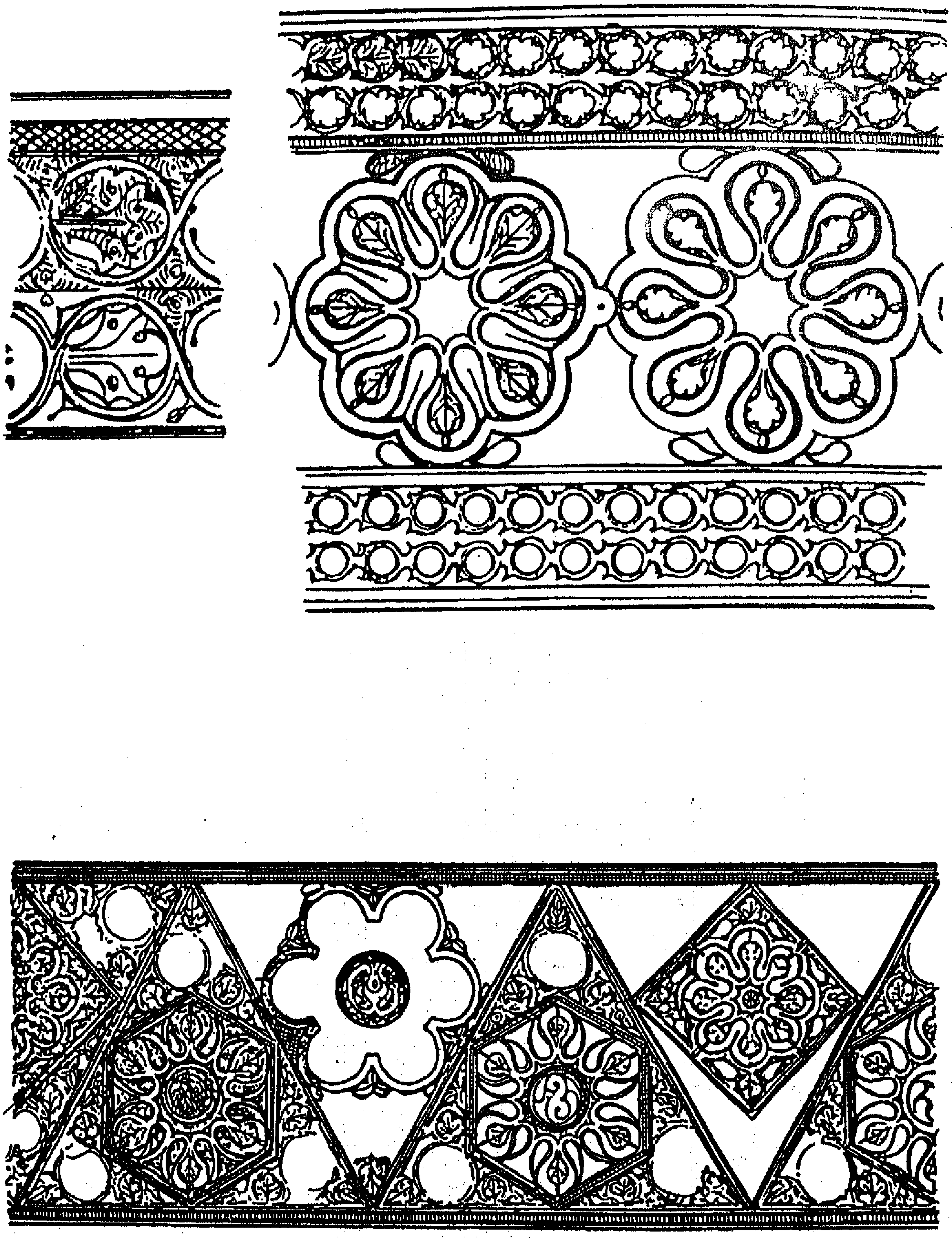

شكل (٦٥) تفاصيل من زخارف باب العامة عن هرتزفلد (كريسويل).

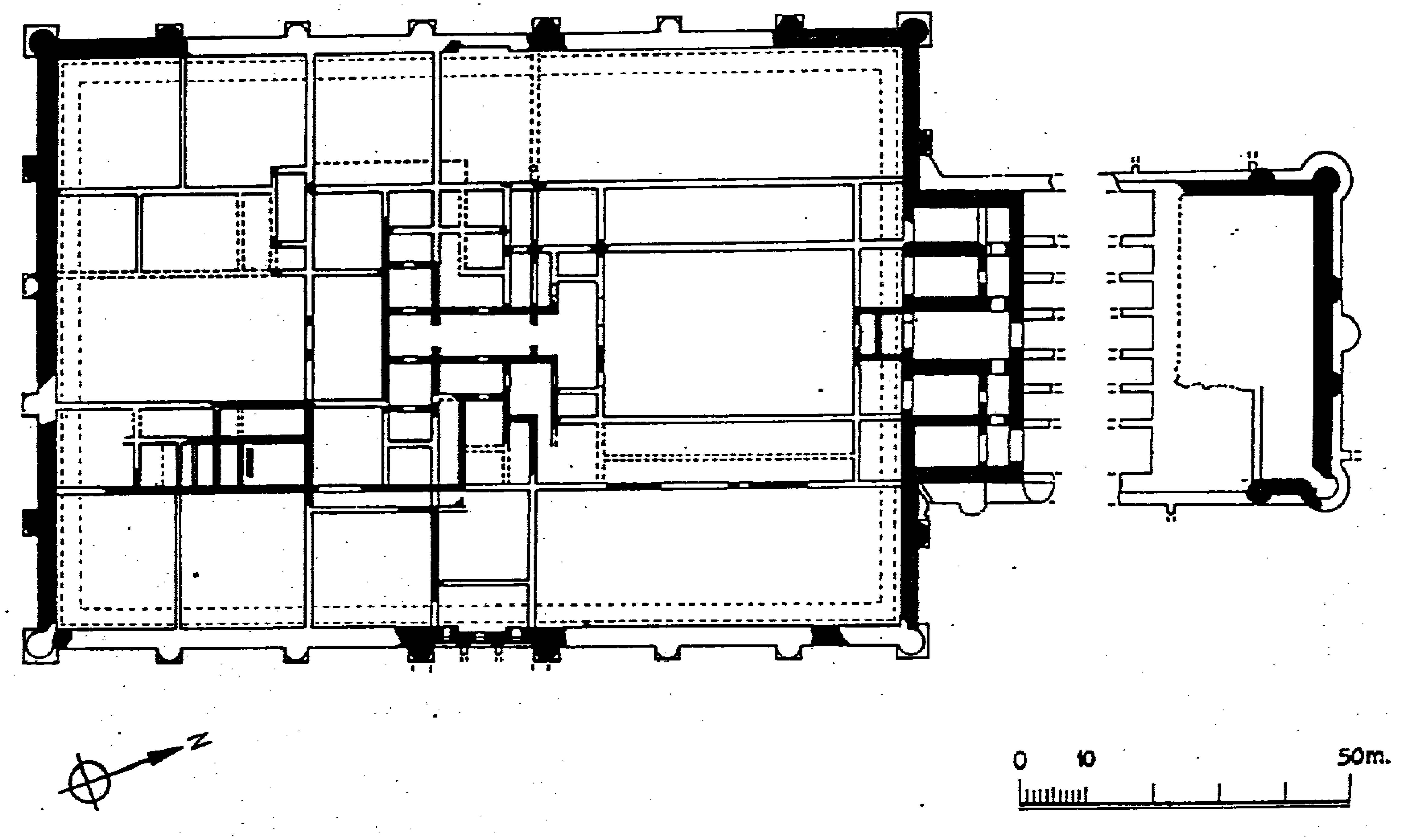

شكل (٦٦) رسم تخطيطى لقصر العاشق عن كريسويل.

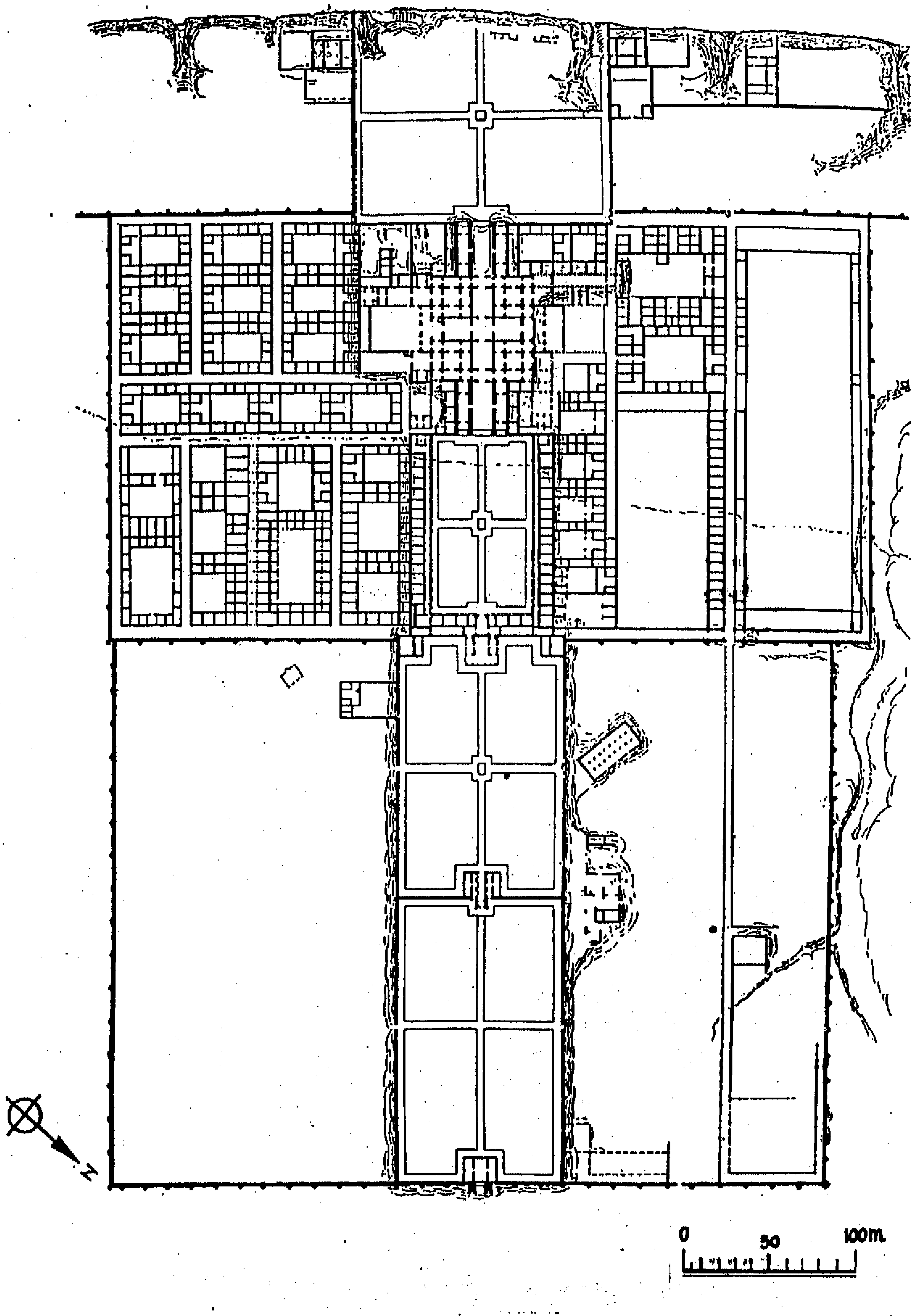

شكل (٦٧) رسم تخطيطي لقصر بلكوارا عن كريسويل.

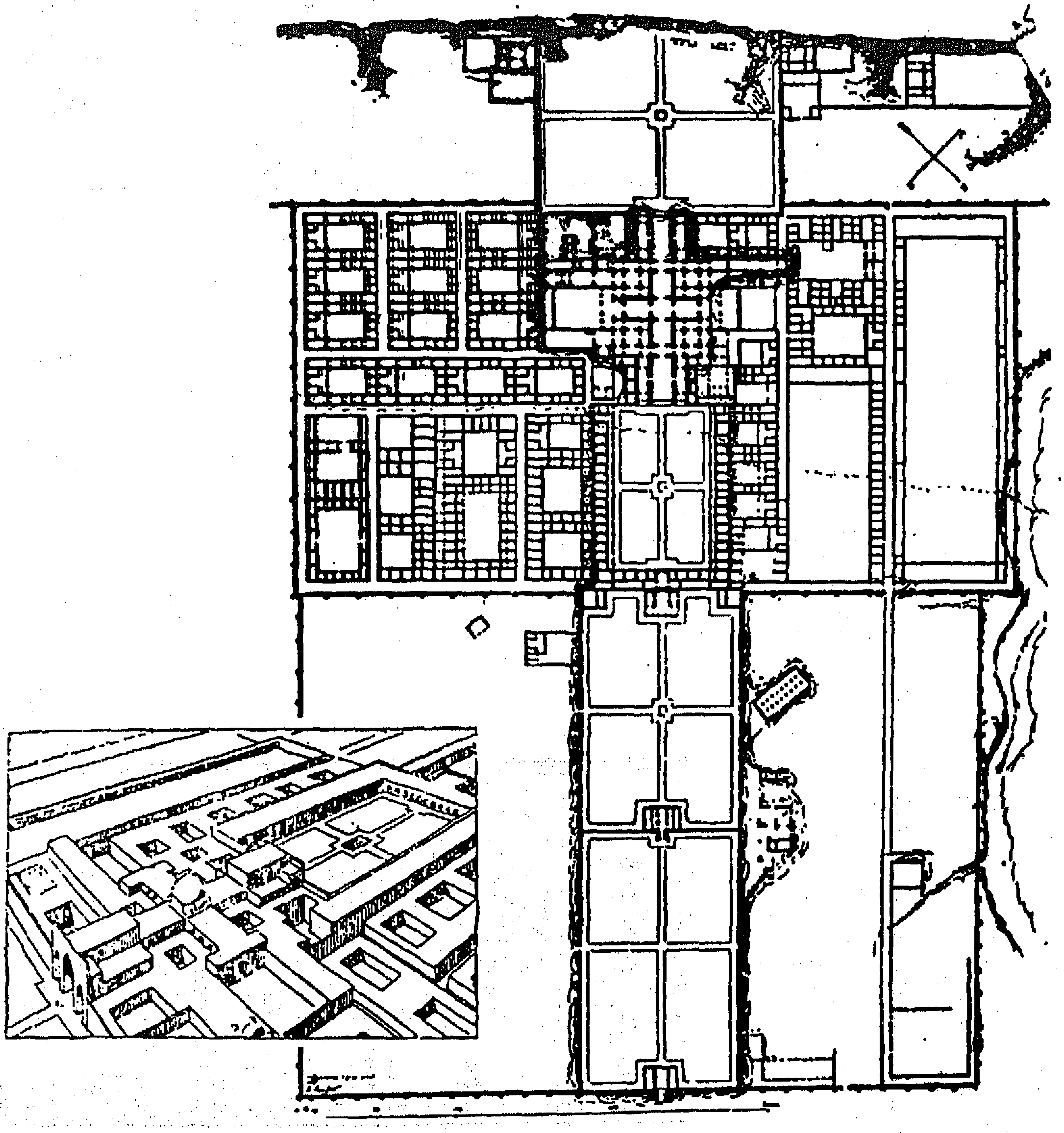

شكل (٦٨) رسم تخطيطي لقصر بلكوارا مع رسم مجسم عن شريف يوسف.

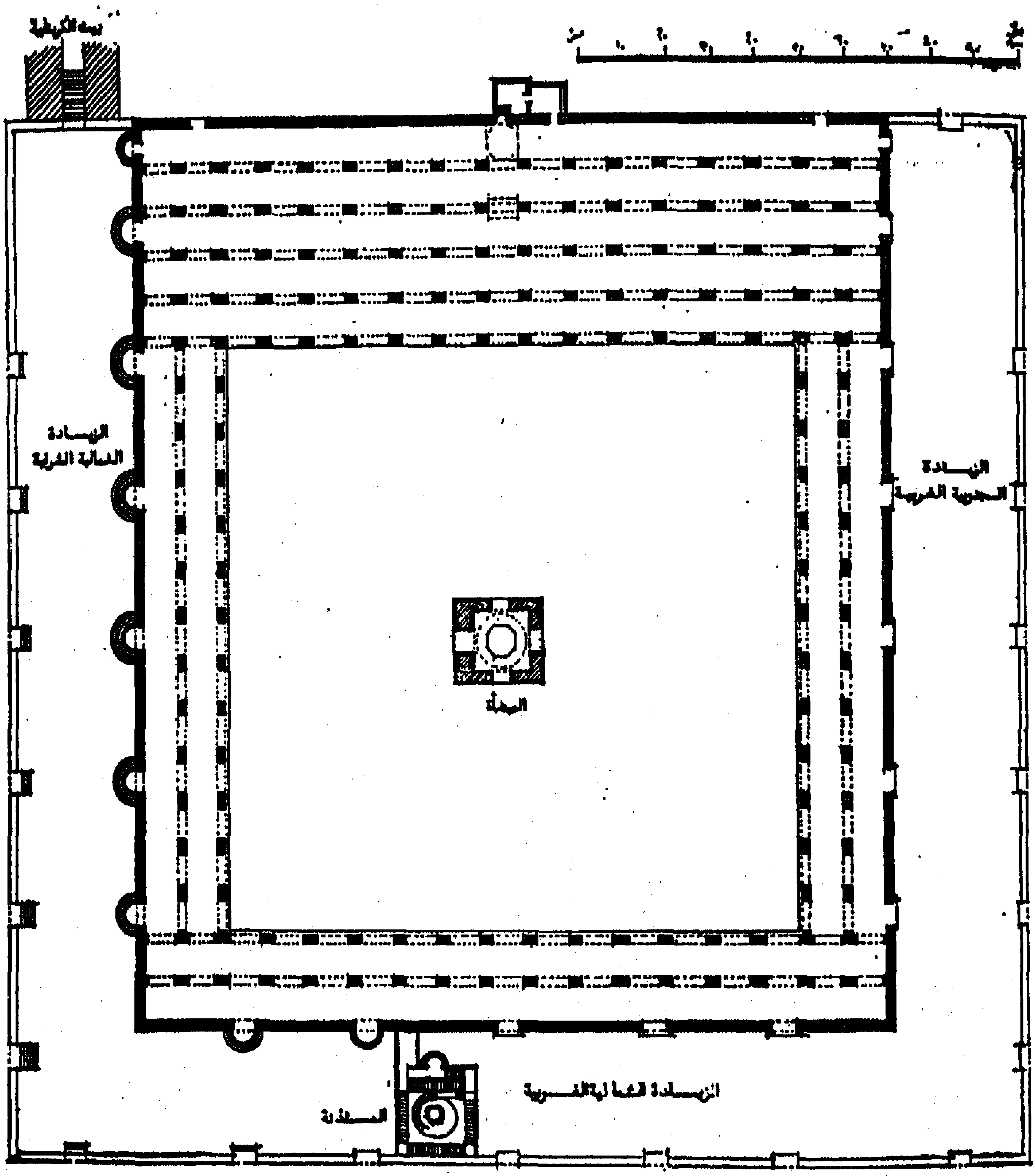

شكل (٦٩) رسم تخطيطى لجامع أحمد بن طولون عن د. فريد شافعى.

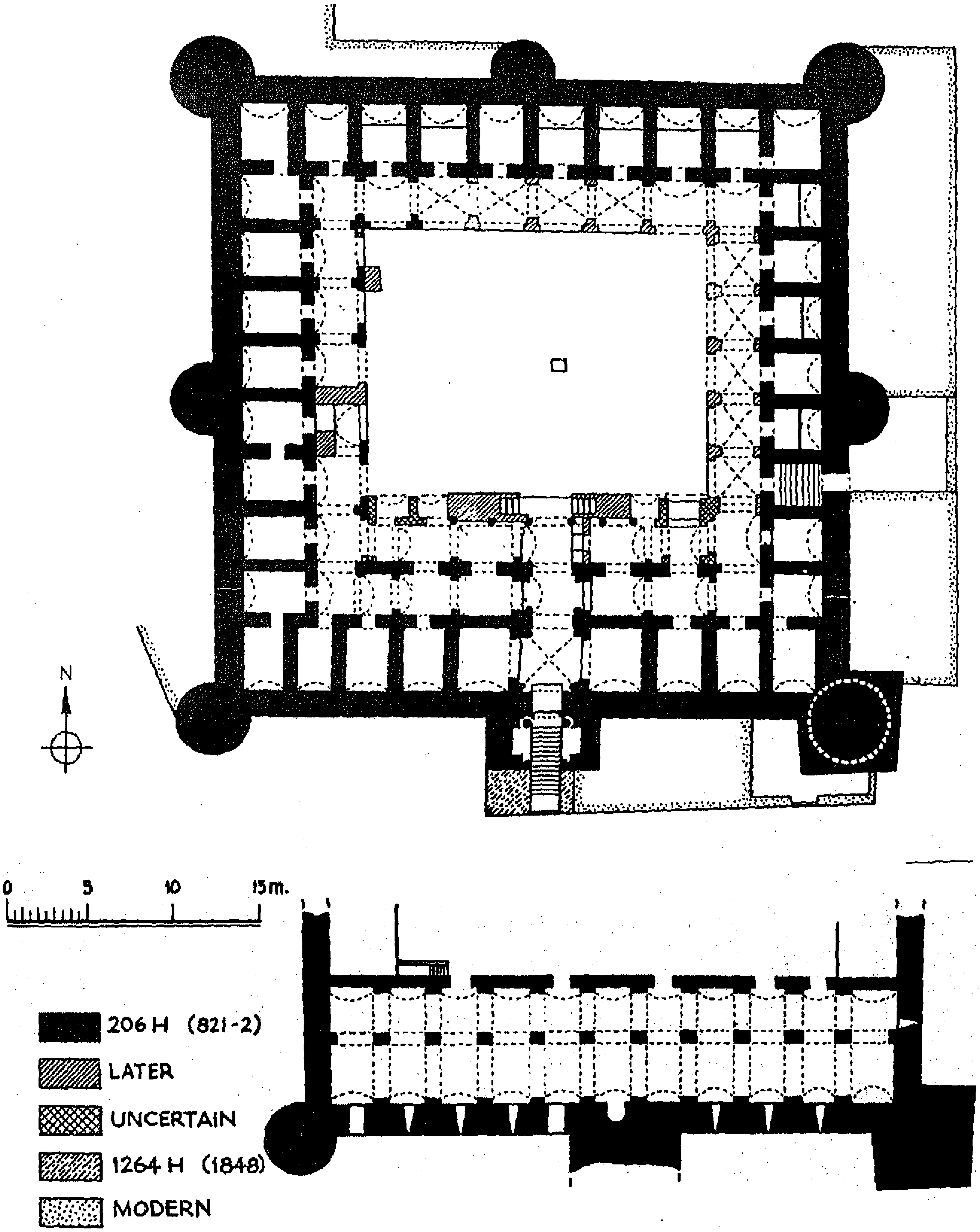

شكل (٧٠) رسم تخطيطى لمسجد الرباط فى سوسة عن كريسويل.

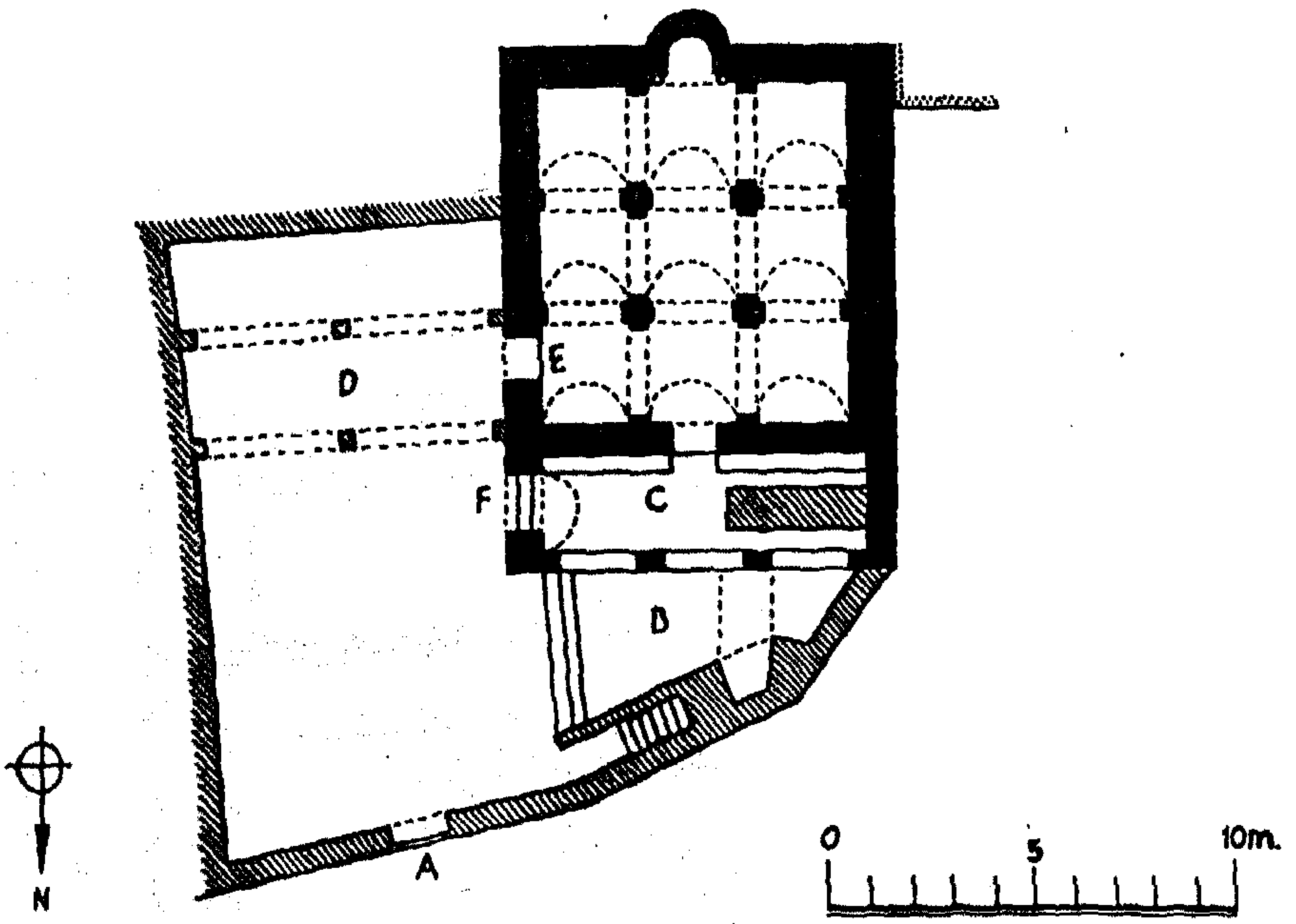

شكل (٧١) رسم تخطيطى لمسجد بوفتاتة فى سوسة عن كريسويل.

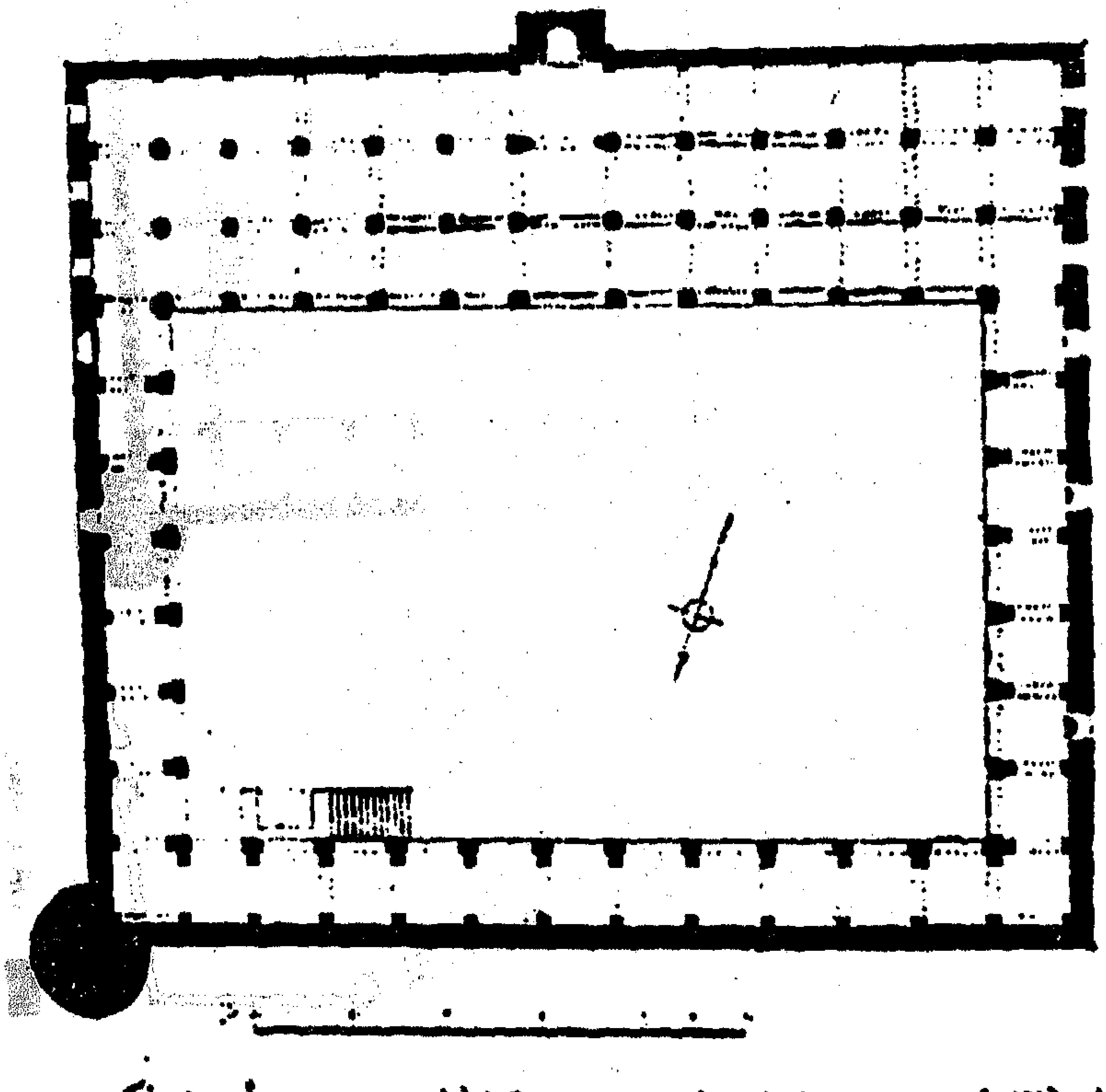

شكل (٧٢) رسم تخطيطى لمسجد سوسة الجامع عن د. أحمد فكرى.

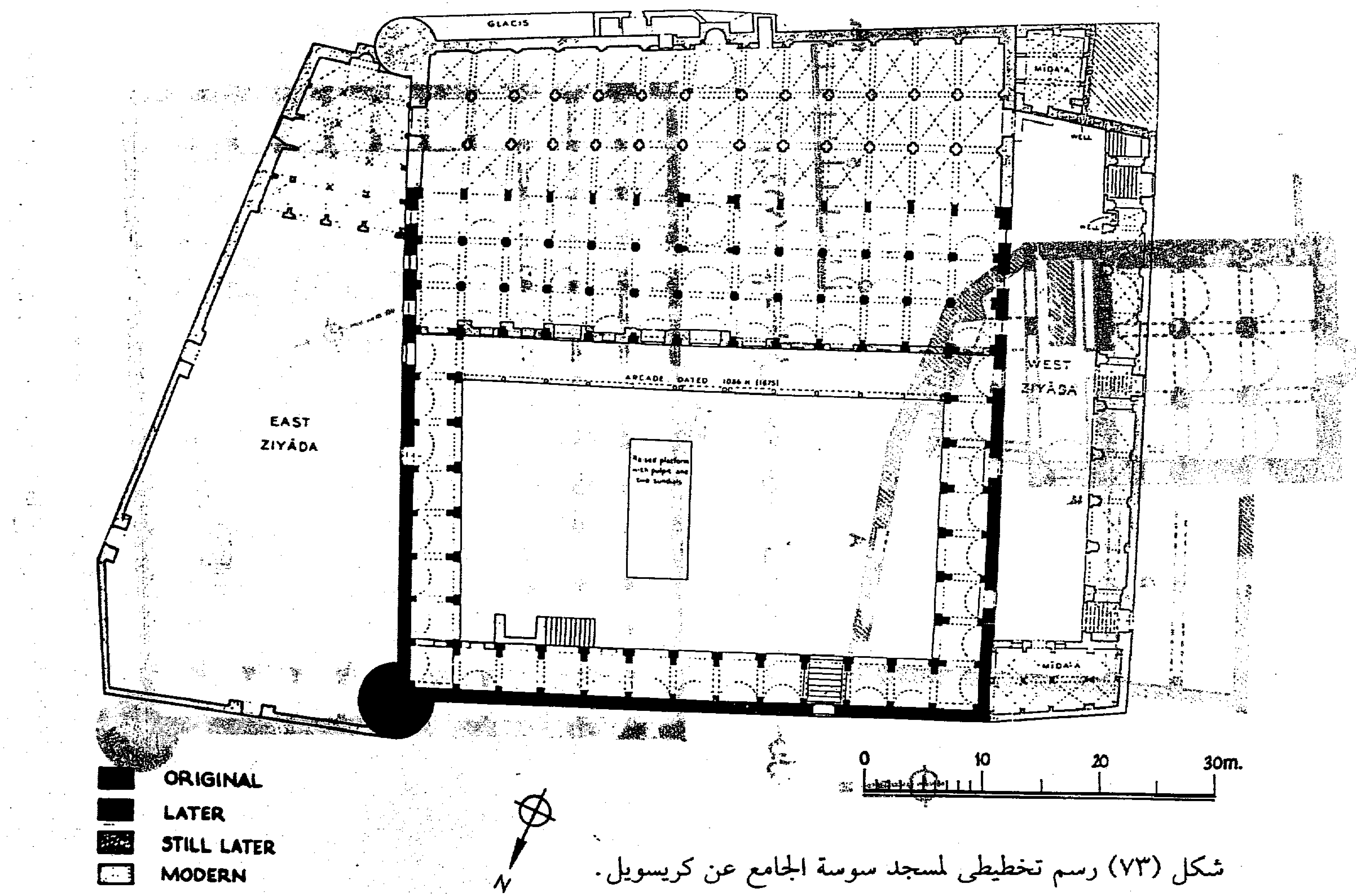

شكل (٧٣) رسم تخطيطى لمسجد سوسة الجامع عن كريسويل.

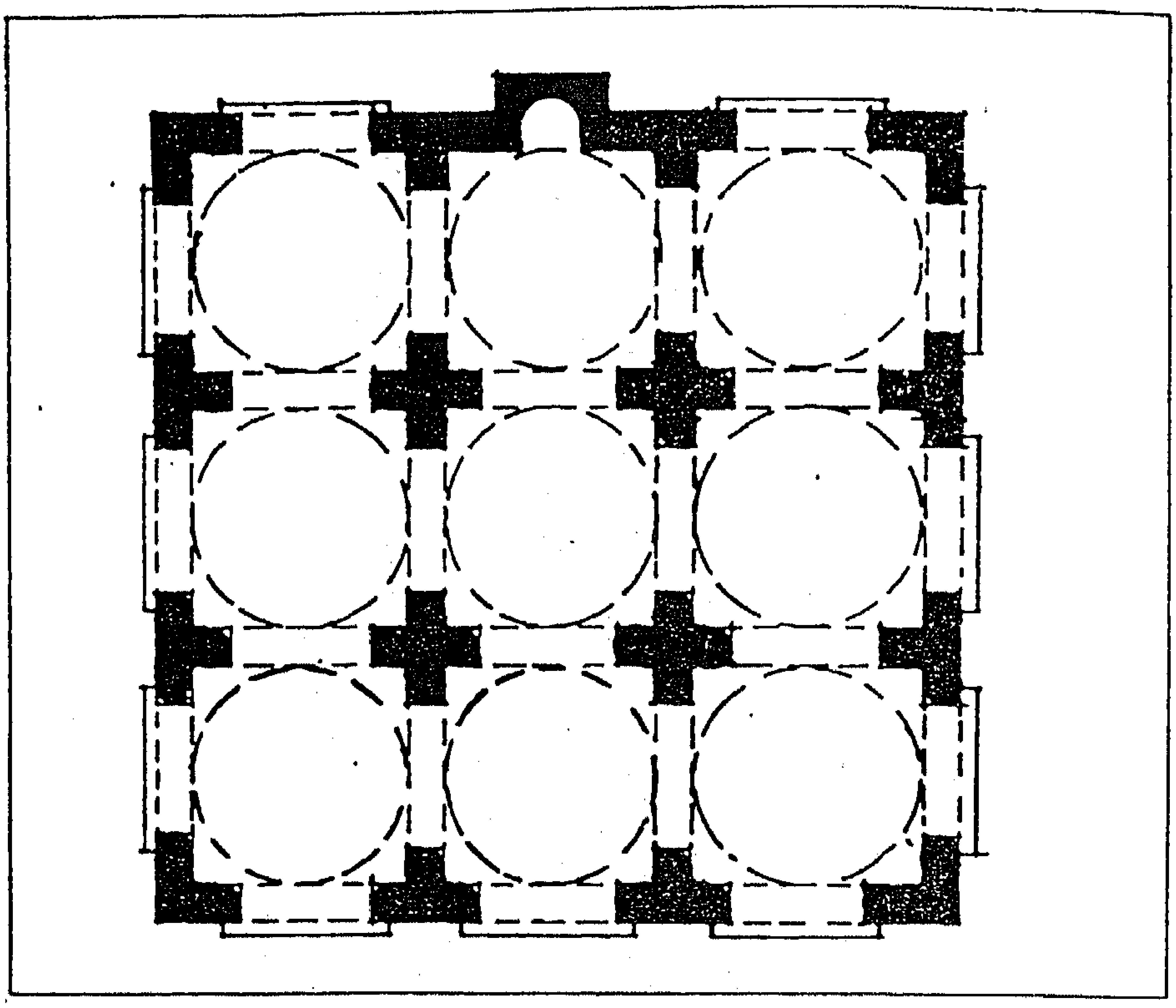

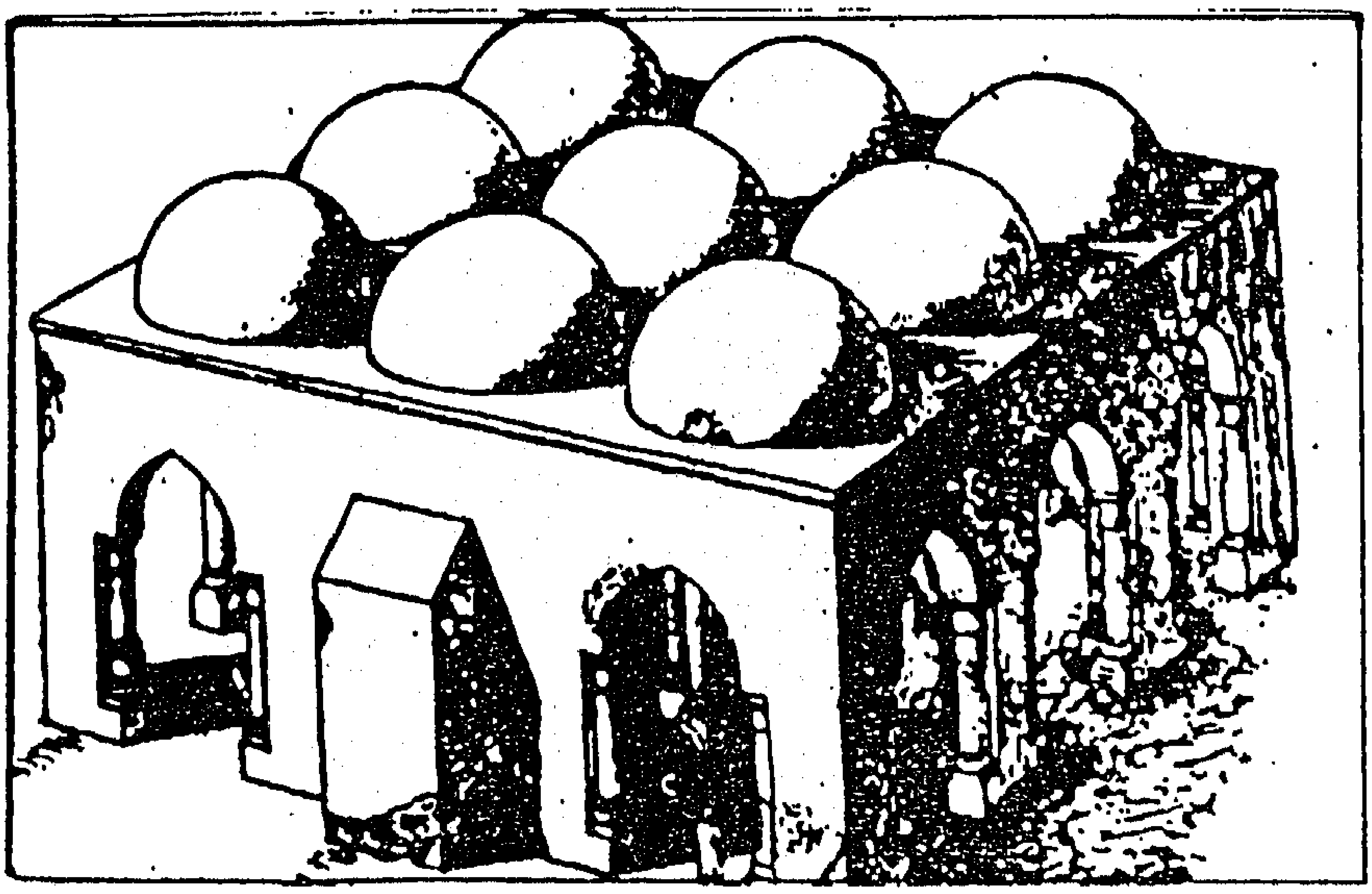

شكل (٧٤) رسم تخطيطي ومنظور لمشهد آل طباطبا عن د. فريد شافعي.

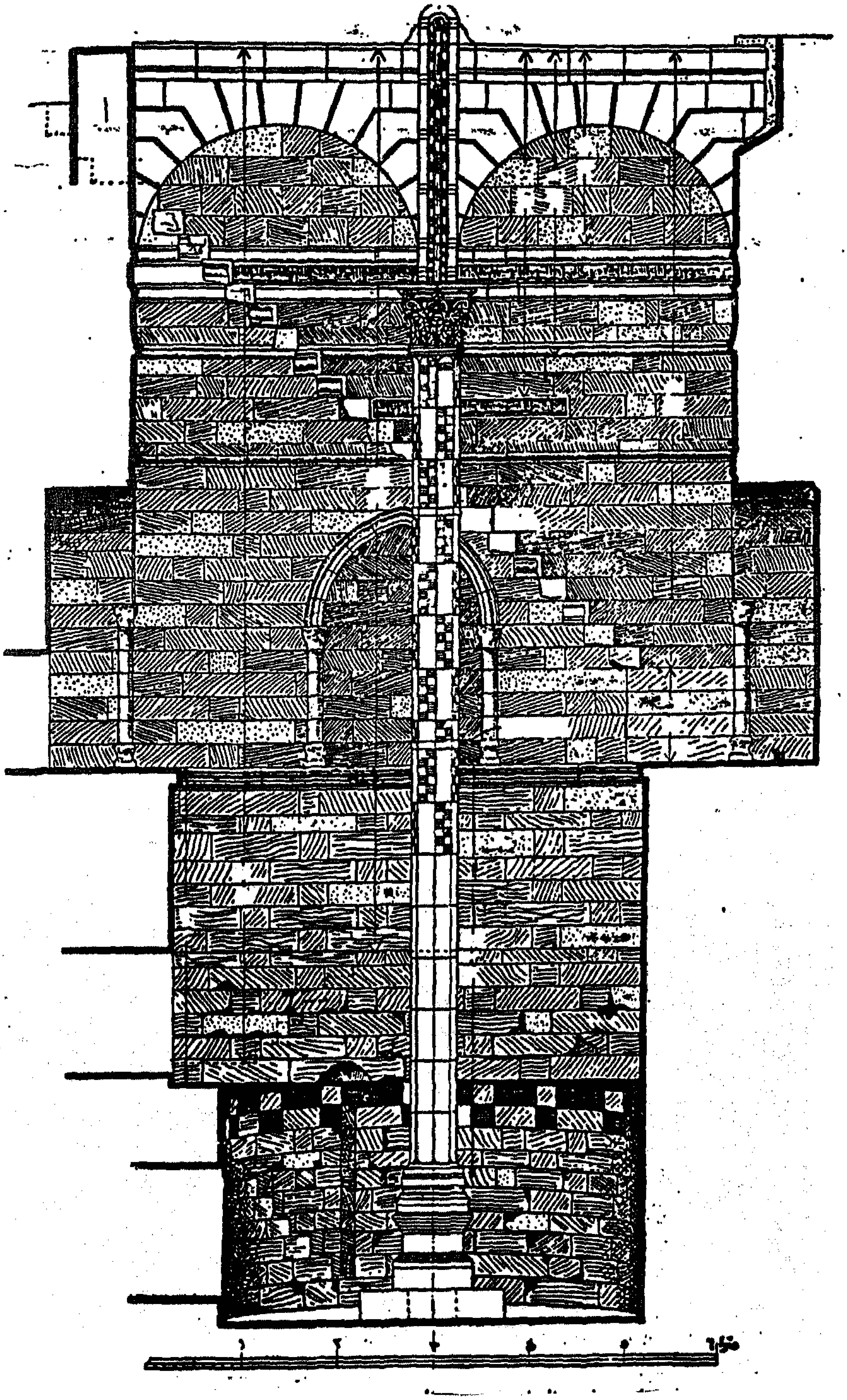

شكل (٧٥) مقياس النيل بجزيرة الروضة عن د. فريد شافعى.

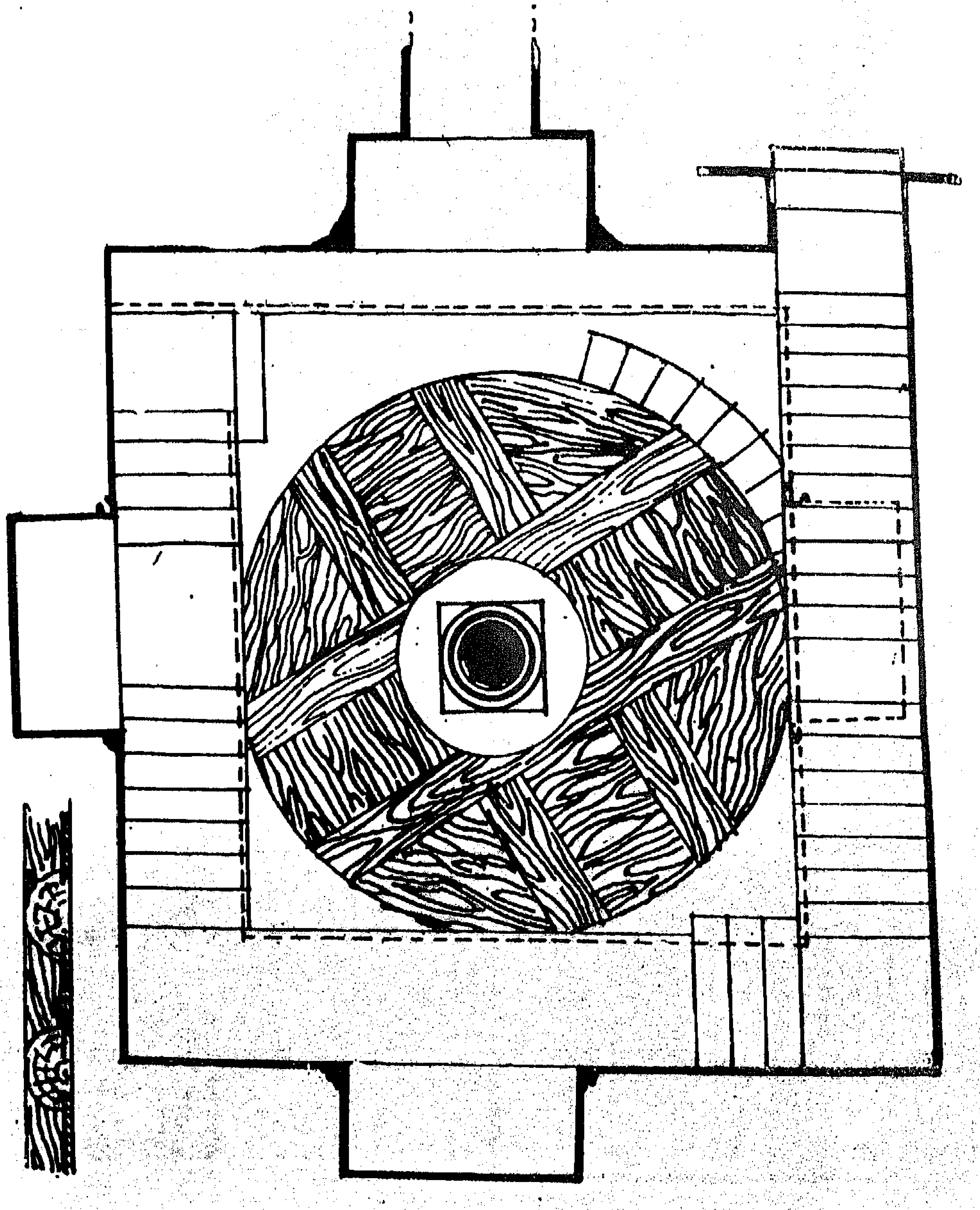

شكل (٧٦) مقياس النيل، مسقط البئر والطبلية وقطاع فيها عن د. فريد شافعي.

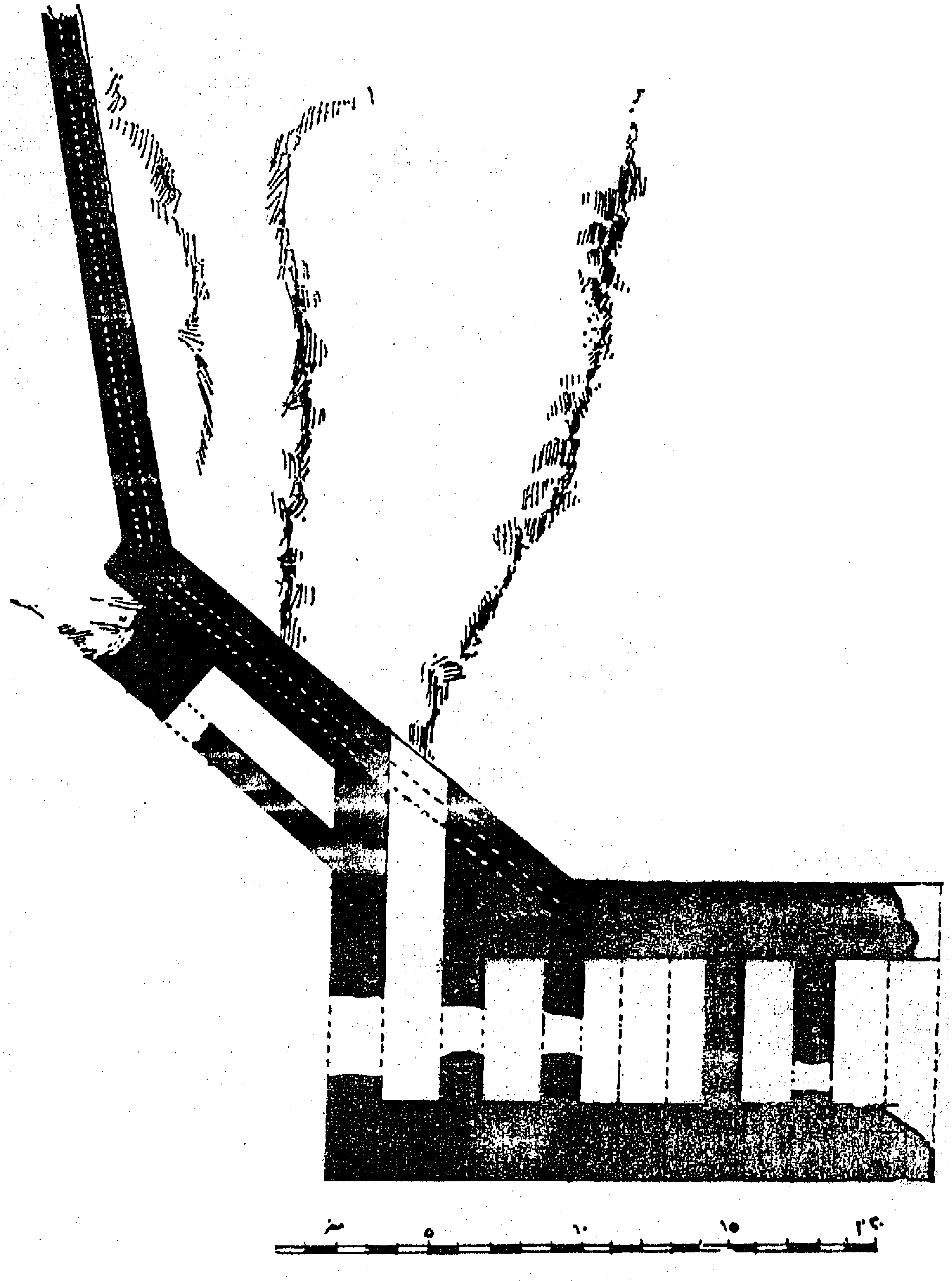

شكل (٧٧) مأخذ مياه قناطر ابن طولون عن د. فريد شافعي.

شكل (٧٨) خريطة منطقة حفائر على بهجت وجابرييل عن د. فريد شا

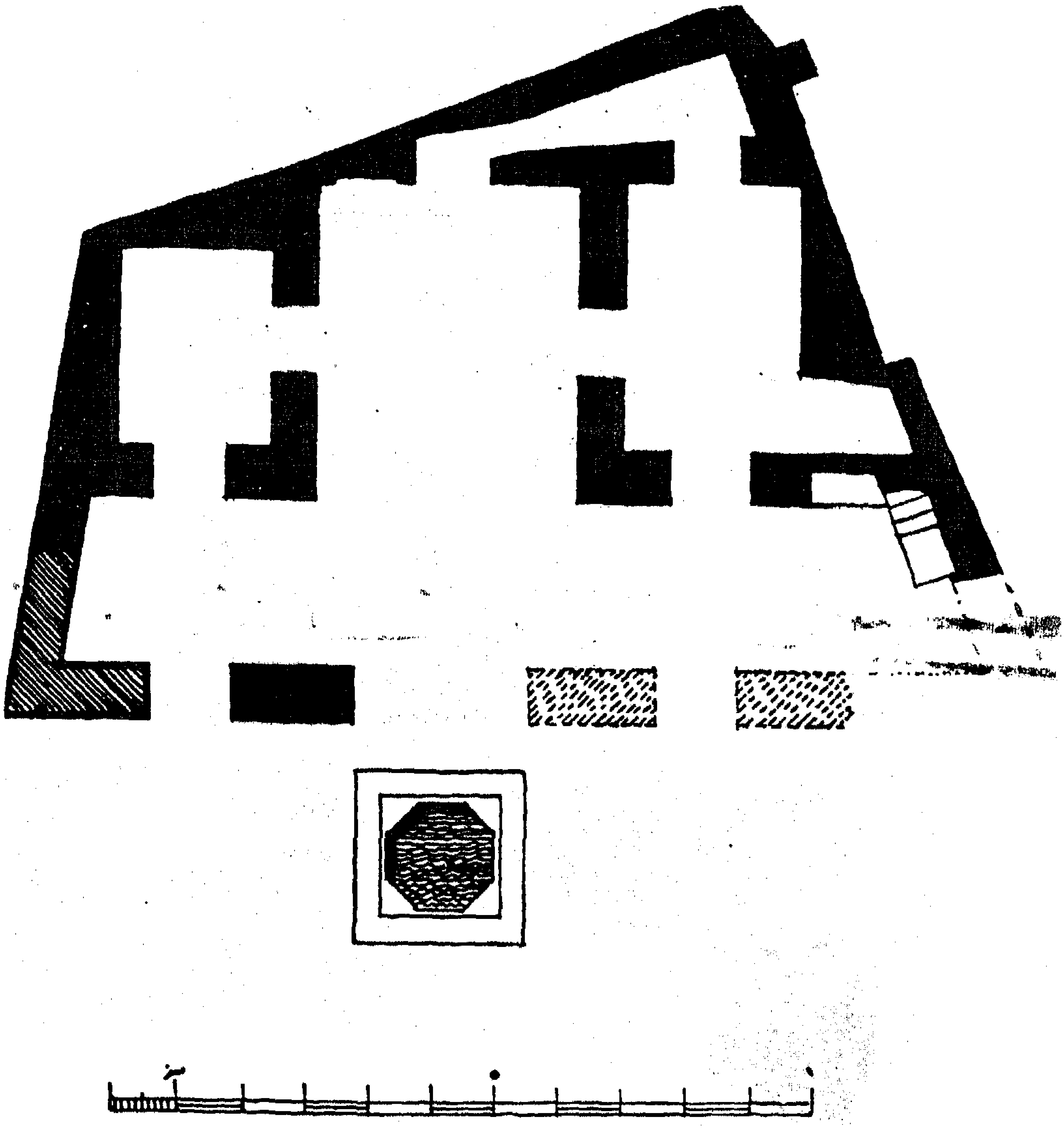

شكل (٧٩) البيت الطولونى الأول عن د. فريد شافعى.

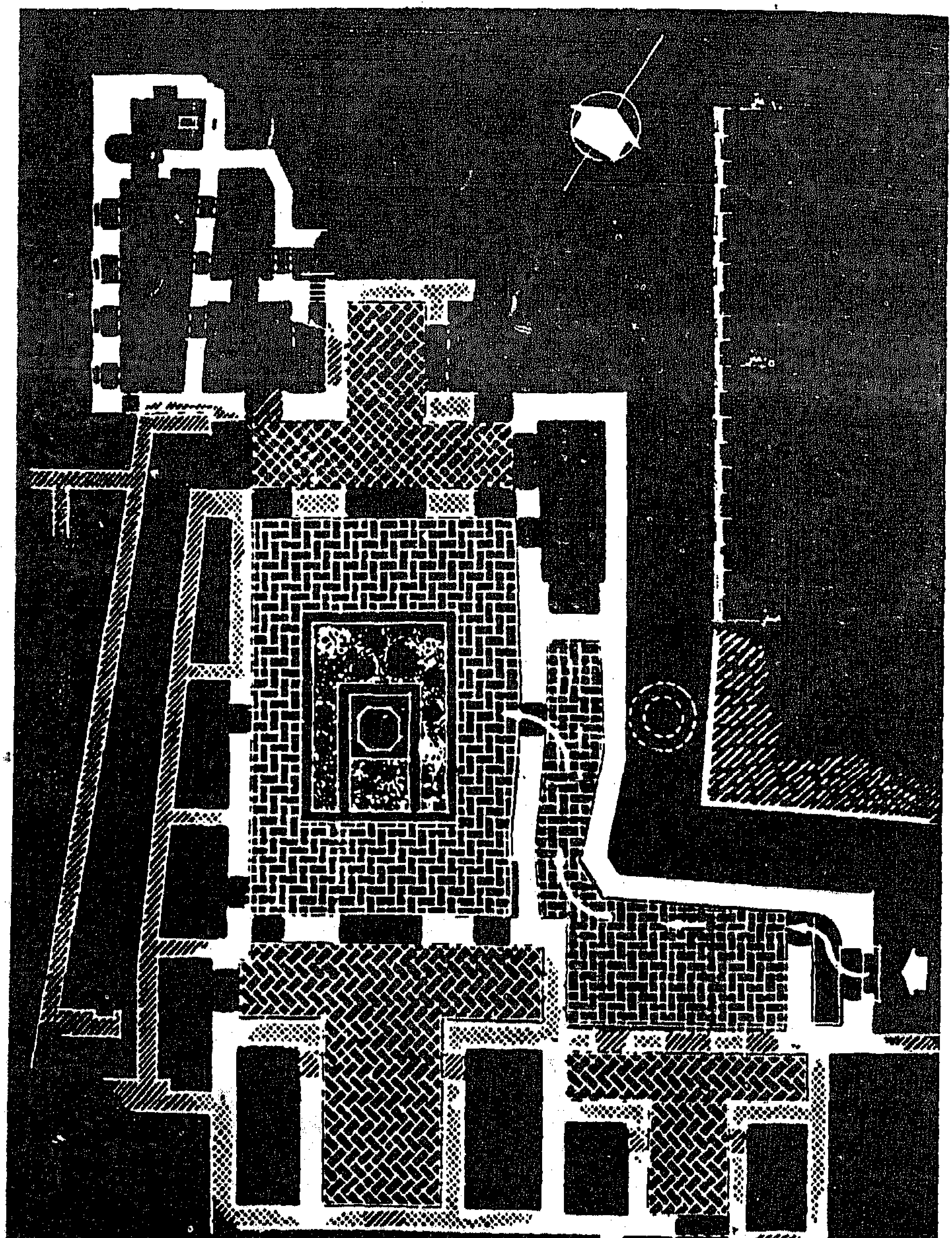

شكل (٨٠) البيت الطولوني الثاني عن د. فريد شافعي.

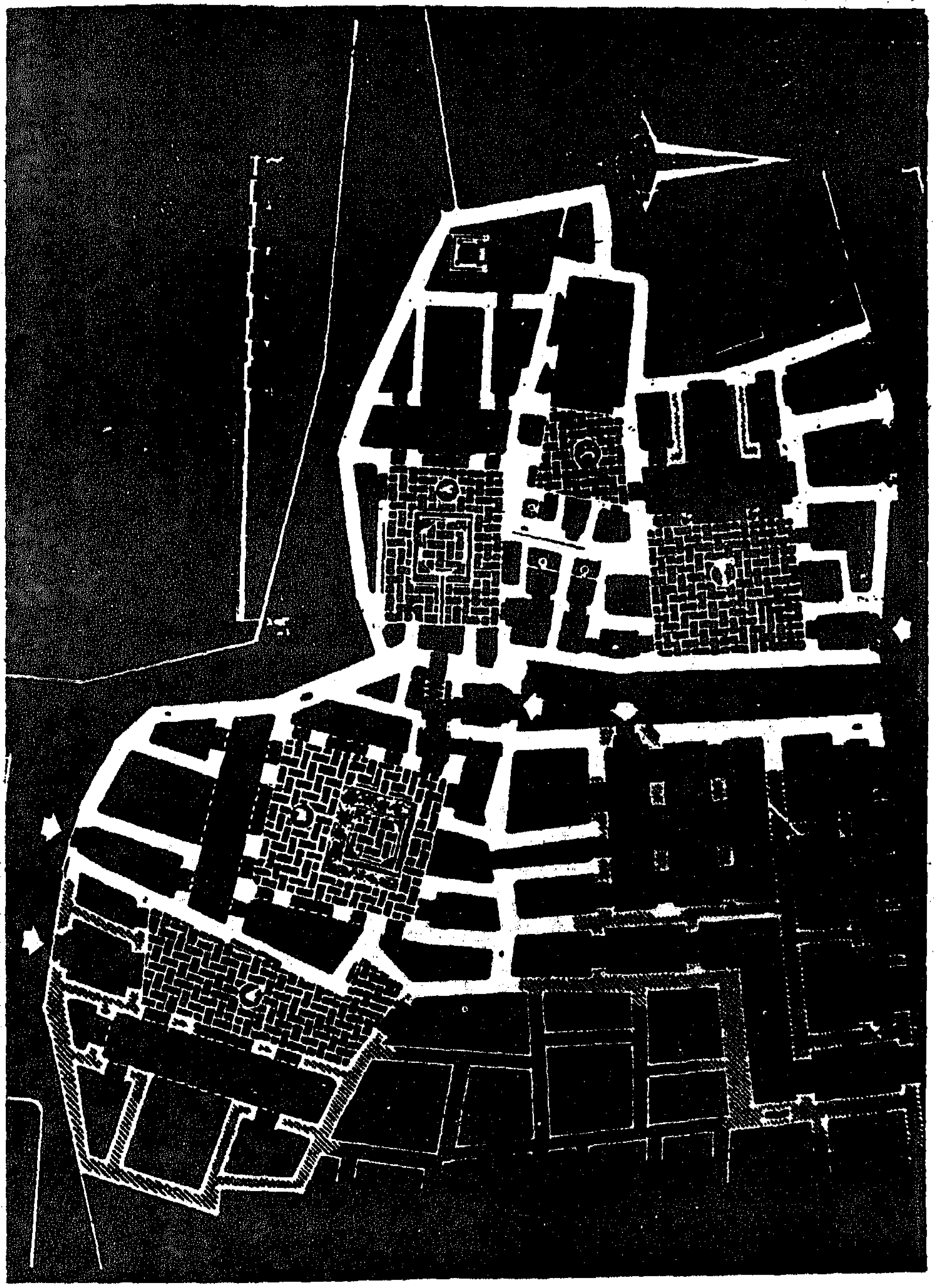

شكل (٨١) الفسطاط، الدار الأولى عن د. فريد شافعى.

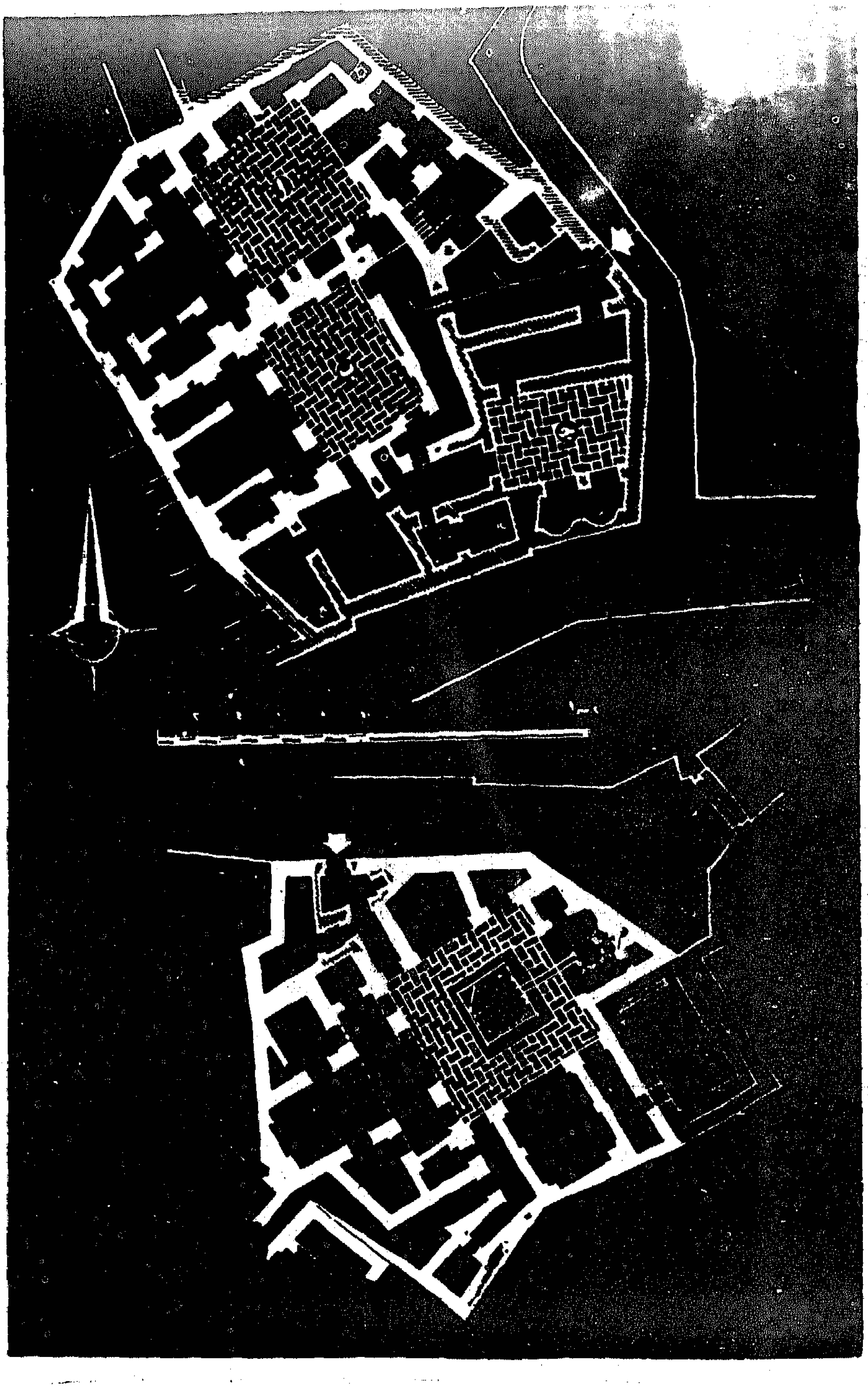

شكل (٨٢) الفسطاط، الدار الثانية والثالثة عن د. فريد شافعى.

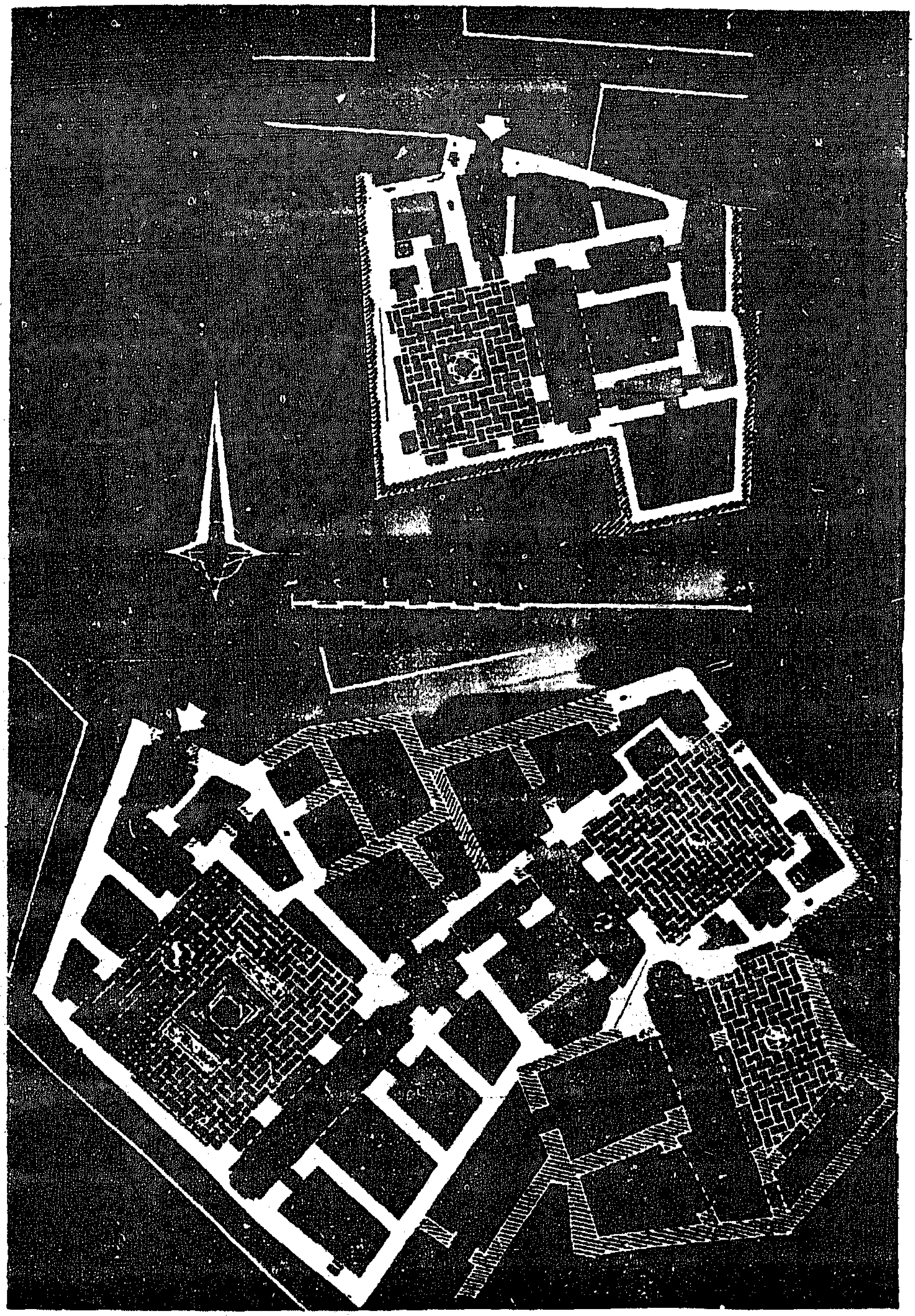

شكل (٨٣) الفسطاط، الدار الرابعة والخامسة عن د. فريد شافعى.

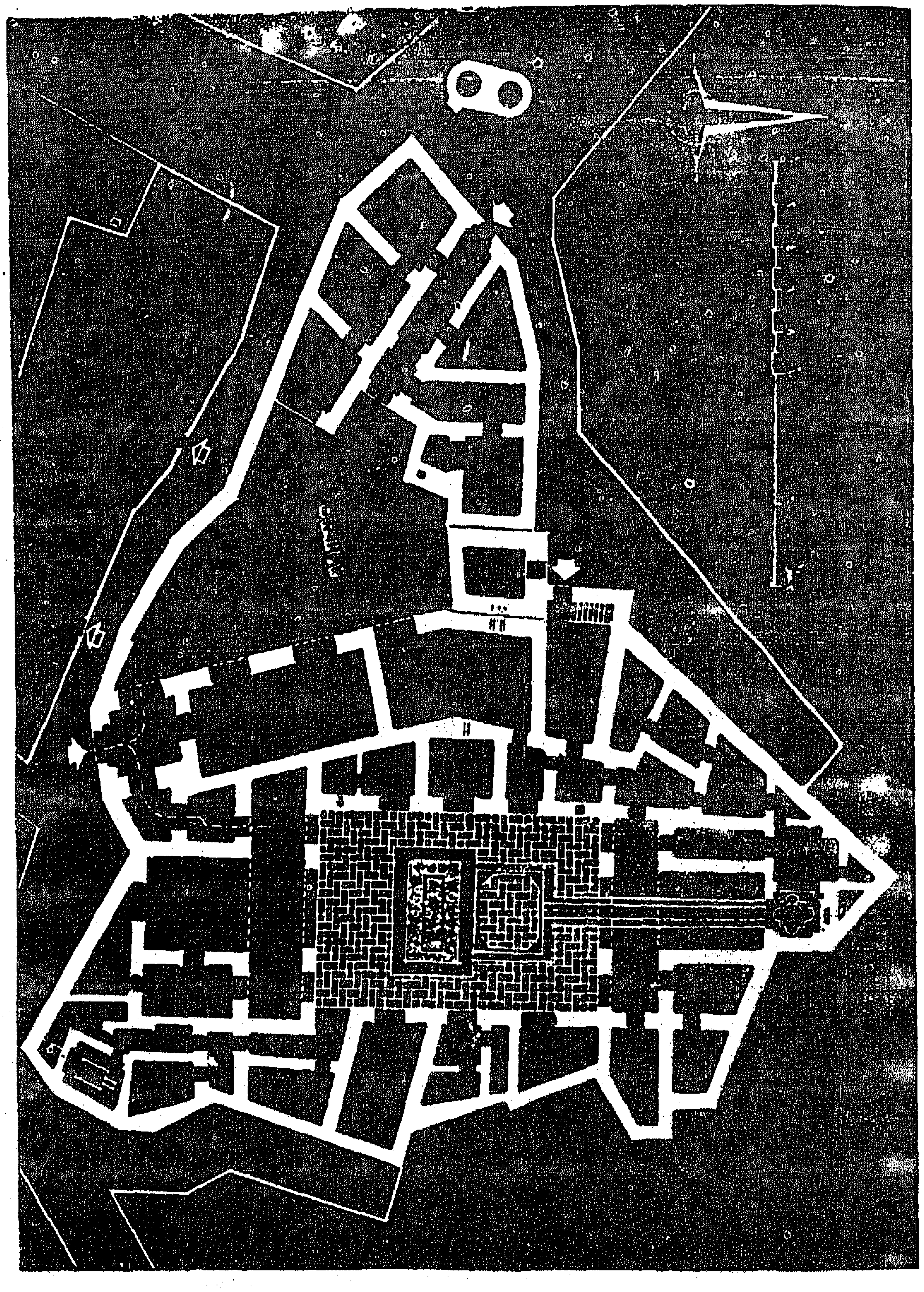

شكل (٨٤) الفسطاط، الدار السادسة عن د. فريد شافعى.

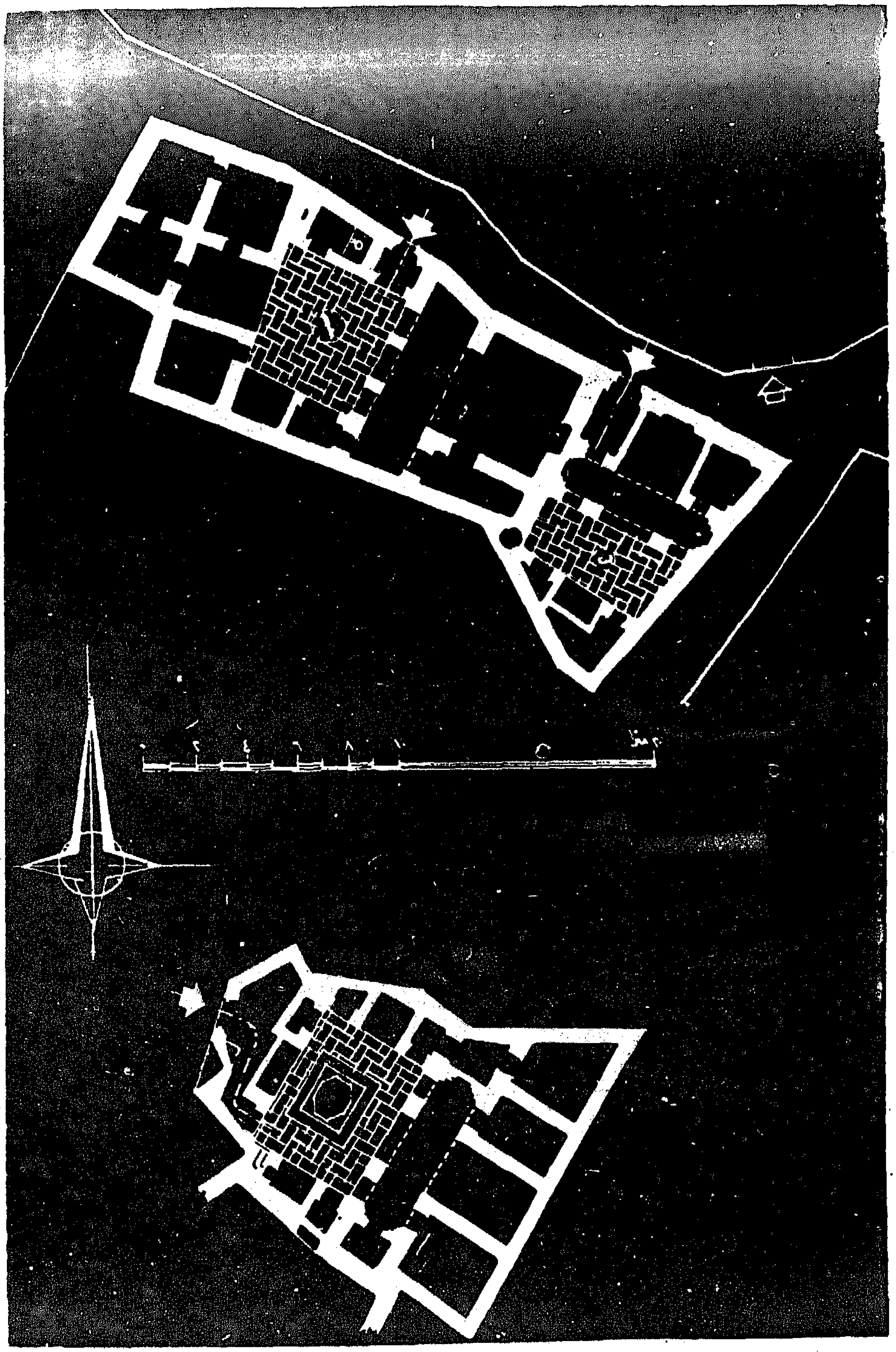

شكل (٨٥) الفسطاط، الدار السابعة والثامنة عن د. فريد شافعى.

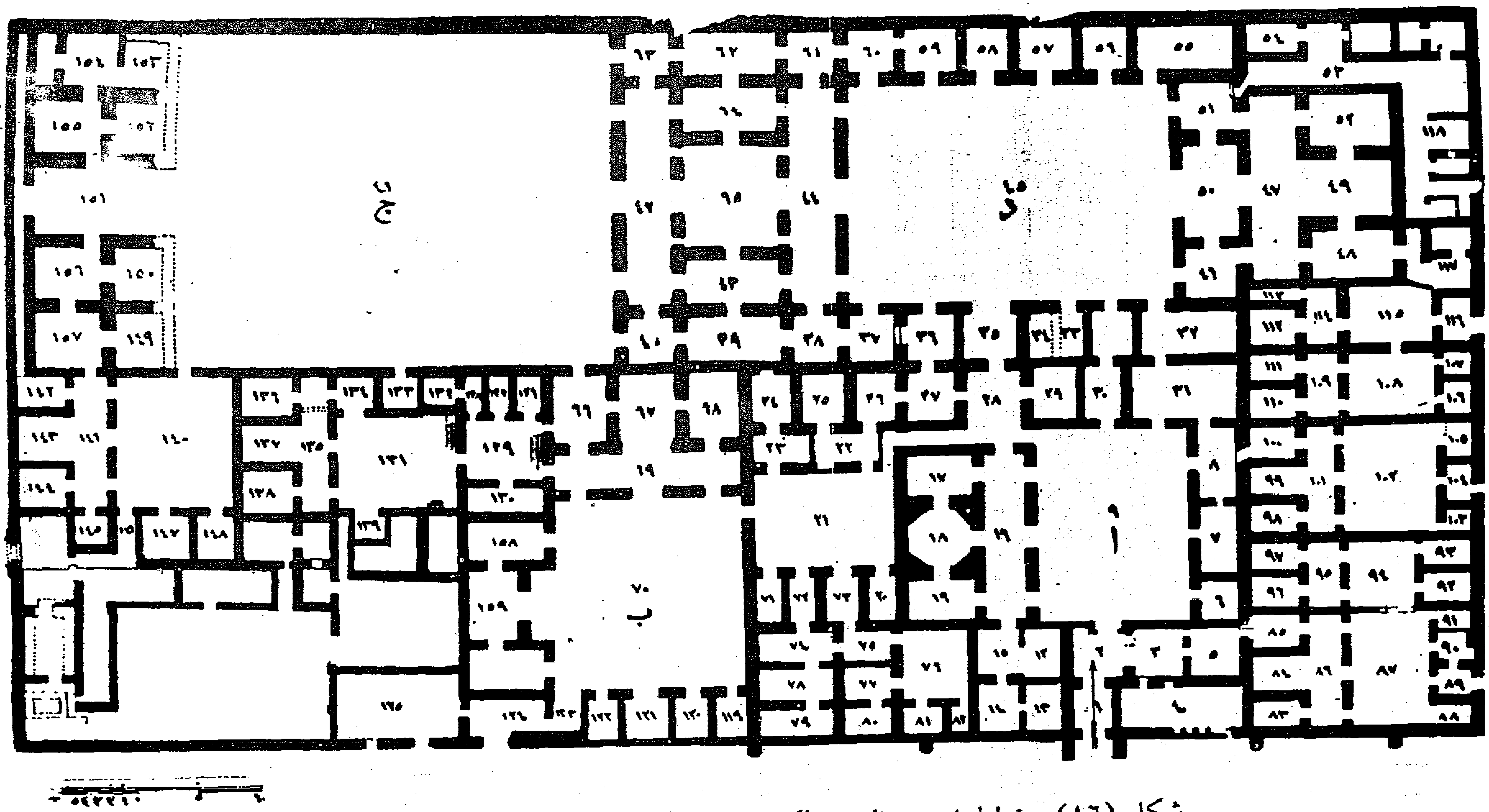

شكل (٨٦) مخطط إحدى الدور الكبيرة فى سامراء عن شريف يوسف.

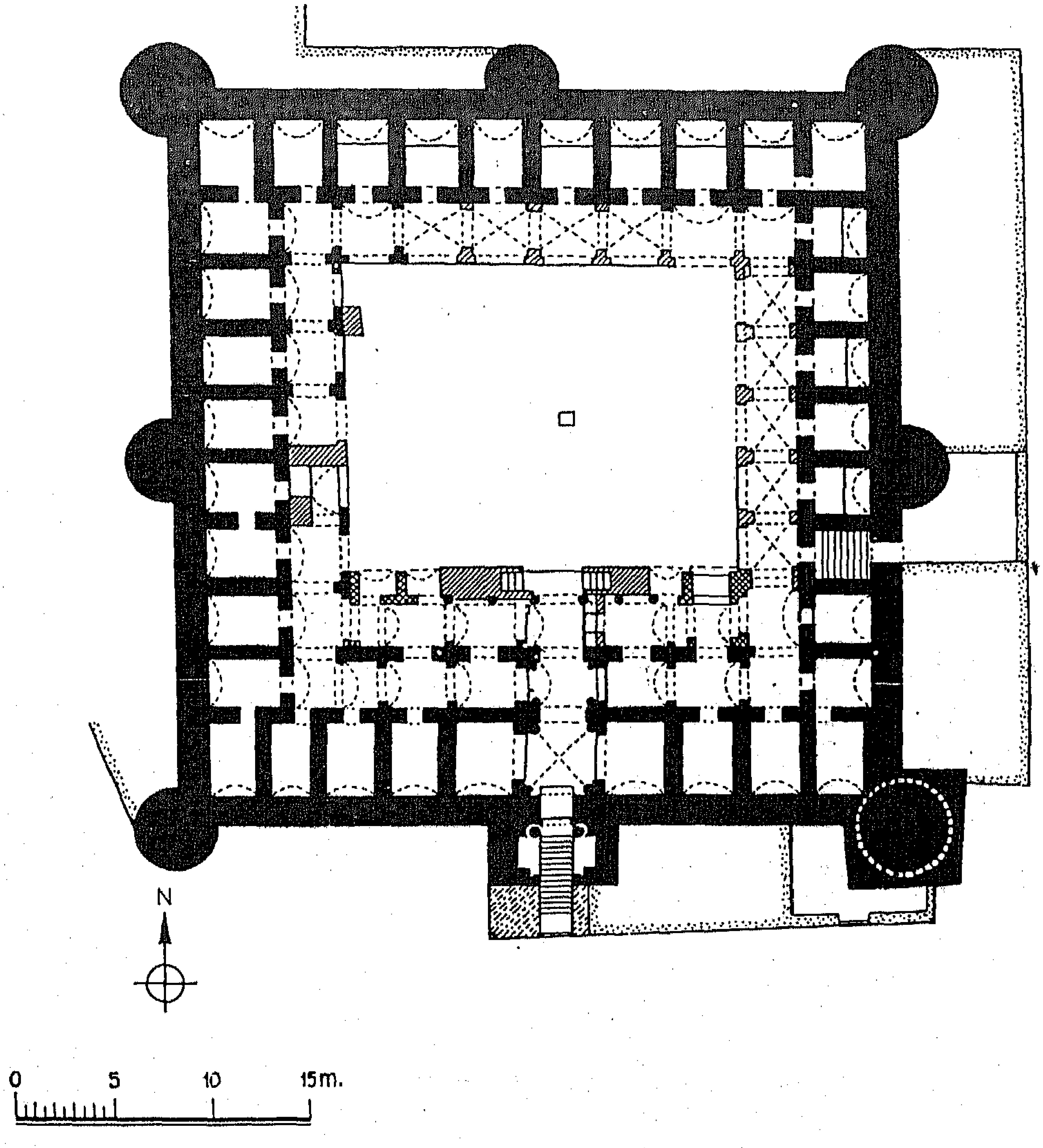

شكل (٨٧) رسم تخطيطى لرباط سوسة عن كريسويل.

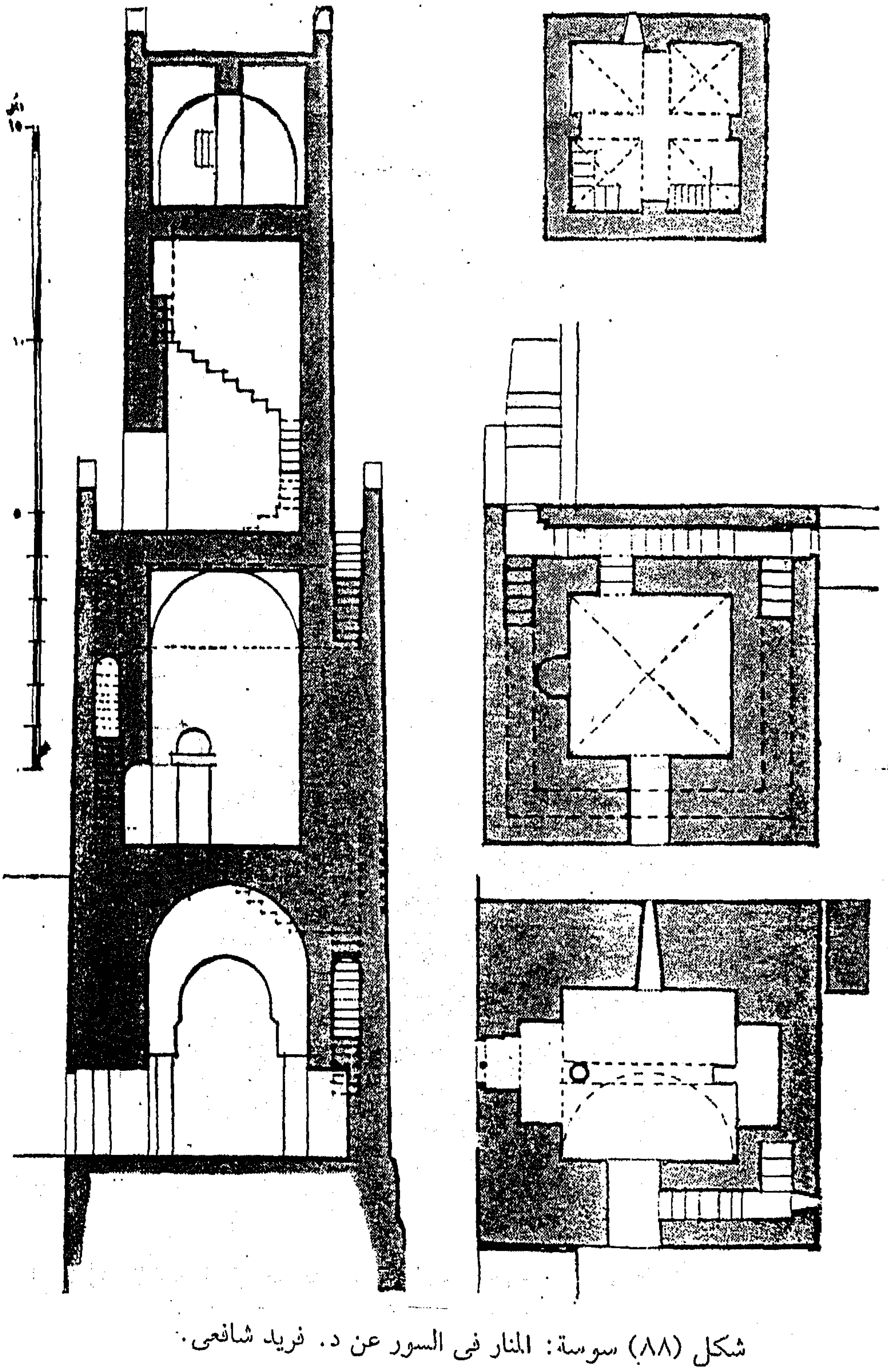

شكل (٨٨) سوسة: المنار فى السور عن د. فريد شافعى.

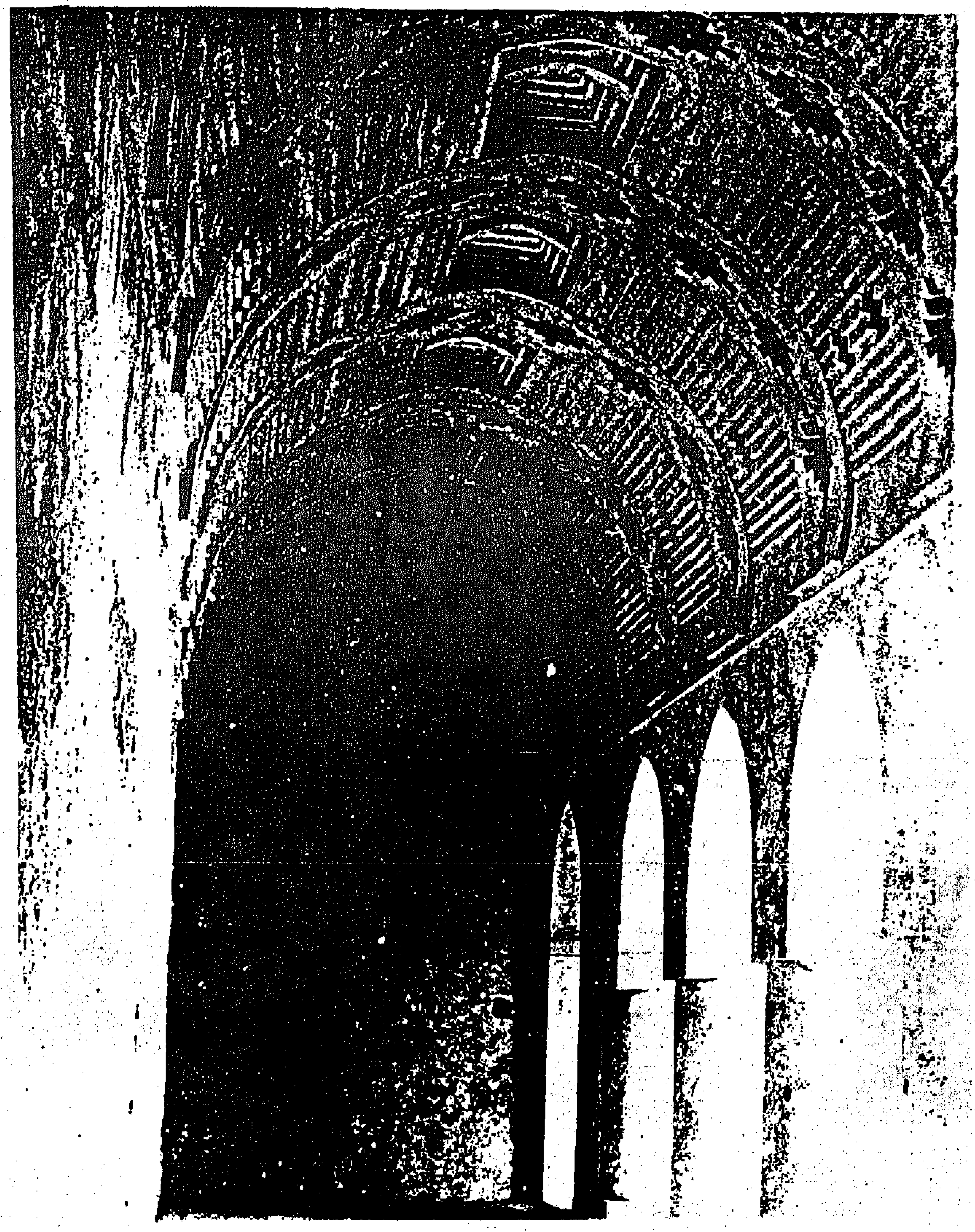

لوحة (١) ظلة القبلة فى مسجد قصر الاخيضر عن د. عيسى سلمان.

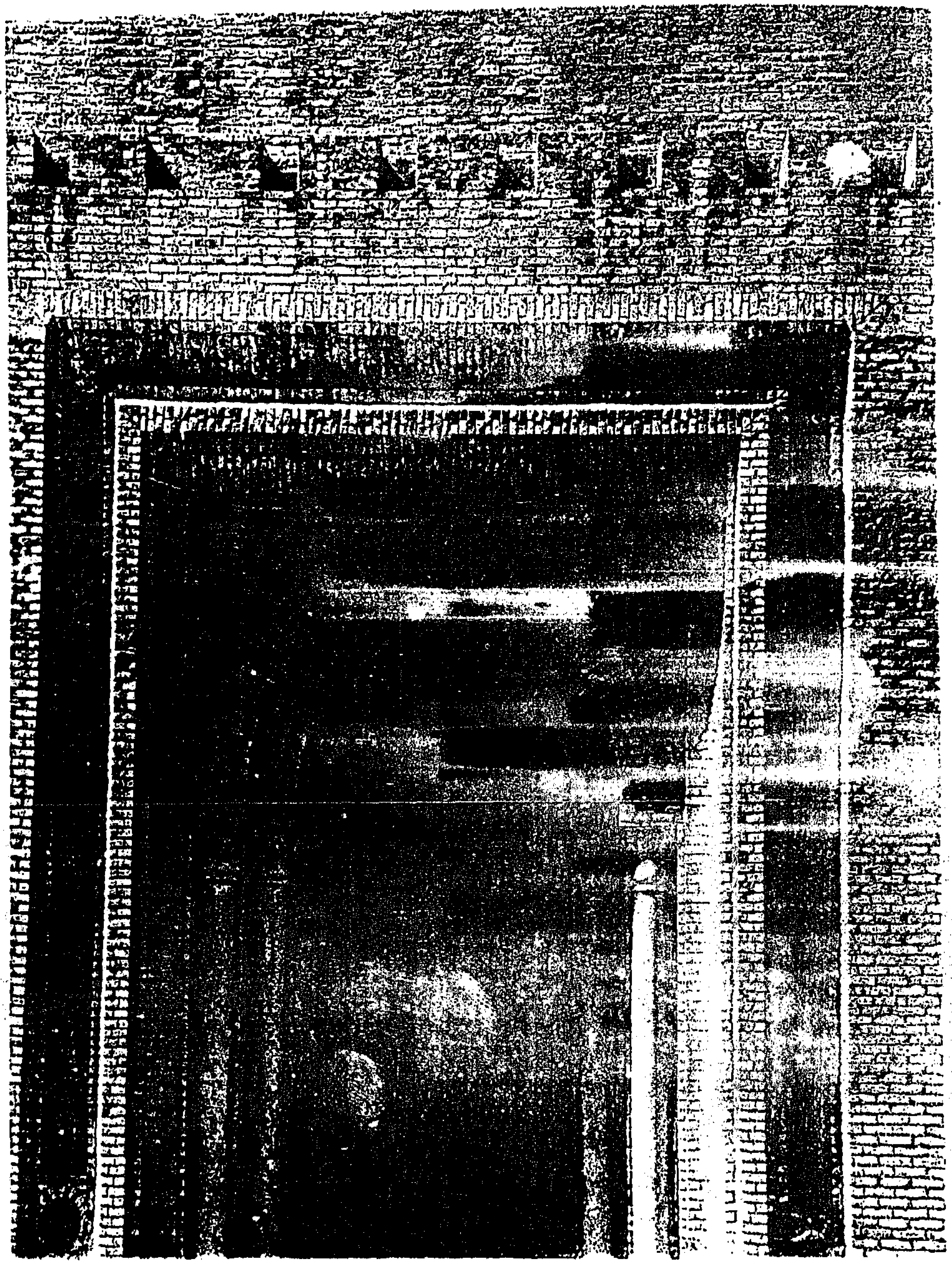

لوحة (٢) محراب جامع سامراء الكبير عن د. عيسى سلمان.

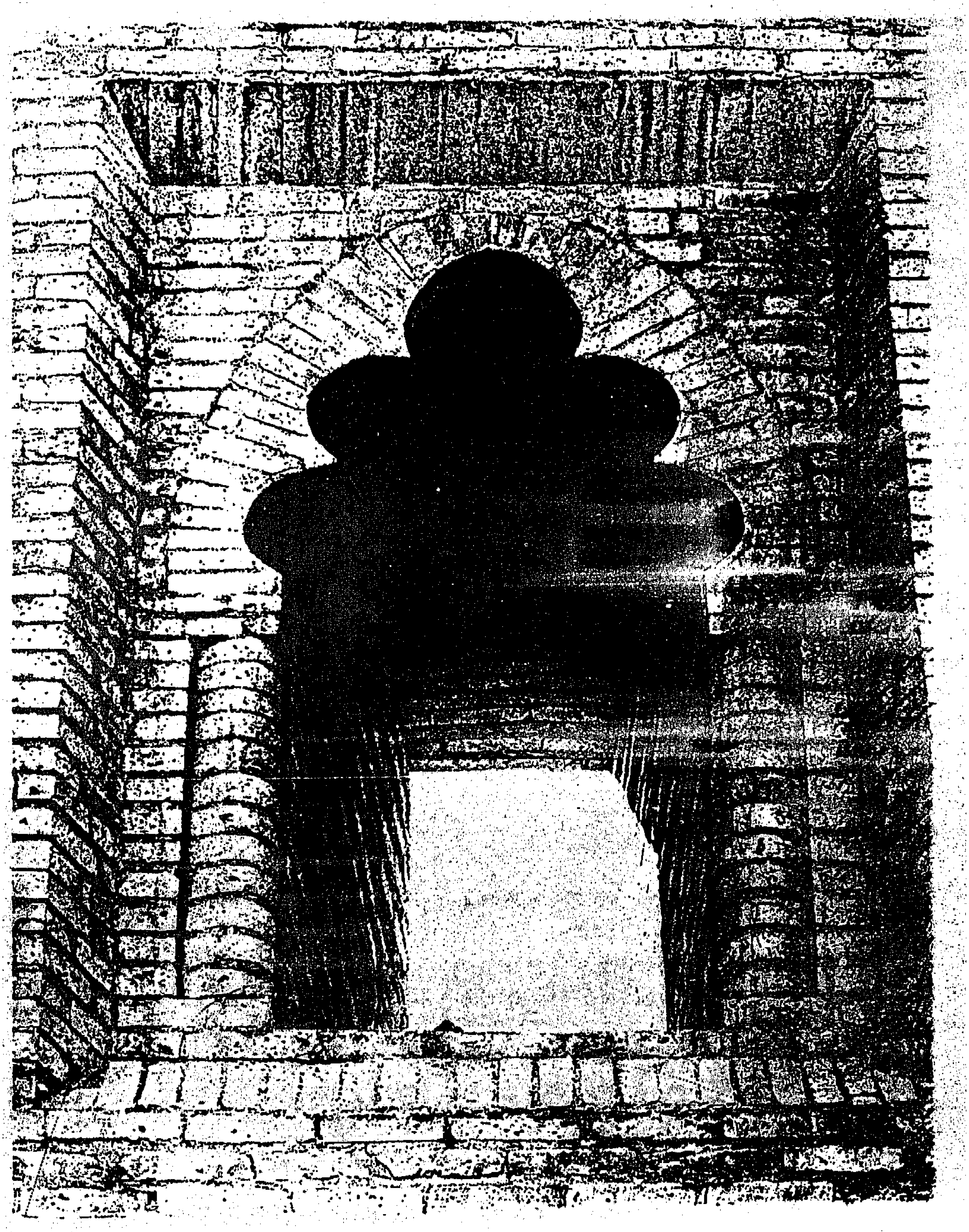

لوحة (٣) نافذة من جدار القبلة فى جامع سامراء عن د. عيسى سلمان.

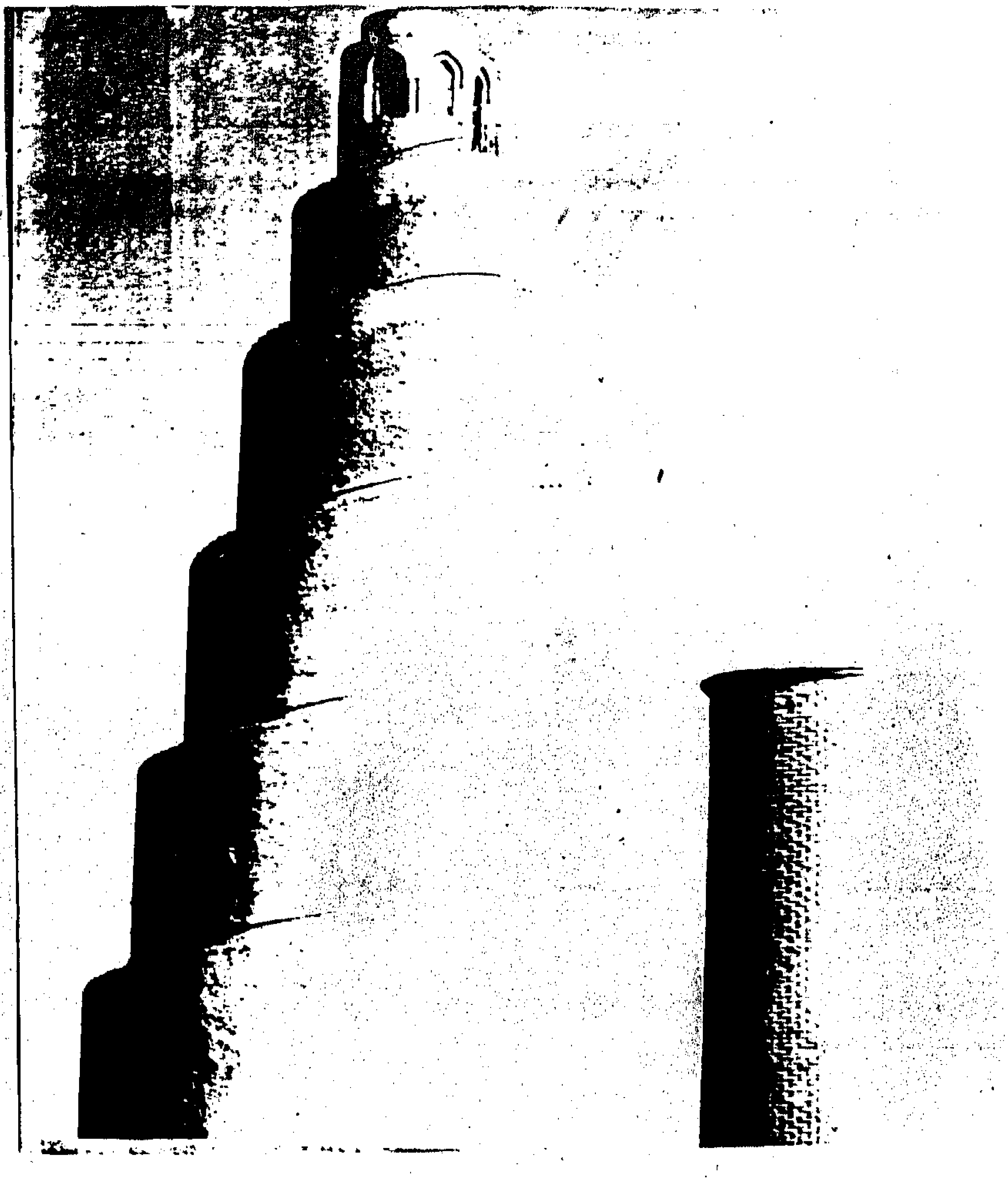

لوحة (٤) ملوية جامع سامرا

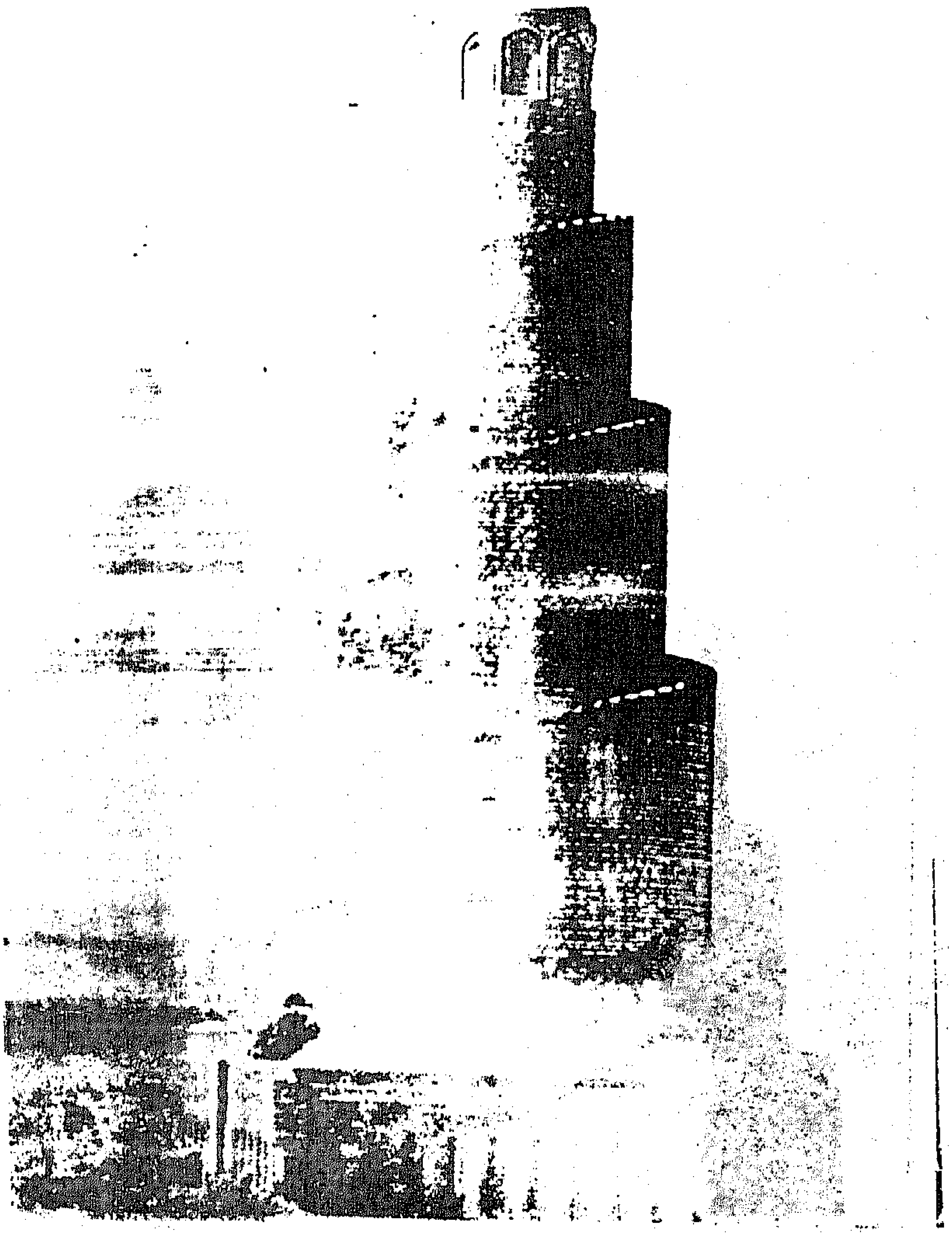

(رسم (٥) مئذنة جامع أبي دلف)

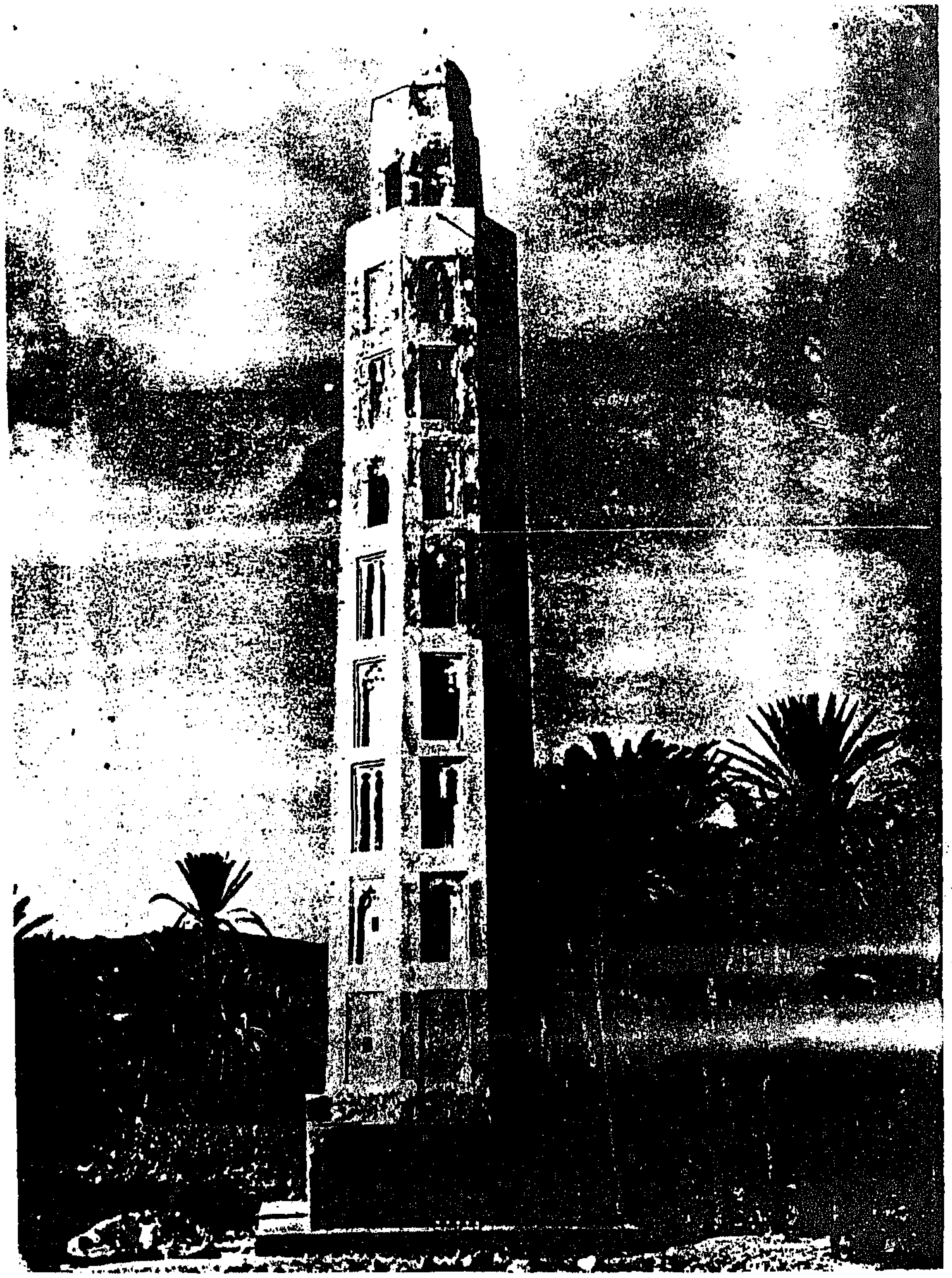

لوحة (٦) مئذنة عنه عن د. عيسى سلمان

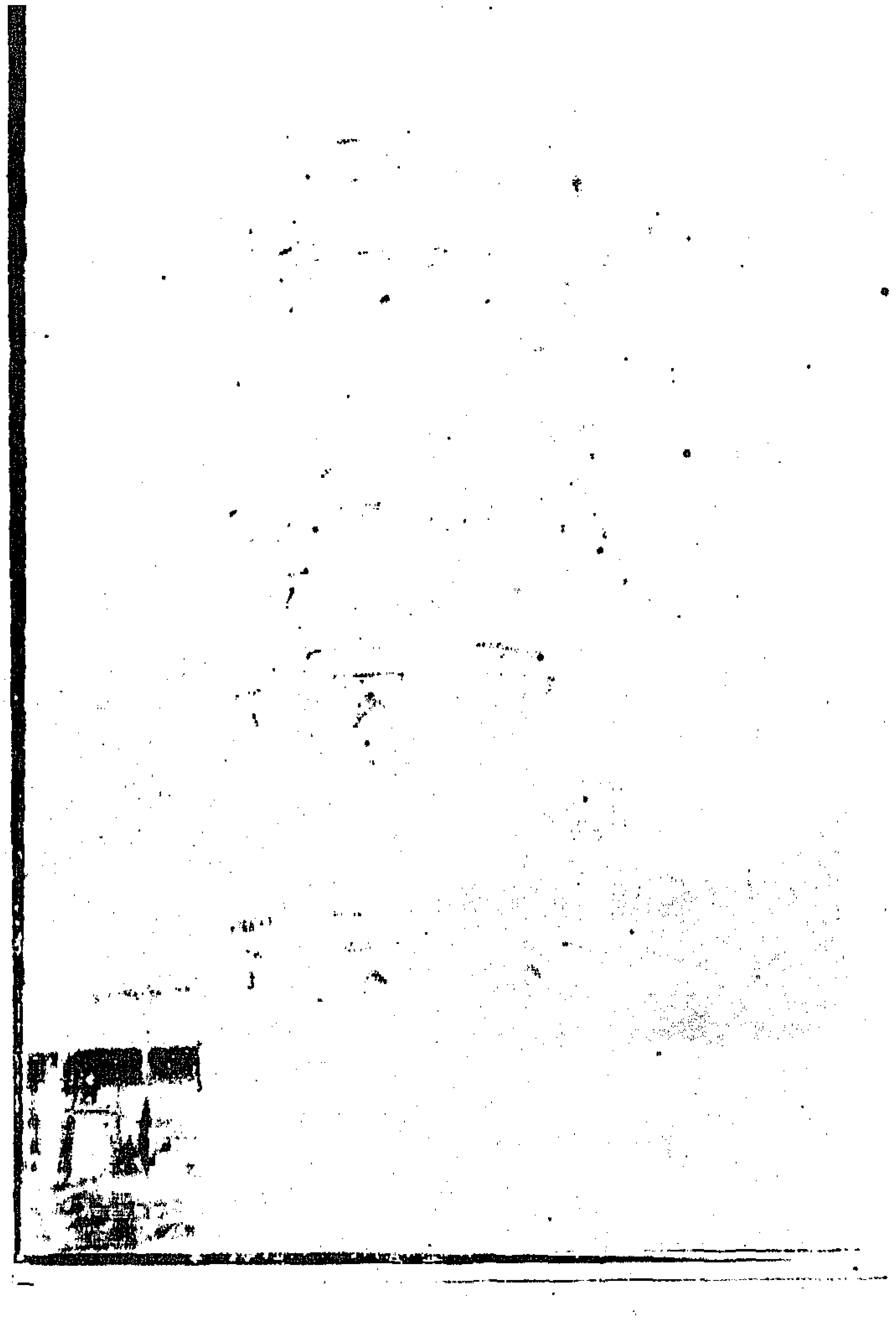

لوحة (٧) مئذنة سنجار عن د. عيسى سلمان .

لوحة (٨) الجامع النورى.

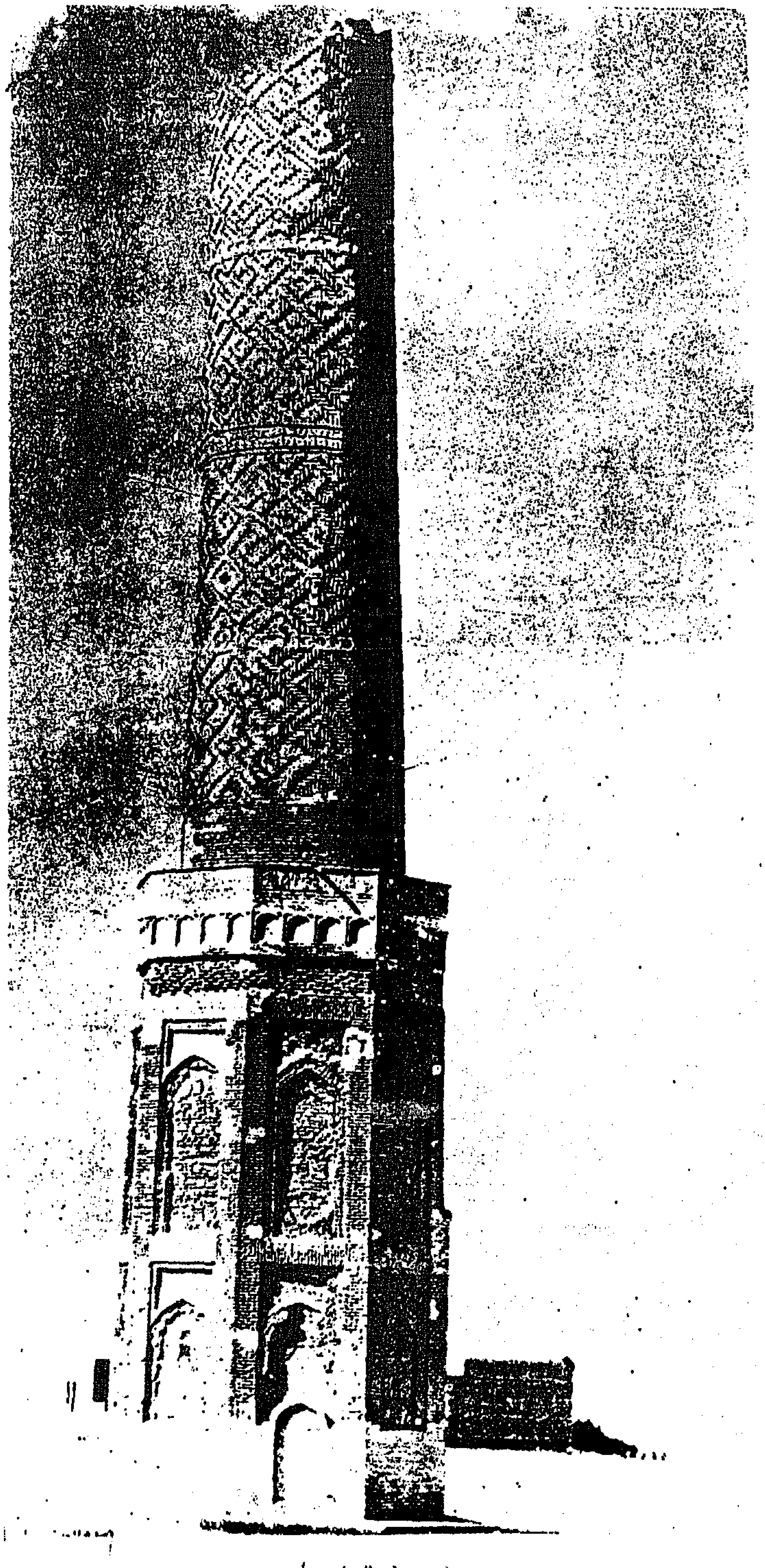

لوحة (٩) مئذنة اربيل.

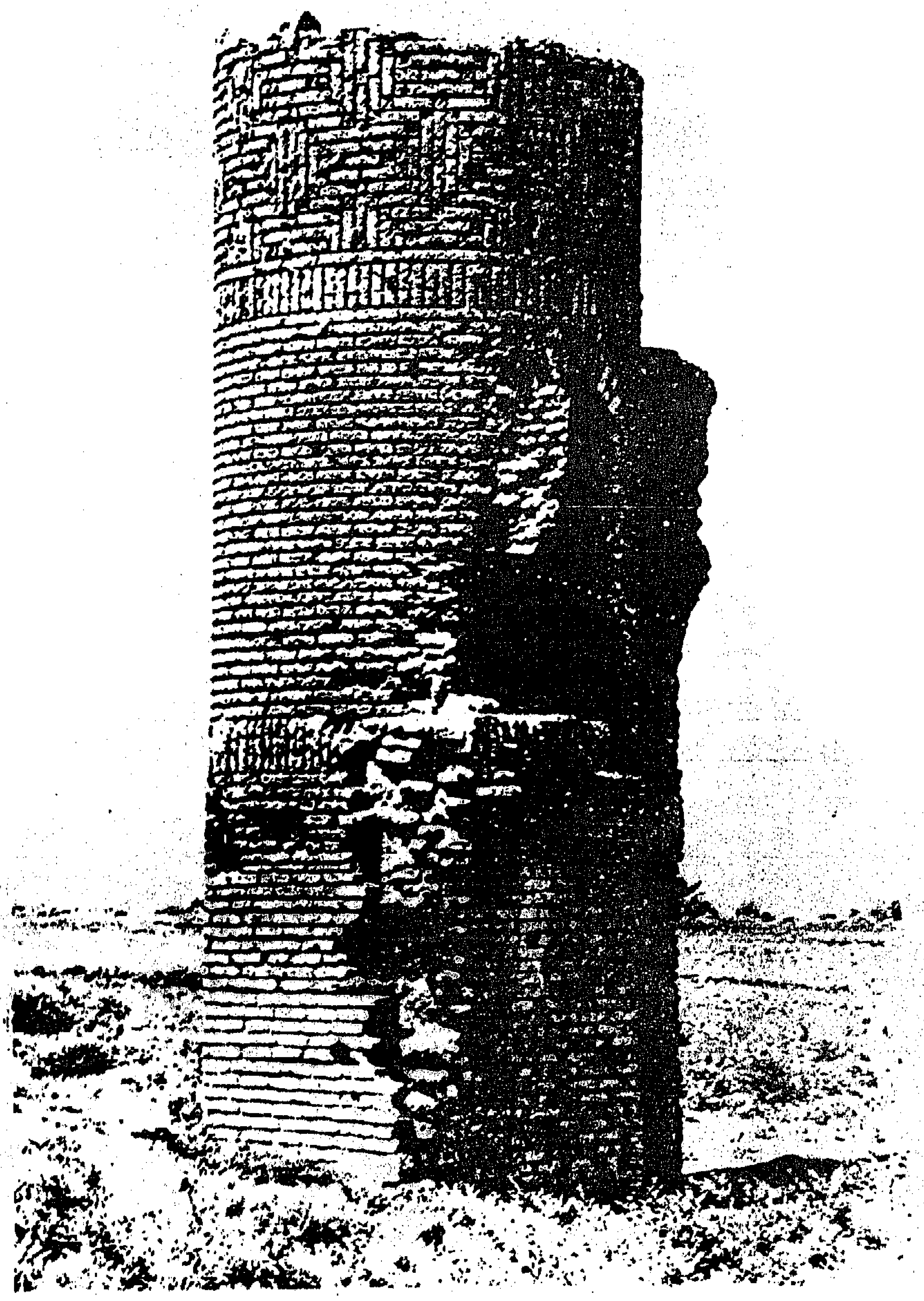

لوحة (١٠) مئذنة المكيطيمة.

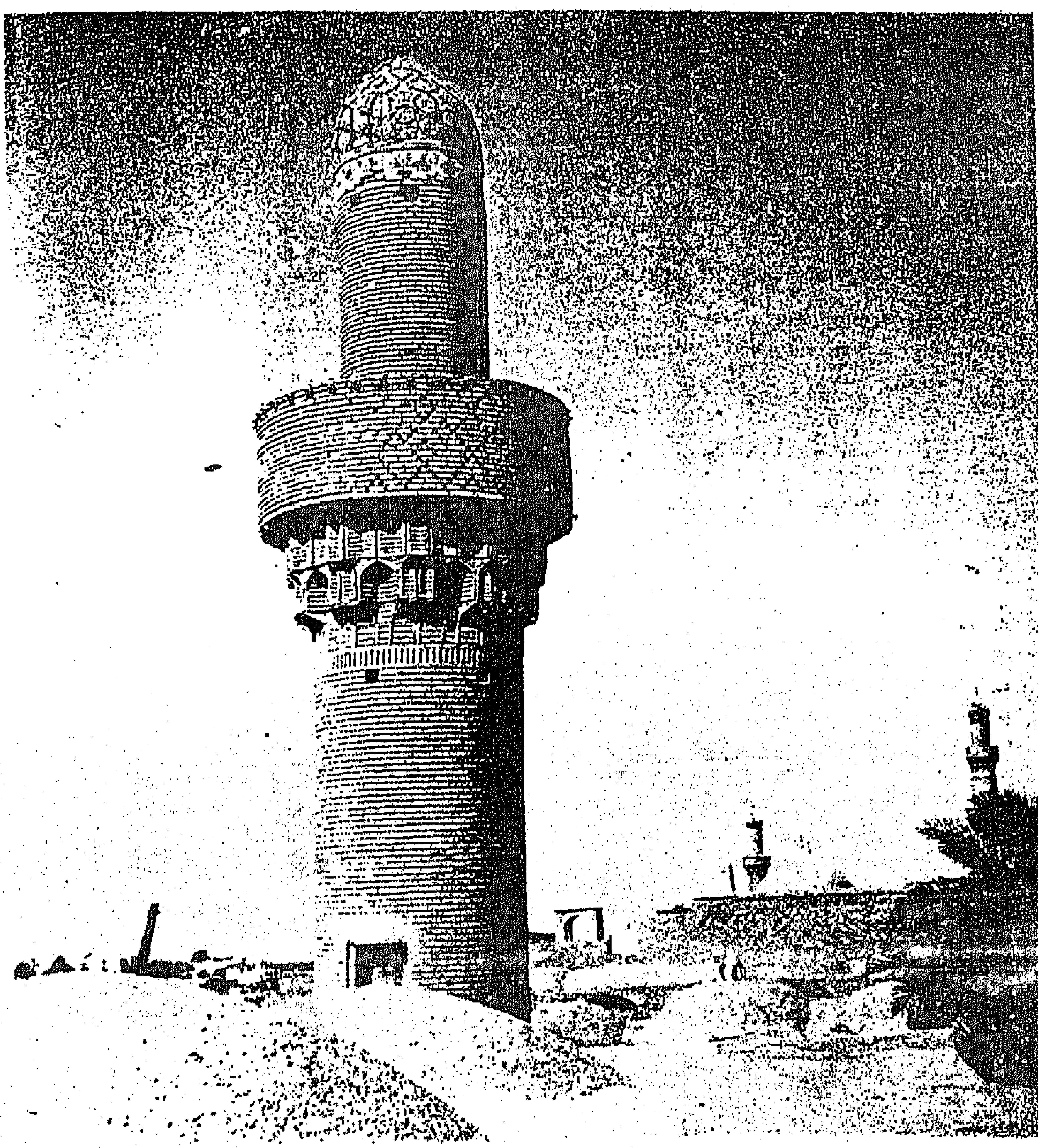

لوحة (١١) مئذنة جامع الخفافين.

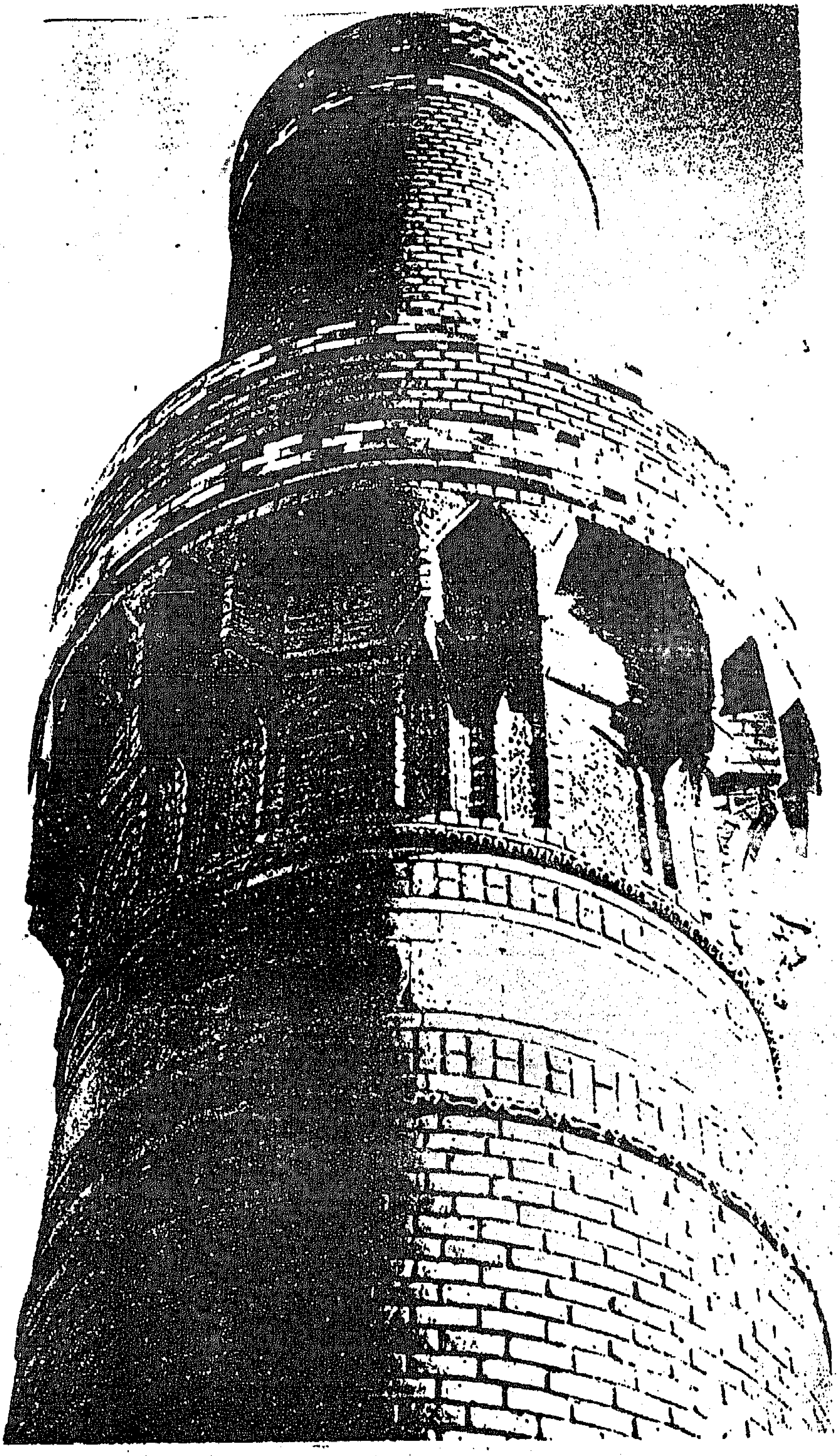

لوحة (١٢) مئذنة مسجد الجنائز.

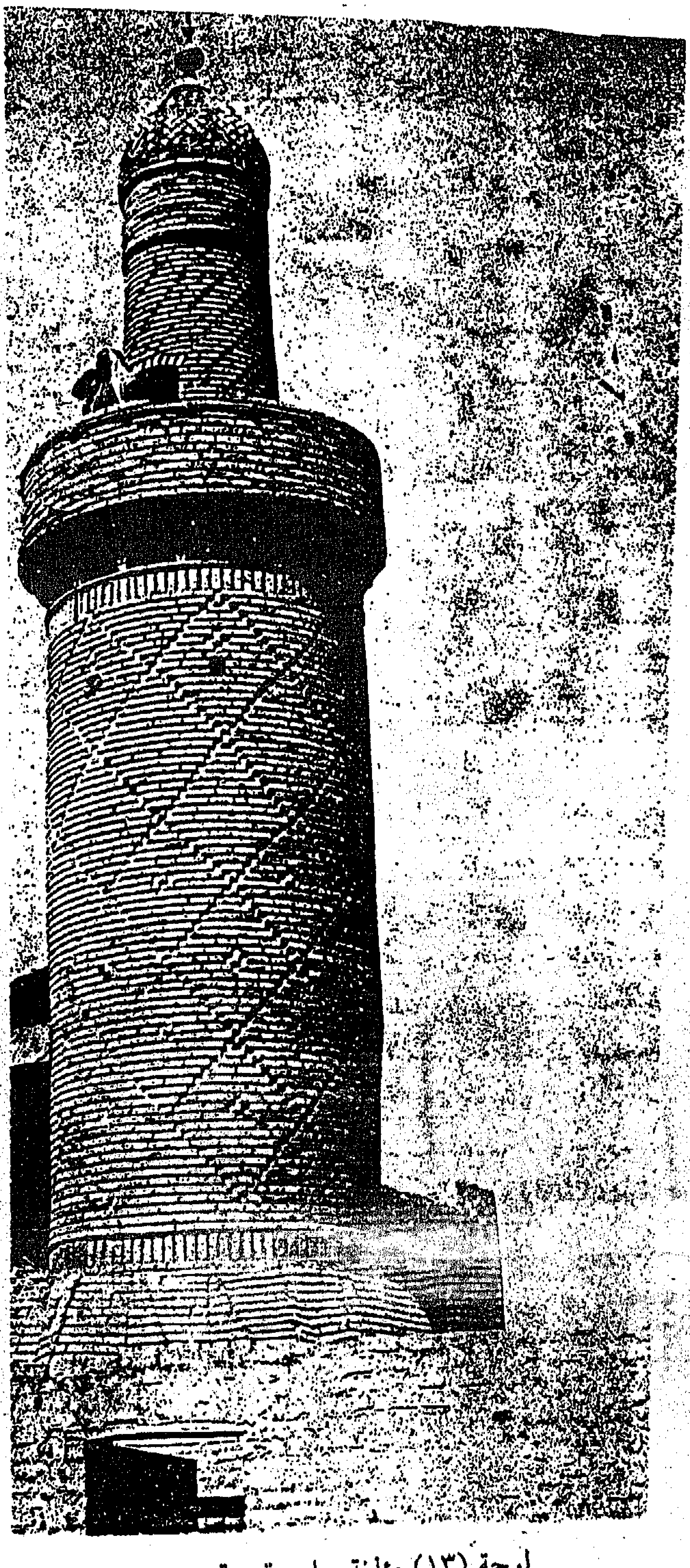

لوحة (١٣) مئذنة جامع قمرية.

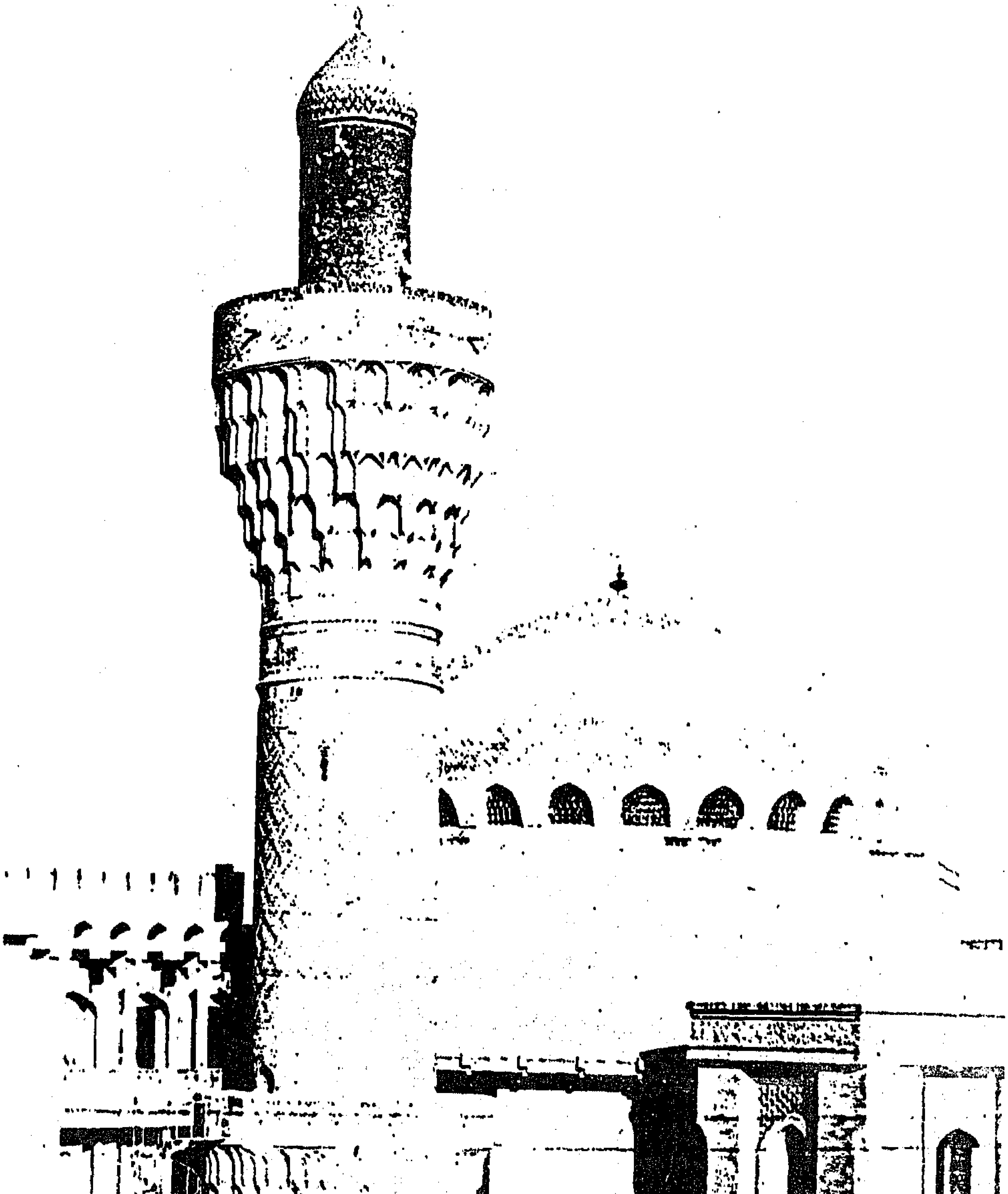

لوحة (١٤) مئذنة جامع الخلفاء.

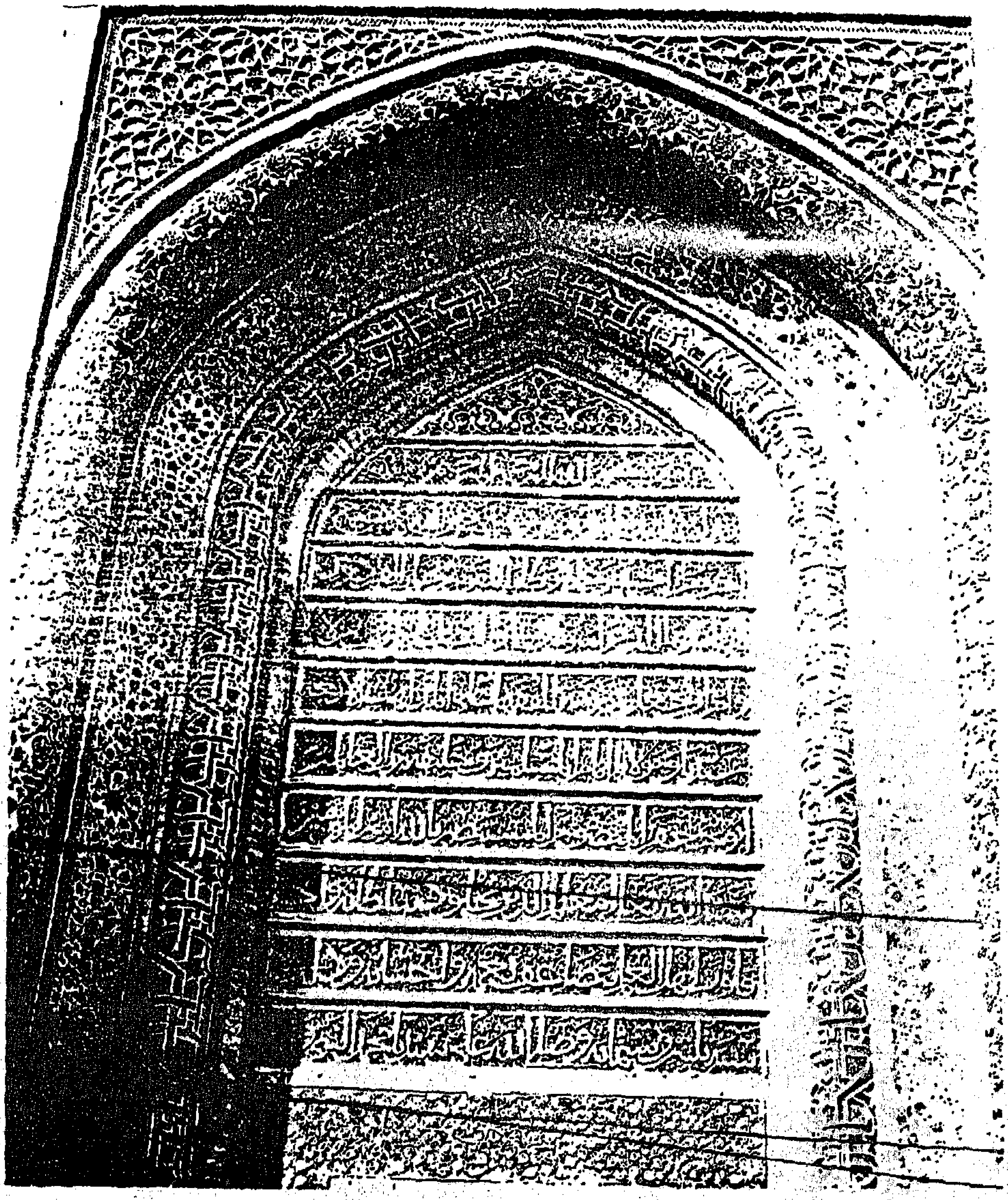

لوحة (١٥) تشكيلات زخرفية وكتابات مدخل المدرسة المستنصرية.

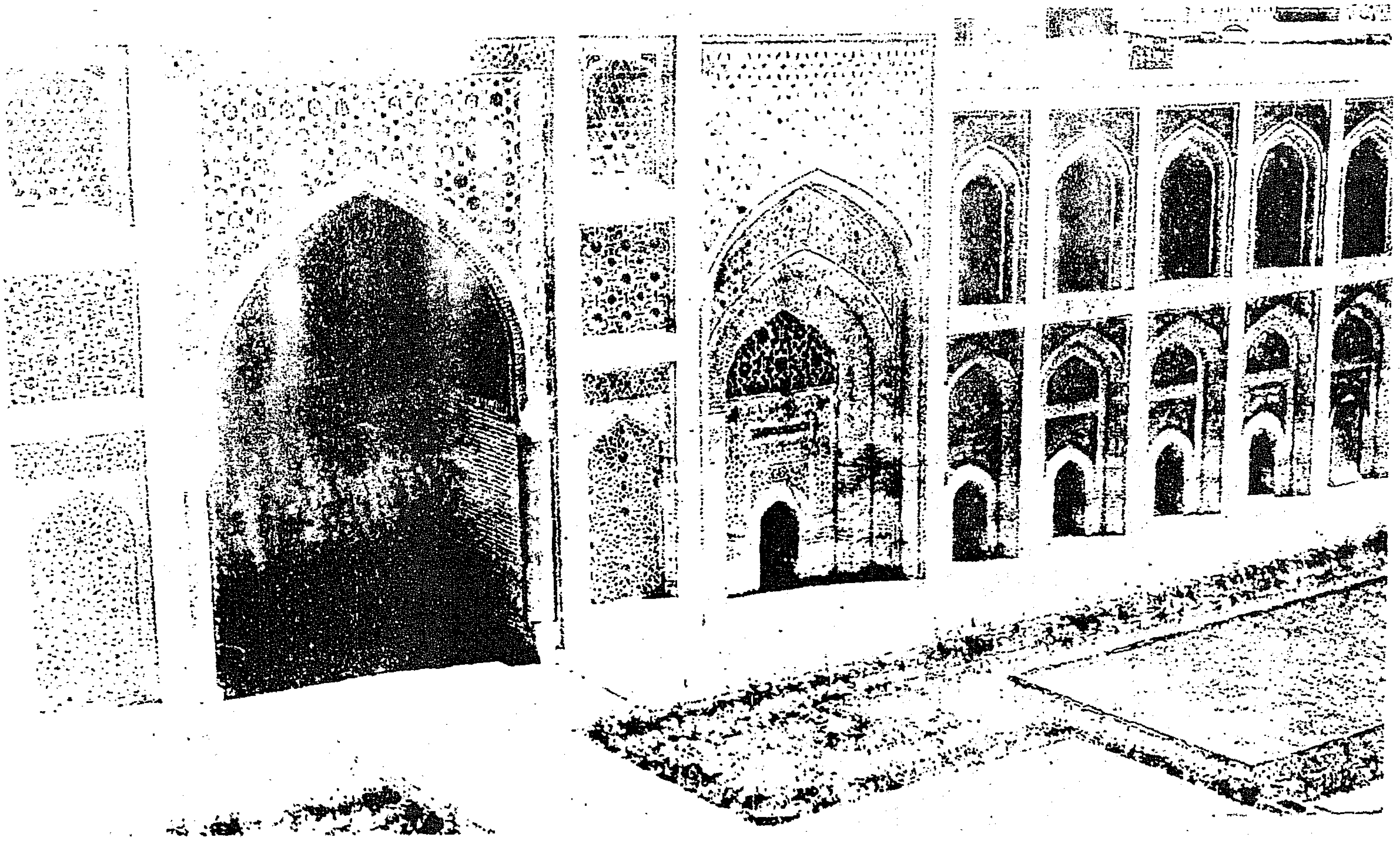

لوحة (١٦) واجهة المدخل على الفناء في المدرسة المستنصرية.

لوحة (١٧) الايوان الشمالى.

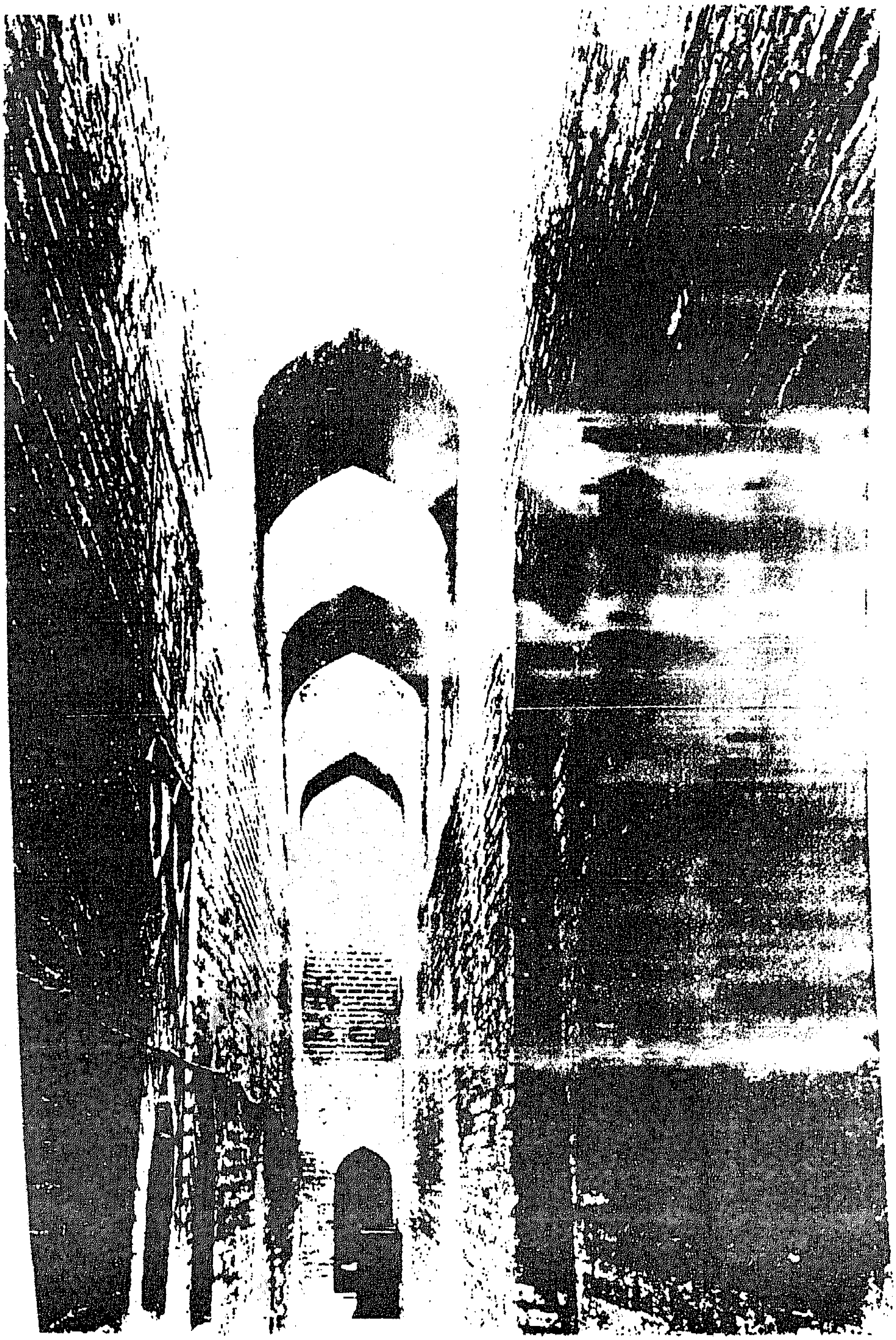

لوحة (١٨) الرواق أمام القاعات الكبيرة

لوحة (١٩) قبة ضريح الامام الدرى عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٢٠) قبة ضريح زمرد خاتون عن عطا الحديثي وهناء عبد الخالق.

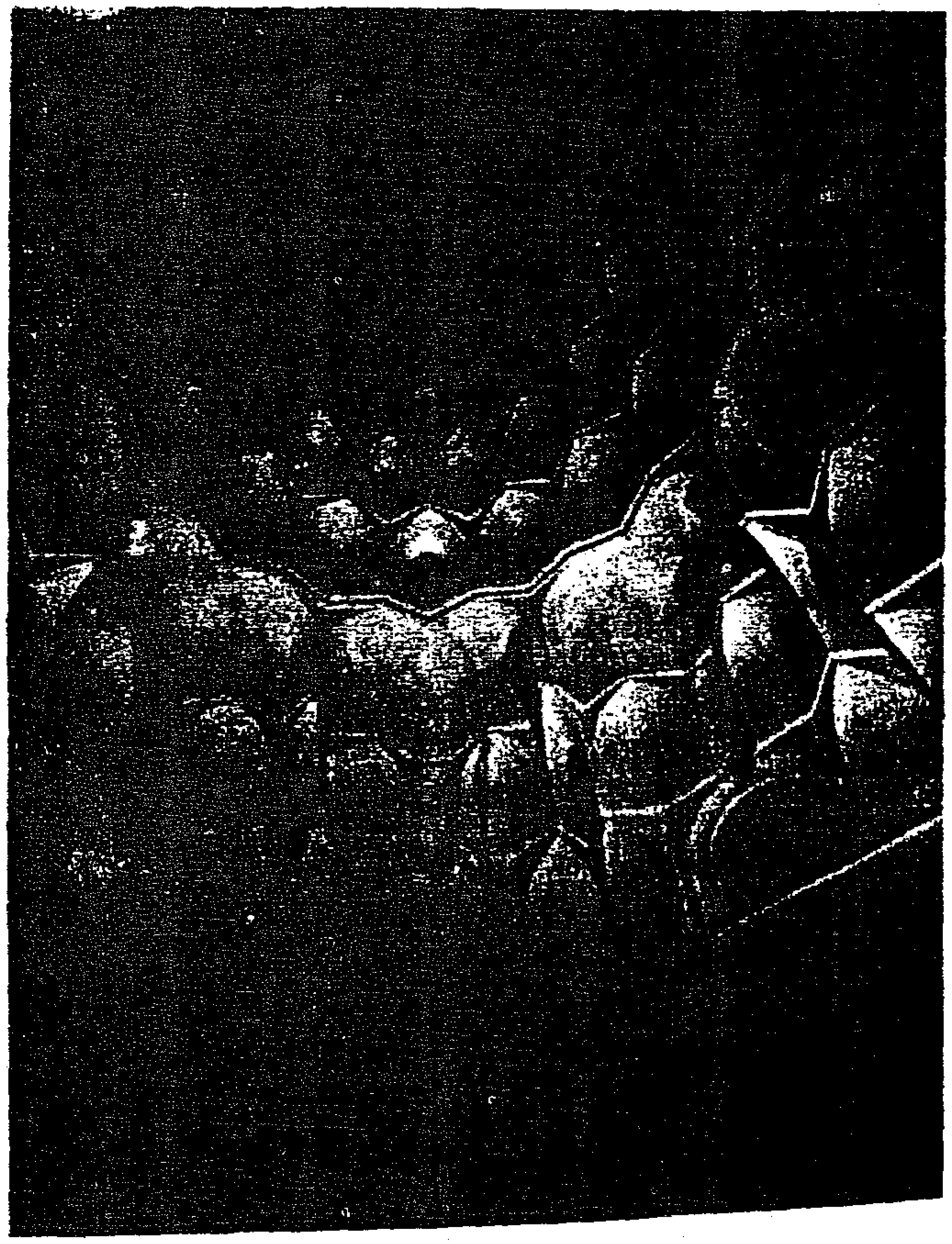

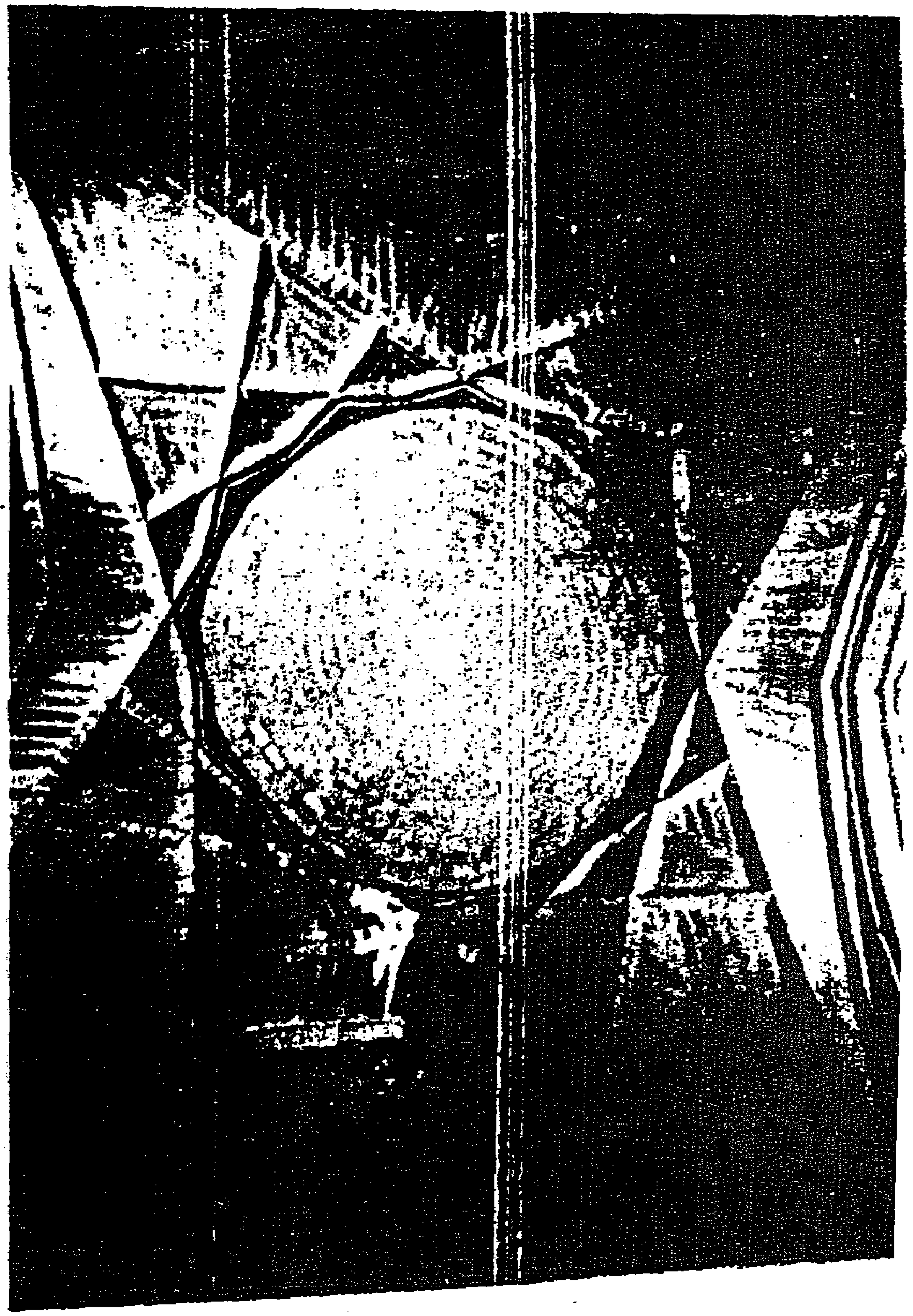

لوحة (٢١) تفاصيل من قبة ضريح زمرد خاتون عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

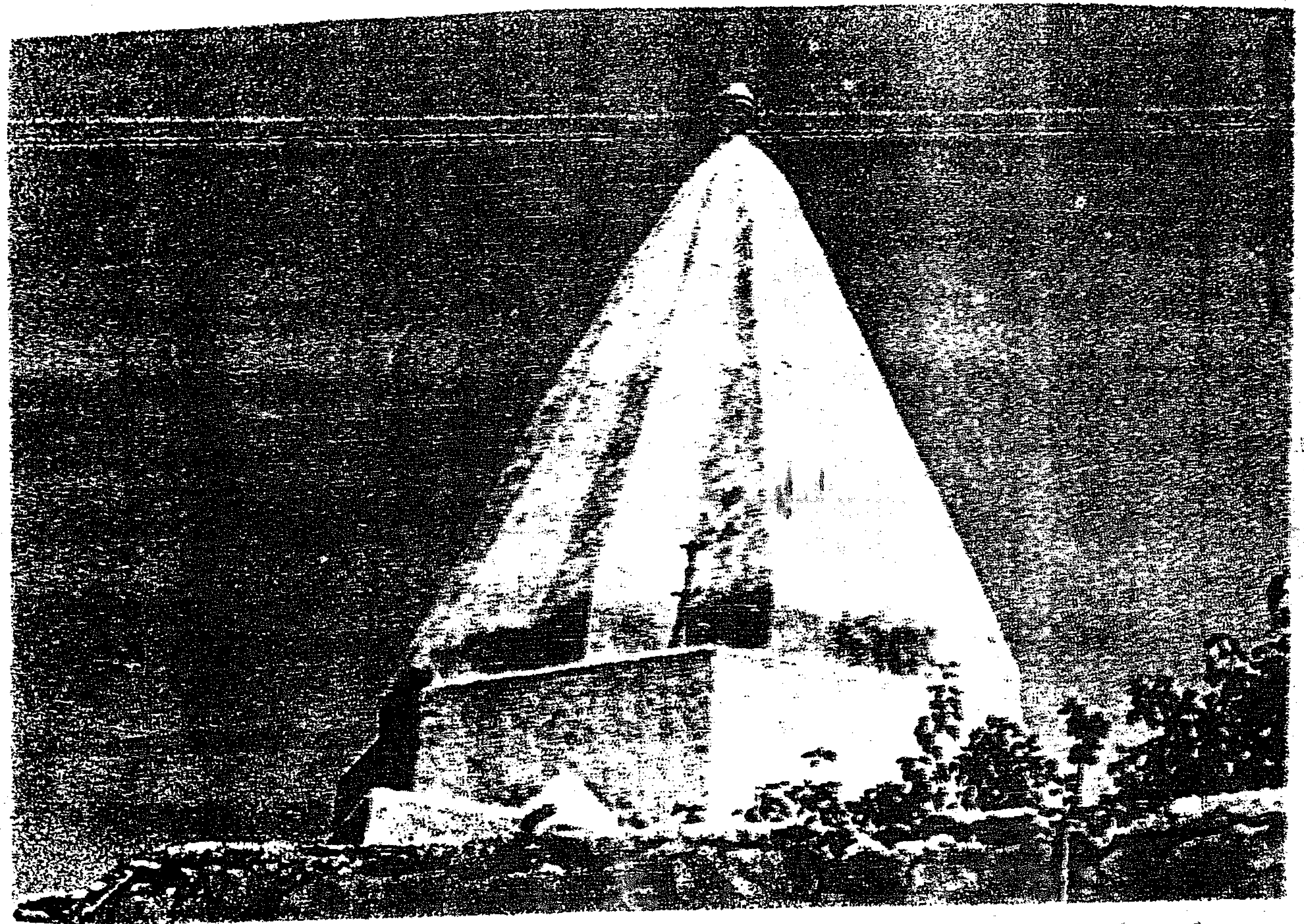

لوحة (٢٣) قبة الامام عبد الرحمن عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

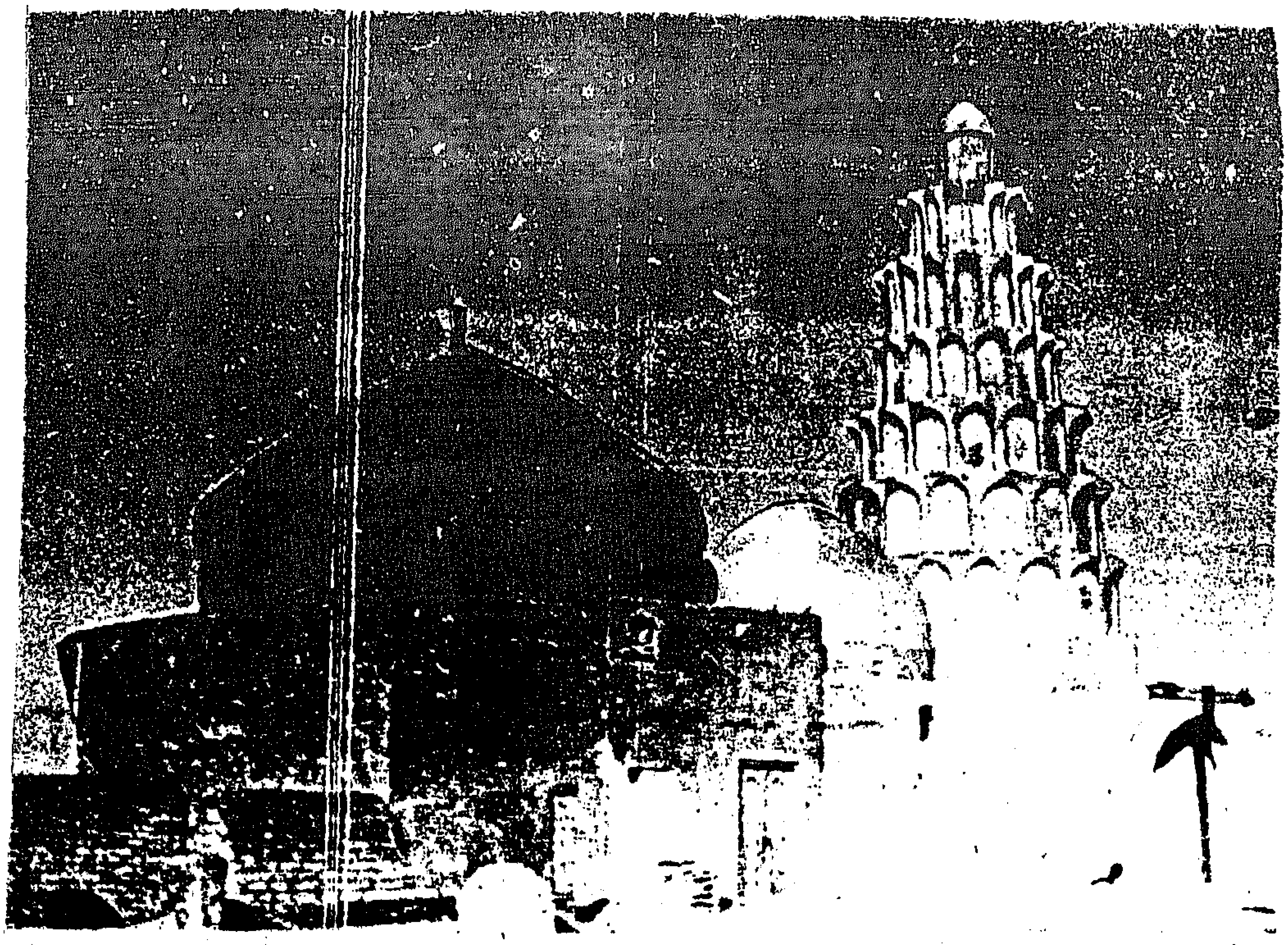

لوحة (٢٣) ضريح الحسن البصرى عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

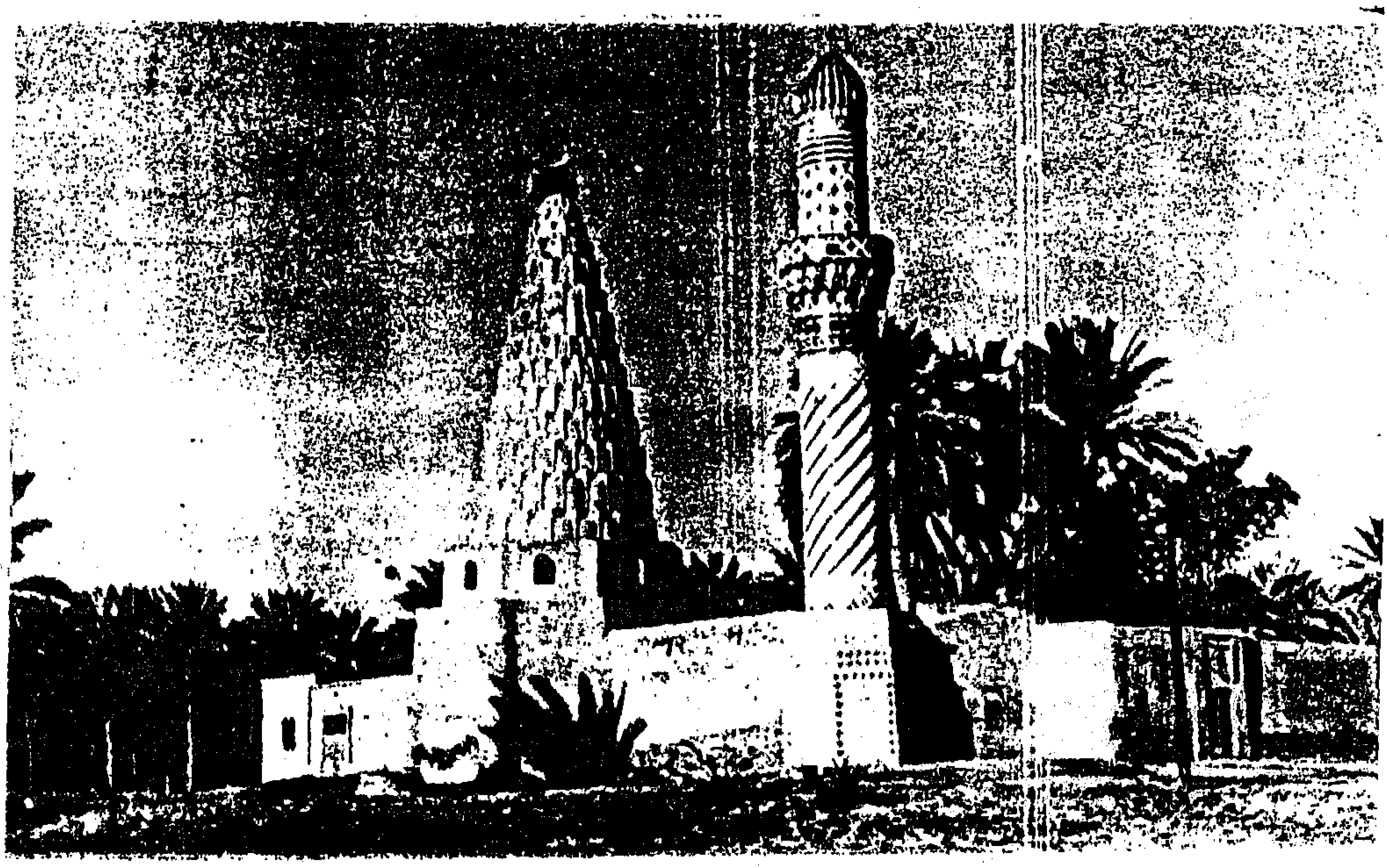

لوحة (٢٤) قبة مشهد الشمس عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق

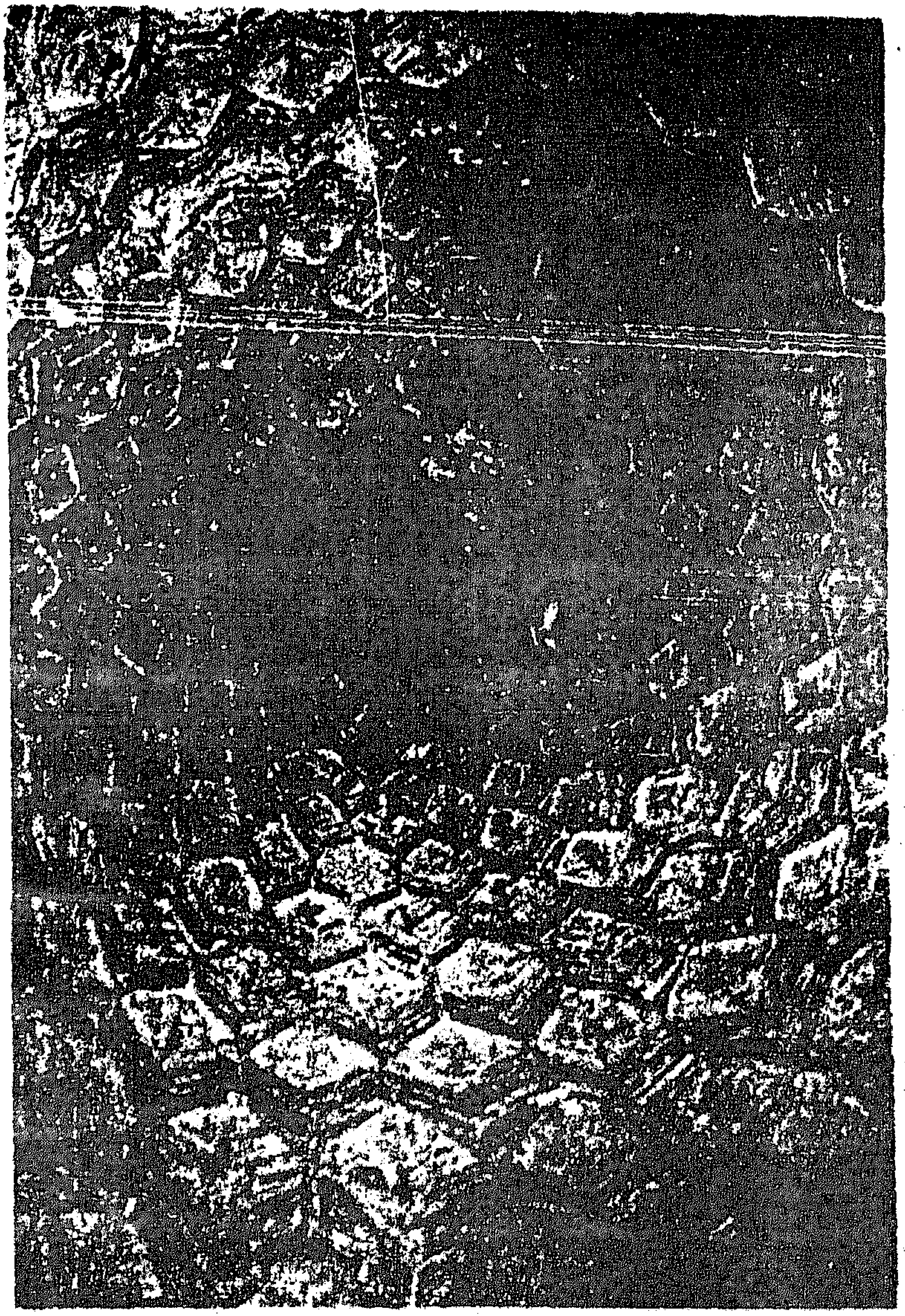

لوحة (٢٥) تفاصيل من قبة مشهد الشمس عن عطا الحديثي وهناء عبد الخالق.

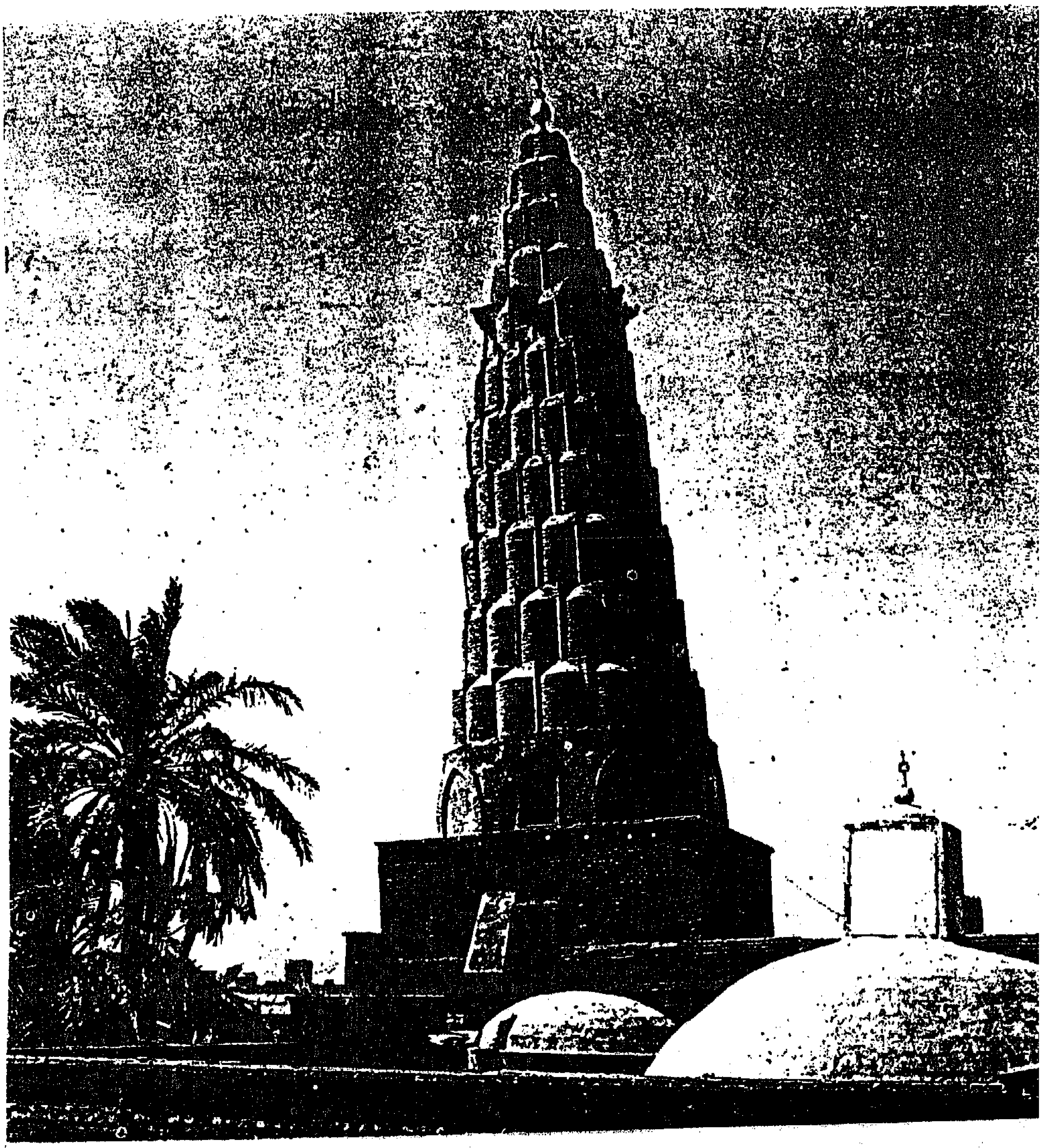

لوحة (٢٦) قبة ضريح السهروردى عن د. عيسى سلمان.

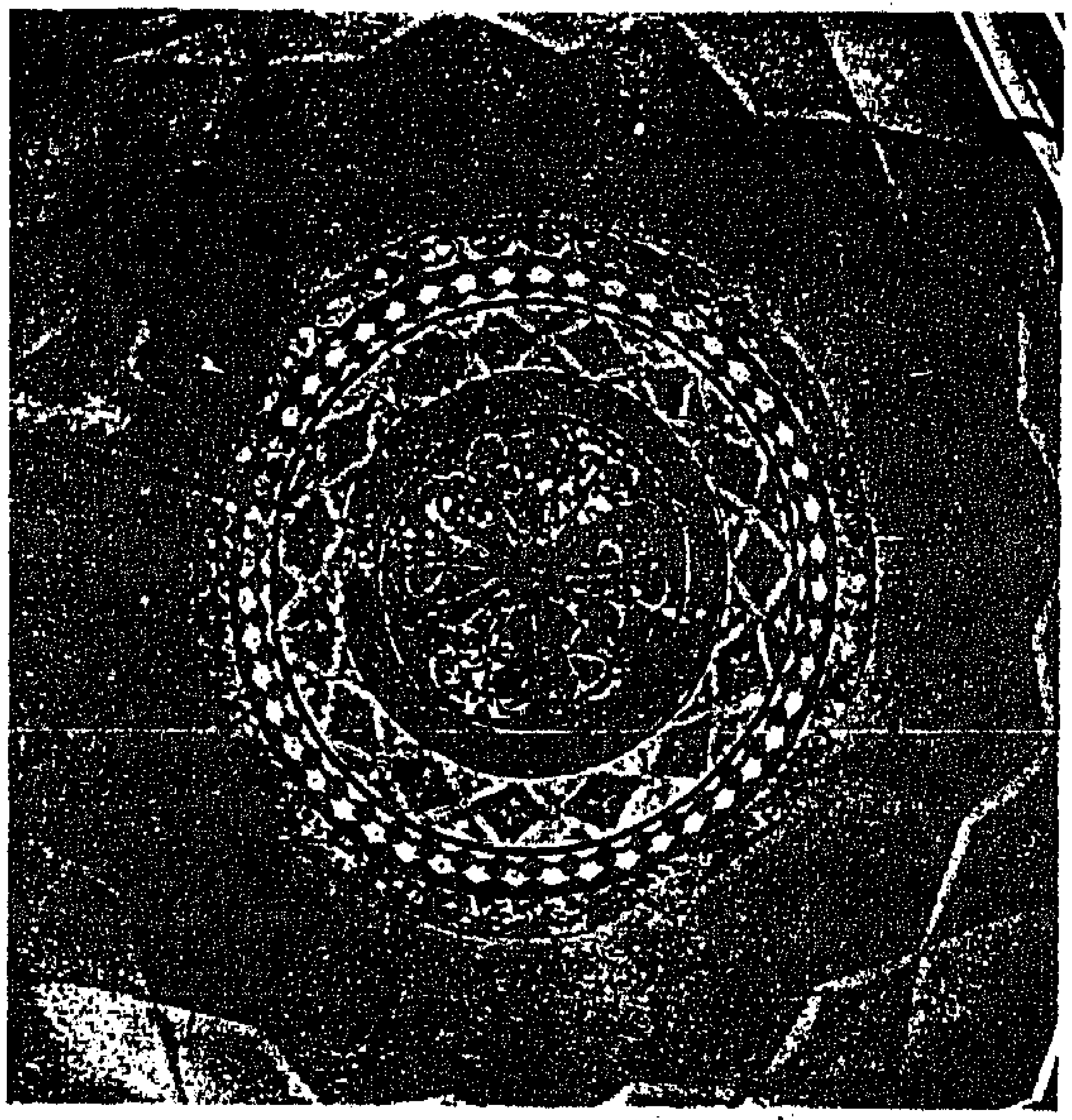

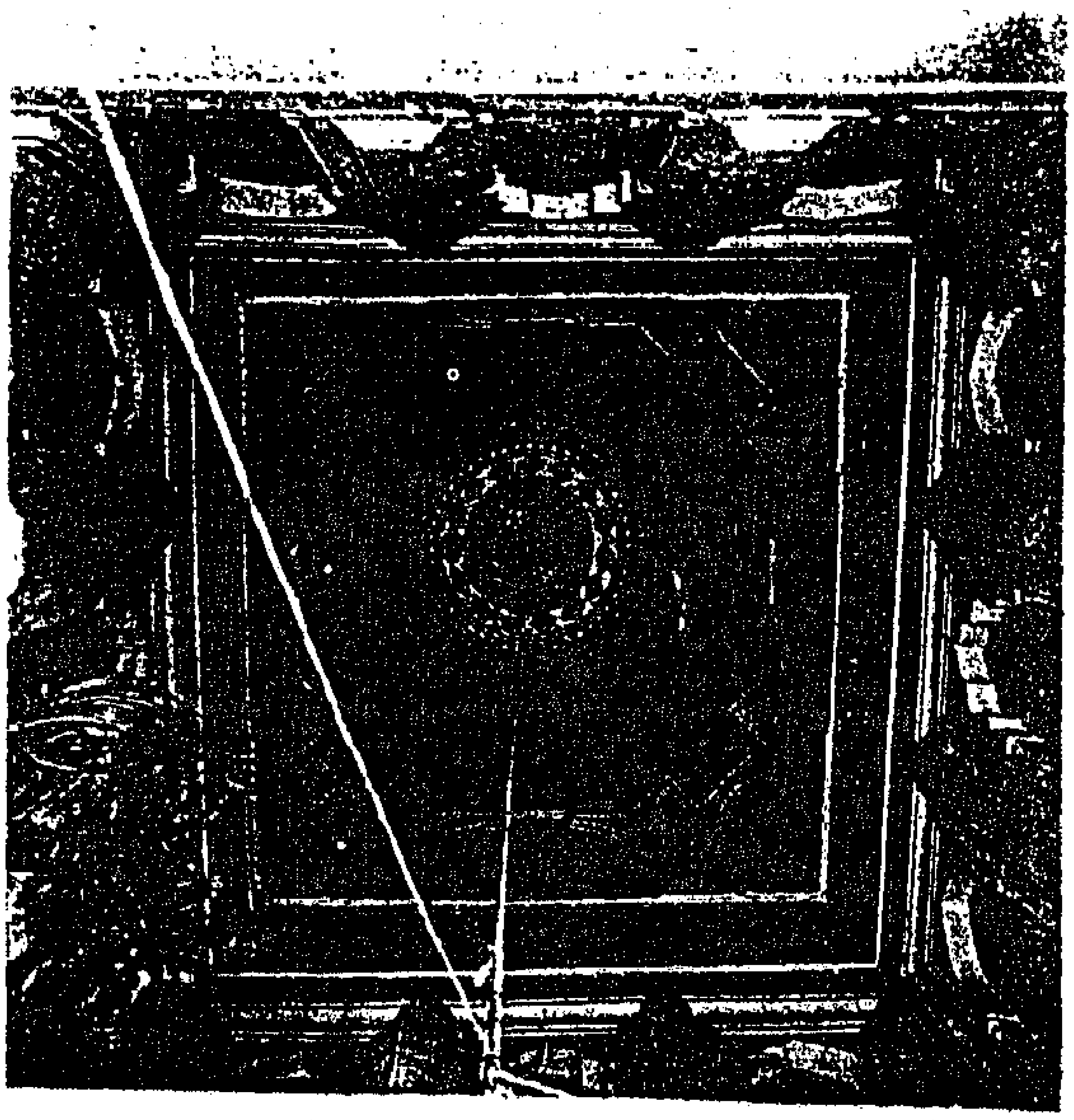

لوحة (٢٧) تشكيلات زخرفية من الداخل عن د. عيسى سلمان.

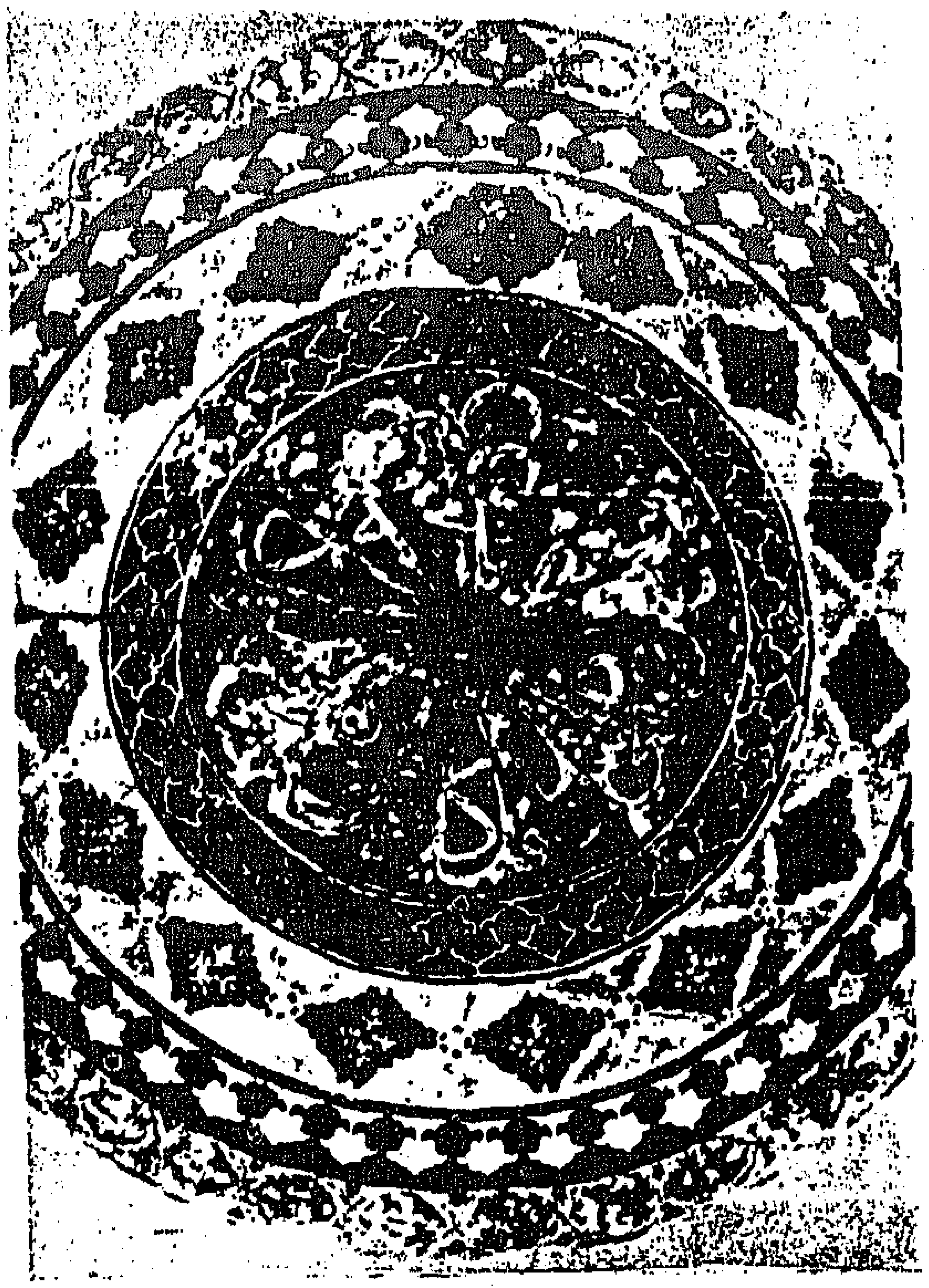

لوحة (٢٨) تفاصيل زخرفية بالقبة عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

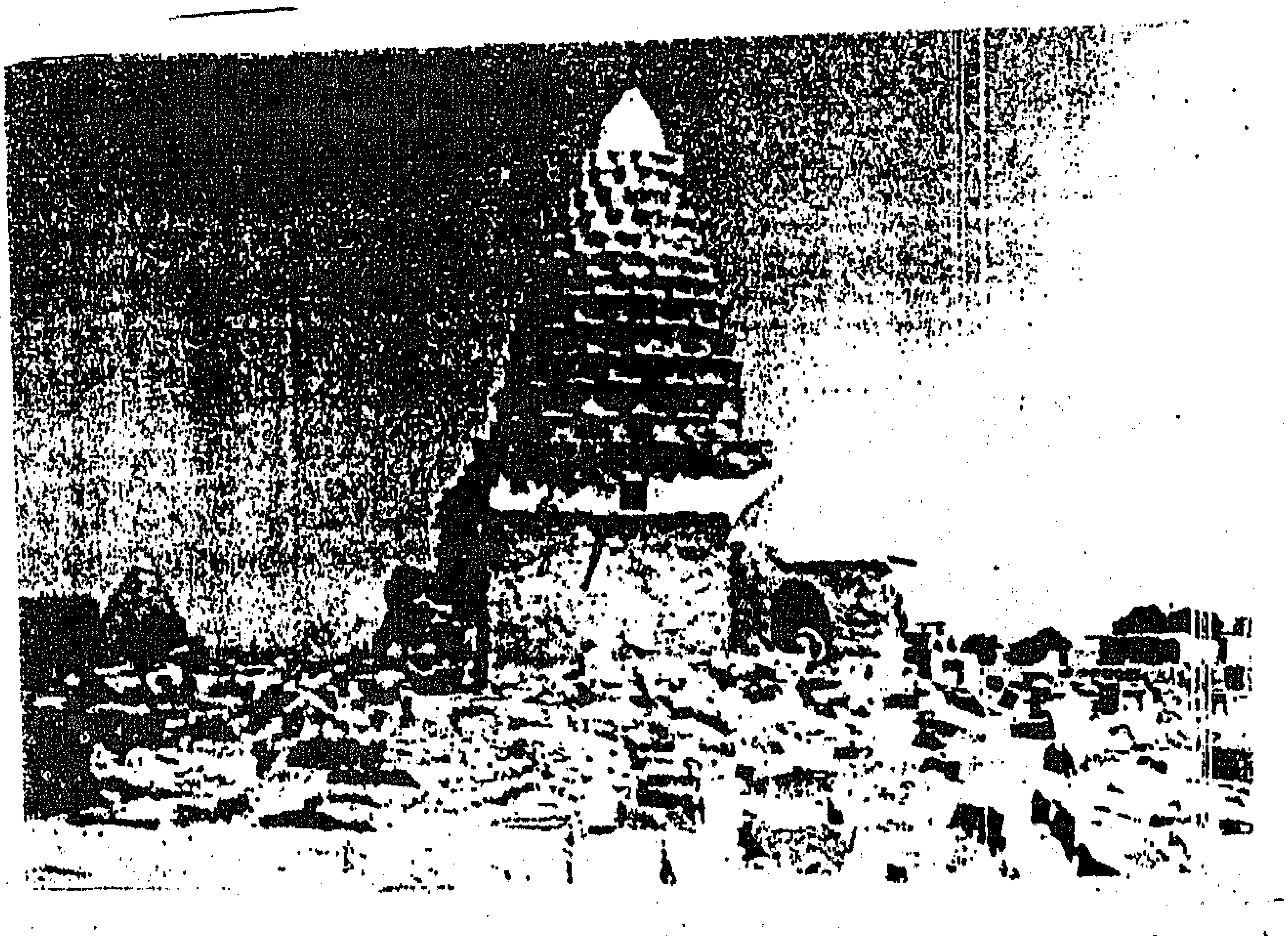

لوحة (٢٩) قبة ضريح الامام الباقر عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

لوحة (٣٠) ضريح يحيى بن القاسم عن د. عيسى سلمان.

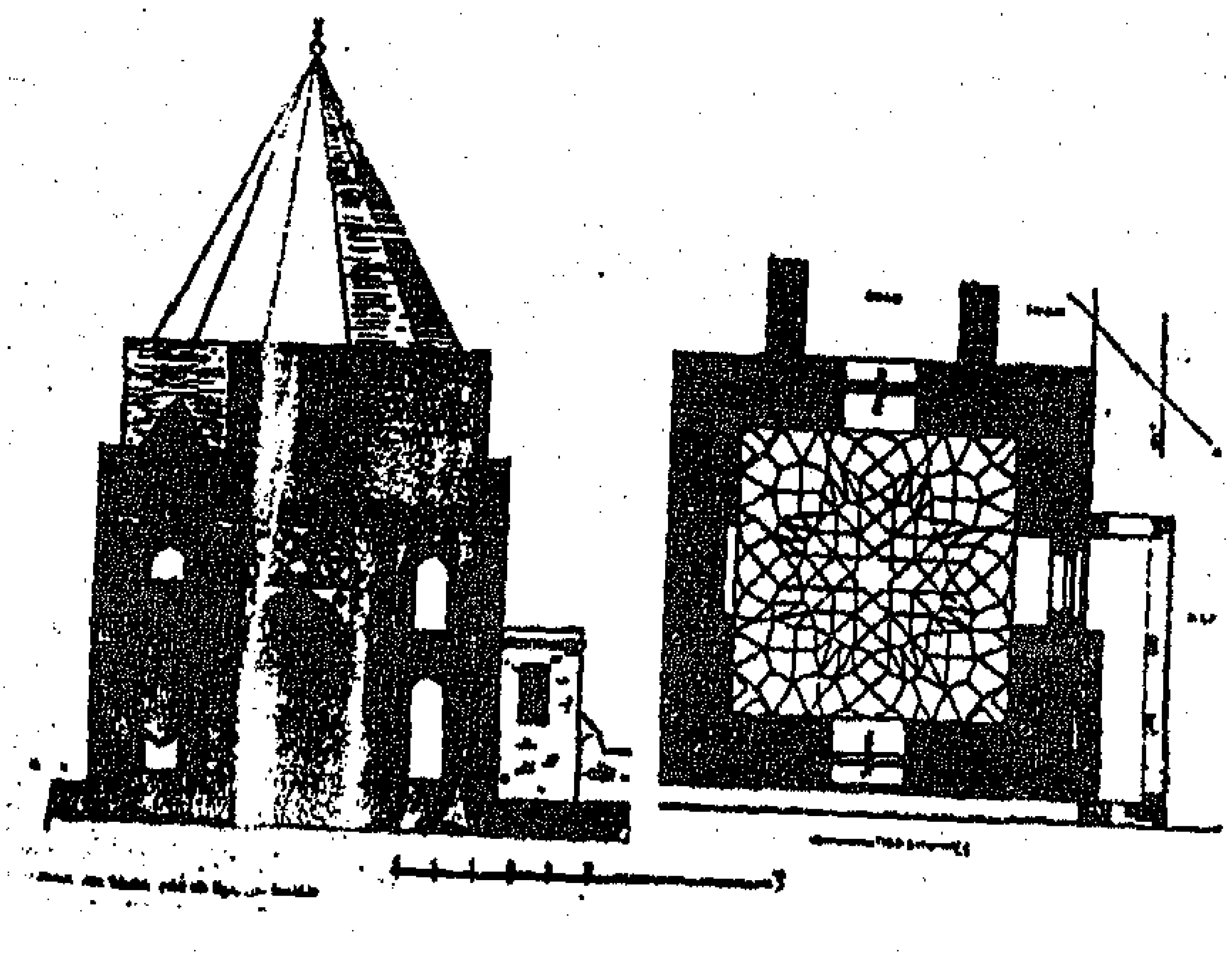

لوحة (٣١) مخطط ضريح يحيى بن القاسم عن د. عيسى سلمان.

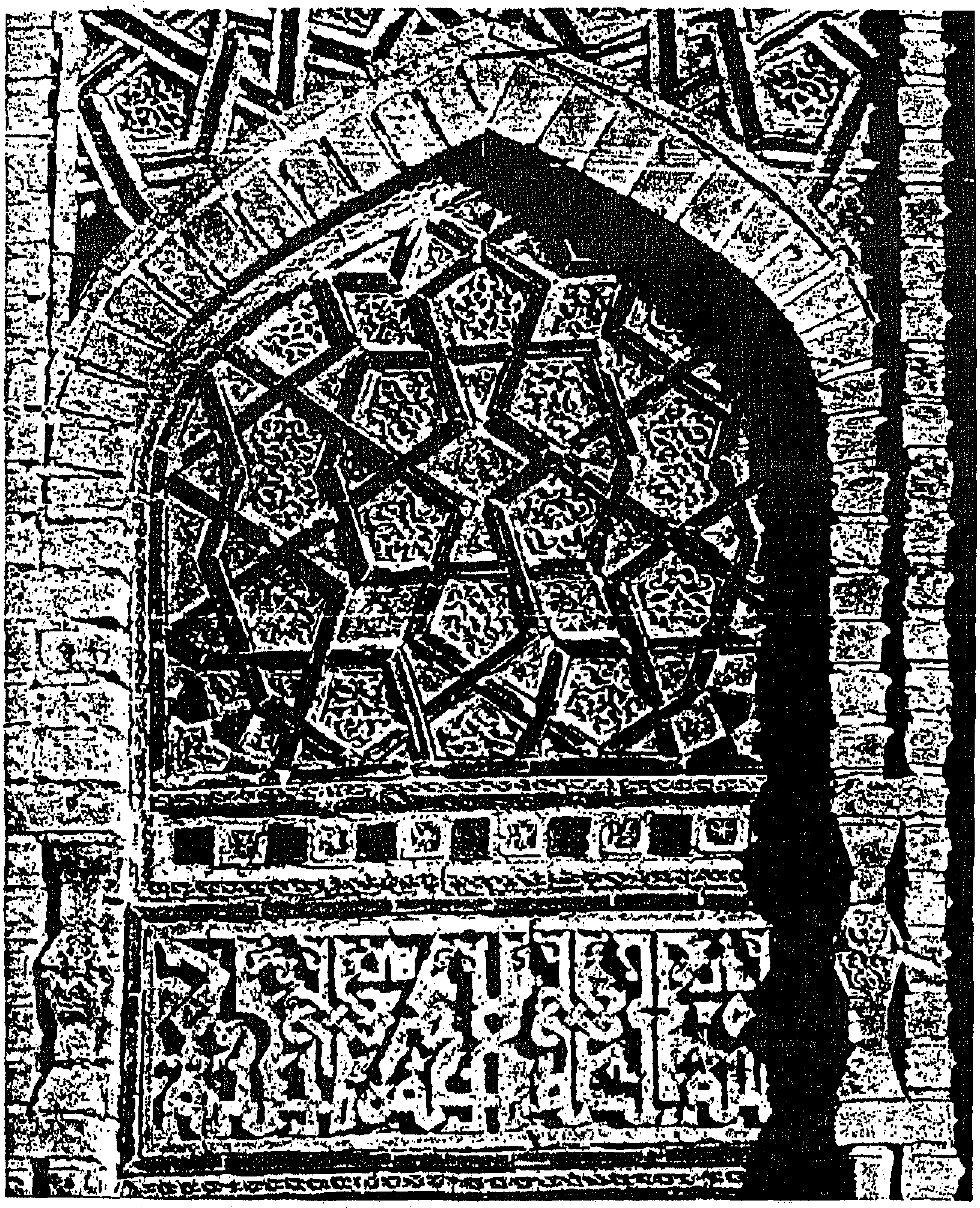

لوحة (٣٢) تفاصيل من زخارف الضريح عن د. عيسى سلمان.

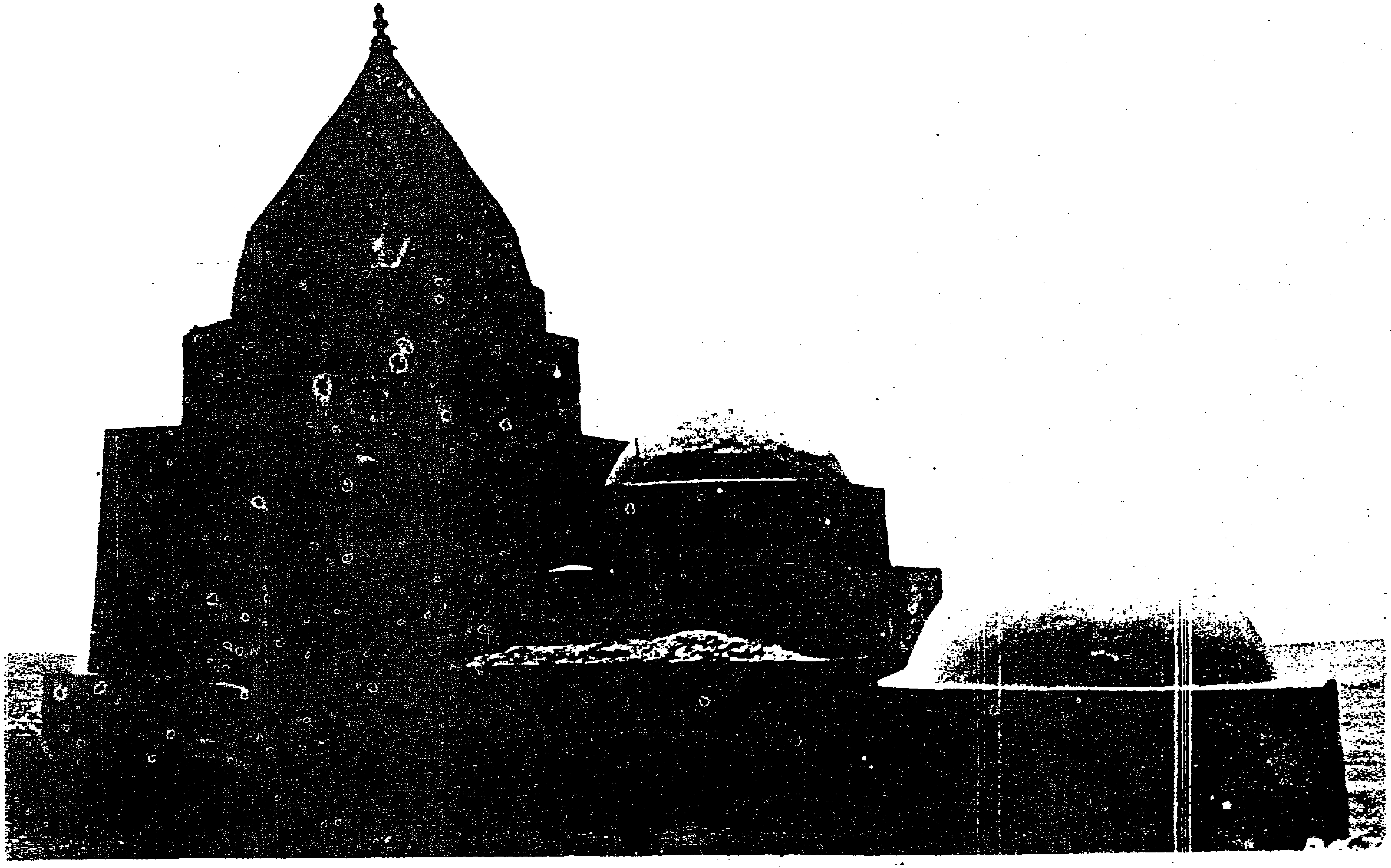

لوحة (٣٣) ضريح الست زينب عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

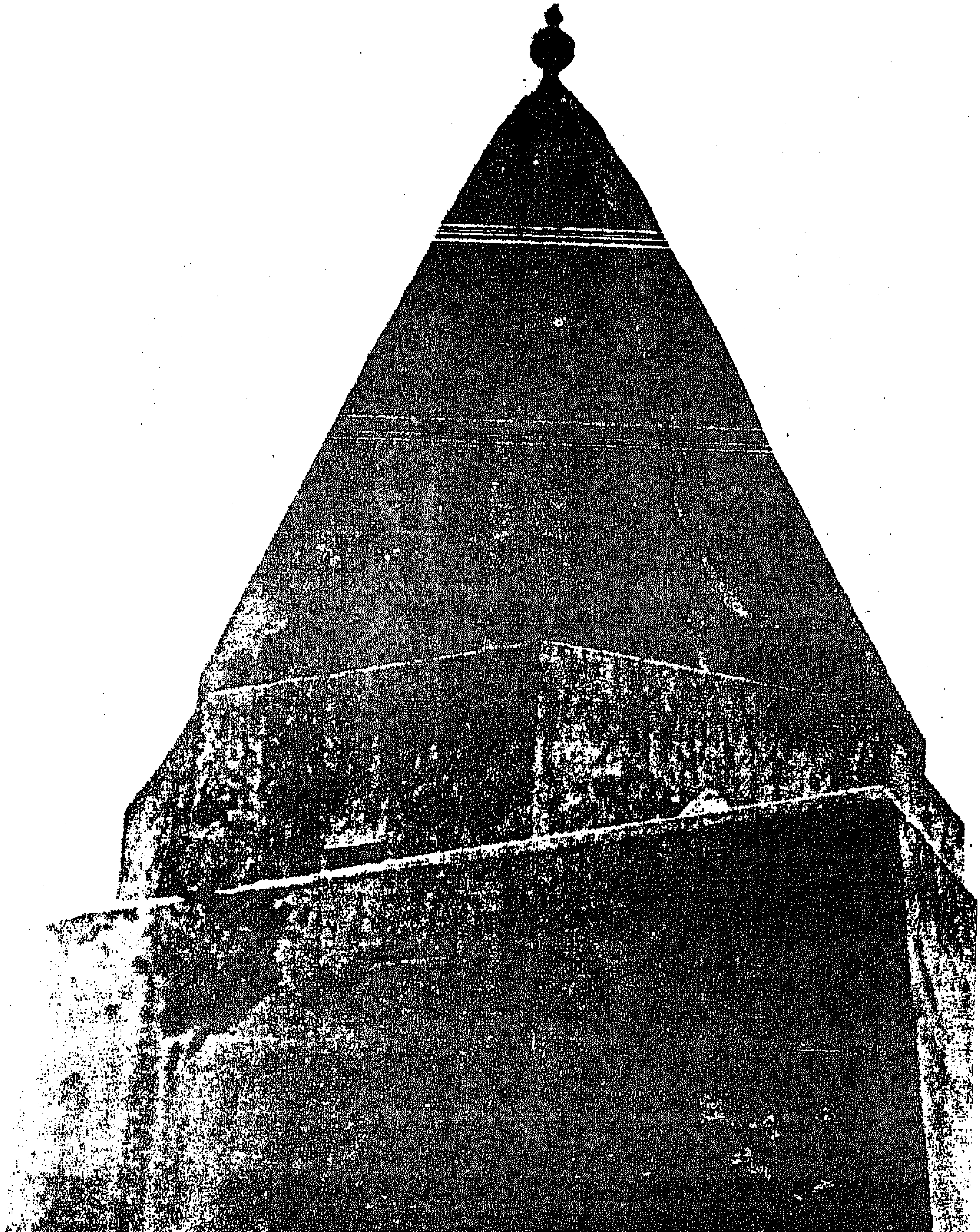

لوحة (٣٤) مشهد الامام عون الدين عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

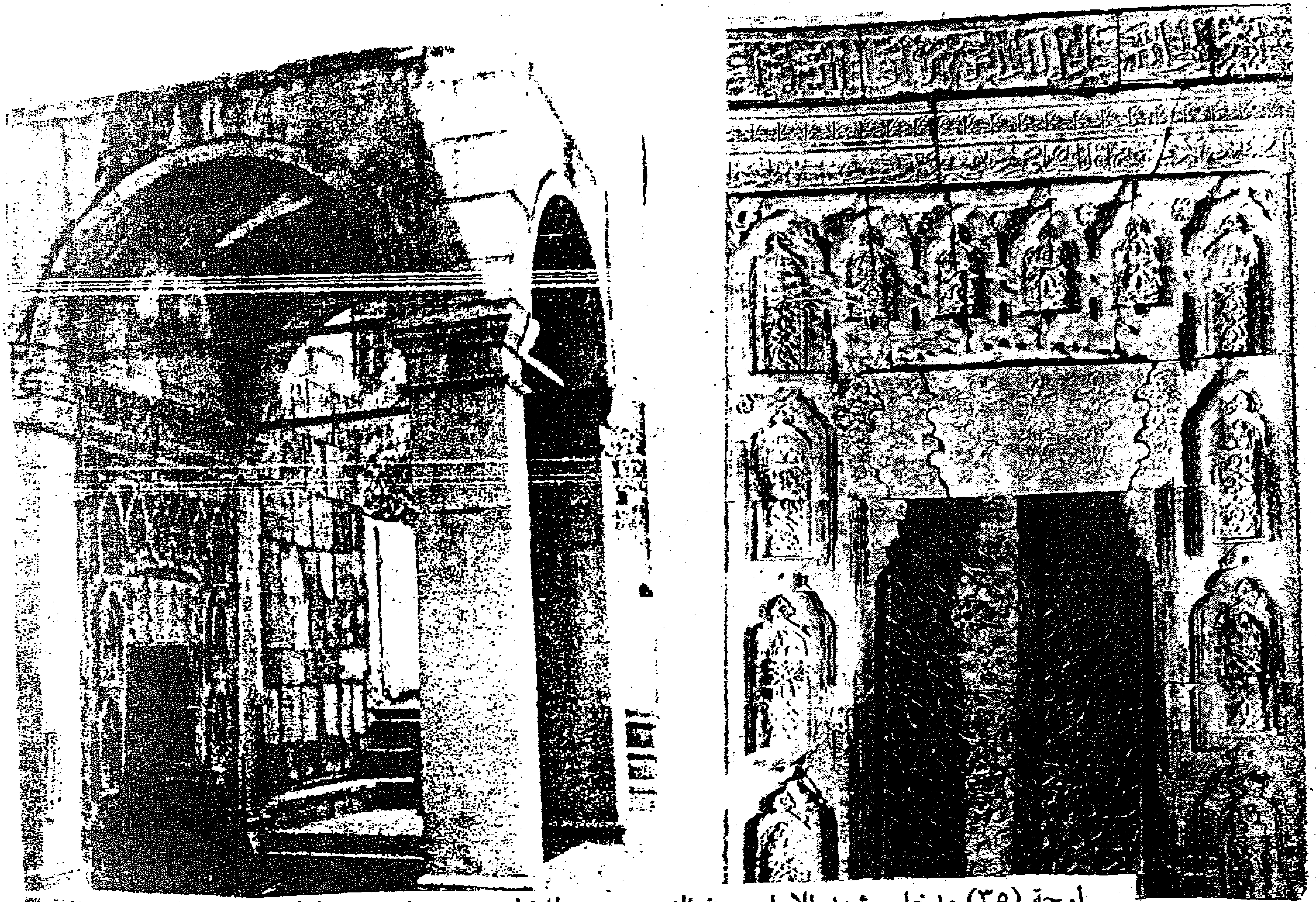

لوحة (٣٥) مدخل مشهد الامام عون الدين عن عطا الحديثى وهناء عبد الخالق.

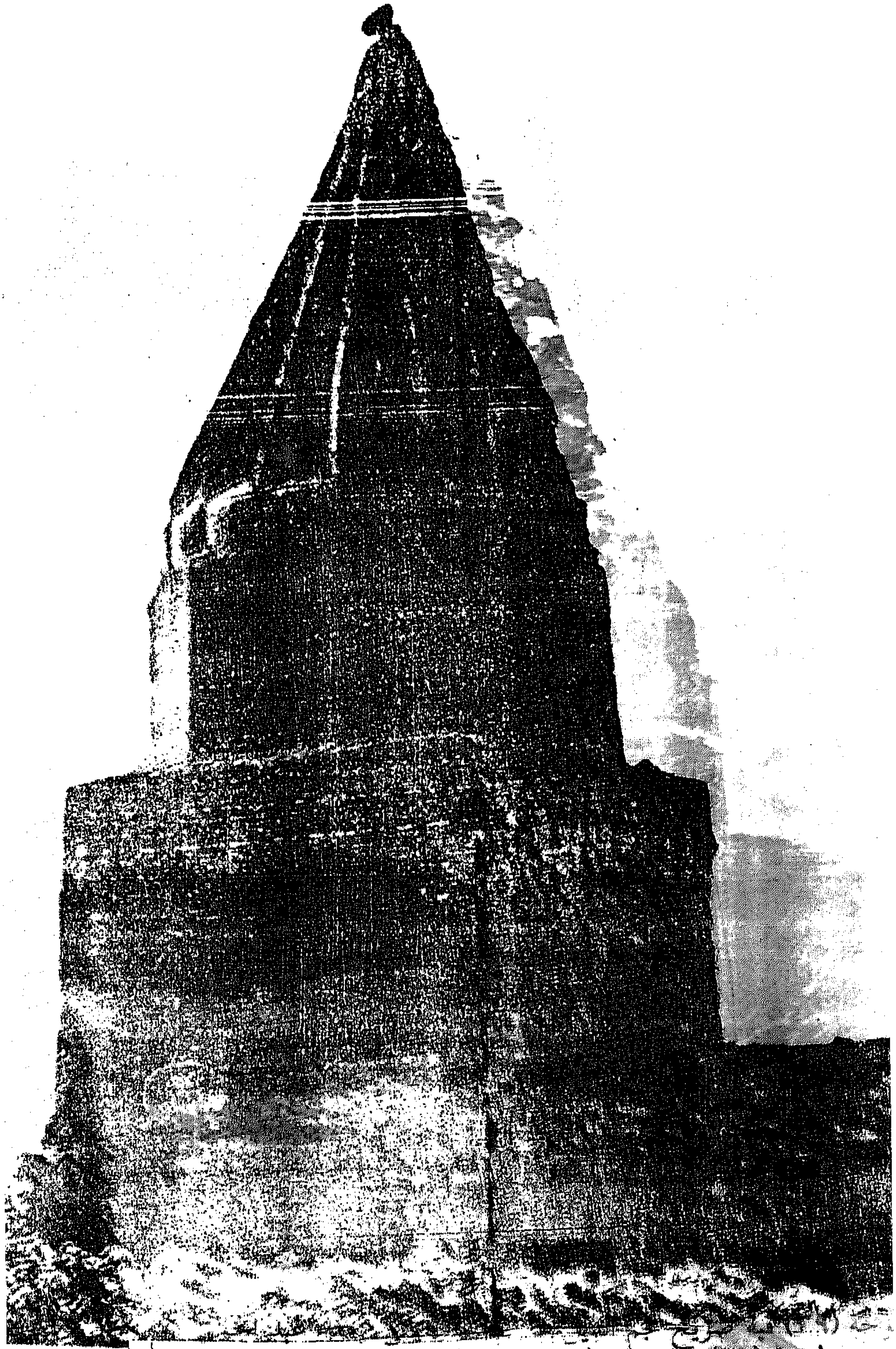

لوحة (٣٦) قبة مقام الخضر عن عطا الحديثي وهناء عبد الخالق.

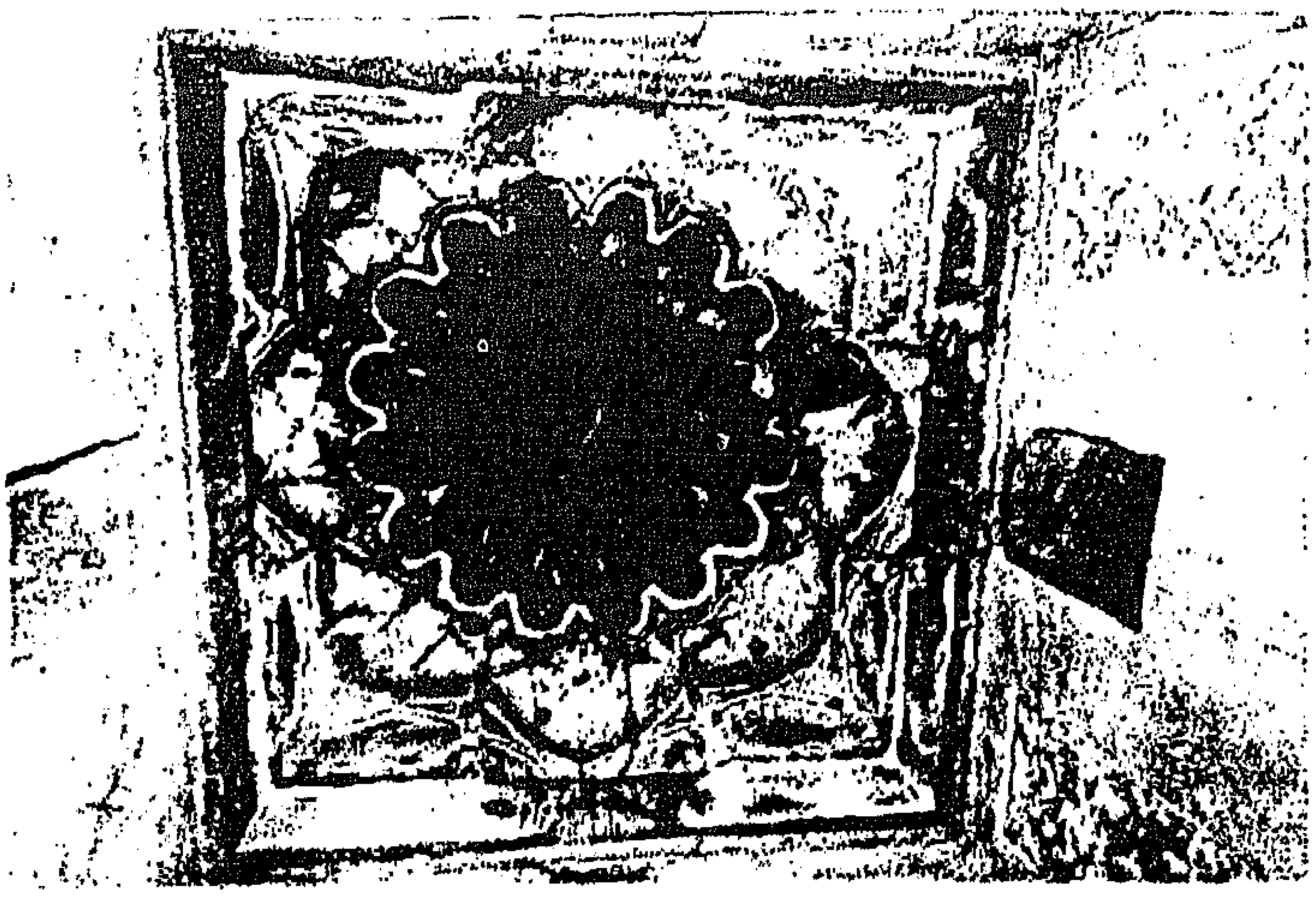

لوحة (٣٧) تفاصيل من قبة مقام الخضر عن عطا الحديثي وهناء عبد الخالق.

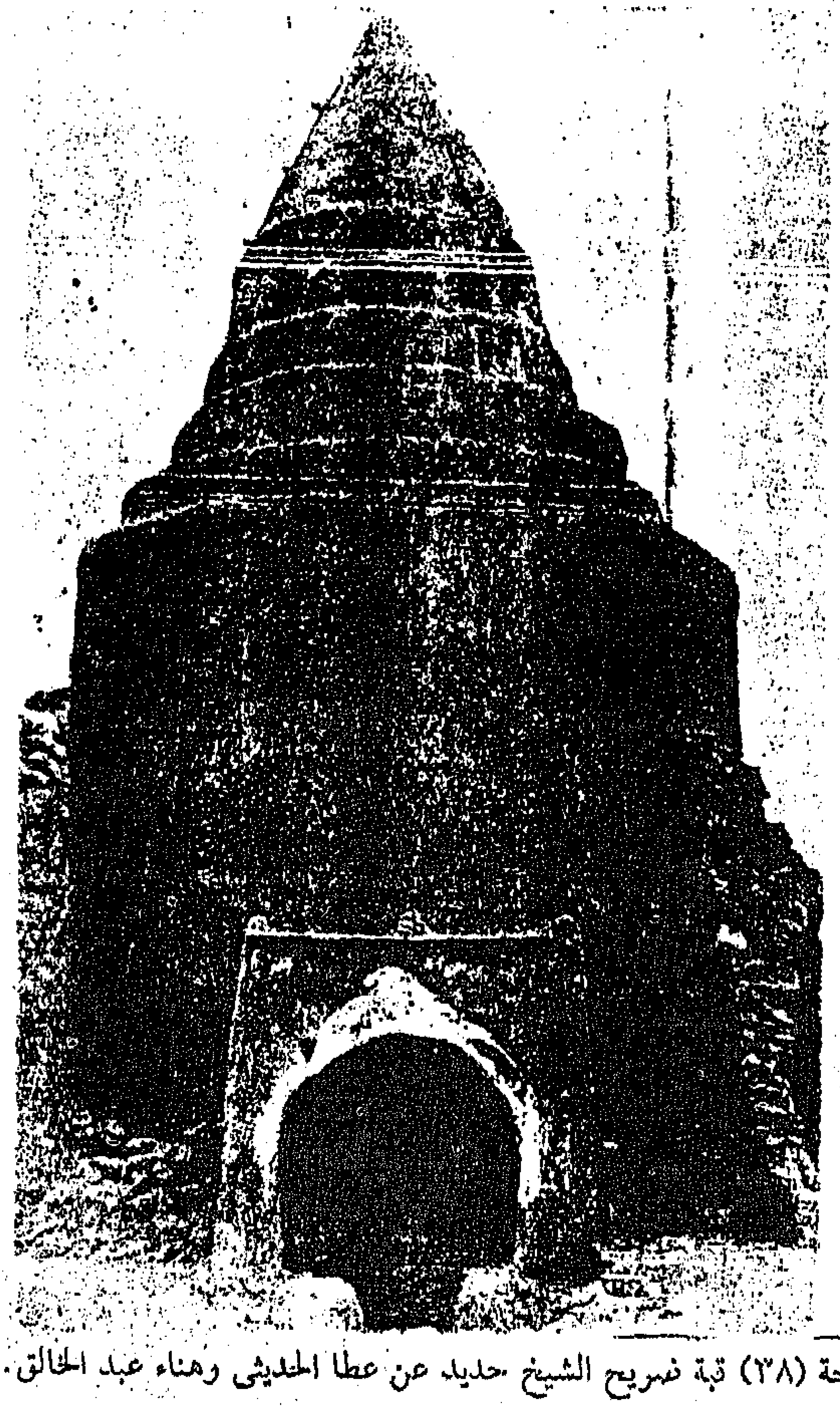

لوحة (٣٨) قبة ضريح الشيخ حديد عن عطا الحديثي وهناء عبد الخالق.

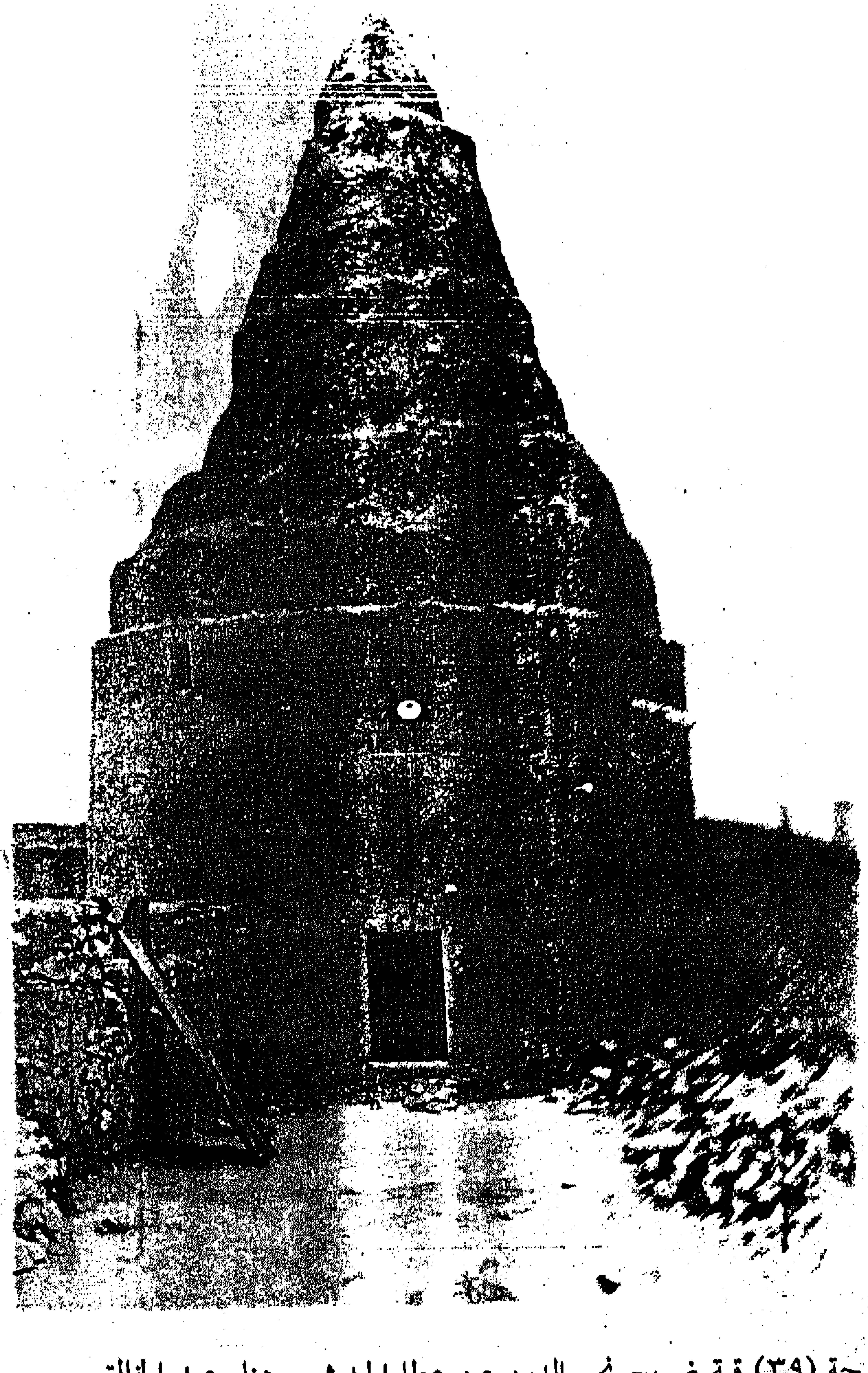

لوحة (٣٩) قبة ضريح نجم الدين عن: عطا الحديثى وهناء عبد الخالق

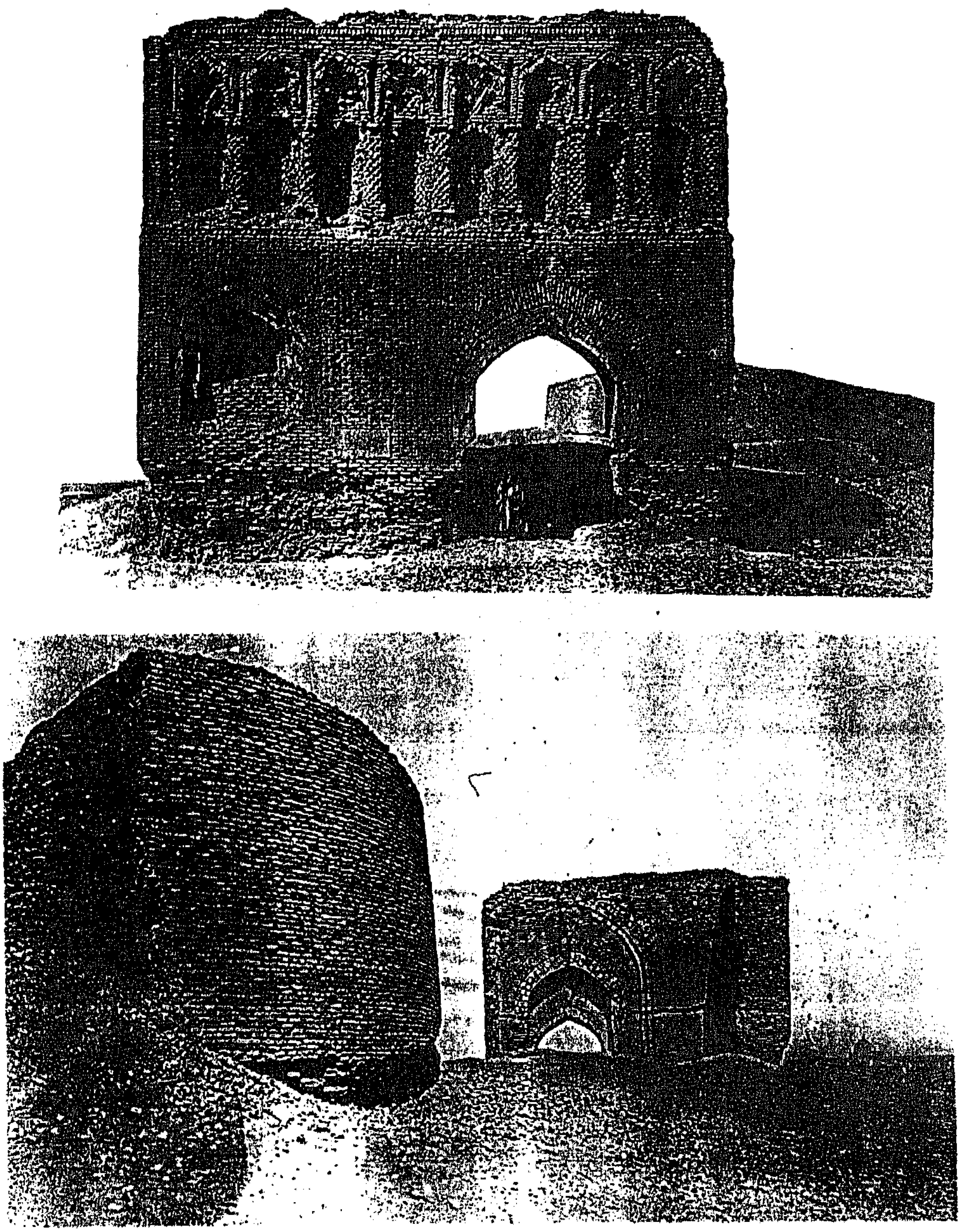

لوحة (٤٠) مدينة الرقة (باب بغداد) عن كريسويل.

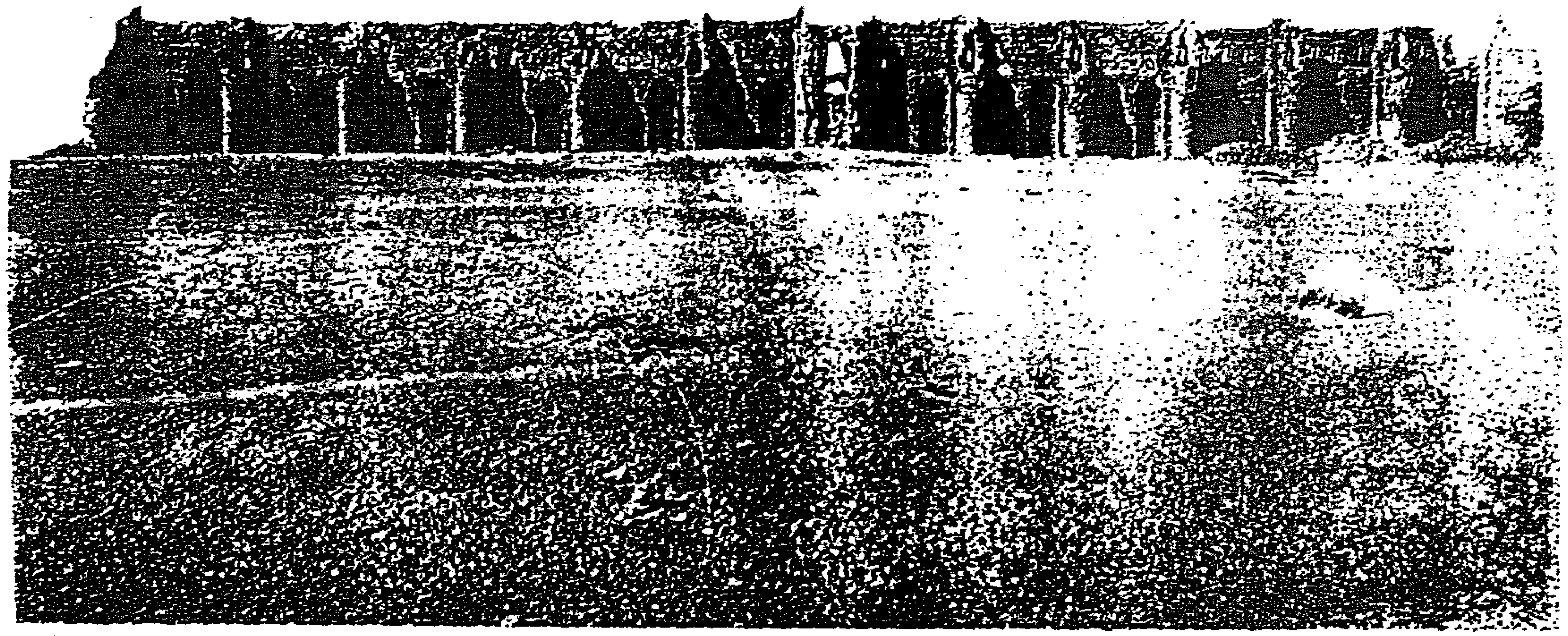

لوحة (٤١) قصر الاخيضر عن كريسزيل.

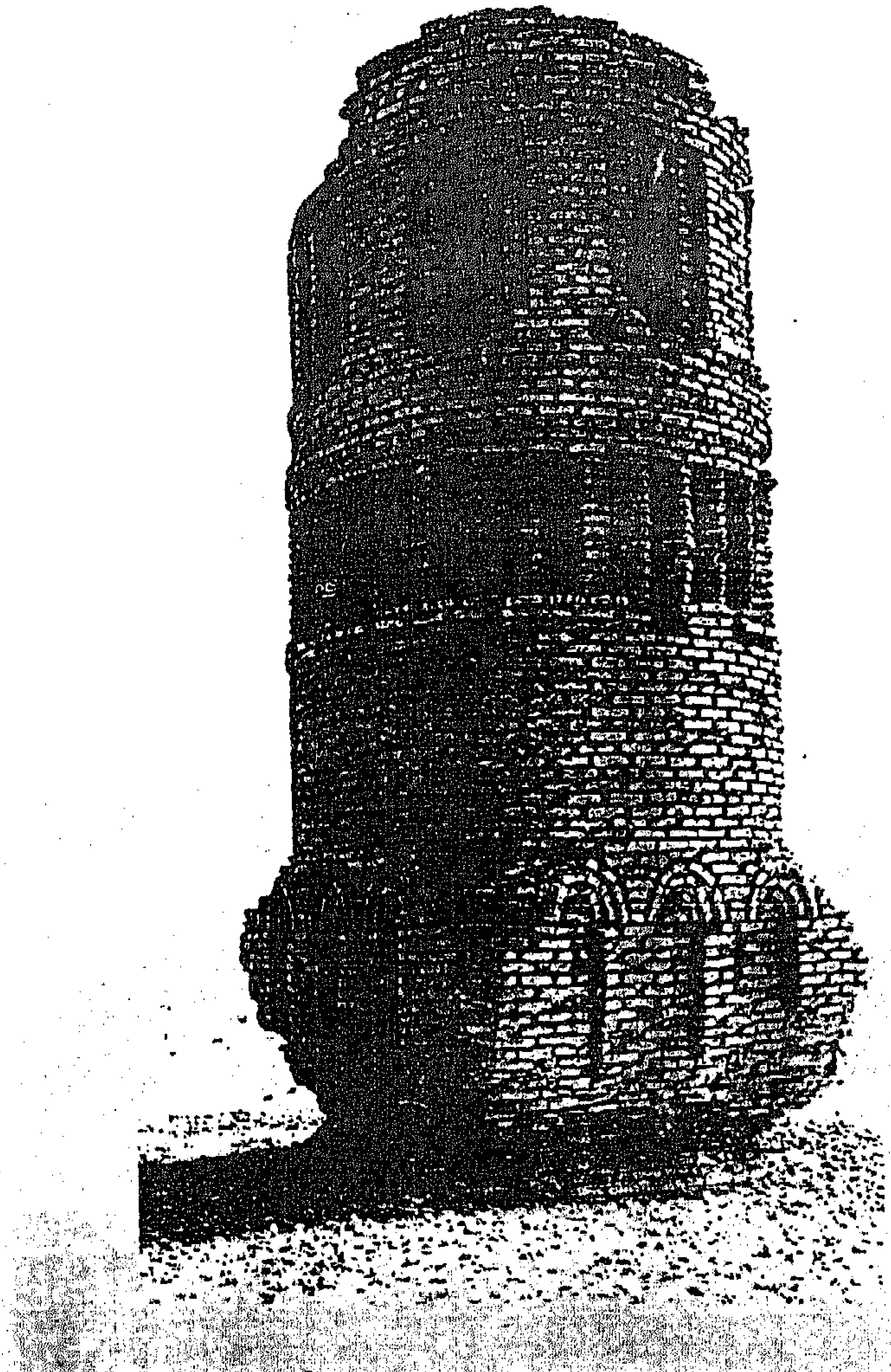

لوحة (٤٢) برج أو منارة - موجدة (مجصة) بين الاخيضر وخان عطشان عن
د. عيسى سلمان.

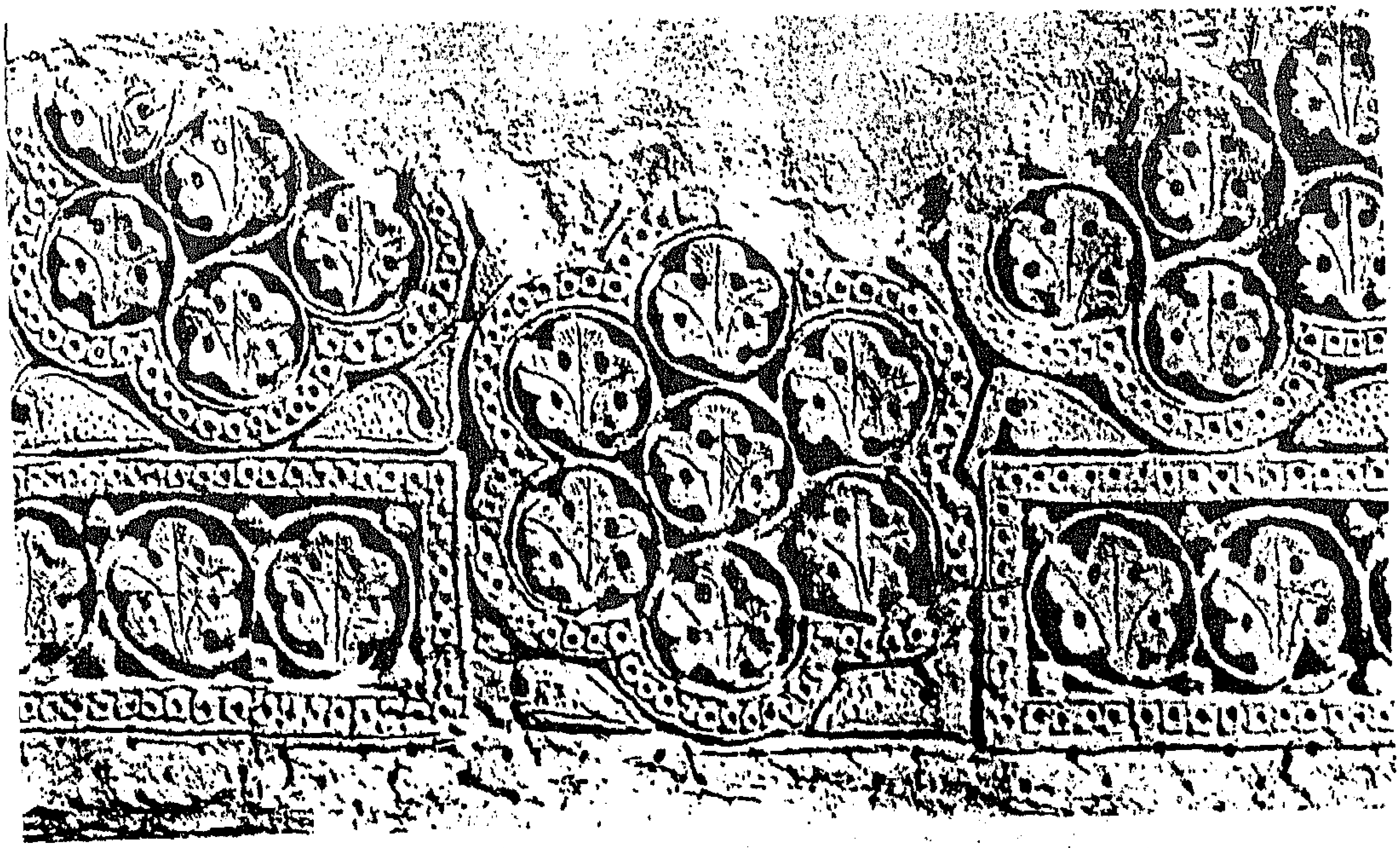

لوحة (٤٣) سامراء الطراز الأول عن كريسويل.

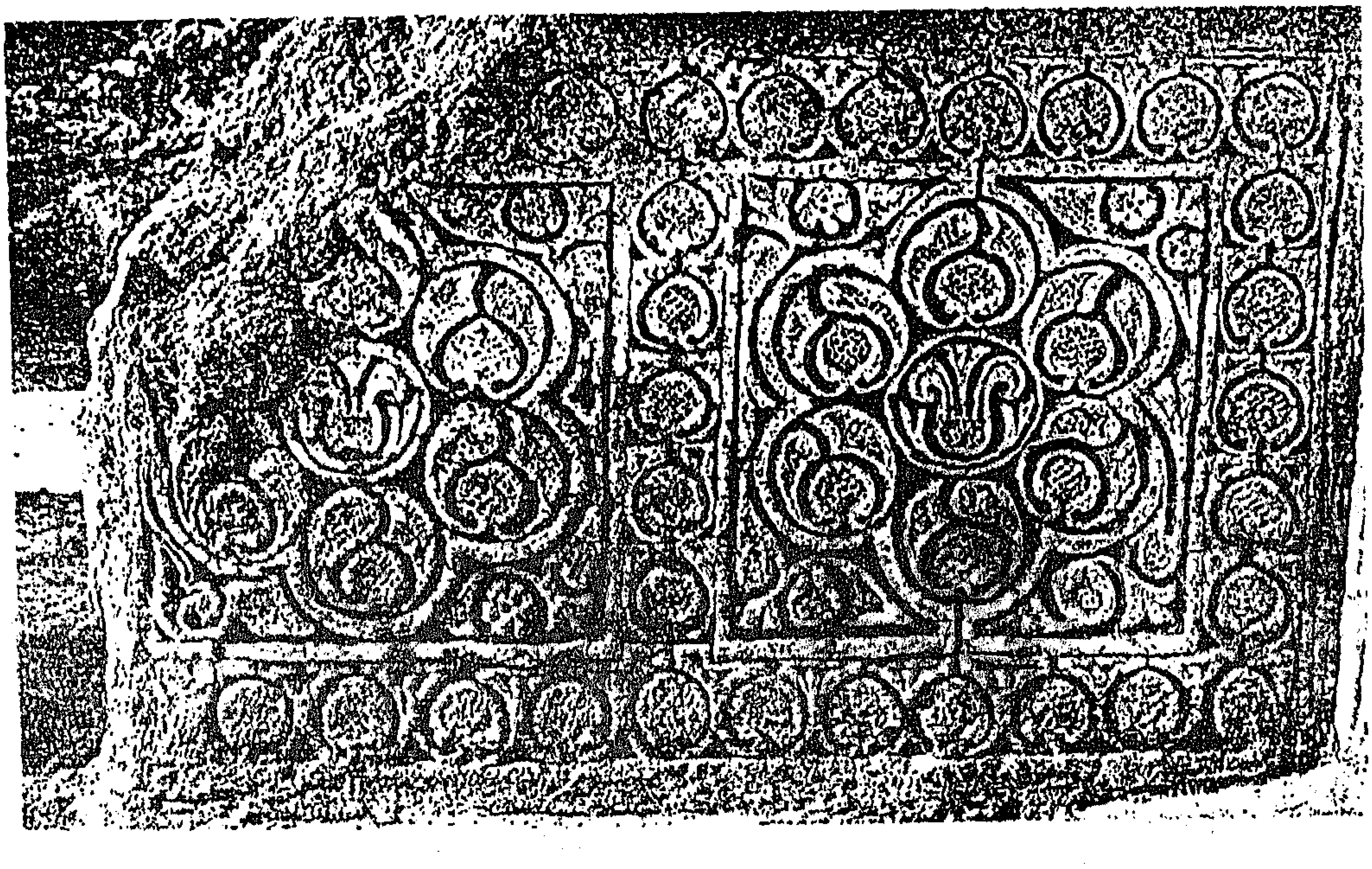

لوحة (٤٤) سامراء الطراز الثانى عن كريسويل.

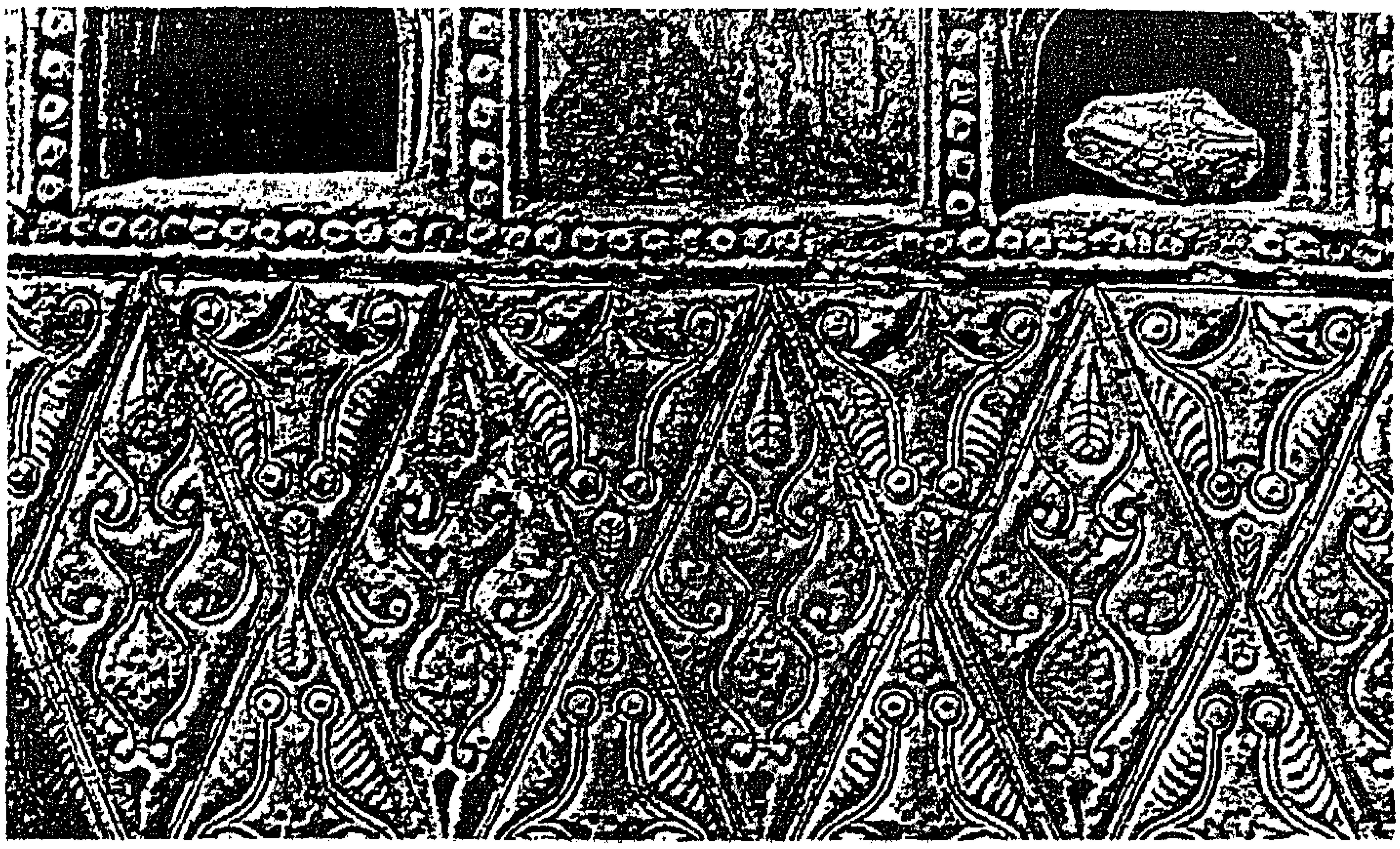

لوحة (٤٥) سامراء الطراز الثالث عن كريسويل.

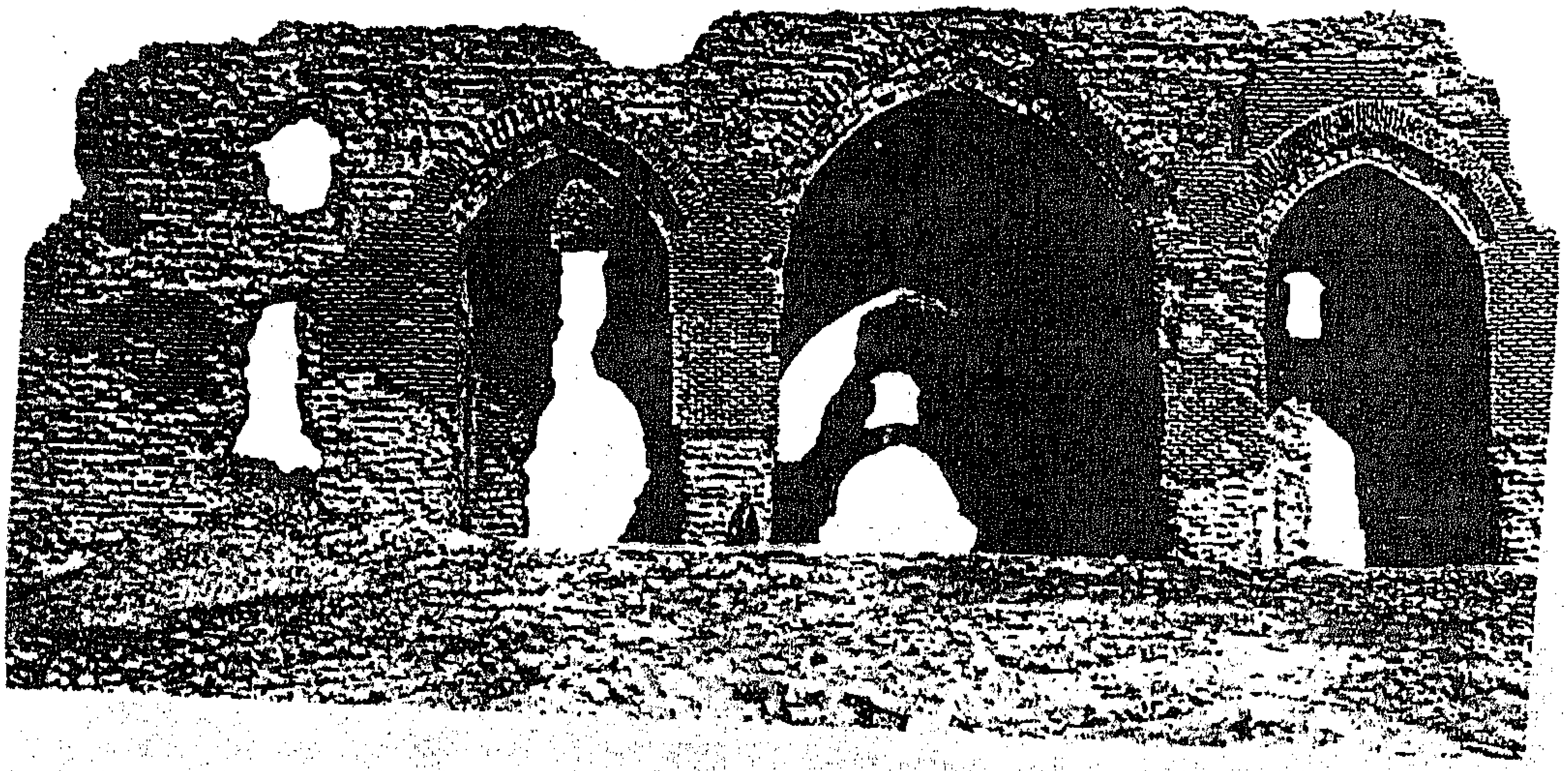

لوحة (٤٦) الجوسق الخاقانى (باب العامة) عن كريسويل.

لوحة (٤٧) تشكيلات زخرفية فى الجوسق الخاقانى.

لوحة (٤٨) تشكيلات زخرفية فى الجوسق الخاقانى.

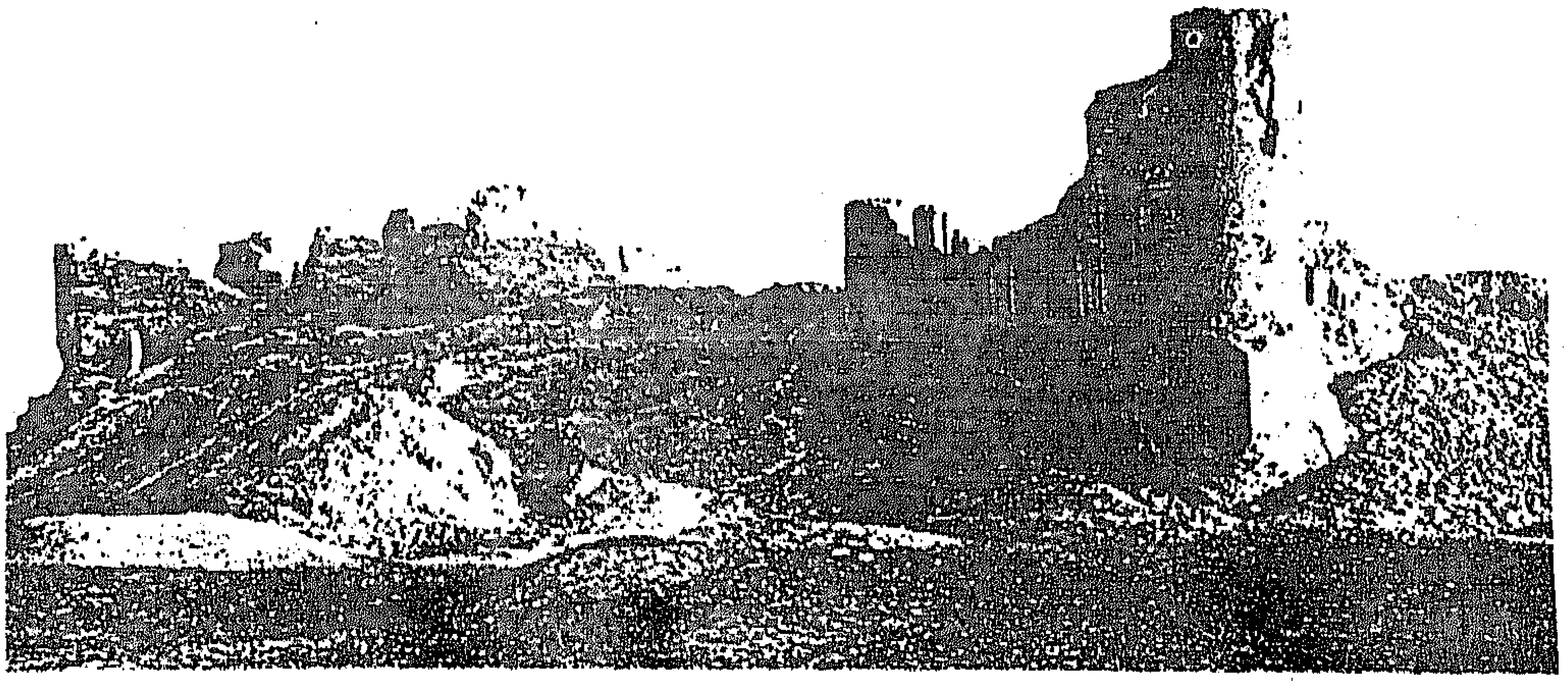

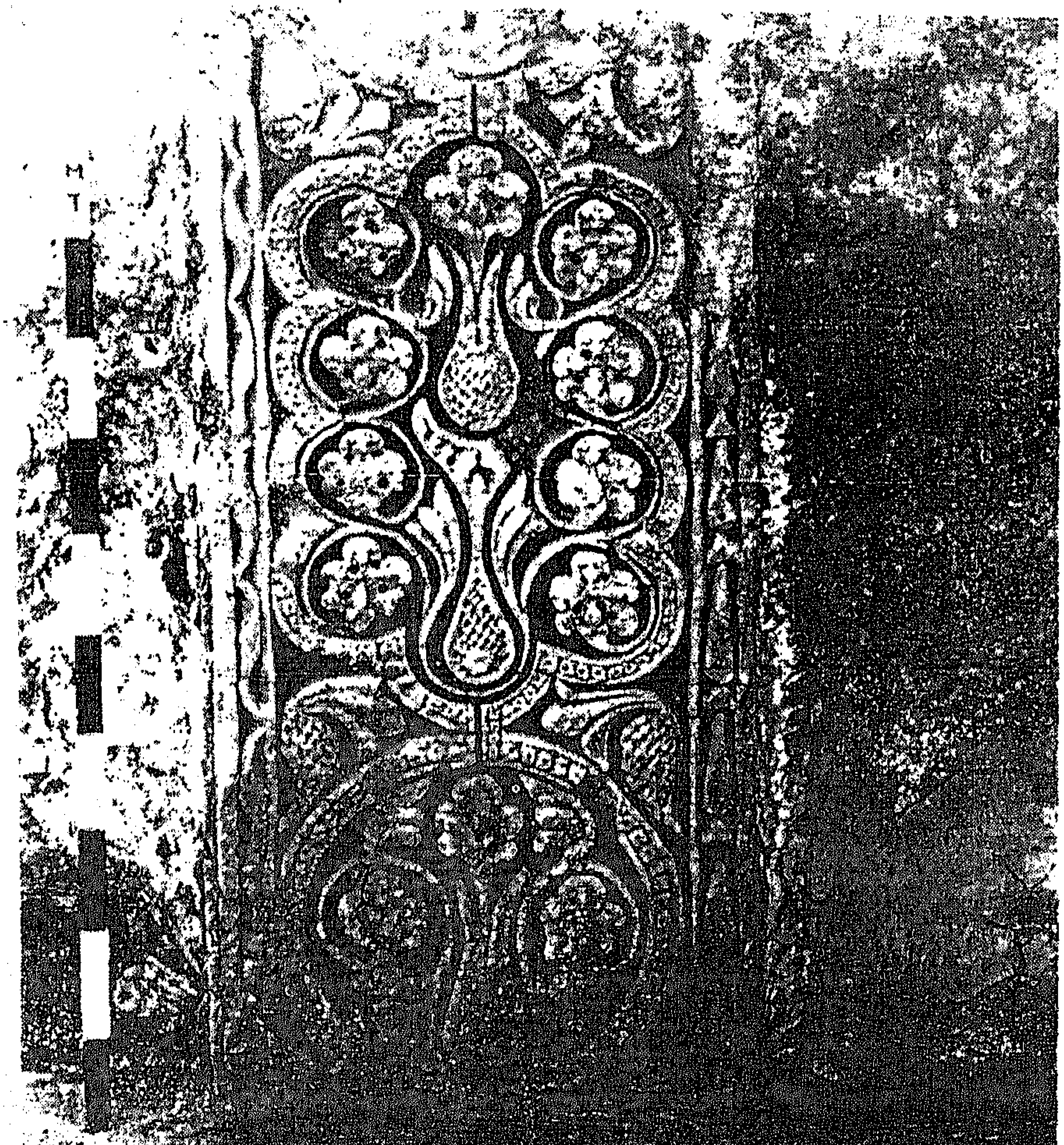

لوحة (٤٩) بقايا قصر العاشق وتشكيلات زخرفية جصية.

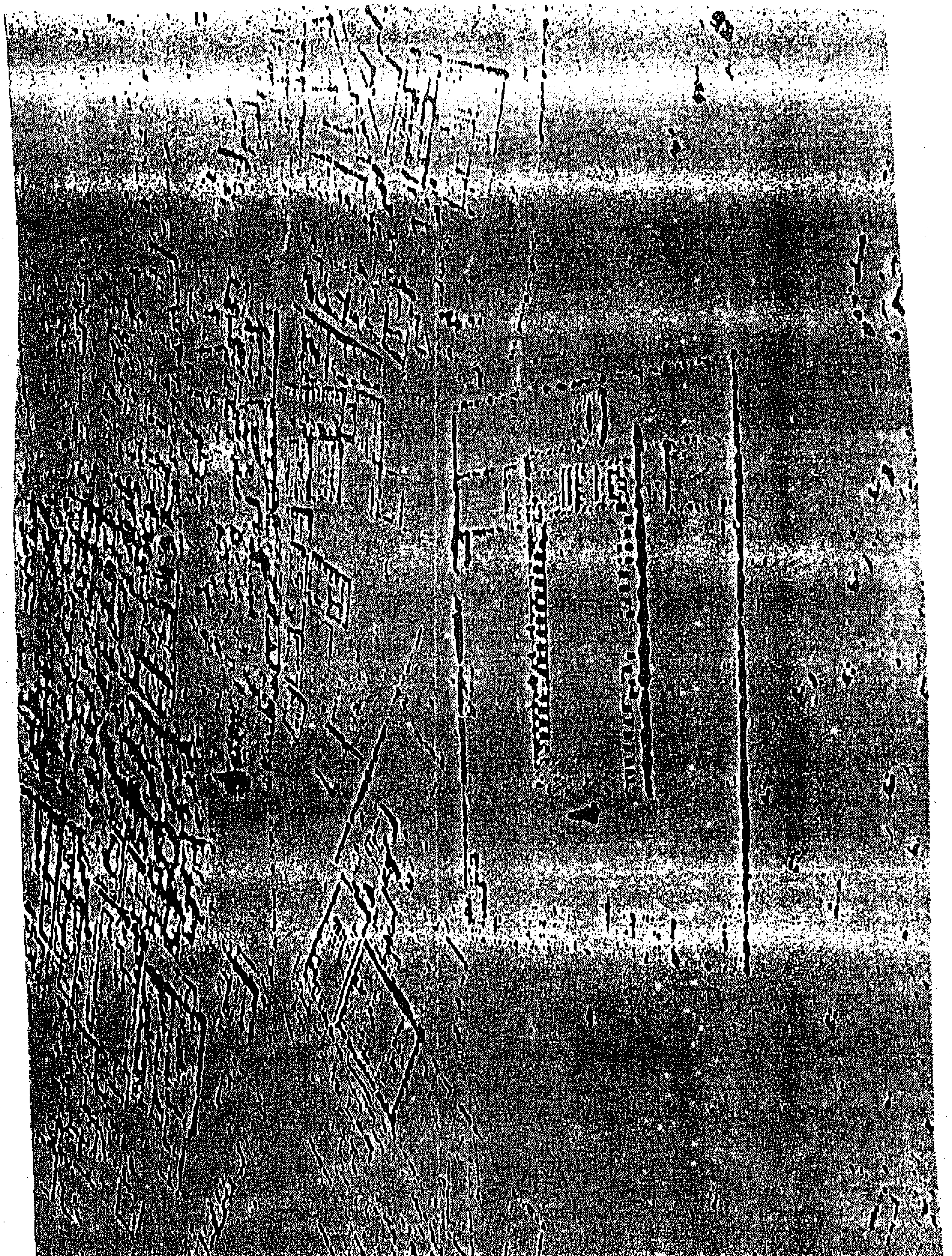

لوحة (٥٠) مدينة الجعفرية (صورة جوية) عن د. عيسى سلمان.

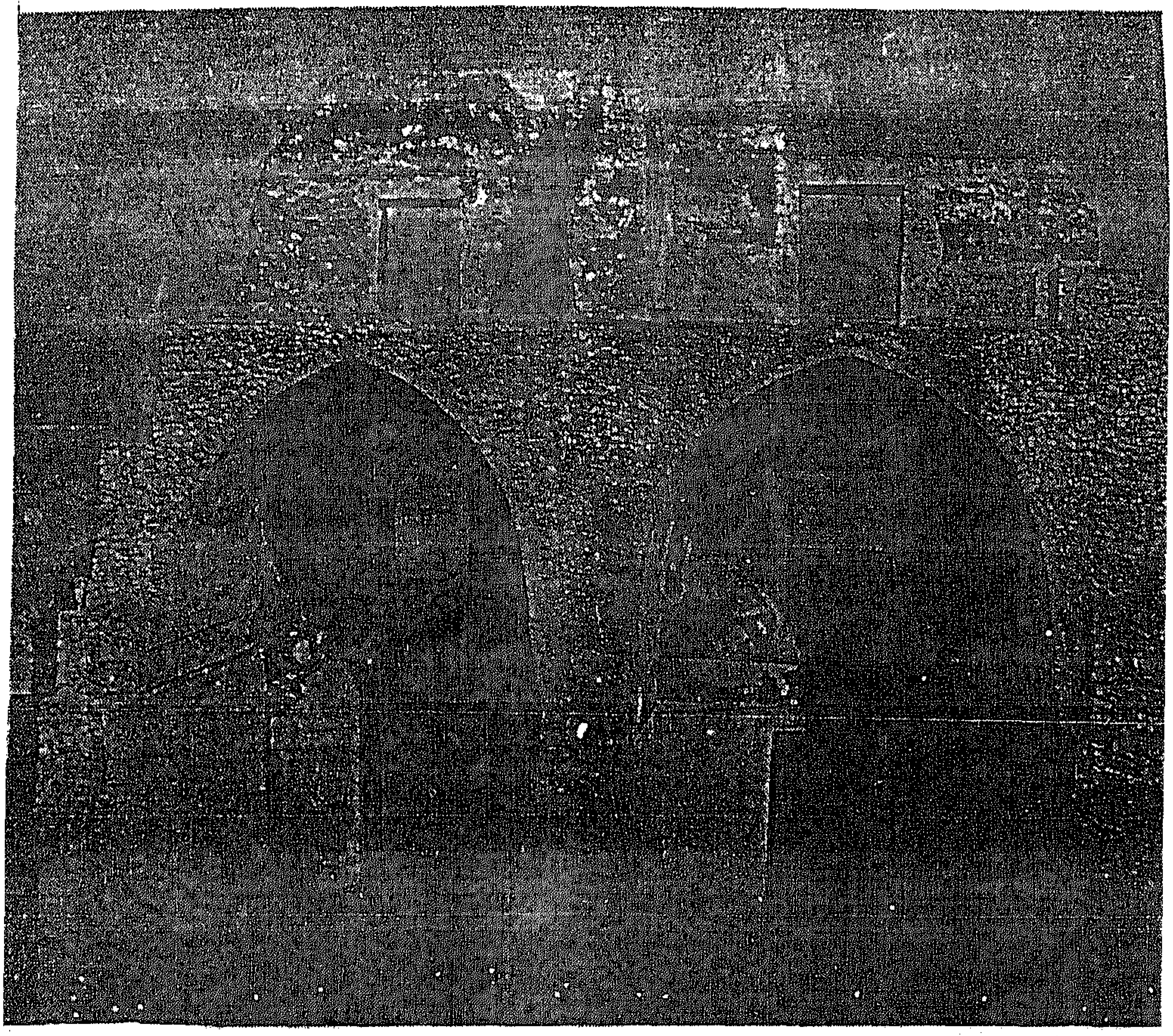

لوحة (٥١) بقايا قصر بدر الدين لؤلؤ عن د. عيسى سلمان.

لوحة (٥٢) كتابات تذكارية على جدار القصر عن د. عيسى سلمان.

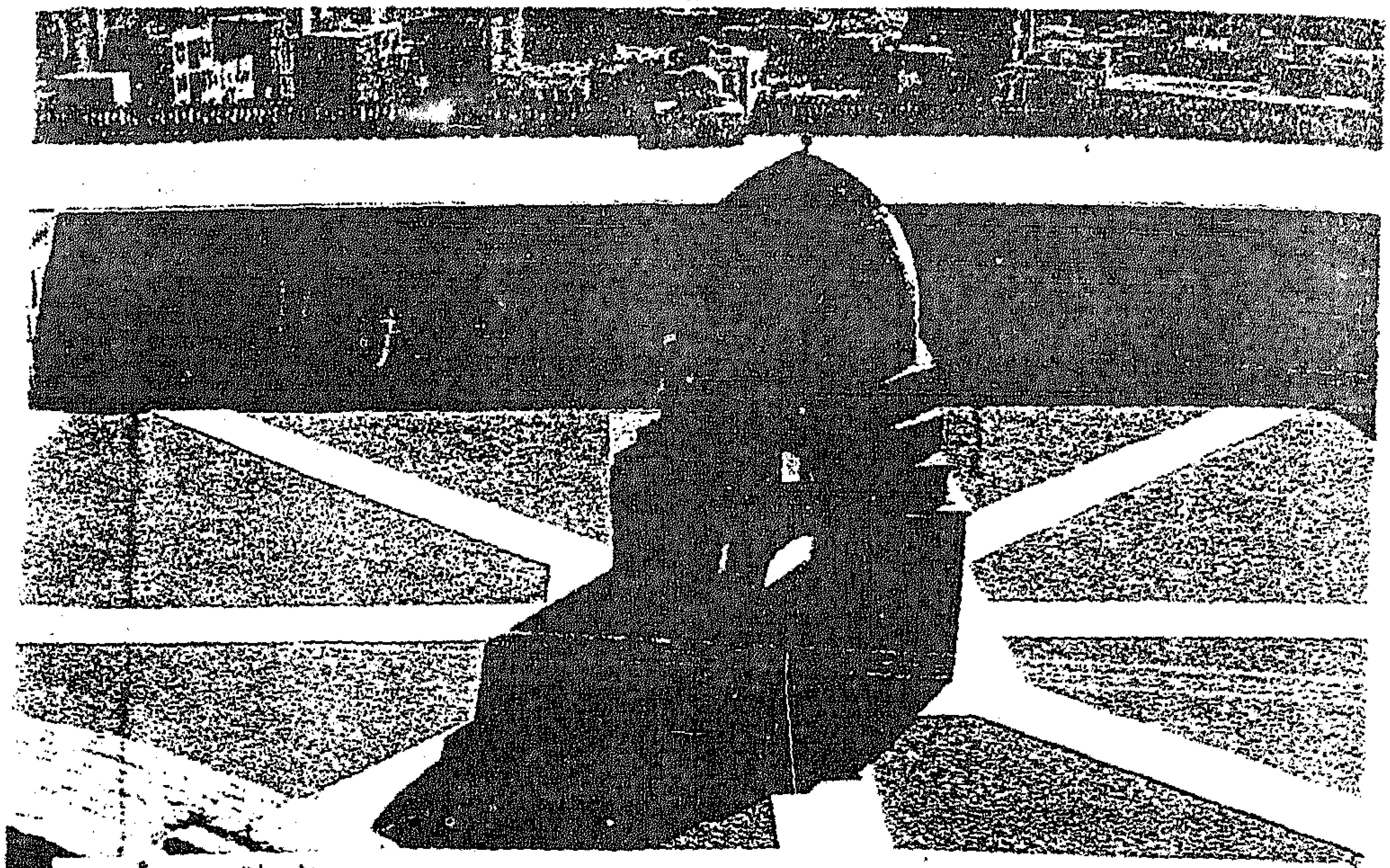

لوحة (٥٣) جامع أحمد بن طولون ويظهر الصحن ورواق القبلة عن أسس التصميم المعمارى.

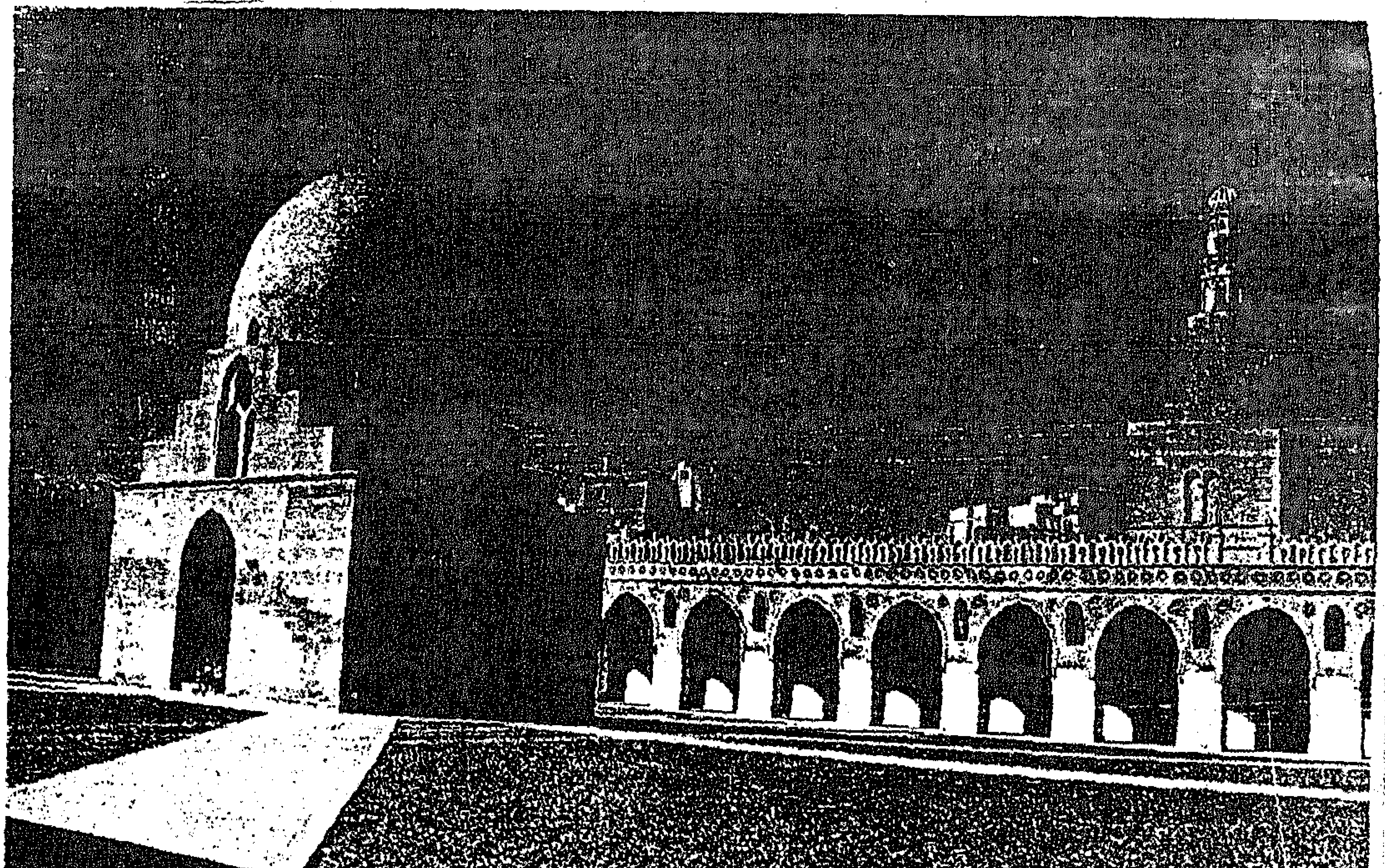

لوحة (٥٤) جامع ابن طولون وتظهر الفوارة والمئذنة عن أسس التصميم المعمارى.

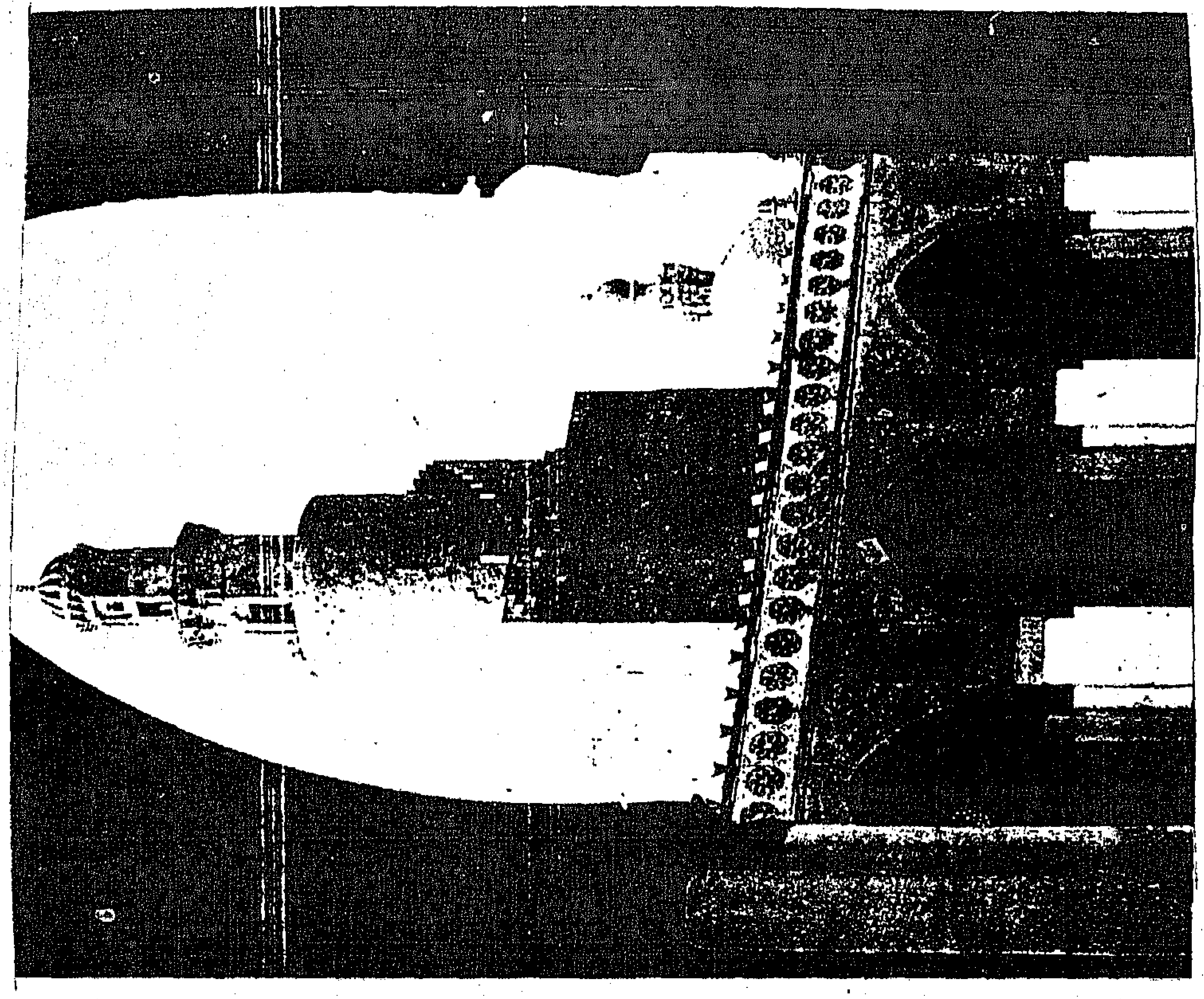

لوحة (٥٥) تفاصيل من الرواق الشمالى الغربى والمئذنة.

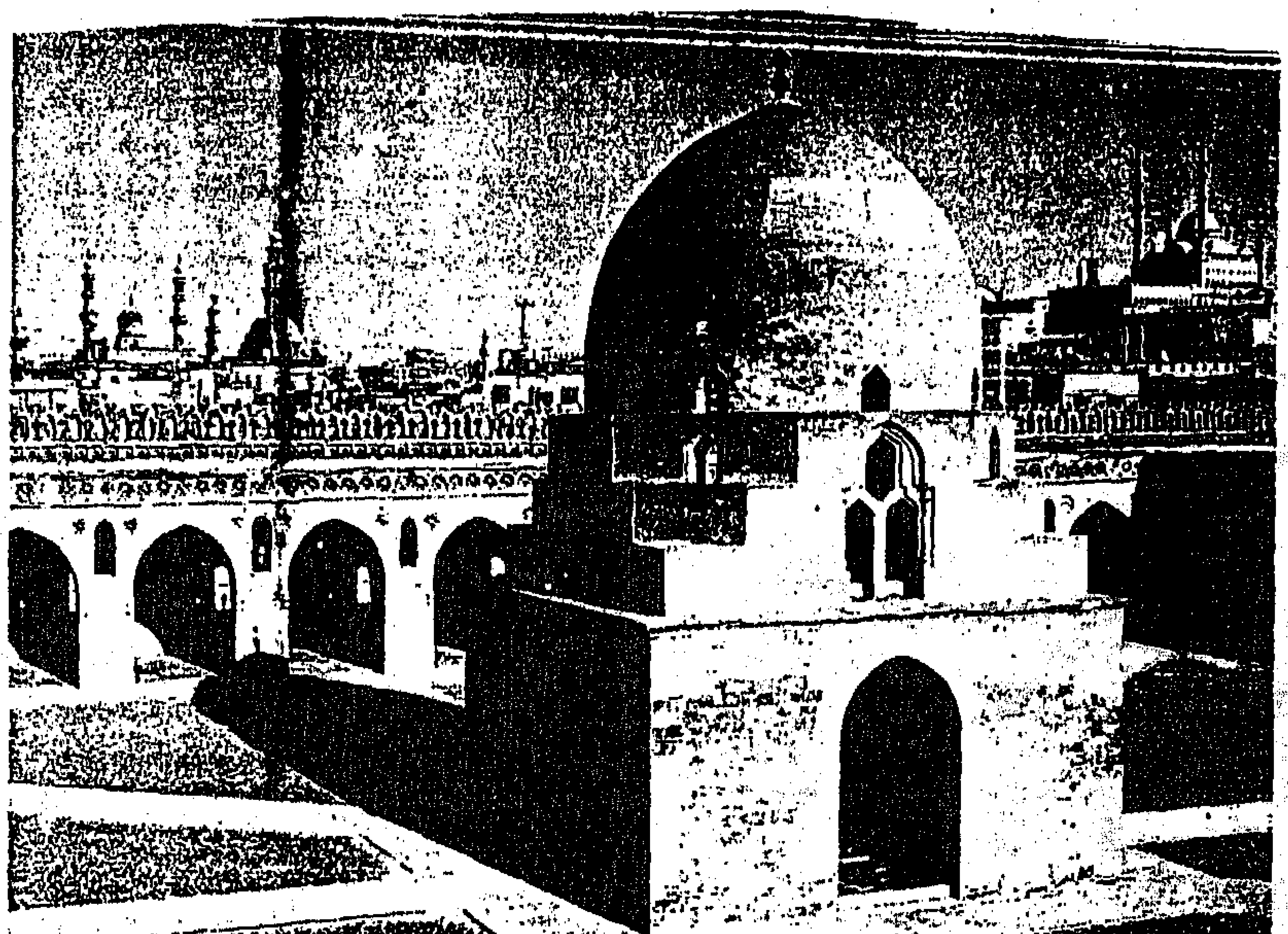

لوحة (٥٦) فوارة الجامع وتفاصيل من الأروقة

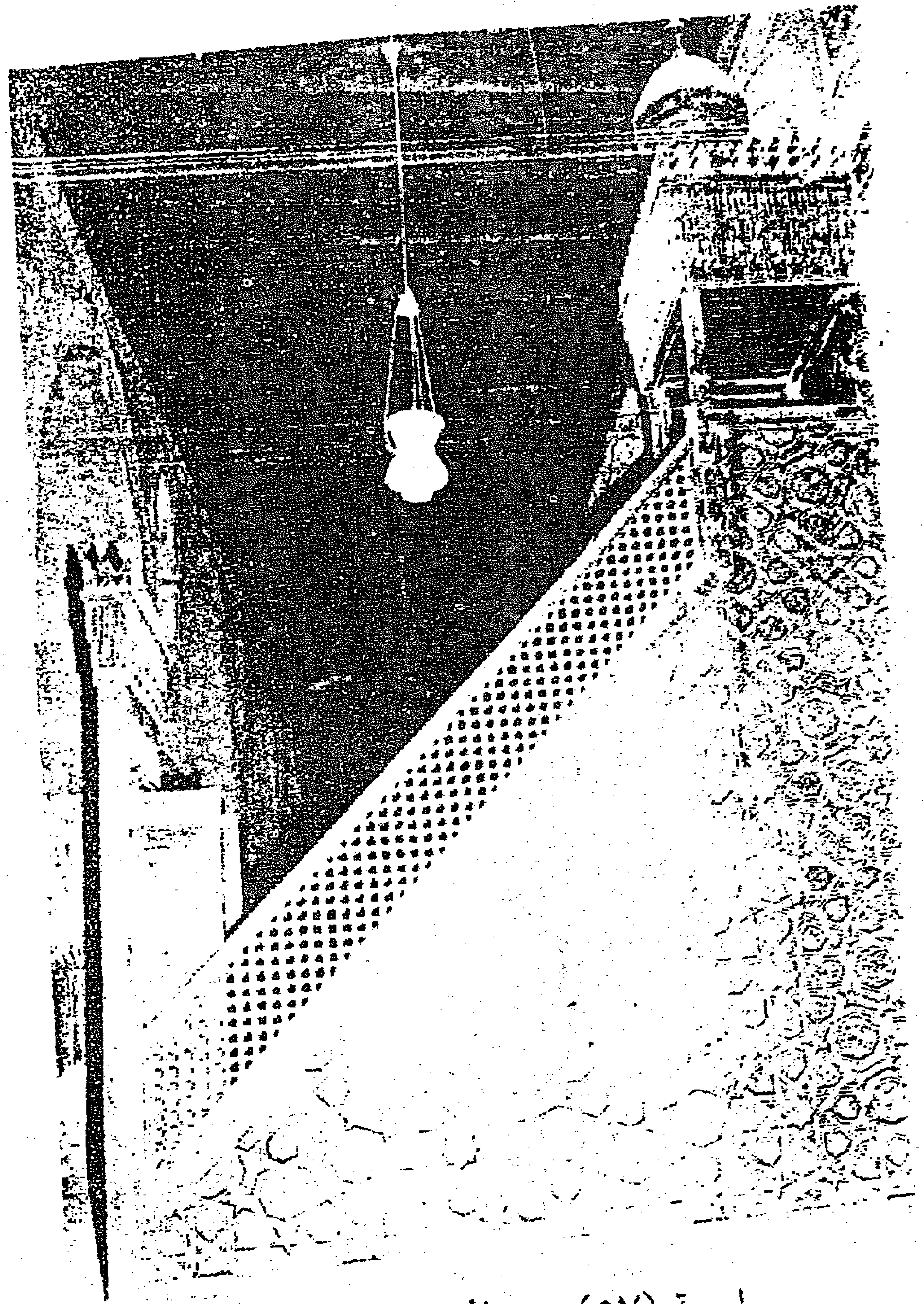

لوحة (٥٧) منبر المسجد.

لوحة (٥٨) تفاصيل من الدعامات والعقود.

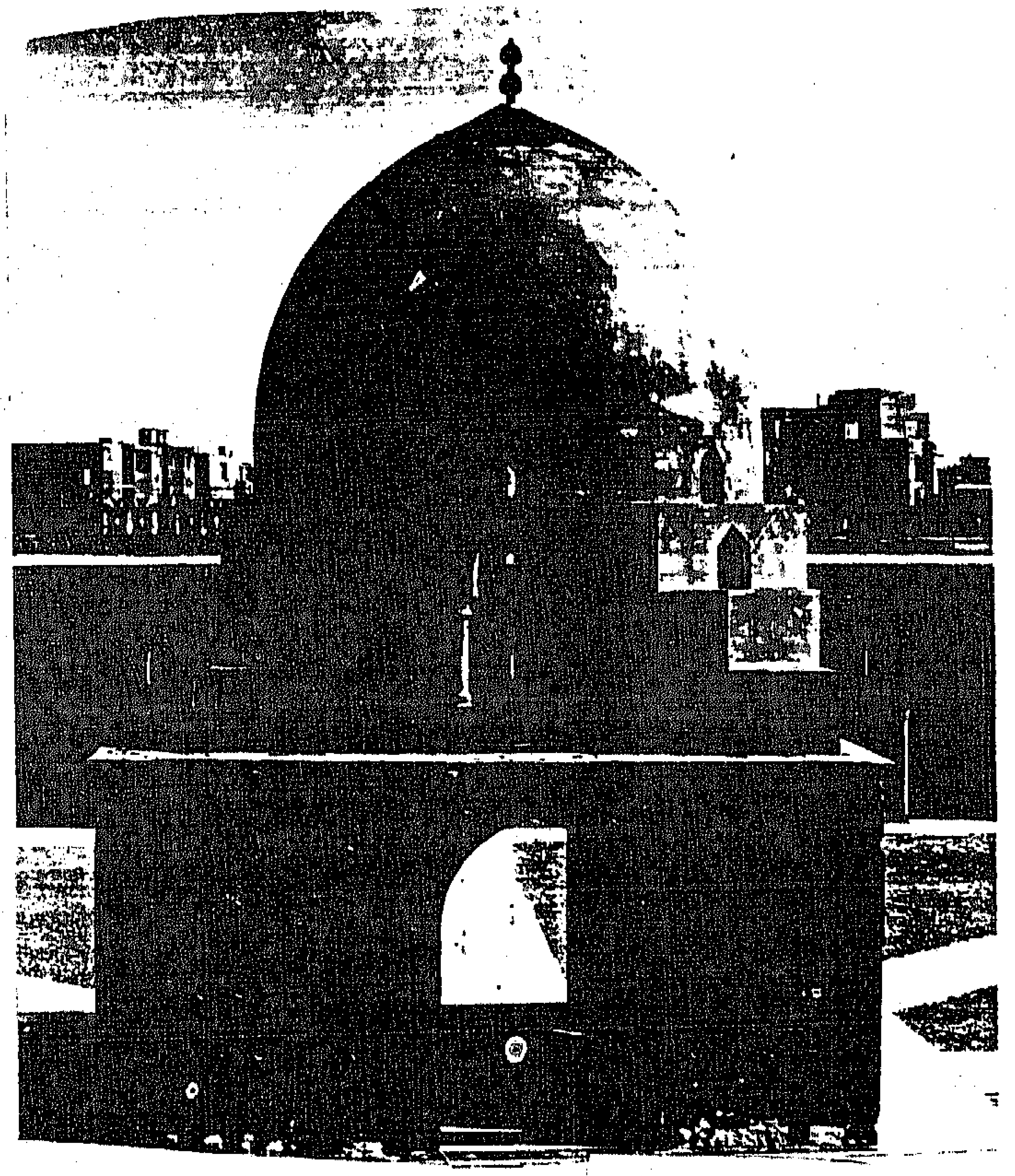

لوحة (٥٩) فوارة الجامع.

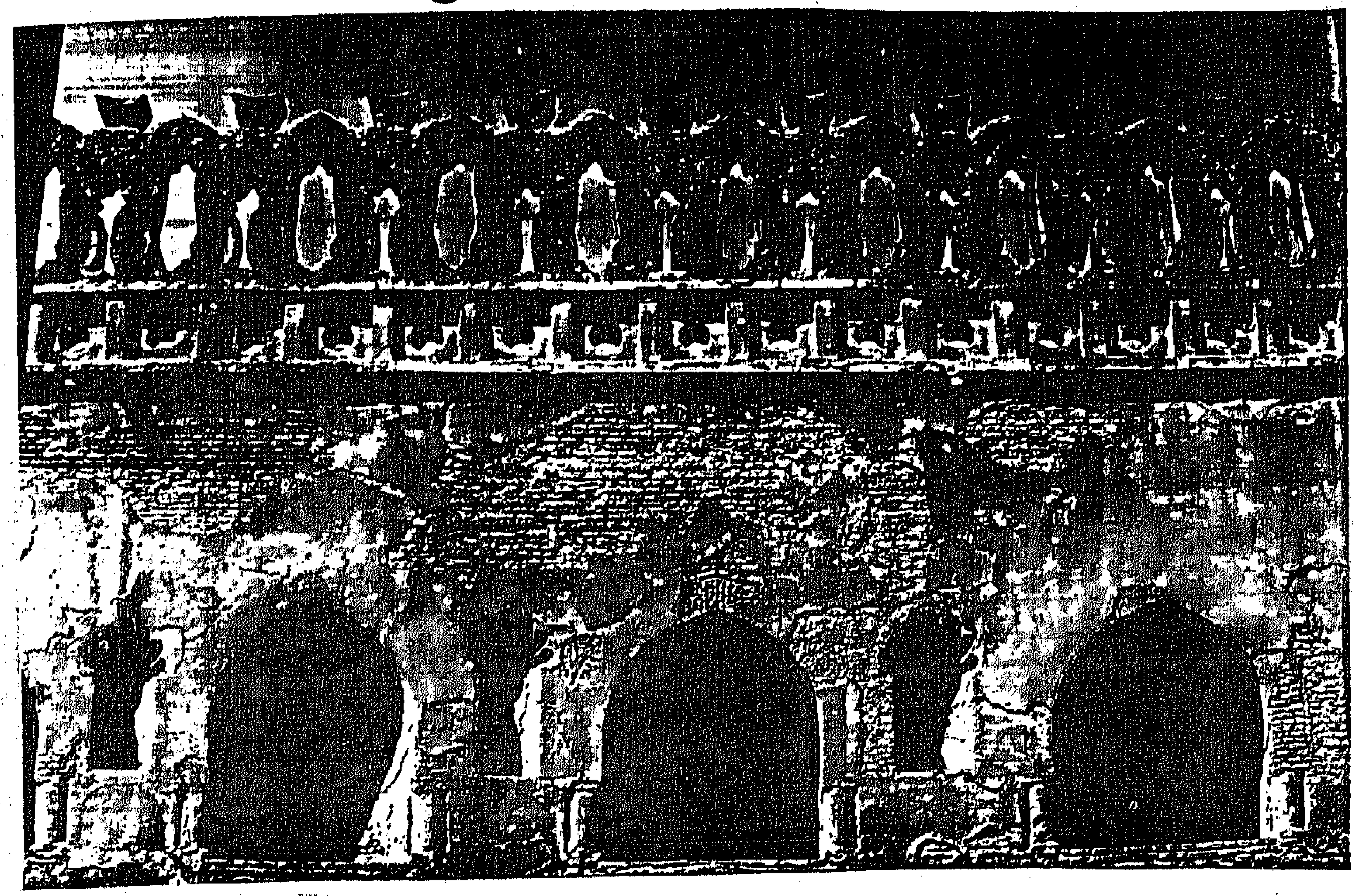

لوحة (٦٠) تفاصيل من زخارف جامع ابن طولون والشرافات.

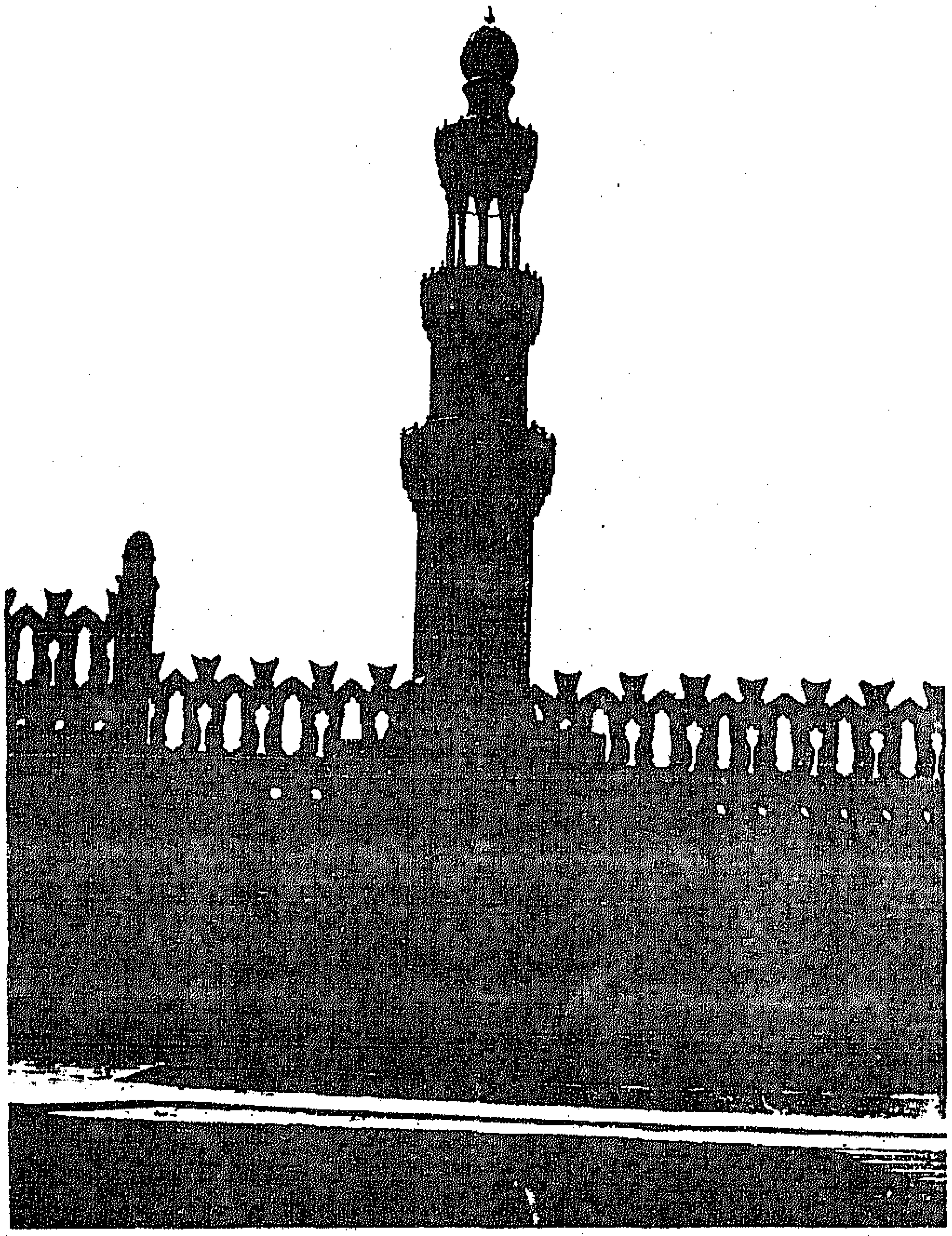

لوحة (٦١) زيادات المسجد وتظهر مئذنة مدرسة صرغتمش.

لوحة ([illegible]) مئذنة مسجد ابن طولون.

لوحة (٦٣) تفصيل من الطابق الاسطوانى فى المئذنة.

لوحة (٦٤) القسم العلوى فى المئذنة.

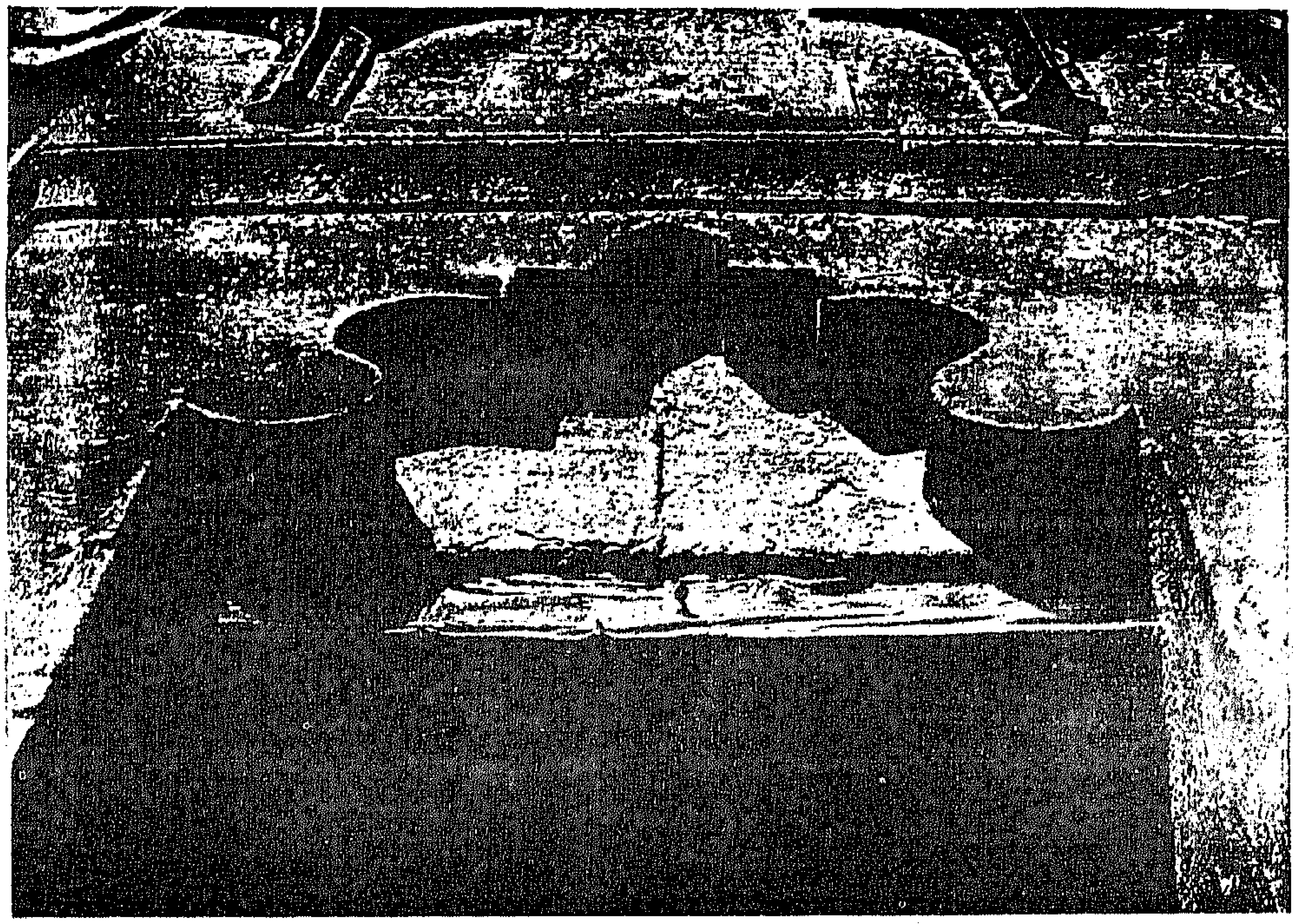

لوحة (٦٥) تفصيل من القسم العلوى للمئذنة.

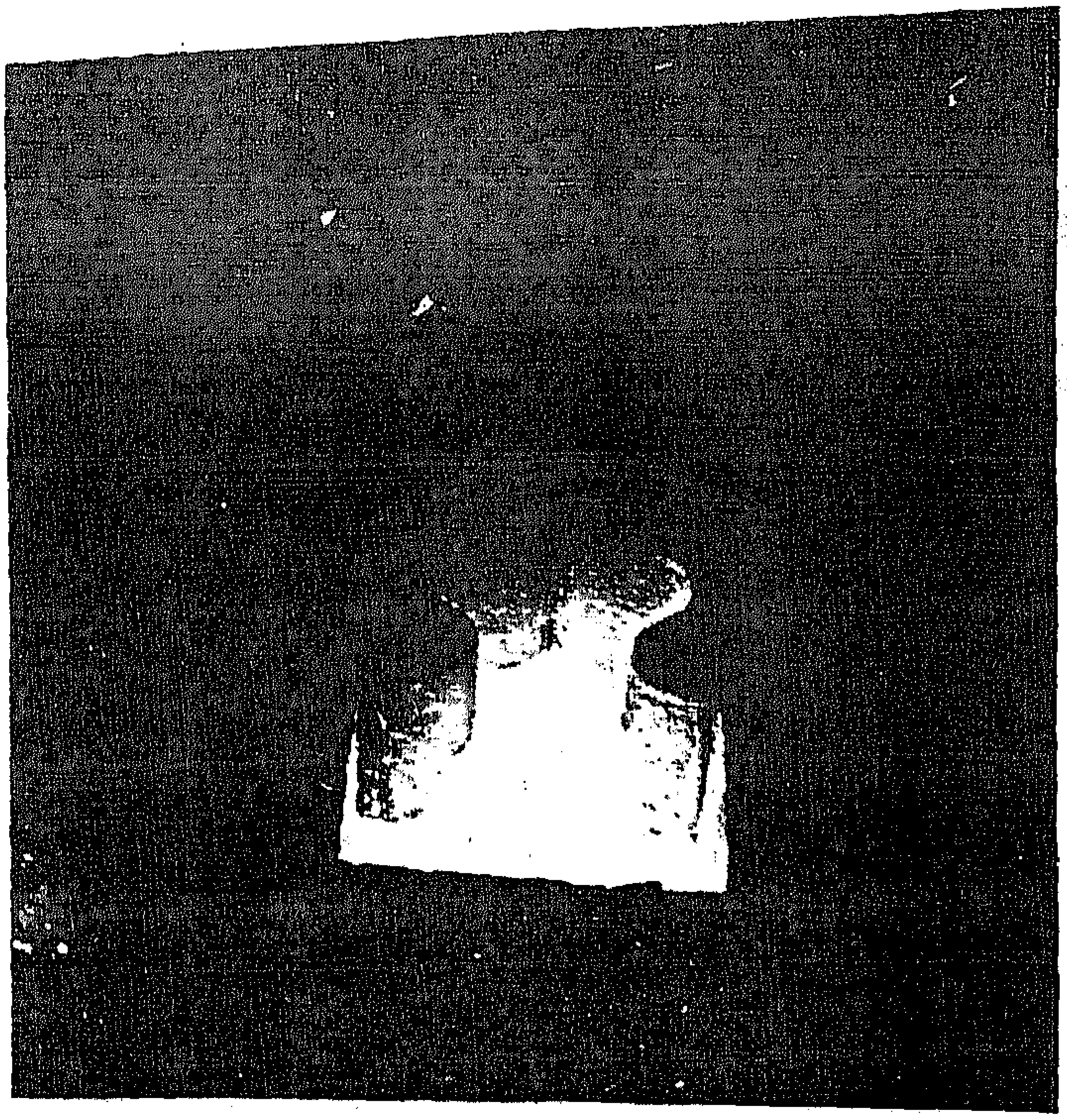

لوحة (٦٦) تفصيل من القسم العلوى للمئذنة من الداخل.

لوحة (٦٧) تفصيل من قنطرة المئذنة.

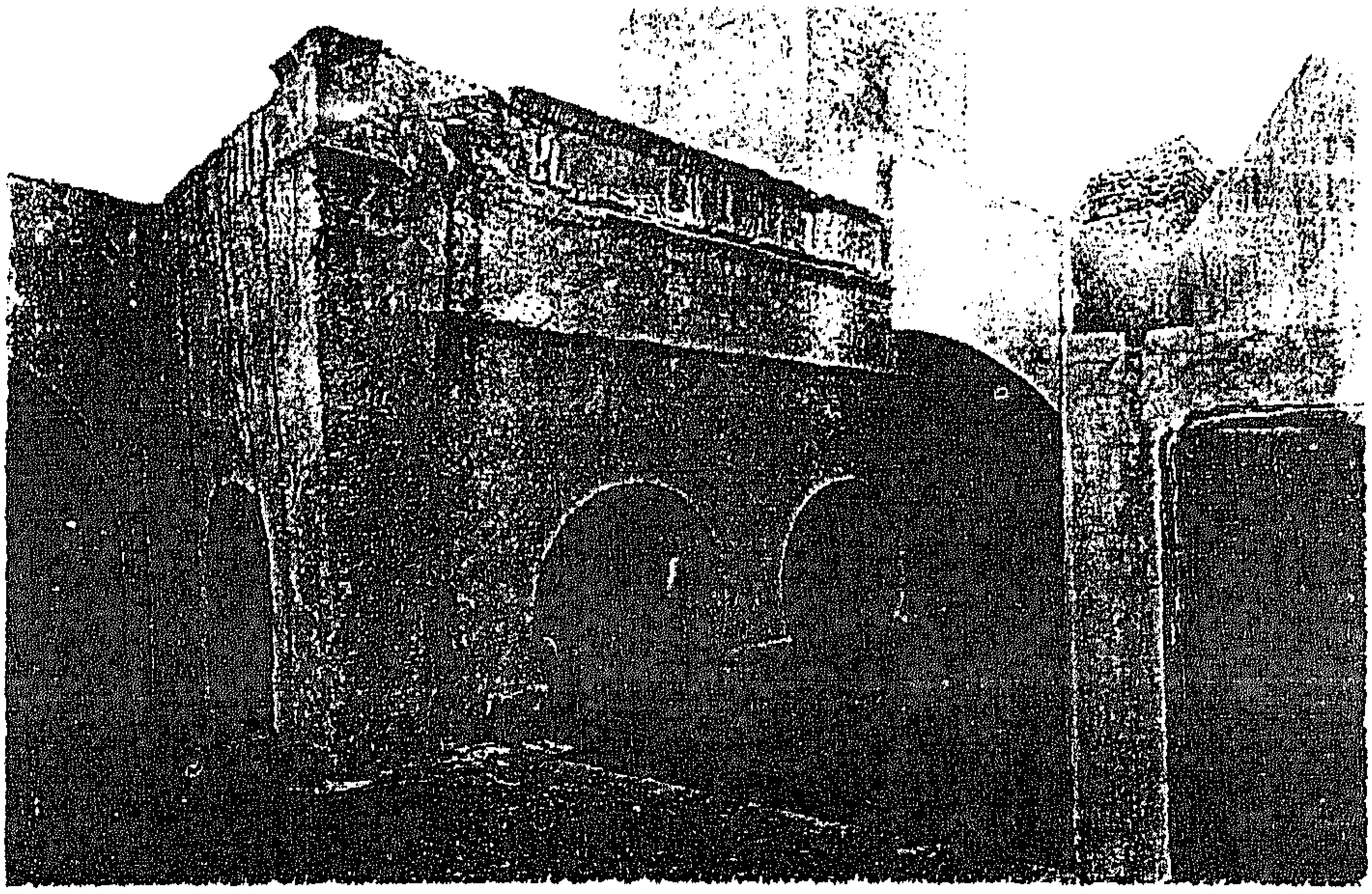

لوحة (٦٨) مسجد بوفتاتة عن كريسويل.

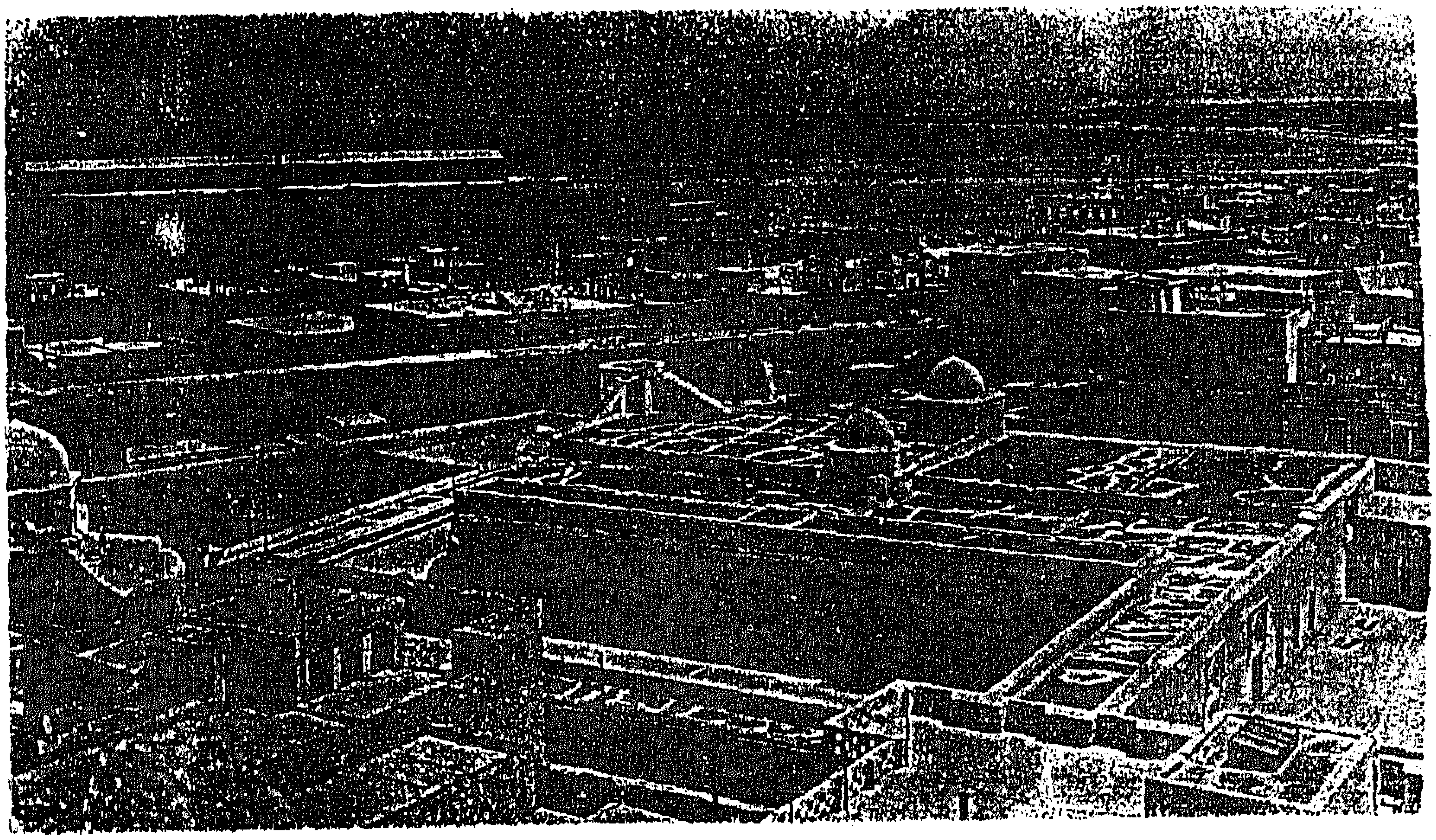

لوحة (٦٩) مسجد سوسة الجامع عن كريسويل.

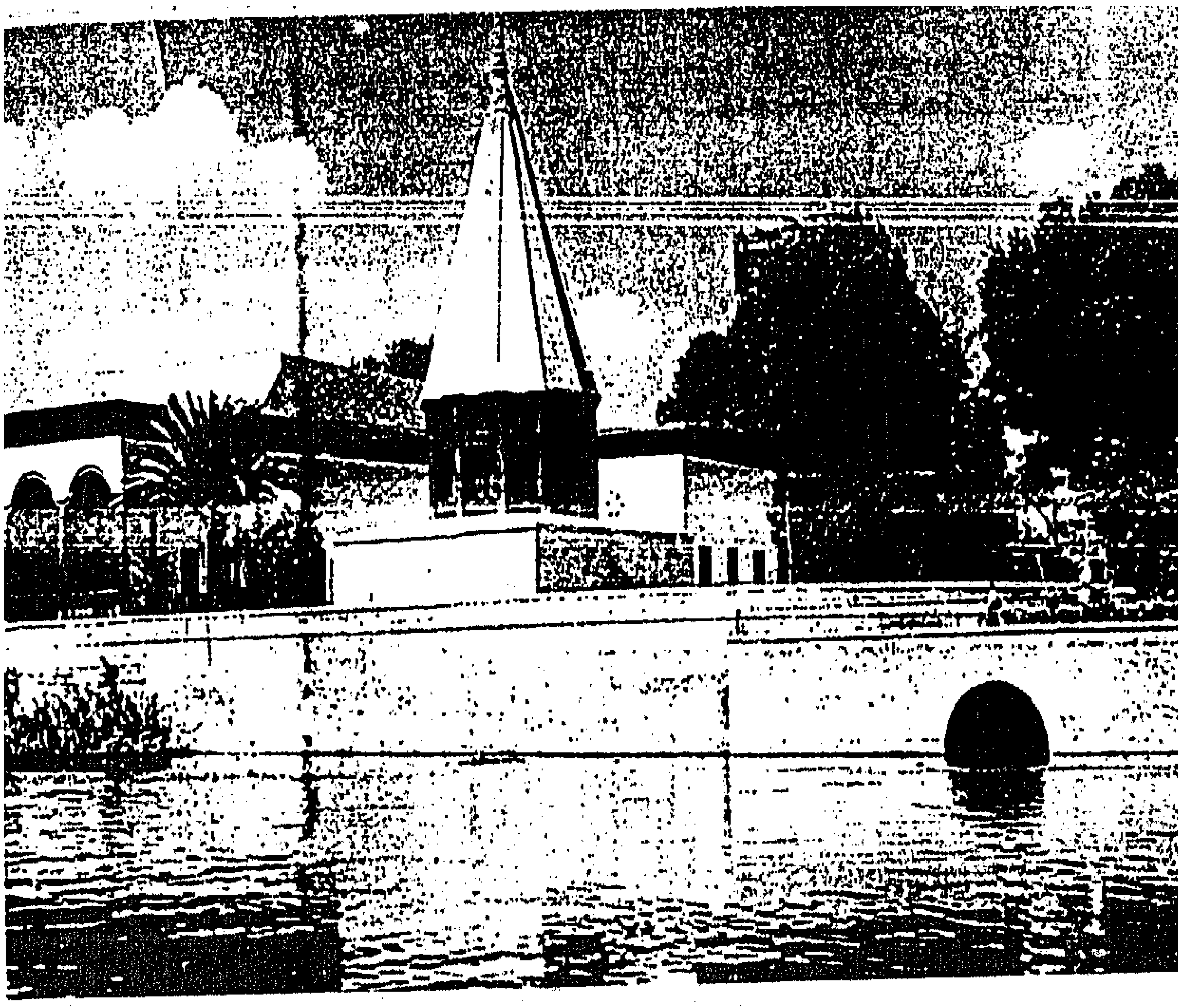

لوحة (٧٠) مقياس النيل بجزيرة الروضة.

هذا الكتاب

العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وافريقية

توفر علي دراسة العمارة الأسلامية عبر عصورها المختلفة عدد كبير من العلماء والباحثين، وقدموا لنا في هذا المجال أعمالا لها قيمتها واصالتها العلمية، ورغم تعدد هذه الدراسات وتنوعها ما بين مؤلفات وبحوث، إلا أنه لاتزال هناك حاجة إلي المزيد من المؤلفات العربية في مجال العمارة الإسلامية مما دفع الباحث إلي تخصيص هذا الكتاب للعمارة الإسلامية العباسية في العراق ومصر وأفريقية، وهذا التناول كان ومايزال مثار إهتمامه بعد ان أصدر الكتاب السابق علي نفس النمط والذي جاء بعنوان «الفاطميون وآثارهم المعمارية في أفريقية ومصر واليمن».

وجاءت فصول الكتاب الستة دراسة تاريخية وحضارية واثرية لآثار العباسيين المعمارية في العراق ثم في مصر وأفريقية، حيث اتبع المؤلف تقسيما جغرافيا في عرض هذه الآثار التي تنوعت ما بين دينية ومدنية وحربية فبدأ بالعراق خلال الفترة الممتدة من ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م، ثم مصر خلال الفترة الممتدة من ١٣٢ ـ ٣٥٨ هـ / ٧٥٠ ـ ٩٦٩م، ثم أفريقية خلال الفترة الممتدة من ١٨٤ ـ ٢٩٦هـ / ٨٠٠ ـ ٩٠٩م، وهي الدراسة التي شملت فيما يتعلق
الأثري التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية وذلك لإيضاح المورو
والمؤثرات البيئية والتأثيرات الوافدة.